

الدكتور سعد بشير أسكندر

**من التخطيط الى التجربة
سياسة بريطانيا العظمى
تجاه مستقبل كردستان**

١٩٢٣-١٩١٥



**بنكهى زين
السليمانية ٢٠٠٧**

أ ٤٦٨ أسكندر، سعد بشير

من التخطيط الى التجزئة: سياسة بريطانيا العظمى تجاه مستقبل
كردستان (١٩١٥-١٩٢٣) / تأليف سعد بشير أسكندر -
السليمانية، بنكهى ژين، ٢٠٠٧.
٣٨٢ص: ١٧،٥×٢٥ سم، خرائط. - (التسلسل؛ ٧٠)
١- كردستان- تأريخ ٢- كردستان- الأحوال السياسية
٣- العنوان
أعدت المكتبة العامة في السليمانية البيانات الأولية للتصنيف والفهرسة الأولية

مشرف المطبوعات: صديق صالح

التسلسل: ٧٠

الكتاب: من التخطيط الى التجزئة، سياسة بريطانيا العظمى

تجاه مستقبل كردستان (١٩١٥-١٩٢٣)

المؤلف: الدكتور سعد بشير أسكندر

التصميم: لاس

تصميم الغلاف: قادر ميرخان

خط الغلاف: أحمد سعيد

عدد النسخ: ١٠٠٠

السعر: ٦٠٠٠ دينار

رقم الإيداع: ٧٢٠ لسنة ٢٠٠٧

مكان الطبع: السليمانية، مطبعة شقان

عنوان الأطروحة بالانكليزية: Great Britain and the Future of Kurdistan: From
Planning to Partition 1915 1923

جميع الحقوق محفوظة. لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو تخزينه في نطاق
إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

من منشورات

بنكهى ژين

إحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي

إقليم كردستان: اندازياران، محلة ١٠٥، زقاق ٥، الدار ٢٣

الأرضي: ٣١٢٩١٠٢ آسيا: ٠٧٧٠١٥٦٥٨٦٤ أو ٠٧٧٠١٤٦٤٨٣٣ سانا: ١١٢٨٣٠٩

ص. ب.: ١٤ E. Mail: bnkaizhin@yahoo.com

المحتويات

١١	المقدمة
٢٣	(الكرد وكردستان: بين الماضي والحاضر)
	الفصل الاول
	من مخططات التجزئة البريطانية في زمن الحرب الى الاحتلال البريطاني لكردستان الجنوبية
٣٥	الخطية التاريخية: موقع كردستان في سياسات بريطانيا العثمانية والقاجارية لمرحلة ما قبل الحرب
٣٦	١- القرن التاسع عشر: بريطانيا وبروز النزعة القومية الكردية
٣٦	٢- بداية القرن العشرين: اشتداد المنافسة بين القوى الاوربية حول مجالات النفوذ السياسية والاقتصادية
٤٧	٣- موقع كردستان في مخططات بريطانيا الامبريالية: من لجنة بونسن الى اتفاقية سايكس- بيكو الثلاثية
٥٢	١- توصيات لجنة بونسن لعام ١٩١٥
٥٢	٢- مراسلات حسين- مكماهون واتفاقية سايكس- بيكو
٦٢	٣- الاحتلال البريطاني لكردستان الجنوبية، ١٩١٧-١٩١٨
٦٩	١- بريطانيا والشؤون الكردية عُشية وقوع الحرب العالمية الاولى
٦٩	٢- اندلاع الحرب العالمية الاولى والوضع الكردي
٧٣	٣- الشيخ محمود الحفيد والتقدم البريطاني نحو كردستان الجنوبية
٧٨	٤- خاتمة الفصل
٨٤	الفصل الثاني
٨٧	السياسة البريطانية في كردستان الجنوبية: تشرين الاول ١٩١٨- آب ١٩٢٠
	١- السيطرة البريطانية غير المباشرة وتشكيل دولة الحكم الذاتي في كردستان الجنوبية: الملبسات والغايات
٨٩	٢- نهاية دولة الحكم الذاتي الكردية: الظروف والغايات
٩٧	١- مواقف الموظفين البريطانيين الميدانيين
٩٧	٢- التفسيرات البريطانية في مواجهة التفسيرات الكردية عن الدولة الكردية
١٠٣	٣- مواقف لندن تجاه شؤون كردستان الجنوبية
١١٥	

١٢٢	- عواقب فرض الحكم البريطاني المباشر على كردستان الجنوبية بالنسبة الى المسألة الكردية
١٢٦	- خاتمة الفصل
	الفصل الثالث
	مواقف الموظفين البريطانيين الميدانيين تجاه المسألة الكردية بين عامي
١٣١	١٩١٨ و ١٩٢٠: التأثيرات وردود الأفعال
١٣٢	- مواقف كولونيل ولسون تجاه المسألة الكردية بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠
١٣٢	١- أصول تفكير ولسون
١٣٥	٢- إدارة ولسون للشؤون الكردية خارج كردستان الخاضعة للسيطرة البريطانية
١٣٩	٣- مخطط ولسون بشأن مستقبل كردستان في إطار التسوية السلمية التركية
١٤١	- تعامل الميجر نوئيل مع المسألة الكردية، ١٩١٨-١٩٢٠
١٤١	١- أصول تفكير نوئيل
١٥٠	٢- نوئيل ووضع حل جديد للمسألة الكردية ضمن إطار التسوية السلمية التركية
	- ردود فعل السلطات البريطانية في الشرق الأوسط إزاء آراء ولسون ونوئيل بشأن مستقبل كردستان
١٥٦	
١٥٦	١- المفوضية السامية البريطانية في القاهرة والشؤون الكردية
١٦٠	٢- المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول
١٦٣	خاتمة الفصل
	لفصل الرابع
١٦٧	الابعاد الإقليمية لسياسة بريطانيا الكردية، ١٩١٨-١٩٢٠
١٦٨	- القوميون الكرد والتسوية السلمية التركية، ١٩١٩-١٩٢٠
	- تطور سياسة بريطانيا الكردية على ضوء الطموحات السياسية للأمانة وبقية المسيحيين، ١٩١٨-١٩٢٠
١٧٩	
١٧٩	١- مواقف الدوائر البريطانية المبكرة
١٩٠	٢- حسم المسألة الأرمنية والموقف البريطاني الجديد من مستقبل كردستان
١٩٥	٣- بنود معاهدة سيفر ومستقبل كردستان وارمينيا
١٩٧	٤- ردود الفعل البريطانية تجاه الاتفاق الكردي-الأرمني
	- العامل الشريفي- الميزوبوتامي في السياسة البريطانية تجاه كردستان الجنوبية، ١٩١٨-١٩٢٠
٢٠٠	
٢٠٠	١- الاحتلال البريطاني وقضية تحديد علاقة كردستان الجنوبية بميزوبوتاميا

٢٠٦	٢- مساعي الشريفيين في تحقيق ادعاءاتهم الاقليمية في كردستان الجنوبية في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب
٢١١	- خاتمة الفصل
	الفصل الخامس
٢١٣	السياسة البريطانية تجاه مستقبل كردستان في مؤتمر سان ريمو: بنود معاهدة سيفر (آب ١٩٢٠)
٢١٤	- أهمية كردستان الجيوسياسية والاقتصادية وحدود اهتمامات بريطانيا المباشرة وغير المباشرة
٢١٨	- تبلور الاهداف البريطانية في كردستان
٢٢٦	- مضامين بنود سيفر على ضوء الاهداف البريطانية
٢٣١	- المصالح الامبريالية الفرنسية وسياسة بريطانيا الكُردية
٢٣٩	- المطامع الاقليمية الإيرانية وسياسة بريطانيا الكُردية
٢٤٤	- خاتمة الفصل
	الفصل السادس
٢٤٧	كردستان الجنوبية تحت الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا: من الانفصال الى الاندماج، خريف ١٩٢٠- خريف ١٩٢٣
٢٤٨	- ظهور بديلين في السياسة البريطانية خلال كونفرانس القاهرة: كيانان منفصلان في مواجهة دولة أحادية
٢٥٢	- سياسة كوكس الكُردية بعد انتهاء كونفرانس القاهرة
٢٥٩	- أسلوب تعامل تشرتشل مع مسألة مستقبل كردستان الجنوبية
٢٦٥	- تشكيل الحكومة الكُردية الثانية في خريف عام ١٩٢٢: الملابس والغايات
٢٧١	- كوكس وتشكيل الحكومة الكُردية الثانية
٢٧٧	- إنقلاب السياسة البريطانية من الانفصال الى الإندماج
٢٨٦	- خاتمة الفصل
	الفصل السابع
٢٨٩	قيام الدولة العربية في ميزوبوتاميا وتأثيراته في سياسة بريطانيا تجاه كردستان الجنوبية لمرحلة ما بعد سيفر
٢٩٠	- المطامح العربية الإقليمية في مواجهة التطلعات القومية الكُردية
٢٩٠	١- فيصل وحدود دولة العراق ومنزلة كردستان الجنوبية السياسية
٢٩٢	٢- إستفتاء ميزوبوتاميا لعام ١٩٢١

٢٩٨	- إقامة الدولة العراقية وتداعياتها السياسية بالنسبة الى مستقبل كُردستان الجنوبية
٢٩٨	١- متطلبات الانتقال الناجح من السيطرة البريطانية المباشرة الى السيطرة غير المباشرة
٣٠٤	٢- السياسة الطائفية وإندماج كُردستان الجنوبية بدولة العراق العربي
٣٠٨	- سكان ميزوبوتاميا وبضمنها كردستان الجنوبية
٣١٠	- إلحاق كُردستان الجنوبية بالدولة العراقية: الحسابات الاقتصادية- البترولية
٣١٥	- إلحاق كُردستان الجنوبية بالدولة العراقية: الحسابات الاستراتيجية
٣٢٢	- خاتمة الفصل
	الفصل الثامن
٣٢٥	سياسة بريطانيا الكُردية: مرحلة ما بعد معاهدة سيفر ومؤتمر لوزان
٣٢٦	- القوميون الكُرد وبريطانيا والوضع الكُردى بعد عقد معاهدة سيفر
٣٢٦	١- نشاطات الحركات القومية الكُردية لمرحلة ما بعد سيفر
٣٣٢	٢- مساعي بريطانيا لتطبيق نسخة معدلة عن بنود معاهدة سيفر حول كُردستان
	- الأطروحة الدفاعية في مواجهة الاطروحة الهجومية بشأن التعامل مع أوضاع كُردستان الشمالية: بريطانيا وإحتواء التهديدات الكمالية
٣٣٤	١- مواقف المفوضية السامية البريطانية في بغداد واسطنبول
٣٣٨	٢- نهج تشرتشل الدفاعي في التعامل مع شؤون كُردستان الشمالية
٣٤١	٣- عقد اتفاقية لوزان وتداعياتها بالنسبة الى المسألة الكُردية
	- الإعتبارات الدولية والإقليمية وتأثيراتها في المواقف البريطانية تجاه المسألة الكُردية، ١٩٢١-١٩٢٣
٣٤٦	١- مواقف حلفاء بريطانيا السابقين
٣٥١	٢- تركيا الكمالية وبريطانيا والوضع الكُردى
٣٥٦	٣- ايران وبريطانيا والمسألة الكُردية
٣٥٩	- خاتمة الفصل
٣٦١	- ملاحظات ختامية
٣٦٩	- المصادر
	الخرائط
	الخارطة الأولى: التقسيم الإداري لكُردستان العثمانية وكُردستان القاجارية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى
٣٠	

- ٥٠ - الخارطة الثانية: خط بغداد للسكك الحديدية والخطوط المقترحة الأخرى في كُردستان
- ٥٥ - الخارطة الثالثة: خطة بونسن الأولى لإلحاق كُردستان
- ٥٨ - الخارطة الرابعة: خطة لجنة بونسن الثانية لإلحاق كُردستان
- ٥٩ - الخارطة الخامسة: مناطق المصالح في كُردستان بحسب توصيات لجنة بونسن
- ٦١ - الخارطة السادسة: خطة لجنة بونسن للحكم الذاتي في الإمبراطورية العثمانية
- ٦٤ - الخارطة السابعة: مراسلات حسين-مكماهون (١٩١٥-١٩١٦)
- ٦٧ - الخارطة الثامنة: تقسيم كُردستان العثمانية بين الحلفاء بحسب اتفاقية سايكس-بيكو الثلاثية
- ٨٨ - الخارطة التاسعة: تقدم القوات البريطانية في كُردستان الجنوبية في أثناء الحرب
- ٩٣ - الخارطة العاشرة: دولة الحكم الذاتي الكُردية
- ١٤٣ - الخارطة الحادية عشر: خارطة نوئيل حول كُردستان العثمانية والقاجارية
- ١٥٤ - الخارطة الثانية عشر: خارطة نوئيل حول مستقبل الولايات العثمانية غير التركية
- ١٧٢ - الخارطة الثالثة عشر: حدود كُردستان بحسب الخارطة التي قدمها القوميون الكُرد (١٩١٩)
- ١٨٢ - الخارطة الرابعة عشر: الإدعاءات الأرمنية في كُردستان بحسب خارطة ارمينيا المقترحة من قبل القوميين الأرمن خلال مؤتمر باريس (١٩١٩)
- ١٨٥ - الخارطة الخامسة عشر: الوطن القومي الأثوري بحسب الإدعاءات الأثورية بعد الحرب العالمية الأولى
- ١٨٧ - الخارطة السادسة عشر: المناطق الكُردية التي تكون ضمن حدود ارمينيا بحسب المشروع البريطاني (١٩١٩)
- ١٨٨ - الخارطة السابعة عشر: المناطق الكُردية التي تكون ضمن حدود ارمينيا بحسب المشروع الأمريكي (١٩١٩)
- ٢٣٨ - الخارطة الثامنة عشر: تقسيم كُردستان العثمانية بحسب بنود معاهدة سيفر (١٩٢٠)

المقدمة

يتناول هذا الكتاب دبلوماسية بريطانيا السرية والعلنية وسياساتها الرسمية والميدانية تجاه كُردستان على إمتداد تسع سنوات، كانت حبلى بالاحداث والانعطافات الدراماتيكية منذ ان سُكلت لجنة بونسن في شهر أيار من العام ١٩١٥ حتى عقد اتفاقية لوزان في شهر حزيران من العام ١٩٢٣. تُعد هذه السنوات من أكثر الحقب التاريخية أهمية وتأثيراً في تقرير مصير الشعب الكُردى ووطنه التاريخي. فقد شهدت هذه الحقبة التاريخية تطورات سياسية ودبلوماسية مهمة تصاعدت في أثنائها آمال الكُرد في تحقيق الوحدة القومية والاستقلال السياسي، ولكن سرعان ما تبددت تلك الآمال والتطلعات بسبب تضافر جملة عوامل إقليمية ودولية، جعلت من الكُرد كبش فداء لهذا الطرف أو ذاك.

بدأت بريطانيا بفرض سيطرتها السياسية على كُردستان الجنوبية مع نهاية الحرب العالمية الأولى بعد سنوات من التفكير الجدي والعمل الحثيث في كيفية تقرير مصير المناطق الكُردية الخاضعة للحكم العثماني. ولهذا كانت لسياسات بريطانيا على الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية كافة ودورها القيادي في إنشاء كيانات سياسية جديدة في منطقة الشرق الأوسط أهمية بالغة في فهم أبعاد القضية الكُردية وإدراك تطورها التاريخي خاصة خلال الحقبة ١٩١٥-١٩٢٣. ففي مؤتمرات السلام التي عقدت في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، باريس ١٩١٩-١٩٢٠ وسان ريمو ١٩٢٠ ولوزان ١٩٢٢-١٩٢٣، كانت بريطانيا القوة الكبرى الأكثر تحكماً في تحديد مسارات التطورات السياسية ونتائج التسويات الإقليمية المتعلقة بالولايات الآسيوية الخاضعة للحكم العثماني- التركي، التي أرتبط بها مستقبل كُردستان ارتباطاً وثيقاً ومباشراً. وللمرة الأولى أخذت تلك المؤتمرات الدولية المصرية بنظر الاعتبار المستقبل السياسي للشعوب الآسيوية غير التركية كالكُرد والعرب والأرمن.

تتعلق الأطروحة الرئيسة لهذا الكتاب بالدور الكبير الذي أدته بريطانيا سواء بصورة علنية أو بصورة سرية في إعادة تقسيم كُردستان في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب. فضلاً عن ذلك، يطرح هذا الكتاب مسألة في غاية الأهمية وهي انه في الحقبة ١٩١٨-١٩٢٣ أدى الموظفون البريطانيون الميدانيون (أي العاملون على الأرض) دوراً

خطيراً في تحديد وجهة سياسة بريطانيا الكُردية. فهم لم يعترضوا على تطور كيان لحكم ذاتي في مناطق كُردستان الخاضعة للسيطرة البريطانية فحسب بل أيضاً قاموا بتعبيد الدرب أمام إلحاقها قسراً بالدولة العراقية الحديثة التأسيس. وجرى التأكيد في نواح متفرقة من هذا الكتاب على تشخيص الحسابات المتعددة التي أثرت في نوايا بريطانيا وأهدافها القصيرة والطويلة الأمد في جميع أجزاء كُردستان خلال الحرب العالمية الأولى وفي المرحلة التي تلتها مباشرة. وكانت للحسابات تلك مضامين متعددة: إستراتيجية واقتصادية وسياسية. ولكن، كما تؤكد تحليلات هذا الكتاب، كان للحسابات الإستراتيجية أولوية خاصة مقارنة بسائر الحسابات الأخرى، التي تمثّلت بتعزيز موقف بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط والمرتبط به ارتباطاً وثيقاً ومباشراً أمن الطرق البحرية والبرية المؤدية الى ممتلكاتها الاستعمارية في الشرق، خاصة في شبه القارة الهندية.

تتناول فصول الكتاب السياسة البريطانية تجاه مستقبل كُردستان وفق ثلاثة محاور: محلية وإقليمية ودولية. يلقي المحور المحلي الأول الضوء على العلاقات المتفاعلة بين مصالح بريطانيا الامبريالية والتطلعات السياسية للحركات القومية الكُردستانية ونشاطاتها، خاصة في المدة ١٩١٨-١٩٢٣. ويتناول الفصلان الثاني والسادس هذه القضايا بتركيز، إذ سنُحلل بشكل واسع وعميق الدوافع البريطانية وراء إنشاء الحكومة الكُردية الأولى والثانية وتدميرهما لاحقاً. والمحور الإقليمي الثاني يؤكد انه على غرار القضايا القومية التي ظهرت على السطح في الشرق الأوسط في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، مثل الترابط بين النزعتين القومية اليهودية- الصهيونية والقومية الفلسطينية- العربية، ارتبطت المسألة الكُردية وتسويتها بالمسألتين القوميتين الأرمنية والشريفية (نسبة الى حركة الشريف حسين التي ظهرت في الحجاز في بداية الحرب). ويركز الفصلان الرابع والسابع على التأثيرات التي تركتها طموحات الأرمن والشريفيين العرب السياسية والإقليمية ومساعدتهم في قيام دول قومية خاصة بهم على السياسة البريطانية تجاه مستقبل المناطق الكُردية وتطلعات أهاليها القومية المتنامية. بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أصبح البريطانيون مدركين فعلياً وبشكل متزايد وجود علاقة وثيقة بين رسم مستقبل كُردستان السياسي ومعالجة القضية الأرمنية في الحقبة ١٩١٨-١٩٢١، من جهة، وتحديد مستقبل ميزوبوتاميا في الحقبة ١٩٢١-١٩٢٣، من جهة ثانية.

ويلقي المحور الدولي الثالث الضوء على دور بريطانيا المؤثر في سير الأحداث والتطورات. فبوصفها قوة كبرى، صممت بريطانيا على تعزيز موقفها ونفوذها في مواجهة القوى الكبرى الأخرى في مرحلة ما بعد الحرب. وستبين دراسة سياسة بريطانيا في كردستان في الفصلين الخامس والثامن انها كانت تُرسم جزئياً كرد فعل وتصد لسياسات لقوى كبرى أخرى وأهدافها الإقليمية، خاصة فرنسا. ويوضح هذا الكتاب كيف ان مستقبل كردستان السياسي قد تأثر بالمنافسة الشديدة بين بريطانيا وفرنسا في الأعوام ١٩١٨-١٩٢٣، التي كانت إحدى تجسيدات الوصول الى اتفاق ثنائي حول فرض سيطرة القوتين المباشرة على الأجزاء الجنوبية والغربية من كردستان وإخفاقهما في الوصول الى اتفاق مماثل بشأن مستقبل بقية أجزاء كردستان. تُمثلُ السيطرة المباشرة والسيطرة غير المباشرة والدولة الحاجزة (buffer state) والدولة الأحادية (unitary state) مسارات مختلفة في سياسة بريطانيا الكردية بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٣. تشكل هذه مجموعها الإطار المفاهيمي لهذا الكتاب. استخدم مفهوم السيطرة غير المباشرة لوصف الطريقة التي مارس البريطانيون فيها نفوذهم في كردستان من خلال التوصل الى اتفاق ميداني مع قوميين محليين كرد، من دون ان يتحملوا أعباء أية التزامات عسكرية أو مالية أو سياسية. واتخذت السيطرة المباشرة شكل قيام كيان كردي ذات إدارة أهلية خاضعة لإشراف موظفين بريطانيين ميدانياً في نهاية شهر تشرين الأول وبداية شهر تشرين الثاني من العام ١٩١٨. واستعمل مفهوم السيطرة المباشرة لوصف طريقة إدارة المسؤولين البريطانيين الميدانيين لشؤون كردستان الجنوبية السياسية والاقتصادية والأمنية في الحقبة التي أعقبت شهر حزيران عام ١٩١٩، من دون مراعاة رغبات الزعامات المحلية الكردية.

ان استخدام مفهومي السيطرة المباشرة والسيطرة غير المباشرة هو أمر جوهري بالنسبة الى فهم تطور السياسة البريطانية في كردستان الجنوبية في الحقبة ١٩١٨-١٩٢٠، في حين يُرشد مفهوما الدولة الحاجزة والدولة الأحادية القارئ لدى تحليل سياسة بريطانيا الكردية بين عامي ١٩٢١ و١٩٢٣، إي في عهد الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا. طبقاً لمفهوم الدولة الحاجزة، التي طوّرها وينستون تشرتشيل، وزير المستعمرات، كان على كردستان الجنوبية ان تظل كياناً منفصلاً عن ميزوبوتاميا كي تعزز من الموقف البريطاني فيها. ونادى بمفهوم الدولة الأحادية برسي كوكس،

المفوض السامي البريطاني في بغداد، بوصفها الوسيلة المثلى لتوطيد السيطرة البريطانية في دولة العراق الحديثة التأسيس.

ان الأدب القائم الخاص بتاريخ كردستان الحديث محدود جداً في مداه وأوجهه وبإس في مضمونه مقارنة مع تاريخ الشعوب الشرق الأوسطية الأخرى. وقد جرت معظم الدراسات خلال العقد التسعيني من القرن الماضي وركزت بشكل رئيس على الظرف المعاصر للمسألة الكردية وتأثيراتها المتزايدة في استقرار منطقة الشرق الأوسط في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي. تلك الحرب ألقت بظلالها على الكثير من القضايا السياسية المهمة كالمسألة الكردية، من جانب، وسلطت الضوء بكثافة على قضايا سياسية أخرى كالقضية الفلسطينية، من جانب ثانٍ. مع هذا يُمكن تحديد الجدال التاريخي بصورة تقليدية بين الباحثين الأجنب والكرد حول تقييم دور بريطانيا في رسم مستقبل كردستان السياسي بمسألتين مثيرتين للجدل. تتعلق المسألة الأولى بالطريقة التي أصبحت بريطانيا تهتم بالشؤون الكردية، والأسباب التي دعت الى ذلك. أما المسألة الثانية فتتعلق بمدى مسؤولية البريطانيين والقوميين الكرد عن عدم قيام دولة قومية كردية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

بقدر ما يتعلق الأمر بالدلائل التاريخية، ترجع أولى الاتصالات البريطانية بالشعب الكردي الى نهاية القرن الثامن عشر إذ قام عدد من المكتشفين والرحالة والموظفين البريطانيين في شركة الهند الشرقية بالسفر الى أنحاء مختلفة من كردستان العثمانية والقاجارية. وكان هؤلاء مهتمين أساساً باحتمالات إقامة علاقات تجارية مع الأسواق المحلية في كردستان وما يتعلق بذلك من شروط أمنية وسياسية. من الناحية السياسية، بدأ اهتمام المؤسسة السياسية البريطانية بالشؤون الكردية في بداية القرن التاسع عشر الذي عبر عن نفسه في عدة تطورات سياسية عكست بروز نزعة قومية أولية بين النخب الكردية، التي سرعان ما عبرت عن نفسها في عدة انتفاضات وتطورات سياسية، في مقدمتها تشكيل الكونفدرالية الإماراتية بين العقدين الرابع والخامس من ذلك القرن. وشهدت تلك الحقبة التاريخية، كما يُبين المؤرخ المعروف، كمال مظهر، في كتابه "كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى"،¹ تنامي اهتمامات روسيا

¹ Kamal Madhar Ahmad, Kurdistan during the First World War, Translated by Ali Maher Ibrahim (London: Saqi Books, 1994).

القيصرية بأوضاع كُردستان السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وتحولت التدخلات الأوربية في شؤون كُردستان الداخلية منذ بدايات القرن التاسع عشر الى (عامل دائم) في التاريخ الكُردى الحديث.^٢

في معرض تقييمه السريع للانتفاضات القومية الكُردية الأولى، يتحدث الباحث، كندال نزان، عن المعارضة البريطانية والفرنسية للانتفاضة عام ١٨٥٥، التي قادها الأمير يزدان شير، مؤكداً مخاوفهما من قيام كُردستان مستقلة خاضعة لنفوذ روسيا القيصرية.^٣ وبطريقة مماثلة يؤكد المؤرخ الأمريكي، روبرت أولسن، لدى تقييمه للانتفاضة الكُردية في عامي ١٨٨٠ و١٨٨١، على وجود مواقف بريطانية معادية لتوجهاتها السياسية.^٤ لقد استندت أساساً تدخلات بريطانيا في الشؤون الكُردية ومعاداتها للمنتفضين الكُرد الى حسابات إستراتيجية، أي تعزيز وحدة تركيا العثمانية الإقليمية وبلاد فارس الإيرانية.

خشيت بريطانيا في حينها من ان تسبب تلك الانتفاضات الكُردية في قلب آسيا الصغرى وشمال غرب بلاد فارس انهياراً لسلطة حكومتي تركيا العثمانية وإيران القاجارية في الأقاليم البعيدة او في اقل تقدير ستمنح روسيا فرصة لبسط نفوذها باتجاه الجنوب نحو منطقة الخليج، وشبه القارة الهندية وسواحل البحر الأبيض المتوسط. وتُظهر الوثائق البريطانية ان وزارة الخارجية البريطانية حاولت من خلال اتصالات دبلوماسية عالية المستوى أجرتها مع القوى الأخرى تحسين أجواء العلاقات بين حكومتي اسطنبول وطهران بهدف تنسيق الجهود السياسية والعسكرية للقضاء على انتفاضة ١٨٨٠-١٨٨١ المندلعة في كُردستان.^٥ وكان هدف بريطانيا الرئيس استباق أي تدخل روسي محتمل في شؤون بلاد فارس الداخلية.

² Kendal Nezan, 'The Kurds: Current Position and Historical Background'- in- Kurdish Culture and Identity, [ed-] Philip G. Kreyenbroek & Christine Allison (London: Zed Books, 1996), p.13.

³ Kendal Nezan, 'The Kurds under the Ottoman Empire' -in- A People without a Country, the Kurds and Kurdistan, (ed.) Gerard Chaliand, Translated by Michael Pallis (London: Zed Books, 1993), p.22.

⁴ Robert Olson, The Emergence of Kurdish Nationalism and the Sheikh Said Rebellion, 1880-1925 (Austin: University of Texas Press, 1989) p.7.

⁵ انظر:

'Correspondence Respecting the Kurdish Invasion of Persia', No.s 1,2,3 and 4,Parliamentary Papers, Vol.C, Year 1881.

بحلول العقد الأول من القرن العشرين، دخل اهتمام بريطانيا بشؤون كُردستان طوراً جديداً حينما نجحت في الحصول على نفوذ اقتصادي وسياسي في ما عُرف عنها بأنها أهم المناطق الكُردية من الناحية الاقتصادية، اي ولاية الموصل (التي ظلت تُسمى ولاية شهرزور حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر). كان هذا التطور الملحوظ نتيجة التدهور المتزايد في سلطة الحكومتين المركزيتين في اسطنبول وطهران. وهذا بدوره شدّد من حالة التنافس والتصارع بين القوى الأوربية الرئيسة من اجل الحصول على مجالات نفوذ (sphere of influence) اقتصادية وسياسية. مثل بناء خط بغداد لسكك الحديد رمزاً للسيطرة الألمانية السياسية والاقتصادية في تركيا العثمانية، وشكّل في الوقت نفسه تهديداً جدياً للمصالح البريطانية الإستراتيجية والتجارية في ميزوبوتاميا ومنطقة الخليج. وهذا التطور الخطير هو الذي منح كُردستان الجنوبية أهمية إستراتيجية واقتصادية بفضل إمكانية وجود مصادر بترولية فيها وإشرافها المباشر على سهول ميزوبوتاميا الى الجنوب منها.

في كتابه السياسة البريطانية في ميزوبوتاميا، ١٩٠٣-١٩١٤، التي تضع أمام القارئ خارطة دقيقة وشاملة عن المصالح البريطانية المتنامية في ميزوبوتاميا قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، يوضح الباحث ستيوارت كوهين كيف أصبحت كُردستان الجنوبية (ولاية الموصل) من المناطق التي سعى البريطانيون الى تعزيز مواقعهم فيها من اجل التصدي لتهديدات منافسيهم الألمان.^٦ ومنحت الحرب العالمية الأولى بريطانيا فرصاً أخرى من اجل التوسل بأدوات جديدة أكثر مباشرة لتوسيع نفوذها المستقبلي وتوطيده في كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا.

ويُرجع كمال مظهر، اهتمام البريطانيين بكُردستان الى أسباب اقتصادية بالدرجة الأولى متمثلة بالسيطرة على البترول الكُردية.^٧ مع هذا، تُبين توصيات لجنة بونسن وخاصة بنود اتفاقية سايكس-بيكو الثلاثية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا، ان اهتمام الأولى بكُردستان الجنوبية كان ذا طبيعة إستراتيجية بالدرجة الأولى ((تعزيز أمن الخط البري الاستراتيجي الممتد من قناة السويس الى حدود الهند الغربية والشمالية- الغربية)) واقتصادية بالدرجة الثانية ((السيطرة على منطقة الخليج

⁶ Stuart A. Cohen, British Policy in Mesopotamia, 1903-1914 (London: Ithaca Press, 1976).

⁷ Ahmad, Kurdistan during the First World War, p.189.

ومصادر البترول الكُردية المحتملة)). ولم يكن حصول بريطانيا على مجال نفوذ في كُردستان الجنوبية بحسب بنود اتفاقية سايكس- بيكو،^٨ سوى تعبير عن رغبة في تعزيز مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية بصورة مباشرة ومؤثرة.

ان التحليلات التاريخية والتفسيرات السياسية الرائجة حالياً متضاربة في جوهرها بشأن دوافع بريطانيا من وراء بسط سيطرتها على كُردستان الجنوبية قبل نهاية الحرب العالمية الأولى وبعد التوصل الى هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأول من العام ١٩١٨، التي أنهت الحرب بين بريطانيا العظمى والإمبراطورية العثمانية. في تحليله للتقدم العسكري البريطاني شمالاً نحو كُردستان الجنوبية، يشير الباحث البريطاني دفيد مكدول الى ان اهتمام بريطانيا في تلك المنطقة قد جاء بالصدفة إذ كان نتاجاً فرعياً عن احتلالها لميزوبوتاميا العربية.^٩ على نقيض من ذلك التفسير تماماً، يُعتبر كمال مظهر الاحتلال البريطاني لكُردستان الجنوبية بمثابة رد على اندلاع ثورة أكتوبر في روسيا عام ١٩١٧، في الوقت نفسه يرى أيضاً وجود ((خطط طويلة الأمد)) لدى بريطانيا في كُردستان قبل اندلاع الحرب.^{١٠} وبحسب تصور كمال مظهر، ان ((أهم نتائج)) ثورة أكتوبر هو ازدياد اهتمام بريطانيا بكُردستان، لتحويلها آنذاك الى حاجز استراتيجي.^{١١}

من الضروري ان يكون المحور الرئيس في اي نقاش يتعلق بالسبب الذي دفع بريطانيا الى بسط سيطرتها على كُردستان الجنوبية هو التأثير السياسي للتحويلات الكبرى المفاجئة التي وقعت قبل نهاية الحرب، خاصة اندلاع الثورة البلشفية في عام ١٩١٧ وما تلاه من تطورات سريعة كانسحاب روسيا من الحرب ودخول الولايات المتحدة الأمريكية فيها مباشرة ضد المانيا وحليفاتها. هذه التطورات الأخيرة أثرت بصورة مباشرة في بنود اتفاقية سايكس- بيكو الثلاثية السرية الى الحد الذي

⁸ Political Department, India Office, Note on Kurdistan, 14 December 1918, F0371/3386, Public Record Office (PRO).

هذه المذكرة تشير الى نهر الزاب الصغير بوصفه الحدود ما بين مجال النفوذ البريطاني ومجال النفوذ الفرنسي في كُردستان الجنوبية.

⁹ David McDowall, A Modern History of the Kurds, (London & New York: I.B. Tauris, 1996) pp.117-118.

¹⁰ Ahmad, Kurdistan during the First World War , pp-105 & 187.

¹¹ Ibid., p.101.

أصبحت فيه غير قادرة لوحدها في ان تكون القاعدة والمنطلق في أية عملية لإعادة رسم النظام الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط من دون إجراء تعديلات جوهرية عليها. ان اختفاء روسيا القيصرية بوصفها قوة رئيسية في هذه المنطقة الحساسة قد أسهم في إشعال نيران المنافسة من جديد بين بريطانيا وفرنسا حول السيطرة على مجالات النفوذ الاستراتيجي والاقتصادي والسياسي. على المدى القصير، أملت الحاجة الى طرد الأتراك من كردستان الجنوبية على بريطانيا فرض سيطرتها على تلك المنطقة التي أشرفت على ميزوبوتاميا العربية الخاضعة لاحتلال قواتها.

ان انسحاب روسيا القيصرية المفاجئ قد ترك فراغاً خطراً في كردستان إذ أصبحت المواقع العسكرية البريطانية في ميزوبوتاميا العربية معرضة بصورة متزايدة الى هجمات القوات التركية المضادة. في الوقت نفسه، ان أوضاع الحرب، كما يوضح دفيد مكحول، منحت البريطانيين فرصة لبسط سيطرتها على مجال النفوذ الفرنسي في إقليم كردستان الجنوبية التي أكدته بنود اتفاقية سايكس- بيكو.^{١٢} والمجال الفرنسي هذا عُد الآن حيويًا استراتيجيًا واقتصاديًا بالنسبة الى أمن ميزوبوتاميا العربية على المديين القصير والطويل.

حين وضعت الحرب أوزارها، وجدت بريطانيا نفسها في موقف قوي بالنسبة الى رسم مستقبل كردستان العثمانية السياسي بسبب سيطرتها على مناطق واسعة في جنوب كردستان العثمانية وغربها. وأصبح لزاماً على بريطانيا ان تضع سياسة واضحة المعالم تتوافق مع الوقائع الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية على الأرض. وكانت غالبية الكُرد المحليين، الذين دمرت الحرب قراهم ومدنهم، قد عبروا عن ترحيبهم برحيل الأتراك و قدوم البريطانيين الى مناطقهم. وكانت الدعاية التي قام بإطلاقها الحلفاء في زمن الحرب هي المسؤولة عن تبلور توقعات متفائلة بين الكُرد كبقية شعوب منطقة الشرق الأوسط غير التركية. كما رحب كُرد المهجر من ذوي التوجهات القومية بالتطورات الجديدة التي أعقبت الحرب.

والجدير بالإشارة ان مجموعة من القوميين الكُرد قد وقف الى جانب روسيا، منهم الأمير عبد الرزاق بدرخان، بينما حاولت مجموعات أخرى إقامة علاقات واتصالات مع البريطانيين. وكان شريف باشا، احد كبار الدبلوماسيين العثمانيين السابقين، واحداً

¹² McDowall, A Modern History of the Kurds, p.118.

من الشخصيات الكُردية البارزة، التي اتصلت بكبار المسؤولين البريطانيين الميدانيين. عموماً، رأى القوميون الكُرد بصورة راسخة انه لو استطاعوا إقناع الحلفاء، خاصة بريطانيا، بعدالة قضيتهم القومية وانسجام التطلعات السياسية الكُردية مع مصالح الحلفاء فانه سيكون بالإمكان تشكيل دولة كُردية مستقلة. وساعدت الإجراءات المُبكرة التي اتخذها المسؤولون البريطانيون في الجزء الكُردستاني الخاضع لهم حينما تشكل كيان كُرد في ظل إدارة أهلية وتحت إشراف بريطاني، على تعزيز حالة التفاؤل في أوساط القوميين الكُرد.

كان هدف البريطانيين المباشر من وراء تشكيل ذلك الكيان إناطة القادة الكُرد المحليين مهمة تطبيع الحياة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية بمساعدة عدد من المستشارين البريطانيين. في غياب سياسة رسمية مشخصة تجاه مستقبل كُردستان بعد انتهاء الحرب وبالنظر الى تصاعد قلق حكومة لندن بشأن ازدياد التزاماتها العسكرية والسياسية والمالية، قررت السلطات البريطانية الميدانية العاملة في بغداد القبول مبدئياً بفكرة تشكيل إدارة أهلية كُردية.

خضع التعاون بين القادة القوميين الكُرد والمسؤولين البريطانيين الى بعض الانتقادات في الأدب التاريخي والسياسي القائم. في تقريره عن الكُرد في الإمبراطورية العثمانية، يرى كندال نزان ان الكُرد خسروا فرصة فريدة لتحقيق كُردستان موحدة بسبب قيام قادتهم بتعليق آمالهم تماماً على بريطانيا وفرنسا. بحسب تصور هذا الباحث، لو اتخذ القوميون الكُرد المبادرة في إقامة «دولة كُردية قومية» وفرضوها كأمر واقع (fait accompli)، لعجز الحلفاء عن قلب هذا الواقع الجديد.¹³

ان العامل الذاتي الذي يؤكد عليه كندال نزان لم يكن وحده كافياً في تحديد مسار التطورات. فبسبب ضعف الحركة القومية الكُردية والعلاقة المتداخلة الوثيقة بين المسألة الكُردية والتسوية الإقليمية والسياسية المتعلقة بامتلاكات الإمبراطورية العثمانية لايمكن للمرء سوى الإقرار بأنه في غياب دعم مادي بريطاني لم يكن بوسع القوميين الكُرد اتخاذ أية مبادرة كبيرة تهدف الى إقامة كُردستان كبرى مستقلة وتقديمه للعالم كأمر واقع، كما دللت على ذلك عدة انتفاضات كُردية وقعت بين عامي ١٩١٩ و١٩٢٥. وتعد رسم مستقبل كُردستان بصورة أكثر وأكثر إذ سرعان ما أضح أن

¹³ Nezan, A People without a Country, pp.30-31.

حسمه لم يؤثر في مصالح الشعب الكردي لوحده فحسب، بل أيضاً في مصالح الأرمن والعرب والأترك والفرس، فضلاً عن المصالح الامبريالية لبريطانيا وفرنسا. لهذه الأسباب، تطلب إقامة كردستان مستقلة تضافر شروط مناسبة محلياً وإقليمياً ودولياً. في حالة الأقاليم العربية البعيدة جغرافياً عن مراكز الحكم التقليدية في اسطنبول او طهران، على سبيل المثال، كانت بريطانيا الى حد معين قادرة على التوفيق بين مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية والحد الأدنى من الطموحات القومية العربية من خلال إقامة عدد من الكيانات السياسية العربية في بلاد الشام والجزيرة العربية. لكن، موقع كردستان الجيوسياسي ومشاكل بريطانيا المالية الداخلية، التي جعلتها لا توافق على تقديم التزامات عسكرية او سياسية جديدة في كردستان، وقفنا عقبة في طريق الوصول الى توافق ما بين مصالح بريطانيا الإستراتيجية والتطلعات القومية الكردية في تلك الفترة. ان تاريخ المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى تبين وبوضوح ان العامل الدولي، المتمثل بانتصار الحلفاء على خصومهم ومبادرتهم في إقامة نظام أوربي جديد قائم على إعادة رسم الخارطة السياسية لتلك القارة، كان مؤثراً، إن لم يكن حاسماً، في عملية نشوء دول جديدة في جيكوسلوفاكيا وبولندا ويوغسلافيا وهنغاريا وغيرها من البلدان.

يتفق الباحثون الأجانب والكرد على حد سواء، وفي مقدمتهم كمال مظهر وديفيد مكحول وروبرت اولسن، على ان الكرد خسروا فرصة تاريخية غير مسبوقة لإقامة دولة او عدة دول خاصة بهم قبل إبرام معاهدة سيفر في آب عام ١٩٢٠. لكن هؤلاء الباحثين لايتفقون فيما بينهم بخصوص اسباب اخفاق الكرد في تحقيق تطلعاتهم القومية. وللدور البريطاني في تقسيم كردستان بعد إنتهاء الحرب موقع محوري في هذا الجدل التاريخي المستمر. ان الاستنتاج الرئيس الذي يُمكن الخروج به من مؤلفات الباحثين والمؤرخين الكرد هو انه كانت للأهداف ((الامبريالية))، التي تضمنتها سياسة بريطانيا تجاه كردستان، تأثيرات مدمرة سواء بالنسبة الى مستقبلها السياسي أم بالنسبة الى تطور الحركة القومية الكردية. يجب التذكير بهذا الصدد ان التفسيرات والتحليلات التاريخية الكردية حول السياسة البريطانية تجاه كردستان قد تأثرت ومازالت متأثرة الى حد بعيد بوجهة النظر السوفيتية التي تُفسر اي فعل سياسي او مبادرة دبلوماسية اتخذها الحلفاء، خاصة بريطانيا، ضمن سياق الأحداث المرتبطة

مباشرة باندلاع الثورة البلشفية وقيام اتحاد الدول السوفيتية. كان احتواء روسيا البلشفية، بحسب رأي كمال مظهر، السبب في قرار الحلفاء تحويل جزء من كردستان الى حزام حاجز (buffer zone) من خلال بنود معاهدة سيفر.¹⁴ ويرى الباحث الكردي، عبد الرحمن قاسم، ان بريطانيا سعت الى خلق دولة كردية ((رجعية)) تحت سلطة الإقطاعيين الكرد على شكل محمية بريطانية موجهة ضد روسيا البلشفية.¹⁵ ولأن الطريقة الكردية في تناول سياسة بريطانيا تجاه مسألة كردستان ذات منحى إيديولوجي بشكل ملحوظ فإنها تميل عادة الى تبسيط الأحداث التاريخية التي شهدتها الحقبة ١٩١٥-١٩٢٣. فالمرء لا يمكنه ان ينكر تنامي الخطر البلشفي على مصالح بريطانيا في الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية بوصفها عاملاً مؤثراً في سياستها الامبريالية تجاه منطقة الشرق الأوسط. وبالرغم من كل هذا، يؤكد هذا الكتاب ان هناك عوامل متضافرة ومتفاعلة أثرت بشكل خاص في سياسة بريطانيا الكردية، مثل اشتداد المنافسة الامبريالية الفرنسية- البريطانية في مرحلة ما بعد الحرب و بروز الحركة القومية الكردية على الساحة الدولية وطرح الحلفاء مستقبل ارمينيا، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، ومعالجة المسألة الشرفية التي ارتبط بها مستقبل ميزوبوتاميا العربية، وأخيراً وليس آخراً ظهور الحركة الكمالية- الطورانية وتنامي قوتها ونفوذها في وسط تركيا وشرقها.

وقدم دفيد مكدول تفسيراً مختلفاً تماماً لسياسة بريطانيا الكردية عن تلك التي قدمها الباحثون الكرد. فهو يُلقي مسؤولية فشل الكرد في تشكيل دولتهم القومية على عاتق قادتهم السياسيين ليبرئ ساحة البريطانيين. ويُصور كتاب مكدول "تاريخ الكرد الحديث" تقسيم بريطانيا لكردستان بوصفه انعكاساً للوقائع الاقتصادية القائمة آنذاك: ((طرق التجارة والأراضي الداخلية المنتجة للقمح)).¹⁶ طبقاً لهذا التفسير، عملت بريطانيا ضمن واقع موضوعي مُعطى حين عدلت بنود اتفاقية

¹⁴ Ahmad, Kurdistan during the First World War , p.197.

¹⁵ Abdul Rahman Ghassemlou, Kurdistan and the Kurds Translated by Miriam Jellinkov & (Prague: Publishing House of the Czechoslovakia Academy of Science, 1965) pp.47-8.

والجدير بالذكر ان كمال مظهر قد انهى دراسته الجامعية العليا في الاتحاد السوفيتي، في حين حاضر عبد الرحمن قاسم في أوروبا الشرقية.

¹⁶ McDowall, A Modern History of the Kurds , pp.119, 121.

سايكس- بيكو التي وضعت كُردستان الجنوبية تحت انتدابها بغية خلق وحدة اقتصادية وإدارية قابلة للحياة والديمومة في منطقة ميزوبوتاميا. وفي هذا الصدد، يتفق مكدول تماماً مع منطق السلطات البريطانية الميدانية في بغداد وتبريراتها بشأن عدم تبني أية حدود أثنائية بين ميزوبوتاميا وكُردستان جنوبية لفصل الواحدة عن الأخرى بوصفه ((هراء استراتيجي واقتصادي)).^{١٧} في الوقت نفسه، يُحمّل مكدول القوميين الكُرد المسؤولية الكاملة عن عدم ظهور دولة كُردية لقصر نظرهم وانعدام الوحدة بينهم. وطبقاً لتصورات مكدول، بحثت بريطانيا عن قائد كُردّي أوحد كي تصل معه الى حل بالنسبة الى مستقبل كُردستان الشمالية (كُردستان تركيا حالياً). ولكن، ((فشل الكُرد في تقديم قيادة جديدة بالثقة كان وبلا أدنى شك ضربة الى الآمال البريطانية)).^{١٨}

ان المسألة اللافتة للنظر في تفسير مكدول للعلاقة بين السياسة البريطانية ومستقبل كُردستان تكمن في وجه التشابه والتطابق الكبيرين مع تلك التفسيرات التي كان قد قدمها الكولونيل ارنولد ويلسون حول ذلك الموضوع في كتابه ميزوبوتاميا، ١٩١٧-١٩٢٠: تصادم الولاءات. وكان المؤرخ البريطاني بيتر سلوغليت قد وصف الكتاب المذكور بأنه يعطي ((صورة حيّة عن عمل عقل امبريالي)).^{١٩} ان مكدول لا يتوقف في تحليلاته عند تأثيرات السياسة البريطانية السلبية التي كبحت عجلة تطور الحركة القومية الكُردية، خاصة في كُردستان الجنوبية. كما انه لا يُميز بين تلك المناطق الكُردية التي كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة الى مصالح بريطانيا، خاصة في كُردستان الجنوبية، والمناطق الكُردية الأخرى التي لم تكن لها أهمية مماثلة خاصة في كُردستان الشمالية. لهذا يسعى هذا الكتاب الى تشخيص المناطق الكُردية التي كانت محط اهتمام بريطانيا لدواعٍ إستراتيجية وسياسية واقتصادية، ومن ثم إلقاء الضوء على العلاقات المتفاعلة بين تلك المصالح البريطانية المتنامية وتطلعات الحركات القومية الكُردية السياسية في مرحلة ما بعد الحرب.

وعلى الرغم من أهميتها المشهودة، أثار الجانب الدولي للمسألة الكُردية اهتماماً أكاديمياً قليلاً جداً. وكان الباحثون الذين كتبوا عن تاريخ الشرق الأوسط الحديث قد

¹⁷ Ibid, p.121.

¹⁸ Ibid, p.134.

¹⁹ Peter Sluglett, Britain in Iraq, 1914-1932, (London: Ithaca Press, 1976) p.333.

تطرقوا بصور موجزة الى تلك القضية بوصفها بيدقاً في السياسة الدولية التي تحكمت بها القوى الكبرى بعد انتهاء الحرب. مع ذلك، ليس هناك دراسة منهجية شاملة في الأدب الحالي حول البُعد الدولي في المسألة الكُردية وموقعه في سياق المحاولات البريطانية في إقامة نظام إقليمي شرق أوسطي جديد يحل محل النظام القديم، الذي سقط مع نهاية الحرب. ومن خلال تبني مثل تلك المهمة، يسعى هذا الكتاب الى ملء تلك الفجوة المتميزة والواضحة في الأدب القائم. وفي الوقت الذي يؤكد هذا الكتاب أهمية هذه الحقبة في التاريخ الكُردى الحديث، فإنه يسعى الى الإسهام في توسيع أفق الفهم الحالي للجذور التاريخية للمسألة الكُردية، التي فرضت نفسها مرة أخرى على ميدان السياسة الدولية منذ نهاية ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن المنصرم.

الكرد وكُردستان: بين الماضي والحاضر

ان الرجوع الى أصول الكُرد الأثنية مسألة مثيرة للجدل بعض الشيء بسبب محاولات كُتاب مؤدجين من العرب والأترك والفرس ترمي الى إثبات عروبتهم او تركيتهم او إيرانيتهم بحسب الترتيب. أما الكُرد أنفسهم فإنهم يرجعون عامة أصولهم الى الميديين، الذين هم قبائل هندو-أوربية جاءت من آسيا المركزية الى كُردستان حيث أقاموا إمبراطورية كبيرة بين عامي ٦١٤ و ٥٥٠ قبل الميلاد.^{٢٠} واعتنق أكثر الكُرد الإسلام في القرن السابع الميلادي. وفي القرون الأربعة التالية، أدى الكُرد دوراً سياسياً مشهوداً في تاريخ منطقة الشرق الأوسط. وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي احد هؤلاء الكُرد، وقد اشتهر بحنكته وعدالة حكمه أثناء الحروب الصليبية في القرون الوسطى حين قاد المسلمين ضد القوات المسيحية تحت قيادة الملك الانكليزي، ريتشارد قلب الأسد. منذ أوائل القرن السادس عشر فلاحقاً، ظهرت الى السطح أهمية موقع كُردستان الجيوسياسي بوصفه حزاماً حاجزاً استراتيجياً بين القوى الواقعة الى الشرق منها والقوى الواقعة الى الغرب منها، خاصة بعد قيام الإمبراطورية الصفوية في بلاد فارس، التي سرعان ما دخلت في صراع مذهبي وفي حروب توسعية دموية طويلة مع غريماتها الإمبراطورية العثمانية القادمة من الشرق للسيطرة على مناطق الشرق الأوسط الآسيوية.

²⁰ Nader Entessar, *Kurdish Ethnonationalism*, (London: Lynne Rienner Publishers, 1992), p. 3.

تقع كُردستان على مفترق طرق تربط آسيا مع أوروبا، ومنطقة قوقازيا مع ميزوبوتاميا وسواحل البحر المتوسط. وهذا الموقع جعل كُردستان من الناحية الجيوسياسية واحدة من أكثر المناطق حساسية في العالم. وي طرح نزان بشكل مُقنع أطروحته وهي ان تلك العوامل ساعدت على تسهيل ((مجموعة من الغزوات الكبرى، التي دمرت عبر القرون العملية الاجتماعية والسياسية الداخلية التي كان في مقدورها ان تؤدي الى ظهور كيان سياسي كُردي)).²¹ فضلاً عن ذلك، تتميز كُردستان بكونها بلاداً ذات سلاسل جبلية وعرة جداً ووديان منغلقة تنحدر نحو أقدام التلال والسهول وأنظمة نهريّة كبيرة. لهذا فإن العامل الجغرافي جعل الوصول الى أعماق كُردستان أمراً في غاية الصعوبة ومن ثم ساعدها هذا على أن تكون حاجزاً استراتيجياً طبيعياً بالنسبة الى دول المنطقة المحيطة بها من اجل حماية أقاليمها الداخلية من الغزوات الخارجية.

ومن الناحية التاريخية، فقد حدث أول تقسم كبير لكُردستان في العام (١٥١٤) في أعقاب الهزيمة التي ألحقها العثمانيون بالصفويين في معركة جالديران وبمساعدة قوات الفرسان الكُردية تحت قيادة الأسر الأميرية المحلية. هذا التقسيم كان أسماً أكثر منه حقيقياً إذ احتفظت الأسر الأميرية الكُردية بسلطاتها كاملة مقابل الخضوع شكلياً الى السلاطين العثمانيين. وبتعبير آخر، بسط العثمانيون الأتراك نفوذهم اسماً على ثلثي المناطق الكُردية. ان جغرافية كُردستان الجبلية الوعرة وطبيعة مناخها وانظمة انهارها قد جعل منها بلداً لا يُمكن حكمه بصورة مباشرة. لهذا فضّل العثمانيون والایرانيون قبول طاعة الامراء الكُرد الاسمية لهم. هذا العامل الجيوسياسي وحاجة الدولتين المتنافستين الى كسب دعم المحليين الكُرد المعروفين بمهاراتهم القتالية في حروبهما المستمرة قد مكن عدداً من الإمارات من الظهور مجدداً في كُردستان الكبرى (او كُردستان العثمانية)، وكانت الحياة قد دبّت، في أعقاب معركة جالديران مباشرة، في ست عشرة إمارة كُردية، التي اعترفت رسمياً بها السلطات في اسطنبول. لأكثر من أربعة قرون، واستغلت تلك الإمارات الكُردية الخلافات المستمرة بين الأتراك والإيرانيين في تعزيز استقلالها الداخلي.²² مع هذا، كان موقع كُردستان الجيوسياسي،

²¹ Nezan, 'The Kurds: Current Position and Historical Background', - in- Kurdish Culture and Identity, [ed.] Philip G. Kreyenbroek & Christine Allison (London: Zed Books, 1996), p.12.

²² Maria T. O'Shea, 'The Question of Kurdistan and Iran's International Borders', - in- The Boundaries of Modern Iraq, [ed.] Keith McLachlan, (London: UCL Press, 1994), p.15.

اي انحصارها بين دولتين عظيمتين، السبب الرئيس في منع تحول تلك الإمارات الى كيانات سياسية كبيرة، حتى انه بحلول منتصف القرن التاسع عشر، اختفت جميع الإمارات الكردية من الوجود بقوة السلاح.

ولم تتمثل المساعي السياسية والعسكرية التي بذلتها ثلاث إمارات كردية، هي بابان وسوران وبوتان، في إقامة دولة كبيرة مستقلة عن القوتين العثمانية والقاجارية سوى إشارات أولية عن ظهور وعي قومي جنيني في صفوف النخب المحلية بين نهاية القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر. وقد شكل القضاء على جميع الإمارات الكردية بحلول منتصف القرن التاسع عشر بداية لمرحلة جديدة في تطور النزعة القومية الكردية، التي تميزت بهيمنة المؤسسة الدينية، اي الشبكتين الصوفيتين النقشبندية والقادرية بالتحديد، على الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية. ومكن الفراغ السياسي الناجم عن اختفاء الأسر الأميرية الكردية القديمة، من جانب، وفشل الحكومة المركزية في فرض سيطرتها المباشرة على سكان كردستان، من جانب ثان، شريحة الشيوخ المحليين الكرد من البروز بوصفها ابرز قوة سياسية واجتماعية بحيث سيطرت على قيادة الحركات القومية الكردية لمائة عام تقريبا، أي بين الربع الأخير من القرن التاسع عشر حتى الربع الأخير من القرن التالي.

وبدأت مرحلة جديدة أخرى في تطور النزعة القومية الكردية في العقد الأول من القرن العشرين، حيث تميزت بتشكيل عدد من التنظيمات السياسية والنوادي الثقافية والاجتماعية. كانت هذه المنظمات والنوادي بصورة رئيسة ثمرة العمل الجاد والمتواصل الذي قام به المثقفون الكرد من الذين تواجدوا في المنافي. وقع هؤلاء المثقفون تحت تأثير الثقافة السياسية الغربية، وسعوا الى توسيع آفاق الحركات القومية الكردية من خلال إبراز الطبيعة المتميزة للهوية الثقافية الكردية وعن طريق تطعيمها بمفاهيم حديثة عن الأمة، والوطن التاريخي، والقيم الليبرالية والديمقراطية. وتميزت هذه الحقبة أيضاً بوجود توجهين سياسيين بين القوميين الكرد، الأولى تقليدية والثانية حديثة. كانت الأولى قد ارتبطت بالشيوخ النقشبندية والقادرية، في حين ارتبطت الثانية بالشريحة المثقفة الحديثة- التكوين والمتأثرة بالتقدم الحضاري الغربي.

لم يجعل نشاط القوميين الكرد السياسي والثقافي منهم قوة انعزالية سلبية، إذ تفاعلوا مع التطورات الإقليمية والدولية ومع الشعوب التي عاشوا معها. وأدى الكرد دوراً ملحوظاً في الحركات الإصلاحية الكبيرة في بدايات القرن العشرين كتركيا الفتاة

في تركيا العثمانية والحركة الدستورية في إيران القاجارية. لكنهم سرعان ما أُصيبوا بخيبة الأمل بسبب القمع السياسي الموجه ضد الشعوب غير التركية من نظام تركيا الفتاة، الذي تبني المفاهيم الطورانية العنصرية، وبالمواقف السلبية التي تبناها الدستوريون الفرس تجاه التطلعات القومية الكردية. ان هذه التجربة المريرة قد أقنعت القوميين الكرد بأنه لا يُمكن ترجمة أهدافهم السياسية الى واقع ملموس بوسائل سلمية وديمقراطية وإنما من خلال اللجوء الى القوة. ان هذا التحليل المقتضب عن ظهور النزعة القومية الكردية وتطورها التاريخي يُبين بوضوح ان الحركات القومية الكردية قد جاءت الى الوجود قبل ظهور الدول الجديدة في العراق وإيران وسوريا وتركيا بوقت طويل، وليس بعد تشكيلها كما يطرح الباحث الإيراني نادر انتصار في كتابه النزعة القومية الأثنية الكردية.²³ في الوقت الحاضر، الكرد مدركون تماماً أنهم يشكلون من الناحية العددية ثالث قومية في منطقة الشرق الأوسط بعد العرب والأتراك، وانهم يشكلون أكبر أمة في العالم لا تمتلك دولة خاصة بها. وهذه الحقائق جعلتهم أكثر إصراراً على إقامة كردستان مستقلة، او في اقل تقدير، ان يتمتعوا بشكل من أشكال الحكم الذاتي الواسع.

ليس تاريخ الكرد الحديث منه والقديم وحده مثيراً للجدل، إنما أيضاً سمات مجتمعهم وثقافتهم الأثنية ووطنهم التاريخي. ان مصطلح (كردستان)، الذي يعني أرض الكرد، قد أُستخدم بشكل ثابت ومتواصل منذ القرن الثاني عشر الميلادي حين شكّلت ولاية واسعة تحمل هذا الاسم خلال العهد السلجوقي.²⁴ وهذا الأمر، على حد قول كندال نزان، دليل مُبكر على ((الشخصية المتميزة)) للشعب الكردي،²⁵ التي أقرها سلطان بلاد فارس السلجوقي سَنجر. في ذلك الوقت، تكونت ولاية كردستان من كردستان العراق وكردستان إيران الحاليين. في ظل الحكم العثماني، أطلقت كلمة (كردستان) على جميع المناطق الكردية بوصفها وحدة إدارية خاضعة أسماً للعثمانيين بعد العام ١٥١٥. في الوقت نفسه، أطلق الإيرانيون كلمة (كردستان) على ولاية واسعة كانت تضم عدداً من المناطق الكردية خاضعة أسماً لهم. وهذه الولاية

²³ Entessar, Kurdish Ethnonationalism, p.1.

²⁴ See entry on 'Kurds, in Encyclopaedia of Islam, Vol-V, (ed.) w.c. Brice (Leiden: E.J. Brill, 1981), pp.438-485.

²⁵ Kendal Nezan, 'The Kurds: Current Position and Historical Background', p.10.

مازالت قائمة لحد الآن بالرغم من حصول تغيير في مساحتها وفي تعدادها السكاني. وكان الأمير والمؤرخ الكردي الشهير شرفخان بدليسي أول من حدّد في القرن السادس عشر تخوم كردستان في كتابه الشهير "شرفنامه"^{٢٦} وهناك عدد من الخرائط المتعلقة بكردستان في أرشيف المملكة المتحدة (كيو غاردن) ترجع أقدمها الى عام ١٨٥٤. وأعدت خرائط عن جغرافية كردستان ومدنها من جانب عدد من المراكز الجغرافية والعلمية والرحالة والباحثين الأوربيين في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ان وجود مثل تلك الخرائط بحد ذاته إقرار بأن كردستان كانت تشكل مفهوماً جغرافياً وأثنيّاً واجتماعياً وثقافياً متميزاً لحقبة طويلة سبق استعماله بصورة رسمية ودولية من قبل القوى الكبرى، فضلاً عن تركيا وإيران، خلال مؤتمر باريس للسلام بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

وفي الوقت الحاضر، تتألف كردستان من المقاطعات والأقضية الواقعة في شرق وجنوب شرق تركيا (كردستان الشمالية) وفي شمال وشمال-شرق العراق (كردستان الجنوبية) وفي شمال-غرب إيران (كردستان الشرقية) فضلاً عن الشريط الشمالي في سوريا المتاخم للأراضي التركية (كردستان الغربية). بتعبير آخر، ان جميع المناطق الكردية متجاورة بعضها مع بعض بصورة مباشرة ومن دون عوائق جغرافية او ديموغرافية او اجتماعية، وتمتد من جبال طوروس في الغرب الى الهضبة الإيرانية في الشرق، ومن أرمينيا في الشمال الى سهول ميزوبوتاميا في الجنوب. وعلى الرغم من كل ذلك، ليس هناك تحديد رسمي او مُتفق عليه بشأن مساحة كردستان. فالأتراك والسوريون لا يرفضون القبول بمصطلح كردستان فحسب، بل أيضاً يتنكرون لوجود الشعب الكردي في بلادهم، في حين كانت السلطات المركزية في إيران والعراق تقلل كثيراً من مساحة المناطق الكردية الواقعة تحت سيطرتهم.

وكما هو الحال مع مساحة كردستان، فان من الصعب جداً معرفة تعداد الشعب الكردي بدقة، وذلك لأن السلطات التركية والإيرانية والسورية لا تقوم بفصل الكرد عن بقية سكان البلد في إحصائياتها السكانية لأسباب سياسية وعنصرية. أما في العراق، حيث كانت السلطات المركزية مُجبرة على تحديد حجم الشعب الكردي بسبب اعترافها الاسمي بالحكم الذاتي لإقليم كردستان، فانها كانت تقوم بالتقليل من نسبة الكرد الى

²⁶ Amir Sharaf Khan Bedlisi, Sharafname, [ed.] M. Abbasi (Tehran).

أبعد الحدود لغايات سياسية. فالكرد الموجودون خارج جغرافية «منطقة كردستان للحكم الذاتي» استثنوا من التعداد السكاني، في حين عدّ الكرد من معتنقي الإيزدية والشبكية عرباً اقحاحاً. وكان الباحث الهولندي، فان برونسن، قد قدرّ تعداد الشعب الكردي في اواسط سبعينيات القرن الماضي بنحو ١٢ الى ١٥ مليون.^{٢٧} ويُقدر كندال نزان تعداد الشعب الكردي بنحو ٣١ مليون في منتصف تسعينيات ذلك القرن، إذ أكد ان السلطات التركية ذاتها قد اعترفت بوجود ١٥ مليون كردي في تركيا في العام ١٩٩٢. ويُقدر نزان تعداد الكرد في ايران بـ ٨ ملايين وفي العراق بـ ٥ ملايين ومائتا ألف وفي سوريا بـ ١ مليون ونصف المليون.^{٢٨}

من الضروري التذكير ان هناك جماعات كردية كبيرة الحجم خارج كردستان. ففي اسطنبول يُقدر عدد الجماعة الكردية فيها بمليونين ونصف المليون.^{٢٩} وفي العراق، اعترف نظام البعث وجود ما يقارب ٨٠٠،٠٠٠ كردي في العاصمة بغداد خلال مفاوضات السلام مع القيادة السياسية الكردستانية في العام ١٩٩١. هناك أيضاً أعداد كبيرة من الكرد في بلدان اوروبا الغربية مثل السويد وبلجيكا وبريطانيا والدانمارك وفرنسا. وفي المانيا وحدها قدر عدد المهاجرين الكرد بنصف مليون شخص، اغلبهم من كردستان الشمالية.

ان الأغلبية الساحقة من الكرد ممن تركوا مناطق سكناهم الأصلية قد اجبروا على فعل ذلك لأسباب عدّة. فالسياسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية التي اتبعتها الحكومات المركزية في جميع اجزاء كردستان جعلتها غير نامية وفقيرة بصورة صارخة، وارتفعت فيها نسبة البطالة بشكل كبير رغم كونها منطقة غنية بثرواتها الطبيعية والزراعية. فضلاً عن هذا العامل، فان الاضطهاد الأثني المتواصل والمقاومة المسلحة التي انخرطت فيه الحركات القومية الكردية للرد على سياسات القمع التي تبنتها الحكومات المركزية في دول المنطقة، قد أجبرت الكثير من الكرد على ترك مدنهم وقراهم بحثاً عن العمل وعن حياة جديدة في المناطق غير الكردية او بلدان المهجر في أوروبا الغربية. وباللجوء الى سياسات اقتصادية واجتماعية مدروسة حاولت

²⁷ Martin van Bruinessen, Agha, Sheikh and State, the Social and Political Structures of Kurdistan, (London & New Jersey: Zed Books, 1992), p.15.

²⁸ Kendal Nezan, 'The Kurds: Current Position and Historical Background', pp.7-9.

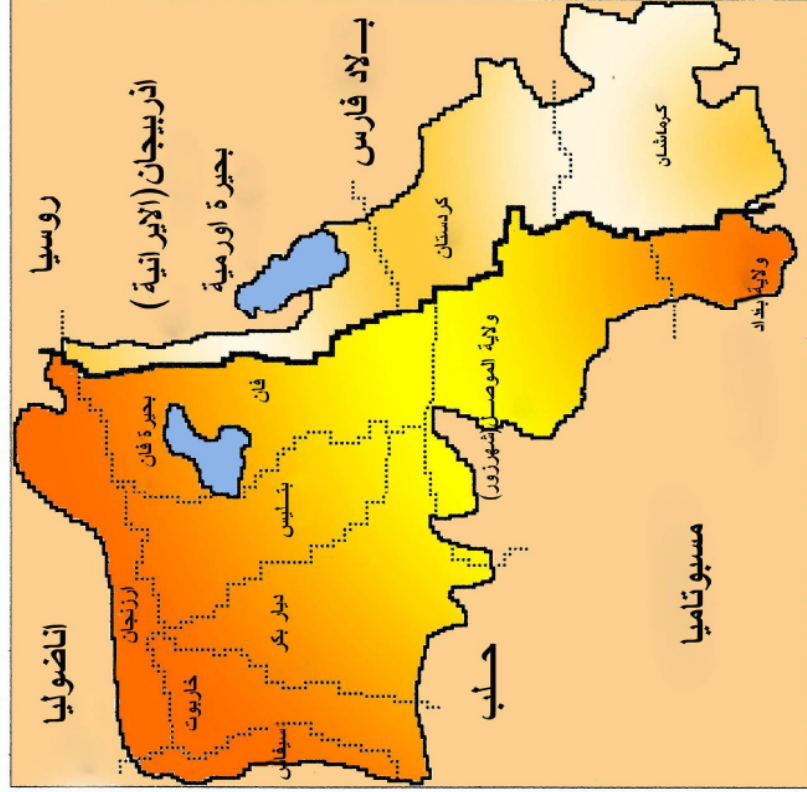
²⁹ Nezan, 'The Kurds: Current Position and Historical Background'.

الحكومات المركزية افرغ المناطق الكردستانية من سكانها الاصليين (depopulation) وإحلال غير الكرد بدلاً عنهم او إزالة الاثنية (de-ethnicization) الكردية عن الكرد بمختلف وسائل الترهيب والترغيب. والهدف من وراء كل تلك السياسات العنصرية المدروسة خلق دولة متجانسة ومتماثلة، يخسر فيها الكرد هويتهم الاثنية والثقافية تمهيداً لصهرهم في القومية المهيمنة سواءً اكانت فارسية أم تركية أم عربية. وعلى الرغم من تلك السياسات المعادية للكرد التي أتت منذ عقود طويلة، مازال نحو ٢٥ مليون كردي يعيش في جميع اجزاء كردستان (الخارطة رقم ١ توضح المناطق التي يُشكل فيها الكرد اكثرية السكان وكذلك التقسيمات الادارية في كردستان قبل العام ١٩١٤).^{٣٠}

وبالرغم من إتباع سياسات الصهر والاندماج المتواصلة التي مارستها او تمارسها الحكومات المركزية باصرار وبتعصب منقطع النظر، فإن الكرد ظلوا يتمتعون بهوية ثقافية متميزة وبشعور قومي ملموس. وهذه تجعل منهم أمة حيوية ديناميكية قائمة بحد ذاتها. علاوة على ذلك، ما زالت كردستان تؤكد نفسها بوصفها مفهوماً اجتماعياً وثقافياً وديمغرافياً وسياسياً على الضد من رغبات النخب السياسية الحاكمة في طهران وأنقرة ودمشق وبغداد. ان الثقافة الكردية تشكل أهم عنصر مكون للهوية الكردية، رغم تطورها البطئ بسبب غياب وجود دولة- أمة كردية ووجود بيئة غير مؤاتية معادية لكل ما هو كردي الطابع في منطقة الشرق الاوسط. كما يُبين كل من فيليب كرينبروك وكريستين أليسون، يمتلك الكرد عموماً ((هوية سارية المفعول وناضجة خاصة بهم))،^{٣١} على النقيض مما تدعيه الدول التي يعيشون فيها. واللافت للنظر ان تبقى الثقافة الكردية وأن تتطور على الرغم من مرور عقود طويلة على انتهاج سياسات لا إنسانية عمياء من جانب الحكومات المركزية منها شنّ حروب شاملة وتنظيم حملات تهجير جماعية وعمليات الإبادة- الاثنية المنظمة ضد المدنيين وأعمال التدمير المتعمد للريف الكردي، خاصة في كردستان الجنوبية، التي دُمرت فيها ٤ آلاف قرية ومدينة، وقُتل فيها نحو ١٨٠ ألف مدني، اغلبهم من النساء والشيوخ والاطفال، في حملات الأنفال السيئة الصيت وحدها.

³⁰ Ibid., p.9.

³¹ Philip Kreyenbroek & Christine Allison, 'Introduction' -in- Kurdish Culture and Identity, op. cit., p.i. See also David McDowall, The Kurds, (London: Minority Rights Group, Report No.23, 1982), p.7.



الخارطة (1): التقسيم الإداري لكردستان العثمانية و كردستان القاجارية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى

- الحدود العثمانية الفارسية
- حدود كردستان
- حدود الاقليم

Source: PRO, FO925/17149 & FO871/9021

يقول كندال نزان بشأن كردستان الجنوبية انه نظراً لغياب حرية التعبير وظاهرة اضطهاد الكرد الشماليين المستمرة في المدن الخاضعة للحكم التركي، اجبرت الثقافة الكردية على اللجوء الى الحياة الأسرية الخاصة والى الريف الكردستاني، إذ استمرت الموسيقى واللغة والعادات والتقاليد الكردية في الوجود.³² ويُفسر هذا جزئياً لماذا كان الكثير من أوجه الثقافة الكردية غير مكتوبة. وبهذا الصدد يعد كرينبروك وأليسون الثقافة المادية، كالملابس والادوات ((عنصراً أساسياً)) في الهوية الثقافية الكردية.³³ تُشكل اللغة الكردية العنصر الأهم في الهوية الكردية، هذه اللغة التي استطاعت ان تحيا بالرغم من وجود سياسات ثقافية معادية للكردية الى درجة الكراهية اللاعقلانية، مارستها وتمارسها باستمرار حكومات ذات نزعات قومية عنصرية منذ قيام الشرق الاوسط الحديث في اعقاب الحرب العالمية الاولى. على غرار اللغتين الفارسية والأردو، تنتمي اللغة الكردية الى العائلة اللغوية الهندو- اوروبية، لكنها تتمتع بقواعدها وبمفرداتها وتركيبتها الخاصة بها. وتتألف اللغة الكردية، كغيرها من لغات الشرق الاوسط الاخرى مثل الفارسية والعربية، من لهجات متنوعة.

عموماً، تقدمت اللغة الكردية بصورة بطيئة ولم تظهر لغة رسمية موحدة وهو امر يرجعه بعضهم الى حرمان الكرد من فرص حقيقية في تطوير لغتهم في البلدان التي تنقسم بينها كردستان. مع هذا، تطورت لغتان أدبيتان عن لهجتين محليتين رئيسيتين وهما الكرمانجية والسورانية. يتكلم باللهجة الكرمانجية القسم الأكبر من الكرد خاصة في كردستان الشمالية والغربية وفي بعض الجمهوريات السوفيتية السابقة ولبنان واسرائيل، فضلاً عن اعداد كبيرة في كل من كردستان الجنوبية والشرقية. اما اللهجة السورانية فيتحدث بها غالبية الكرد في كردستان الجنوبية وكردستان الشرقية. هناك لهجات كردية اقل انتشاراً نسبياً كاللهجة اللرية والكورانية (او الهورمانية) والزازا. في الوقت حاضر، هناك توجه بين بعض الباحثين والادباء الكرد يصبو الى توحيد اللغة الكردية بحيث تستند الى غنى جميع اللهجات الكردية. على الرغم مما قيل آنفاً، لم تكن اللغة الموحدة يوماً عائقاً كبيراً في تطوير الثقافة الكردية او في نمو الشعور القومي وانتشاره جغرافياً عبر الانقسامات الاجتماعية. ان شدة وطأة السياسات المعادية للكردية التي مارستها الحكومات المركزية على الاصعدة الثقافية

³² Kendal, 'The Kurds: Current Position and Historical Background', p. 17.

³³ Kreyenbroek & Allison, 'Introduction', p.4.

والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ساعدت على تعزيز النزعة القومية الكُردية، حيث جعلت الكُرد أكثر تمسكاً بهويتهم الثقافية والقومية.

من ناحية الدين، تعتنق الاغلبية الساحقة من الكُرد الديانة الاسلامية. وينتمي اكثرية الكُرد الى الطائفة السُنّية، خاصة المذهب الشافعي. أما الطائفة الشيعية فتتنتمي اليها اقلية كبيرة من أبناء الشعب الكُرد. فضلاً عن الكُرد غير المسلمين كالايديين والمسيحيين واليهود، وهناك جماعات دينية صغيرة كالعلوية والشبك والكاكائية (اهلي حق) التي تستند في معتقداتها على خليط من مفاهيم دينية قديمة جداً ومفاهيم اسلامية شيعية.³⁴ ان وجود مثل هذه العناصر الدينية السابقة على ظهور الاسلام في الثقافة الكُردية، والاكثر أهمية من ذلك، انتماء الغالبية الساحقة من الكُرد السنّة الى المذهب الشافعي وانتشار الطرق الصوفية خاصة القادرية والنقشبندية، وهو الامر الذي ميّزهم بوضوح عن نظرائهم العرب والأتراك الذين ينتمون الى المذهب الحنفي، وساهم العامل الديني، كما يوضح كرينبروك، في خلق ((احساس بالثقافة الكُردية))،³⁵ خاصة في تركيا. في العقود الخمسة الاخيرة، لم تعرقل المعتقدات الدينية والطائفية تطور الحركات القومية الكُردية او نمو الوعي القومي الكُرد. في كُردستان الشرقية، إذ يخضع سكانها الكُرد لاضطهاد حكم فارسي-شيعي، لم يُبدِ الكُرد السنّة والكُرد الشيعة عداً او حتى كراهية بعضهم تجاه بعضهم الاخر.³⁶ في كُردستان الجنوبية، هناك الكثير من المسيحيين والايديين والشيعة من هم اعضاء في الاحزاب القومية الكُردية على مستوى القيادة والقاعدة على حد سواء.

ان الشيء المشترك بين الكُرد بمختلف دياناتهم وطوائفها ولهجاتهم ومناطقهم هو اللامساواة مع الشعوب السائدة التي يعيشون معها على الاصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي ظلوا يعانون منها طوال القرن الماضي. ان حالة اللامساواة تلك هي اشبه ما تكون بحالة الاستعمار الداخلي. ان دخل الفرد الكُرد كان (وما زال) أقل من نظرائه الأتراك والفرس والعرب. كما ان نسبة الأمية والفقر والبطالة عالية في المناطق الكُردية مقارنة بالمناطق غير الكُردية. وحالة اللامساواة هذه

³⁴ Philip G. Kreyenbroek, 'Religion in Kurdistan' -in- Kurdish Culture and Identity, op. cit., p.95.

³⁵ Ibid, p.93.

³⁶ Entessar, Kurdish Ethnonationalism, p. 5.

تسري أيضاً على الكثير من الخدمات العامة الأخرى كالصحة والمياه الصالحة للشرب والكهربة والتعليم. وعلى الرغم من أن كردستان غنية بمواردها الطبيعية كالبتروك والحديد والأراضي الخصبة والمياه الوفيرة، فإنها محرومة من الصناعات المهمة التي تقع عادة في خارج حدودها.

لقد استهدفت سياسات الحكومات المركزية إبقاء كردستان المجزأة متأخرة اقتصادياً واجتماعياً تتكل كليا على المركز النائي. وهذا يزيد من خضوع الكرد السياسي الى المركز، ومن ثم يضعف الحركة القومية الكردية. لقد ذهب نظام صدام حسين الشمولي الى أقصى الحدود في محاولة القضاء على المسألة الكردية من خلال القيام بعملية تدمير منظمة لكردستان الجنوبية أرضاً وسكاناً، إذ خرب الريف الكردي تماماً، وقتل عشرات الآلاف من المدنيين العزل جراء القصف الكيمياوي والتهجير الجماعي القسري لسكان عدة مناطق كردية بهدف تعريبها وتبعيئها. وقامت السلطات التركية هي الأخرى بعملية مماثلة في كردستان الشمالية منذ منتصف ثمانينيات القرن المنصرم نجم عنها تدمير أكثر من ١٢٠٠ قرية كردية وإجبار مئات الآلاف من المدنيين الكرد على ترك أراضيهم وممتلكاتهم الأخرى.

ان المحاولات المستمرة التي تقوم بها الدول التي تنقسم بينها كردستان من اجل إنكار وجود أي شيء يعبر عن طبيعة كردية متميزة، وهي تشكل وسيلة لإنكار وجود قضية كردية ملحة، يُفسر لماذا كان (ومازال) التأكيد على الهوية الكردية وتطوير الثقافة الكردية يحتل موقعا بارزا في برامج الحركات القومية الكردية ونشاطاتها في جميع اجزاء كردستان. وفي المناطق المحررة من كردستان الجنوبية والخاضعة لإدارة كردية اقليمية منذ العام ١٩٩١، وهناك نهضة ثقافية كبرى لم يشاهد لها مثيل من قبل يساهم فيها المثقفون الكرد على مختلف اهتماماتهم وتوجهاتهم الفكرية لدراسة المجتمع الكردي وتاريخه من مختلف الوجوه. في هذه المنطقة، يستند نظام التعليم الى اللغة الكردية اساساً، وتسير الحياة الثقافية الجديدة فيها بحرية من دون الخضوع الى الرقابة الصارمة للحكومة العربية المركزية المستبدة. واتخذ الانبعاث الثقافي أيضاً شكلاً مادياً من خلال اعادة بناء الريف الكردي بوصفه المصدر الأكثر اهمية للثقافة الكردية. كما ان هناك تأكيد خاص على جوانب الهوية الثقافية الكردية يعود الى عصر ما قبل الإسلام من خلال اعادة دمج العديد من الكرد الايزديين بالمجتمع الكردي. وفي

أوروبا، التي تحوي الكثير من المراكز الثقافية الكُردية، بدأ مثقفو المنفى بد «نهضة» في الادب الكرمانجي،³⁷ فضلاً عن الادب السوراني من خلال طبع العديد من المجلات والصحف والكتب وعقد الندوات الثقافية والمؤتمرات الأكاديمية وتأسيس عدد من المراكز الاداعية والمحطات التلفزيونية الفضائية والارضية.

³⁷ Joyce Blue, 'Kurdish Written Literature', -in- Kurdish Culture and Identity, op. cit., p.25.

الفصل الأول

من مخططات التجزئة البريطانية في زمن الحرب الى الاحتلال البريطاني لكردستان الجنوبية

غالباً ما أُستخدم مصطلح "المسألة الشرقية" لدى وصف مشكلة ملء الفراغ السياسي الذي سببه الاختفاء التدريجي لممتلكات الإمبراطورية العثمانية من أوروبا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط.³⁸ في العقود التي سبقت العام ١٩١٤، اتّبع رجال الدولة البريطانية سياسة موحدة بثبات تجاه المسألة الشرقية،³⁹ تتلخص بحماية الوحدة الإقليمية للإمبراطورية العثمانية وكذلك ديمومة المملكة القاجارية في بلاد فارس بقدر ما يتعلق الأمر بأقاليمها الداخلية، وذلك لاستخدامها كمتراس بوجه النزعة التوسعية الروسية ((وفي فترة لاحقة توسع النفوذ السياسي والاقتصادي الألماني)). احتل ضمان أمن الهند مكانة جوهرية في السياسة البريطانية تجاه منطقة الشرق الأوسط. وجاء ضمن هذا السياق، وصف لورد كرزون لقناة السويس وميزوبوتاميا والخليج بأنها ((جزء من حدود الهند البحرية)).⁴⁰ ولكن في الوقت نفسه، استغلّت بريطانيا فراغ القدرة الناجم عن تدهور سلطة الدولتين العثمانية والقاجارية المتواصل لتوطيد سيطرتها على الطريق البحري المتجه الى الهند عن طريق إنشاء مواقع إستراتيجية لها، ومن ثم تعزيزها في سواحل تلك الدولتين، خاصة في منطقة الخليج وشبه جزيرة سيناء. واستمر هذا الوضع حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى في العام ١٩١٤. والحرب هذه هي التي أجبرت بريطانيا على إعادة النظر في سياستها

³⁸ J.A.R. Marriott, *The Eastern Question, a Historical Study in European Diplomacy*, (London: Oxford University Press, 1958), pp.1-3.

³⁹ Keith M. Wilson, *Empire and Continent: Studies in British Foreign Policy from the 1880's to the First World War*, (London & New York: Mansell Publishing, 1982), p.18.

كان اللورد سالزبوري رجل الدولة البريطاني الوحيد الذي فكر في تقسيم الإمبراطورية العثمانية على نطاق واسع في عهد حكومتيه الأولى والثانية التي ترأسها في الأعوام ١٨٨٦-١٨٩٢ و ١٨٩٥-١٩٠٢، بحسب الترتيب. التفاصيل في المصدر أعلاه.

⁴⁰ Marian Kent, *Moguls and Mandarins: Oil, Imperialism and the Middle East in British Foreign Policy, 1900-1940*, (London: Frank Cass, 1993) p.11.

الشرق أوسطية برمتها كُرد فعل مباشر وصريح على دخول تركيا العثمانية الحرب الى جانب حلف القوى المركزية، أي الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية-الهنگارية. وسارعت بريطانيا الى عقد اتفاقيات سرّية مع كل من فرنسا وروسيا القيصرية بهدف تقسيم الأقاليم العثمانية في ضوء مصالحها الخاصة. وكان مصير القسم الأعظم من كُردستان قد تضمنته مخططات الحلفاء لإعادة ترتيب أقاليم الإمبراطورية العثمانية سياسياً واقتصادياً.

ويبحث هذا الفصل أيضاً الخلفية التاريخية لتزايد اهتمام بريطانيا بشؤون كُردستان العثمانية وكُردستان القاجارية ضمن سياق تطور سياستها الشرق الأوسطية. وسيكون التركيز على ردود الفعل الذي أبداه البريطانيون تجاه محاولات الإمارات الكُردية في تحقيق الاستقلال الناجز، وكذلك تجاه اندلاع انتفاضات كُردية ذات توجه قومي. ويستمر هذا الفصل في تحليل تأثيرات اندلاع الحرب العالمية الأولى في مواقف بريطانيا تجاه مستقبل كُردستان من خلال التركيز على توصيات لجنة بونسن لعام ١٩١٥، والأهم منها، بنود اتفاقية سايكس-بيكو الثلاثية لعام ١٩١٦. لقد عكس تشكيل لجنة حكومية وعقد اتفاقية خارجية حاجة بريطانيا الماسّة الى إعادة النظر في مصالحها الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، التي حاولت تأمينها في المراحل التي سبقت اندلاع الحرب، بوصفها رداً حتمياً على دخول تركيا العثمانية الحرب الى جانب المانيا وحليفاتها النمسا. وأخيراً، سيدرس هذا الفصل الشروط العسكرية والسياسية المحيطة بطريقة بسط البريطانيين لسيطرتهم على المناطق الجنوبية من كُردستان العثمانية، وكيف قاد ذلك الى تطورات سياسية في مرحلة لاحقة.

الخلفية التاريخية:

موقع كُردستان في سياسات بريطانيا العثمانية والقاجارية لمرحلة ما قبل الحرب

١- القرن التاسع عشر: بريطانيا وبروز النزعة القومية الكُردية

كانت الحسابات الإستراتيجية التي استندت إليها سياسة بريطانيا تجاه المسألة الشرقية قد أثرت في تصوراتها وردود أفعالها تجاه شؤون كُردستان العثمانية وكُردستان القاجارية على حد سواء في المدة ما بين العقد الثالث من القرن التاسع عشر ومنتصف العقد الثاني من القرن العشرين. وقفت بريطانيا على الدوام وبثبات

الى جانب تعزيز سلطة الحكومة المركزية في اسطنبول وطهران في المناطق الكُردية. وعبر الموقف البريطاني عن نفسه في دعم إصلاحات السلطان محمود الثاني الهادفة الى تقوية النزعة المركزية (centralization) وفي ردود فعل معادية لمساعي الأمراء الكُرد في إقامة دولة كُردية كبيرة مستقلة وكذلك في اتخاذ موقف مناوئ من أهداف انتفاضات كُردية عدة.

لقرون طويلة، تمتعت غالبية المناطق الكُردية بحكم ذاتي حقيقي، خاضعة اسمياً الى الأتراك العثمانيين أو الإيرانيين. في نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن اللاحق سعت عدة إمارات كُردية بصورة حثيثة الى تحقيق الوحدة والاستقلال الناجز. وقام أمراء إمارة بابان وإمارة سوران بجهود كبيرة بتوسيع المناطق الكُردية الخاضعة لسيطرتهم مُتحدّين في الوقت نفسه سلطات الحكومتين الإقليميتين والمركزية على حدٍ سواء. وقابل هذا الاندفاع القوي نحو الاستقلال والوحدة توجه معاكس نحو المركزية الإدارية والسياسية والعسكرية. لقد كان الهدف من وراء برنامج السلطان محمود الثاني (الإصلاحي) القائم على النزعة المركزية والمدعوم من القوى الأوربية الكبرى القضاء على كيانات الحكم الذاتي وسلطة الأسر الأميرية المتوارثة للحكم لقرون عدة في المناطق غير التركية التي بدأت تُشكل تهديداً حقيقياً لأمن الإمبراطورية العثمانية ووجودها. بهذا الشكل أصبح الميدان مفتوحاً أمام سلسلة من المواجهات العنيفة بين النخب السياسية الكُردية والسلطات المركزية طوال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

اتخذ تدهور سلطة الإمبراطورية العثمانية المتواصل بعداً جديداً حين أعلن محمد علي باشا، والي مصر بين عامي ١٨٠٥-١٨٤٨، استقلاله رسمياً عن حكومة السلطان في اسطنبول، ساعياً بقوة الى تشكيل دولة عظيمة عن طريق الاستيلاء على عدة أقاليم آسيوية في الشرق الأوسط العربي كانت خاضعة لحكم السلطان العثماني، فضلاً عن إلحاق السودان. وسرعان ما كشفت الحروب المصرية- التركية التالية وإعلان استقلال اليونان في العام ١٨٢٨ عن ضعف السلطات المركزية في اسطنبول أمام أعين الأمراء الكُرد، وحفزتهم على استغلال هذه الفرصة غير المسبوقة في تحقيق تطلعاتهم السياسية. على الصعيد الدولي، راقب الكُرد عن كثب انتصارات روسيا القيصرية على الإمبراطورية العثمانية في الأعوام ١٨٠٦ - ١٨١٢ و ١٨٢٨-١٨٢٩، وكذلك تصاعد وتيرة تدخل الأوربيين في شؤونها الداخلية. لقد أصبح جلياً ان الإمبراطورية

العثمانية لم تُعد قوة كبرى. ومن جانب ثانٍ، أثار مجيء رجال الإرساليات المسيحية، الأوربية منها والأمريكية، واستقرار قنصليات أجنبية عائدة الى عدد من الدول الأوربية الكبرى، خاصة روسيا وبريطانيا وفرنسا، في الأقاليم غير التركية ومنها كُردستان انتباه المحليين الكُرد بسبب تدخلاتهم المتزايدة في شؤونهم المحلية سواء بصورة سافرة مباشرة أو بصورة مستترة غير مباشرة.

حالما تسلم زعامة إمارة سوران في العام ١٨١٤، قام الأمير الكُردى، محمد باشا، بتحدي السلطات المركزية العثمانية والحكومة الإقليمية التابعة لها في بغداد. في غضون عشرين عاماً، استطاع هذا الأمير بسط سيطرته على الأجزاء المركزية والجنوبية والغربية من كُردستان من خلال إلحاق إمارتي شيروان وبردوست ومناطق ومدن كُردية عدة بما في ذلك ماردين واربيل وكويسنجق ورائيه ودهوك وزاخو وسنجار. حكم الأمير محمد المناطق الخاضعة لسلطته بيد من حديد، واستطاع فرض الأمن والسلام والنظام. ويبدو ان هذا الأمير لم يتردد في الاتصال بإبراهيم باشا، ابن محمد علي باشا،⁴¹ الذي كان قد قام بغزو بلاد الشام حتى وصلت قواته تخوم المناطق الكُردية، مهدداً بذلك وجود الإمبراطورية العثمانية ذاتها. في تلك الحقبة الحساسة، اتخذت بريطانيا مبادرة دبلوماسية كبيرة عن طريق صياغة موقف أوربي موحد وثابت يدعم الحكم العثماني ومعادٍ، في الوقت نفسه، أية تهديدات داخلية تنطلق من الأقاليم غير التركية. على الرغم من فشل الجيش العثماني في القضاء عسكرياً عليه، وصل الخطر الكُردى الى نهايته بسرعة في العام ١٨٣٧، في أعقاب اغتيال الأتراك للأمير محمد باشا في طريق عودته الى إمارته، بعدما قُبل بمساومة سياسية كانت قد قدمتها حكومة اسطنبول لإنهاء الحرب بين الجيشين الكُردى والتركي. وقد ألغى والي بغداد إمارة سوران في العام ١٨٤٧، بحسب توجيهات الحكومة المركزية في اسطنبول.

قامت إمارة بوتان بأقوى مسعى من اجل إنهاء النفوذ التركي وإقامة دولة كُردية مستقلة تضم اكبر قدر ممكن من مناطق كُردستان. في العام ١٨٢١، تولى أمير شاب

⁴¹ محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكُرد وكُردستان من اقدم العصور التاريخية حتى الان، ج١، ترجمة محمد علي عوني، بغداد: ١٩٦١، ص٢٢٨-٢٣٠.
قدمت قبيلة ملي الكُردية بزعامة تياوي بك، إبراهيم باشا في حربه مع الأتراك العثمانيين. المصدر أعلاه، ص٢٢٢.

طموح اسمه بدرخان إمارة بوتان، وكانت أولى نشاطاته العسكرية توحيد أجزاء إمارة بوتان الثلاثة، وهي الجزيرة وگوركيل وفنك. طبقاً الى المؤرخ أمين زكي، كان الأمير بدرخان عازماً منذ بدء عهده على إنهاء السيطرة العثمانية الاسمية في كردستان.^{٤٢} ان دراسة خطوات بدرخان ونشاطاته الأولى تدل بوضوح على انه كان يسعى الى تشكيل دولة كردية موحدة ومستقلة منذ عشرينيات القرن الثامن عشر. لم يرفض هذا الأمير طلب الحكومة العثمانية في إرسال قوة عسكرية كردية الى جبهات القتال خلال الحرب العثمانية- الروسية (١٨٢٨-١٨٢٩)^{٤٣} فحسب، بل أيضاً رفض دفع أية ضرائب الى السلطان أو الاعتراف بسلطته الاسمية.^{٤٤}

أعدَّ بدرخان جيشاً ثابتاً تحت قيادته المباشرة، وشيّد في معقله في الجزيرة ورشة لتصنيع الأسلحة والأعتدة من أجل سدّ احتياجات جيشه المتزايدة.^{٤٥} وعلى غرار محمد باشا، أمير سوران، حكم بدرخان بيد من حديد. فطبقاً الى أقوال شهود عيان من رجال الإرساليات المسيحية الأمريكية، أفلح بدرخان في القضاء على الفوضى وعدم الاستقرار إذ قام بفرض النظام والقانون، ليحول إمارة بوتان الى ملاذ آمن تُحترم فيه المُلُكيات وحياة الأهالي بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية.^{٤٦} وبواسطة عقد سلسلة تحالفات سياسية وعسكرية مع عدد من الحكام الكرد المحليين الآخرين، منهم أمراء ومنهم قادة قبليون،^{٤٧} استطاع بدرخان بسط نفوذه على مناطق كردية شاسعة، شملت وان ودياربكر وهكاري وخيزان وموش. كما امتد نفوذ بدرخان الى مناطق آخر في أورمية وأشنوية وصوجبلاغ (مهاباد) في كردستان القاجارية.

في البدايات الأولى، سعى الأتراك، وعقب إطلاعهم على طموحات بدرخان السياسية الجامحة، الى إقناعه بابتداء مظاهر الولاء الى السلطان العثماني عن طريق

⁴² زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص ٢٣٦.

⁴³ Arshak Safrastian, *Kurds and Kurdistan*, [London: Arwell Press, 1948], p.55.

⁴⁴ Lieu. Col. J. Shiel: 'Notes on a Journey from Tabriz through Kurdistan via Van, Bitlis and Erbil to Sulaimaniya in July and August 1836' Journal of the Royal Geographical Society, -1838-, p.87.

⁴⁵ زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص ٢٣٥.

⁴⁶ 'Visits of Messrs Wright and Breath to Bader Khan Bey' in *American Missionary Herald*, 42, November 1846, pp.378-383.

⁴⁷ على سبيل المثال الأمير نور الله بك في هكاري، وخان محمود في موكس.

تقديم وعود سخية.^{٤٨} في العام ١٨٣٨، عانى بدرخان من انتكاسة بسبب احتلال رشيد باشا، قائد الجيش التركي، لعاصمته في أعقاب شن سلسلة من الحملات العسكرية.^{٤٩} ولجأ بدرخان على إثر ذلك الى الجبال المحيطة، لتصبح معقلاً للمقاومة،^{٥٠} ونقطة انطلاق لتحرير المناطق الكردية من الوجود التركي. وفي العام ١٨٣٩، استغل بدرخان فرصة إلحاق جيش إبراهيم باشا المصري الهزيمة النكراء بجيش رشيد باشا التركي في استعادة المناطق الكردية المجاورة للجزيرة. وبلغت سلطة بدرخان ذروتها في العام ١٨٤٥، وأصبح بمثابة الزعيم الأكبر في القسم الأعظم من كردستان، بعد ان أعلن عدد من الأمراء الكرد وقادة القبائل خضوعهم الى أوامره.^{٥١}

كان الخوف من انحلال الإمبراطورية العثمانية وتدهور سمعتها هو الأمر الذي دفع بالقوتين الأوربيتين الكبيرتين، بريطانيا وفرنسا، الى ممارسة ضغوط شديدة على اسطنبول من اجل تحطيم إمارة بوتان مستغلة مسألة حماية مصالح الجماعات المسيحية المحلية في كردستان ذريعة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية. ويرى فان برونسن ان قمع بدرخان الدموي لقسم من الجماعة الأثرورية المتمردة عليه قد خلق ردود فعل قوية في أوروبا، وهو الأمر الذي أدى الى سقوطه.^{٥٢} ويرجع كندال نزان المعارضة المسيحية المحلية لحكم الأمير بدرخان الى النشاطات المعادية للكرد، التي كان يقوم بها أعضاء الإرساليات المسيحية الأمريكية والانكليزية،^{٥٣} الذين تأثر نفوذهم سلباً نتيجة لتعزيز سلطة الكونفدرالية الكردية تحت قيادة بدرخان. وشكل تلاقي الهواجس البريطانية- الفرنسية مع المخاوف التركية المتصاعدة خلفية لقيام اسطنبول بإرسال جيش جرار بقيادة أشهر قادتها العسكريين للقضاء على سلطة الأمير بدرخان. وبعد إبداء مقاومة مستميتة طويلة، أسر الأتراك بدرخان في العام ١٨٤٧ وأرسل مع أفراد أسرته الكبيرة الى المنفى.

أدى إلغاء الإمارات الكردية ونفي الأسر الأميرية العريقة الى خارج كردستان، من جانب، وعجز الأتراك عن إقامة الاستقرار والأمن، من جانب ثان، الى ظهور فراغ سياسي

⁴⁸ زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص ٢٣٧.

⁴⁹ J. Shiel: 'Notes on a Journey from Tabriz through Kurdistan....', p.87.

⁵⁰ Ibid.

لم يكن شيل قادراً على السفر عبر منطقة بدرخان، بسبب الانتفاضة الكردية.

⁵¹ 'Visits of Messrs Wright and Breath to Bader Khan Bey', pp.378-383.

⁵² Martin Van Bruinse, in Agha, Sheikh and State, the Social and Political Structure of Kurdistan, [London & New Jersey: Zed Books, 1992], p.160.

⁵³ Nezan, A People without a Country, p.21.

كبير. ورداً على هذه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأمنية المتدهورة اندلعت انتفاضات كُردية عدّة، تميزت الواحدة عن الأخرى من حيث اتساعها وشدّتها. وكان الأمير يزدانشير قد قاد واحدة من أقوى الانتفاضات الكُردية في أثناء حرب الكريمين (القرم) (١٨٥٣-١٨٥٦) بين روسيا القيصرية، من طرف، وبريطانيا وفرنسا وتركيا العثمانية، من طرف ثانٍ. فبعد أن أمّن مساندة الجماعات المسيحية المحلية في المناطق الكُردية لانتفاضته المعادية للحكم التركي، سعى يزدانشير الى تنسيق جهوده العسكرية مع الجيش الروسي، ولكنه أخفق في ذلك بسبب صعوبة الاتصال. وطبقاً لما كتبه كمال مظهر، استطاعت القوات التركية، وبدعم مباشر من بريطانيا، القضاء على انتفاضة يزدانشير، التي سرعان ما خلدها الشعر الغنائي الفلكلوري الكُردى.^{٥٤}

يعود اهتمام روسيا بالشؤون الكُردية الى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، الذي جاء نتيجة مباشرة للانتصارات الساحقة التي أحرزتها في حروبها مع إيران القاجارية في الأعوام ١٨٠٤-١٨١٢ و ١٨٢٦-١٨٢٨. لقد أوجد احتلال روسيا القيصري لمنطقة قوقازيا تماساً برياً مباشراً بين الأقاليم الخاضعة لها والمناطق ذات الأغلبية الكُردية الواقعة على تخوم الدولتين العثمانية والقاجارية. نظراً لشراهة روسيا الشديدة من أجل الاستحواذ على المزيد من الأقاليم الواقعة الى الجنوب من حدودها وباتجاه سواحل البحر الأبيض ومنطقة الخليج، أصبح من الطبيعي ان يُركز قادتها العسكريون اهتمامهم على المناطق الكُردية الحدودية بهدف كسب ولاء الوجوه الاجتماعية والدينية البارزة فيها أو في أقل تقدير تحييدهم في حالة اندلاع حرب بين روسيا وتركيا العثمانية أو بين روسيا وإيران القاجارية.

أشار دبليو. إي. دي. ألن وبول موراتفوف الى ان إقامة علاقات ودّية وتفاهم مع القيادات الكُردية المحلية، طبقاً لتصورات الأمير الروسي باسكيفيتش، قد شكلت أحد الشروط الأولية اللازمة لنجاح أي احتلال روسي لمنطقة الأناضول.^{٥٥} مع ذلك، لا تشير الدلائل المتوافرة الى وجود أي دعم روسي للأمرء الكُرد، حين كانوا يحاربون الجيوش التركية طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر وقبل وقوع انتفاضة يزدانشير تحديداً. إن الأمر المؤكد منه هو انه خلال الحرب الروسية- العثمانية

⁵⁴ Ahmad, *Kurdistan During The First World War*, p.70.

⁵⁵ W.E.D. Allen and Paul Muratoff, *Caucasian Battlefields: a History of the Wars on the Turco-Caucasian Border, 1828-1921*, [Cambridge: Cambridge University Press, 1953], p.32.

(١٨٢٨-١٨٢٩) ضَمِنَ الروس دعم الكثير من الكُرد، من المسلمين والإيزيديين،^{٥٦} خاصة في منطقة يريفان، الذين زودوا الجيش الروسي بـ ٣٠٠٠ فارس.^{٥٧} يقول ويليام مونتيث ان الكُرد الذين خُدموا في صفوف الجيش الروسي فاق عددهم بكثير عدد أقرانهم ممن قاتلوا في صفوف الجيش العثماني.^{٥٨} فضلاً عن الترحيب بمقدمه الى مناطقهم، زوّد المحليون الكُرد الجيش الروسي بالغذاء والإمدادات الأخرى.^{٥٩}

مَثَل تزايد الاهتمام البريطاني والروسي بكُردستان عاملاً جديداً منح الشؤون الكُردية بُعداً دولياً متنامياً غير مسبوق منذ بدايات القرن التاسع عشر. ولم تراقب القوى الأوروبية المتنافسة، خاصة بريطانيا وروسيا، عن كثب تطورات الأوضاع في المناطق الكُردية فحسب، بل أيضاً سعت الى التأثير بسير الأحداث وتحديد نتائجها. وكان الشيخ عبيدا لله النهري، القائد الديني والقومي الأبرز في الربع الأخير من القرن التاسع عشر أول من أستشعر بأهمية العامل الدولي بالنسبة الى القضايا المتعلقة بشؤون الأقاليم الكُردية. وتدل الأحداث السياسية خلال المدة ١٨٨٠-١٨٨١ ان هذا الشيخ قد أدرك المخاوف البريطانية من حركته السياسية، وكيف انها يُمكن ان تعرقل مساعيه في إقامة كُردستان موحدة ومستقلة. فحالما أعلن عبيد الله انتفاضه المسلحة في أيلول عام ١٨٨٠، سعى بصورة حثيثة الى إقامة اتصالات مباشرة مع القوى الأوروبية الكبرى، خاصة بريطانيا، أملاً في تجنب معاداتها لأهدافه القومية. في إحدى رسائله الى القنصل البريطاني العام في مدينة تبريز الواقعة في أذربيجان الإيرانية، أوضح عبيد الله ان:

الهدف من وراء إرسال ولده الى بلاد فارس هو معالجة الشكاوي الكُردية. الكُرد تعرضوا الى سوء المعاملة على يد تركيا وبلاد فارس، وانه بصحبة قادة القبائل الكُردية يأمل الآن في إقامة كُردستان على أساس الوحدة والاستقلال.^{٦٠}

⁵⁶ Allen and Muratoff, *Caucasian Battlefields*, p.3i and William Monteith, *Kars and Erzerum, with the Campaign of Prince Paskiewitch in 1828 and 1829*, [1856], p.231.

⁵⁷ Monteith, *Kars and Erzerum*, p.221.

⁵⁸ *Ibid*, pp.264.

⁵⁹ Allen and Muratoff, *Caucasian Battlefields*, p.40.

⁶⁰ Thomson to Granville, 30 October 1880, Enclosure No.22, Correspondence Respecting the Kurdish Invasion of Persia, Parliamentary Papers, Vol. C, No.5 Year 1881, p.16.

كان الشيخ عبید الله ینوی إلحاق الهزيمة بالطرف الأضعف، أي إيران القاجارية، أولاً، قبل ان يتفرغ لمواجهة الطرف الأقوى، أي تركيا العثمانية. وترتب على تحقيق تلك الأهداف إقامة عبید الله لتحالف داخلي مع الجماعات المسيحية التي كانت تعيش على جانبي الحدود العثمانية- القاجارية.⁶¹ وسعى عبید الله إلى طمأنة القوى الأوربية بنواياه السياسية وتوجهاته الدينية المعتدلة، مؤكداً على انه غير مُعادي للمسيحية أو للأوربيين وأنه في الدولة الكُردية المستقلة ((سيضع المسيحيين والمسلمين على قدم المساواة)).⁶² وأوضح رسول للشيخ عبید الله إلى القنصل البريطاني، ویلیام جي. آبوت، في تشرين الأول عام ١٨٨٠ ان كل ما كان يطلبه الشيخ:

الدعم الأخلاقي للقوى الأوربية، خاصة إنكلترا، التي يَكُن لها أقصى المودة والاحترام. وطلب الشيخ ان يختبره (الأوربيون). فإذا فشل في إقامة كُردستان (مستقلة ومستقرة) فإنه سيكون على استعداد لقبول أي قرار يصدر عن محكمة أوربية وتحمل جميع تبعاتها.⁶³

لقد أُجبرت بنود اتفاقية برلين لعام ١٨٧٨ تركيا العثمانية القبول بمشروع لإجراء إصلاحات إدارية لصالح رعاياها من الأرمن، وبوجود مراقبين أوربيين للإشراف على تنفيذ تلك الإصلاحات في كُردستان العثمانية. وتحت تأثيرات النجاح الذي حققه القوميون الأرمن في كسب تعاطف الحكومات الأوربية نحو مسألتهم، سعى عبید الله إلى الارتقاء بالقضية الكُردية إلى مستوى دولي من خلال إدخالها في أجندة المؤتمرات الأوربية. وناشد عبید الله بريطانيا على الخصوص من أجل النظر في موضوع أسباب قيام الثورة الكُردية بهدف إيجاد حل لها.⁶⁴ في الوقت نفسه، بذل عبید الله جهده في توريث الموظفين البريطانيين الميدانيين المتواجدين بالمقربة من قلب الأحداث في اتصالاته مع حكام الأقاليم القاجارية في كُردستان الشرقية.⁶⁵

بالرغم من الجهود الحثيثة التي بذلها الشيخ عبید الله اخفق في الخروج بأية نتائج مفيدة من جراء اتصالاته مع البريطانيين ومناشدته لهم. ففي معرض الرد على رسالة عبید الله، أوضح آبوت ان حكومة لندن غير معنية تماماً بنزاعه مع بلاد فارس، مبرراً

⁶¹ Maj. Trotter to Mr. Goscher, 20 October 1880, ibid, p.16.

⁶² Ibid.

⁶³ Extracts from Consul-General Abbott's Diary, Enclosure 1, ibid, p.39.

⁶⁴ Sheikh Ubeidullah to Dr. Cohran, Enclosure 2, ibid, p-47.

⁶⁵ Ibid, p.38.

بذلك رفض مناقشة أسباب اندلاع ذلك النزاع، لكنه أكد ان حكومته «قلقة جداً بشأن توطيد السلام والأمن» على طول الحدود العثمانية- القاجارية.⁶⁶ ولا تكمن أهمية موقف البريطانيين من الانتفاضة الكردية في عدم إبداء أي استعداد لدراسة الشكاوى الكردية بقدر بذلهم المساعي الحثيثة من أجل تقريب وجهات نظر الحكومتين العثمانية والقاجارية وبالتالي تنسيق جهودهما السياسية والعسكرية المشتركة بهدف القضاء المبرم على تلك الانتفاضة، التي شكلت تهديداً صريحاً للوضع القائم. وتركزت الدبلوماسية البريطانية في حث الأتراك، وحتى الضغط عليهم، عن طريق السفير البريطاني في اسطنبول، للوصول الى تفاهم عاجل مع الشاه القاجاري يهدف الى قمع المنتفضين الكرد، وذلك من خلال تنسيق الحملات العسكرية على جانبي الحدود العثمانية- القاجارية.⁶⁷ في إحدى البرقيات التي أرسلت بعد اتضاح فشل جهوده الأولية في التقريب بين الحكومتين القاجارية والعثمانية، أبلغ رونالد أف تومسون، الوزير البريطاني في طهران، إيرل غرانفيل، وزير الخارجية البريطانية، انه «واصل حثه للحكومة الفارسية على التعاون مع السلطات التركية في سبيل توطيد النظام بين القبائل الكردية الموجودة قرب الحدود الفارسية».⁶⁸

وعلى الرغم من عدم وجود أي تورط روسي في اندلاع الانتفاضة الكردية التي قادها الشيخ عبید الله، بدت بريطانيا قلقة جداً لإعتقادها الراسخ ان حدوث أية اضطرابات داخلية في المناطق الكردية، سواء الواقعة في تركيا أو الواقعة في إيران، ستمنح الروس فرصة ثمينة لإضعاف وحدة هاتين الدولتين إقليمياً وسياسياً، ومن ثم سيمكنهم هذا من توسيع نفوذهم السياسي والاقتصادي في اتجاه الجنوب ليسددوا بذلك ضربة قوية ضد المصالح البريطانية الإستراتيجية. ينبغي التذكير بهذا الصدد ان روسيا لم تعد تنظر الى الكرد في أعقاب حرب الكريمين (القرم) بوصفهم حلفاء محتملين يمكن الاتفاق أو التعامل معهم في صراعها المستمر مع الإمبراطورية العثمانية. فمنذ انتهاء تلك الحرب، أصبح السياسيون الروس يرون في تبني القضية الارمنية الوسيلة المثلى لإضعاف السلطة العثمانية في الولايات الشرقية تمهيداً لإحاقها في الوقت المناسب. ونظراً

⁶⁶ Ibid, P39.

⁶⁷ Mr. Thomson to Earl Granville, 14 May 1880 & Earl Granville to Mr. Goschen, 1 July 1880, ibid, p.1.

⁶⁸ Mr. Thomson to Earl Granville, Tehran, 24 August 1880, ibid, p.10.

للتناقض القائم بين تطلعات السياسة الكُردية وطموحات الأرمن، أي بين فكرة دولة كُردية مستقلة وارمينيا خاضعة لسيطرة روسيا، لم يكن من قبيل المصادفة ان تُخيف أهداف الانتفاضة الكُردية الجانب الروسي أكثر بكثير من الجانب البريطاني. لقد ذهبت مخاوف روسيا الى درجة الاستجابة الفورية لمناشدة الشاه القاجاري لها بإرسال مساعدات عسكرية، حتى إنها حاولت التدخل عسكرياً وبصورة مباشرة ضد الانتفاضة الكُردية المستعرة. وكانت الحكومة الروسية قد أبلغت نظيرتها البريطانية عن التهديد المباشر الذي شكلته الانتفاضة الكُردية ضد المناطق النائية من الإمبراطورية، التي عاش فيها أكثر من ٤٤ ألف كُردى والواقعة بالمقربة من الحدود الروسية- العثمانية والروسية- القاجارية ، وكذلك ضد حلفائها المحليين من الأرمن.⁶⁹

ولكن الاستعدادات العسكرية التي اتخذتها روسيا للتدخل ضد الانتفاضة الكُردية دعماً لجهود حكومة الشاه القاجاري قد أدت الى مضاعفة قلق البريطانيين، الذين عجزوا عن إقناع الحكومتين القاجارية والعثمانية بتطبيع علاقاتهما الثنائية، أو في الأقل، تنسيق جهودهما العسكرية بصورة مؤقتة ضد المنتفضين الكُرد. في نهاية الأمر، استطاعت القوات القاجارية إجبار قسم من قوات المنتفضين الكُردية من التراجع نحو الحدود العثمانية- القاجارية وتشتيت القسم الآخر. وأتاح هذا الوضع الجديد الفرصة لروسيا في ان تُطمئن بريطانيا حول انتفاء الحاجة الى تدخلها عسكرياً لصالح الإيرانيين.⁷⁰ ولمنع ((تكرار وقوع مثل هذه الاضطرابات)) في كُردستان، اقترحت الحكومة الروسية على نظيرتها البريطانية تنسيق جهودهما المشتركة في المستقبل.⁷¹ ولكن الأخيرة لم تكن ترغب في أي مقترح أو مشروع يمنح الروس حق التدخل في الشؤون الداخلية لتركيا العثمانية أو لإيران القاجارية.

وكشفت الانتفاضة الكُردية التي قادها الشيخ عبيد الله انه في الوقت الذي كانت بريطانيا تستجيب للمناشآت المسيحية بصورة عامة والأرمنية بصورة خاصة، فإنها لم تُخف معارضتها ورفضها لشكاوي الكُرد، لأنهم بحسب زعمها، مصدر لإثارة الفتن والقلاقل. وفي أعقاب الحرب الروسية- التركية (١٨٧٧-١٨٧٨) عينت وزارة

⁶⁹ Mr. Plunkett to Earl Granville, 8 November 1880 & 17 November 1880, ibid, pp.18-19.

⁷⁰ Earl Granville to Mr. Plunkett. 16 November 1880, ibid, p.24.

⁷¹ Earl Granville to the Earl of Dufferin, Foreign Office, 28 January 1881, ibid, p.75.

الخارجية البريطانية الميجر أج تروتر قنصلا لعموم "كردستان" العثمانية، الذي تكمن مهمته، وبمساعدة عدد آخر من مرؤوسيه البريطانيين الموزعين بين المدن الكردستانية أو الحواضر القريبة منها، بإرسال التقارير الى لندن بشأن تطبيق الإصلاحات الأرمنية المقترحة، التي تعهدت تركيا بإجرائها، وبشأن أوضاع سكان الأقاليم العامة في ما عُرف بالولايات الشرقية. ان دراسة تعليمات وزارة الخارجية البريطانية والتصورات التي كونتها تكشف ان لندن كانت توصي وتُشجع الحكومتين التركية والقاجارية في التعامل بحزم مع الشكاوى الكردية من خلال استخدام القوة، بدلاً من تبني تغييرات سياسية وإدارية للتخفيف عن معاناتهم. لكن، اندلاع انتفاضة الشيخ عبّيد الله ساعدت على ان تلفت نظر الميجر تروتر حول الحاجة الى تفهُم المعاناة الكردية تحت حكم تركي فاسد مستبد. يقول تروتر في إحدى تقاريره:

لا شك ان الكرد في العديد من الأماكن يعانون من سوء الحكم أكثر من المسيحيين. فهم لا يملكون قناصل (أوربيين) كي ينظروا إليهم كحماة خاصين لهم، ولا أساقفة يبعثون ببرقيات مُثيرة مُبالغ فيها عن مخاوفهم، في الحقيقة، لا يوجد أي أحد يمكن مناشدته للنظر في الشكاوي أو في توفير الحماية... انا لا أرى أي داعٍ، بأي حال من الأحوال، يمنع خضوع الكرد المستقرين الى نفس القوانين والمؤسسات التي يخضع لها المسيحيون.⁷²

هذه الدعوة لإجراء بعض التعديلات في الموقف البريطاني تجاه الشؤون الكردية من خلال توفير الحماية البريطانية والأوربية للكرد الخاضعين للحكم التركي، على غرار نظرائهم المسيحيين، مرّت من دون ان تلتفت إليها حكومة لندن، التي كانت تؤمن ان ظهور أي تحرك في اتجاه اللامركزية ونقل السلطات الى الأقاليم (devolution) ستكون بمثابة خطوة نحو تمزيق أوصال الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية في إيران المجاورة، وكذلك منح الروس الفرصة التي كانوا ينشدونها في سبيل توسيع نفوذهم الاستراتيجي والسياسي والاقتصادي في اتجاه الجنوب، أي نحو المياه الدافئة في الخليج والبحر الأبيض المتوسط. وشجع البريطانيون تلك الإصلاحات السياسية والإدارية التي من شأنها تعزيز سلطة الحكومة المركزية وفي الوقت نفسه تُحسن بعض الشيء من أحوال رعايا الدولة العثمانية من المسيحيين. واستهدفت بريطانيا من وراء

⁷² Maj. Trotter to Mr. Goschen, 14 September 1880, ibid. p.162.

الاهتمام بدراسة شكاوى المسيحيين المحليين في المقام الأول سحب البساط من تحت أقدام روسيا التي كانت تستخدم معاناتهم ذريعة في سياستها الخارجية التوسعية من أجل التدخل في الشؤون الداخلية للإمبراطورية العثمانية.

٢- بداية القرن العشرين:

اشتداد المنافسة بين القوى الأوربية

حول مجالات النفوذ السياسية والاقتصادية

في أوائل القرن العشرين، واجهت الحركة القومية في كردستان القاجارية، على غرار مثيلتها في كردستان العثمانية، مواقف بريطانية غير ودية في أقل تقدير. خلال أحداث ما يُعرف بالثورة الدستورية في العام ١٩٠٦، أدى الكُرد الشرقيون دوراً ملحوظاً في دعم الحركة الديمقراطية الإيرانية. فعلى غرار مثيلاتها في أقاليم إيران الأخرى، أقامت المدن الكردية، مثل كرماشان وسابلاغ وسنندج وسقز، مجالس شعبية (انجمن) لتتولى إدارة الشؤون المحلية بدلاً من موظفي الحكومة المركزية.^{٧٣} ودافع الكثير من الكُرد عن الحركة الدستورية سواء ضد التدخلات الروسية أو التدخلات التركية. لكن سرعان ما أدى عدم اهتمام قادة الحركة الدستورية بالتطلعات السياسية الكردية إلى خيبة أمل عند الكُرد الشرقيين، ومن ثم أدى إلى تصعيد جهودهم الرامية إلى إقامة حكم ذاتي في مناطقهم. ان اشتداد قوة الحركة القومية الكردية، التي حوّلت كردستان الشرقية إلى حالة من التمرد وعدم الاستقرار، من جانب، والتهديد الصريح الذي شكلته الحركة الدستورية لمصالح القوى الأجنبية، من جانب ثانٍ، دفع بروسيا وبريطانيا إلى إعادة النظر في سياستيهما اتجاه شؤون إيران الداخلية وتحويلها من حالة التنافس السلبية إلى حالة من التعاون والتنسيق المشترك خدمة لمصالح الطرفين. تلك كانت خلفية اتفاقية عام ١٩٠٧، التي توصلت إليها روسيا وبريطانيا، حول التوفيق بين مصالحهما في مناطق إيران المختلفة. وكان من المهم، كما يؤكد كيث روبينس، ان توافق وزارة الهند (India Office) وحكومة الهند على بنود تلك الاتفاقية كان ذا تأثير مباشر في أمن الهند وسلامة حدودها.^{٧٤}

نصت بنود اتفاقية عام ١٩٠٧ على ان لكلتا الدولتين الروسية والبريطانية:

⁷³ Ghassemloo, *Kurdistan and the Kurds*, p.43.

⁷⁴ Keith Robbins, *Politicians, Diplomacy and War in Modern British History*, (London: the Hambledon Press, 1994), p.106.

ولدواعٍ جغرافية واقتصادية، مصلحة خاصة في السلام والنظام في ولايات معينة تجاور أو على مقربة من الحدود الروسية ... وحدود أفغانستان وبلوجستان. (كلا الطرفين يسعيان الى تجنب) جميع مسببات التضاد بين مصالحهما في ولايات بلاد فارس المُشار إليها آنفاً.^{٧٥}

بحسب بنود هذه الاتفاقية، قسّمت روسيا وبريطانيا إيران القاجارية الى ثلاثة مجالات للنفوذ. شكلت شمال إيران، من ضمنها معظم مناطق كردستان الشرقية، مجال النفوذ الروسي. وصارت إيران المركزية حزاماً حيادياً، في حين أصبح جنوب إيران، الذي يشرف على منطقة الخليج ويجاور الحدود الهندية، مجالاً للنفوذ البريطاني. وتعهد الجانبان، الروسي والبريطاني، باحترام مصالح الطرف الآخر الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية في المنطقة الخاضعة لنفوذهما. بعد مرور أربعة أعوام، وفي ظل استمرار عدم الاستقرار السياسي في كردستان الشرقية وأذربيجان الإيرانية والتوغل العسكري التركي المستمر عبر الحدود، وقعت بريطانيا وروسيا بروتوكولاً جديداً حول الحدود العثمانية- القاجارية يقضي بأن تحل وحدة روسية محل الجنود الأتراك بوصفها قوة احتلال في عدد من المناطق الكردية والأذربيجانية. في العام ١٩١٣، كتب نوبيل بوكستون، باحث وسياسي ليبرالي بريطاني كان يراقب عن كثب سياسات القوى الكبرى تجاه الوضعين الكردي والأرمني، ان اتفاقية ١٩٠٧ ساعدت في إعادة "النظام العام" الى شمال غرب بلاد فارس، وهو الهدف الذي يشتركون فيه مع الحكومة المركزية القاجارية. وتمنى بوكستون ان تتخذ القوى الكبرى خطوة مماثلة في كردستان وارمينيا العثمانية بهدف استعادة الاستقرار السياسي فيهما.^{٧٦}

واستهدفت اتفاقية ١٩٠٧ كذلك التصدي للنفوذ السياسي والاقتصادي لالمانيا، القوة الأوربية الصاعدة على مسرح السياسة الدولية وفي منطقة الشرق الأوسط. وقد أدى تطور النفوذ الاقتصادي والسياسي الألماني في آسيا العثمانية، خاصة بعد وقوع ما عُرف بثورة تركيا الفتاة في العام ١٩٠٨، ببريطانيا الى ان تدفع بمنافستها مع

⁷⁵ Convection between the UK and Russia, Relating to Persia, Afghanistan and Tibet, Signed at St. Petersburg, 31 August 1907, Treaty Series, Mo.34, 1907, His Majesty's Stationary Office (HMSO).

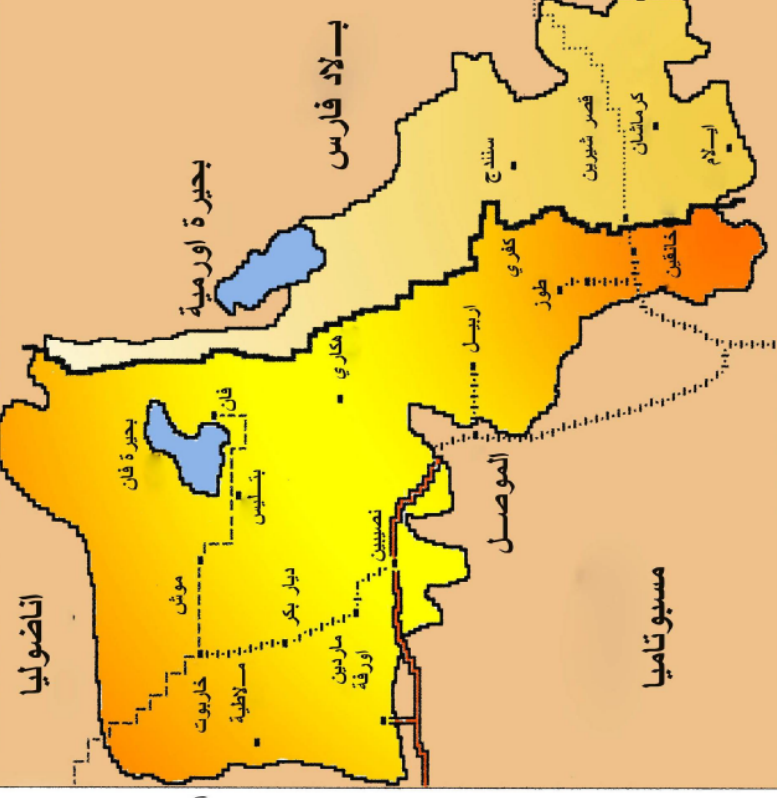
⁷⁶ Noel Buxton, 'The Russians in Armenia' The Nineteenth Century And After, Vol.1XXIV, July-December 1913, p.1362. Noel was particularly interested in the affairs of the non-Turkish ethnic and religious minorities.

روسيا الى الخلف من حيث تسلسل أولوياتها، وان تهتم خاصة بتلك الأقاليم التي كانت بمثابة حلقة وصل بين مواقعهم الإستراتيجية المختلفة أو كانت على مقربة منها في منطقة الشرق الأوسط، كالخليج والبحر الأحمر. ودخلت كُردستان العثمانية وميزوبوتاميا ضمن تلك المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية. من وجهة النظر الإستراتيجية، تزايدت أهمية كُردستان الجنوبية بالنسبة الى بريطانيا بسبب كونها جزءاً من الطريق البري الى الهند وإشرافها على سهول ميزوبوتاميا الى الجنوب منها. وتجسدت تلك الأهمية بصورة جلية في ردود الفعل البريطانية تجاه بناء خط بغداد لسكك الحديد، الذي كان من المفترض ان يمر عبر مناطق كُردستان. كما راقبت بريطانيا بقلق اتفاق روسيا مع المانيا في بوتسدام في العام ١٩١٠ الذي نصّ على قيام الأولى ببناء خط للسكك الحديد يربط طهران بخانقين عبر كُردستان الشرقية، في حين تعهدت الثانية بربط الخط المذكور بخط بغداد الرئيس. ورداً على تلك التطورات غير المريحة للبريطانيين، أُطلقت دعوات في لندن لتنادي ببسط سيطرة بريطانيا على جزء من خط بغداد الرئيس، الذي كان يربط كركوك بكفري في كُردستان الجنوبية (أنظر الى الخارطة رقم ٢).^{٧٧}

وتصاعدت المخاوف في بعض الدوائر البريطانية، خاصة البحرية ووزارة الخارجية، بشأن مستقبل الامتيازات البترولية في كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا ذات الارتباط الوثيق ببناء خط بغداد. وكانت حسابات إستراتيجية تقف وراء اهتمام لندن بمستقبل البترول، أكثر بكثير من تأمين مصالح تجارية، بالرغم من ان الشركات البريطانية الخاصة قد مارست الضغط على حكومتها من اجل دعم مساعيها للحصول على امتيازات بترولية في منطقة الشرق الأوسط. والجدير بالملاحظة انه في السنوات المبكرة من القرن العشرين جاءت معظم التجهيزات البترولية من الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك من المكسيك. وكانت الأخيرة خاضعة هي الأخرى الى السيطرة الأمريكية. ومع ازدياد الحاجة لاستخدام البترول كوقود في أساطيلها، رأت البحرية البريطانية انه من الحيوي ان تضمن بريطانيا منفذاً لها الى مصادر البترول بعيداً عن هيمنة قوى أجنبية أخرى. في تلك المدة، كان البترول في طريقه الى احتلال مكانة أساسية في مساعي البحرية البريطانية من أجل تحديث أساطيلها لكونه اخص وأكثر كفاءةً من الفحم الحجري الذي كانت تستعمله.^{٧٨}

⁷⁷ The 1907 Baghdad Railway Committee, 20 March 1907, F0371/12, PRO, P-10.

⁷⁸ Kent, *Moguls and Mandarins*, pp.35-36.



**خارطة (2): خط بغداد لسلك الحديدية و
الخطوط المقترحة الأخرى في كردستان**

-  الجزء المنتهي من خط بغداد لسلك الحديدية
-  الخط بغداد المقترح لسلك الحديدية
-  الخط الروسي المقترح لسلك الحديدية
-  الخط الفرنسي المقترح لسلك الحديدية

Source: Enlarged Extract
Wolf, J.B., *The Diplomatic History of
The Baghdad Railroad*, P.6
&
*British Documents On The Origins
Of The War, 1898-1914*
(Ed) Gooch, G.P. & Temperley, H.
Facing Page 796

فضلاً عن ذلك، برزت البحرية الألمانية بوصفها المنافسة الرئيسية للبحرية البريطانية. ولذلك أصبح من الضروري على بريطانيا ان تمنع المانيا من احتكار الامتيازات المرتبطة ببتروال الأقاليم التابعة للدولة العثمانية. وبالفعل، تضمن امتياز خط بغداد لسكك الحديد علاقة وثيقة بين بناء ذلك الخط وحق التنقيب عن البترول في المناطق المحيطة به. إزاء تلك التطورات ونظراً لمعرفتهم بالتشابه الجيولوجي بين كردستان الجنوبية والحزام البترولي الواقع في كردستان إيران المجاورة، بدأ البريطانيون بممارسة الضغط على سلطات اسطنبول في فترة متأخرة من اجل منح الشركات البريطانية تنازلات بترولية في ولايتي بغداد والموصل، إذ كانت هناك مؤشرات قوية حول وجود حقول نفطية فيهما. مع هذا، تمثل الانجاز البريطاني المهم والوحيد بحلول العام ١٩١٤ في الحصول على ٧٥٪ من أسهم شركة البترول التركية، التي كانت تنقب عن البترول في كردستان الجنوبية وفي بغداد، بينما حصل الألمان على ٢٥٪ من أسهم تلك الشركة. هذا مع العلم ان الألمان هم الذين حصلوا في الأساس على امتياز البترول من السلطات العثمانية في العام ١٩٠٣.

بحلول العام ١٩١٤، نتيجة للنزعة الامبريالية الاقتصادية المتزايدة، من جانب، وفرض سيطرة سياسية غير مباشرة من القوى الأوربية، من جانب ثانٍ، تحولت أقاليم الإمبراطورية العثمانية، خاصة الآسيوية منها، الى مجالات للمصالح الاقتصادية المختلفة، التي كانت ضمناً مجالات سياسية- إستراتيجية. في شهر حزيران من تلك السنة، توصل الألمان والبريطانيون الى صيغة توفيقية لرعاية مصالحهما بصورة مؤقتة حيث نص اتفاق ثنائي بينهما على رسم حدود المجال التجاري لكلا الطرفين. وبحسب هذه الاتفاقية، وقع الجزء الجنوبي من كردستان الجنوبية ضمن المجال الألماني، في حين وقعت ميزوبوتاميا العربية ضمن المجال البريطاني. وكان عمر هذا الاتفاق قصيراً بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى بعد شهرين فقط.

تكمن أهمية أحد جوانب مشروع بناء خط بغداد الشهير واشتداد المنافسة بين القوى الأوربية الكبرى في إضفاء أهمية إستراتيجية واقتصادية جديدة على كردستان الجنوبية. ففي الوقت الذي سعت فيه بريطانيا الى الحصول على نفوذ اقتصادي وسياسي رداً على سياسات القوى الأخرى، ظلّت متمسكة بسياستها القديمة المستندة الى أطروحة تعزيز الوحدة الإقليمية لتركيا العثمانية بقدر ما يتعلق الأمر

بأقاليمها الداخلية. خلال حقبة المنافسة الأوربية تلك، انهمك البريطانيون في جمع المعلومات سواء بصورة سرّية أو علنية عن طريق الإرساليات المسيحية والرحالة والعلماء والدبلوماسيين حول أوضاع كردستان الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. مع ذلك، لا يعني هذا ان بريطانيا كانت تخطط أو تفكر في فرض سيطرتها المباشرة على الجزء الأكثر أهمية من كردستان، وإنما المقصود في هذا السياق هو التأكيد على فكرة انه لم يكن بوسع البريطانيين، في عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى، ان يتخذوا موقفاً غير مُبالٍ إزاء الشؤون الكردية، وان سياستهم الامبريالية كانت تسير في اتجاه يؤثر بمستقبل كردستان السياسي بصورة لا مفر منها.

موقع كردستان في مخططات بريطانيا الامبريالية: من لجنة بونسن الى اتفاقية سايكس- بيكو الثلاثية

١- توصيات لجنة بونسن لعام ١٩١٥

لم يتغير موقف بريطانيا من مسألة حماية وحدة الأقاليم العثمانية فور اندلاع الحرب العالمية الأولى أو بعد قرار الإمبراطورية العثمانية في الوقوف مع الإمبراطوريتين الألمانية والنمساوية-الهنغارية في تلك الحرب. يوضح جي سي هورويتز كيف ان بريطانيا لم تكن تفكر بعد في مسألة تجزئة الإمبراطورية العثمانية حتى بعد دخول الحرب شهرها العاشر.⁷⁹ وحصل الانقلاب في سياسة بريطانيا تجاه الإمبراطورية العثمانية في وقت لاحق حين أدركت حكومتها ان الإستراتيجية الامبريالية البريطانية لم تعد تستند الى الوحدة الإقليمية لتلك الإمبراطورية أو حتى للمملكة القاجارية. وتجسد ذلك الانقلاب في بنود اتفاقية القسطنطينية (٤ آذار-١٠ نيسان ١٩١٥)، وتفاهم الشريف حسين- مكماهون (تموز ١٩١٥-١ آذار ١٩١٦)، والاهم من كل ذلك، فقرات اتفاقية سايكس- بيكو الثلاثية (١٩١٦). لقد أصبح أمراً مفروغاً منه في ان بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصريّة كانوا يعملون معاً من اجل تمزيق أوصال العدو العثماني، وفي مقدمة ذلك الاستيلاء على الأقاليم غير التركية الواقعة في كردستان وميزوبوتاميا وبلاد الشام. تلك كانت باختصار إفرازات الحرب المباشرة وما رافقتها من تداعيات طويلة الأمد بالنسبة الى مستقبل كردستان السياسي.

⁷⁹ J. C. Hurewitz, *Diplomacy in the Near and Middle East*, Vol. I, (Princeton: D. van Nostrand Co., 1965), p.26.

تطورت اتفاقية القسطنطينية عن مبادرة قام بها وزير الخارجية الروسي، سيرجي سazanوف،^{٨٠} وتضمّنت سلسلة مناقشات دبلوماسية بين قوى الحلفاء الرئيسيين روسيا وبريطانيا وفرنسا. بحسب بنود هذه الاتفاقية، اعترفت بريطانيا بادعاءات روسيا في اسطنبول والمضائق لِقَاء ان تمد هي نفوذها الى الحزام المحايد في إيران القاجارية وجعل الأماكن الإسلامية المقدسة والجزيرة العربية ((منطقة إسلامية مستقلة)).^{٨١} أما فرنسا فقد مُنحت سوريا الكبرى وخليج الاسكندرونة وقلقيلا حتى سلسلة جبال طوروس. لم تكن اتفاقية قسطنطينية خطة تجزئة كاملة للإمبراطورية العثمانية إذ لم تُشر، على سبيل المثال، الى مصير أناضوليا وكردستان وأرمينيا وميزوبوتاميا. فضلاً عن ذلك، كانت بريطانيا قد وقعت تحت ضغط شديد من جانب حلفائها لتحديد أهدافها في الحرب وطموحاتها الإقليمية في الشرق الأوسط.^{٨٢} تلك كانت خلفية المبادرة التي قام بها رئيس الوزراء البريطاني، هربرت هنري اسكويث، في تشكيل لجنة مستقلة من ممثلي عدة وزارات في شهر نيسان من العام ١٩١٥، بغية تشخيص المصالح البريطانية لمرحلة ما بعد الحرب في الإمبراطورية العثمانية، وتحديد الإجراءات اللازمة لتعزيز تلك المصالح بوسائل سياسية. ترأس اللجنة مورييس دي بونسن، مساعد وكيل وزير في الخارجية البريطانية. لهذا عُرفت اللجنة باسم دي بونسن، حيث ضمت ممثلين عن وزارات الخارجية والحرب والهند وهيئة التجارة والبحرية. وشارك ليوتنانت كولونيل مارك سايكس في اللجنة بوصفه الممثل الشخصي للورد كيتشنر، وزير الحرب.

وكانت إحدى نتائج توسع دائرة الحرب لتشمل منطقة الشرق الأوسط هي جرّ وزارتي الهند والحرب الى عملية صنع القرار بقدر ما يتعلق الأمر بمستقبل الأقاليم العثمانية الآسيوية. ويرجع السبب الرئيس لهذا التطور الى سيطرة حكومة الهند على الحملة العسكرية، التي قامت هي بإعدادها وإرسالها لغزو جنوب ميزوبوتاميا في شهر تشرين الثاني من العام ١٩١٤،^{٨٣} بهدف تعزيز السيطرة البريطانية على منطقة الخليج. وبالمقارنة مع وزارة الهند، أصبحت وزارة الحرب، بقيادة اللورد كيتشنر،

⁸⁰ Howard M. Sachar, *The Emergence of the Middle East, 1914-1924*, (New York: Alfred A Knopf, 1969), p.153.

⁸¹ Hurewitz, *Diplomacy in the Near and Middle East*, pp.18-19.

⁸² Aaron S. Klieman, *Foundations of British Policy in the Arab World: the Cairo Conference of 1921*, (London: the Johns Hopkins Press, 1970), p.4.

⁸³ Sachar, *The Emergence of the Middle East*, p.54.

قلقة بشأن توفير ظروف سياسية مؤاتية في الشرق الأوسط تمنع قيام أي تحالف تركي- عربي ضد بريطانيا، وتُسهل مهمة الحملة المصرية- البريطانية في إلحاق الهزيمة بالقوات التركية المتواجدة في الجزيرة العربية وسوريا الكبرى.

وبعد عقد ثلاثة عشر لقاء في المدة الممتدة بين ٢ نيسان و٢٨ أيار ١٩١٥، رفعت لجنة بونسن تقريرها النهائي في ٣٠ أيار، لكي تمنح الحكومة البريطانية توصيات اللجنة موافقتها الرسمية أو تقوم بتطبيقها حرفياً. مع هذا، تعطي توصيات اللجنة معلومات مفيدة عن طريقة التفكير البريطاني في السياسة الخارجية، فضلاً عن تأثيرها، بطريقة أو أخرى، في السياسة البريطانية لمرحلة ما بعد الحرب تجاه منطقة الشرق الأوسط عموماً وكردستان خاصة. لهذا، فإن من الضروري تحليل الخيارات التي اقترحتها لجنة بونسن بشأن المستقبل السياسي والإداري للولايات العثمانية وتداعياتها بالنسبة الى كردستان العثمانية. شَخَّصَ تقرير اللجنة عاملين يُقيدان خيارات السياسة البريطانية تجاه آسيا العثمانية. تمثل العامل الأول في ان تأخذ بريطانيا بنظر الاعتبار أهداف حلفائها ومصالحهم، خاصة فرنسا وروسيا، في الأقاليم العثمانية في مرحلة ما بعد الحرب.^{٨٤} أما العامل الثاني فكان على الحكومة البريطانية ان توازن بين الفوائد الامبريالية، التي قد تجنيها من عملية إعادة رسم أو تعديل الأوضاع السياسية والاقتصادية في آسيا العثمانية، من جانب، ومسؤولياتها الامبريالية الكبيرة الناتجة عن حجم الإمبراطورية البريطانية الهائل،^{٨٥} التي أصبحت عبئاً ثقيلاً لدرجة لم يكن بإمكان الساسة البريطانيين تجاهلها، من جانب ثانٍ.

استند المخطط الأول للجنة بونسن الى خيار (A)، الذي تضمّن تجزئة الإمبراطورية العثمانية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا، حيث وبحسب هذا المخطط، تُلحق بريطانيا القسم الأعظم من كردستان العثمانية (انظر الخارطة رقم ٣). ويخضع القسم الثاني من حيث المساحة الى «إدارة خاصة»، أي غير خاضعة لسيطرة أي من القوى الأوربية الكبرى. والجدير بالذكر ان خط بغداد لسكك الحديد كان يمر من تلك المناطق المؤمل خضوعها للسيطرة البريطانية. من الناحية الإستراتيجية، سعت

⁸⁴ Cabinet, Ad Hoc Committee (Secret) Report, Proceedings and Appendices of a Committee Appointed by the Prime Minister, 1915, British Desiderata in Turkey and in Asia, CAB 27/1, PRO, Paragraph 7.

⁸⁵ Ibid, Paragraph 10.

بريطانيا الى إحكام سيطرتها على ولاية البصرة ((المؤمل أيضاً خضوعها لسيطرتها المباشرة))، بسبب أهمية موقعها بالنسبة الى أمنها في منطقة الخليج. وبطريقة مماثلة، تحتم على بريطانيا ان تُحكّم سيطرتها على ولاية بغداد من خلال توسيع سيطرتها في اتجاه الشمال بحيث يكون بالإمكان الاستفادة استراتيجياً من جبال كُردستان الوعرة كموانع طبيعية تقف في طريق أية نزعة توسعية إقليمية في اتجاه الجنوب.⁸⁶ وكما يُبين تقرير لجنة بونسن، تمتعت كُردستان بظروف مناخية مناسبة بالنسبة الى «الجنود البريطانيين البيض»، وان تكون ((مصدراً ممتازاً للمجندين)) المحليين من الكُرد.⁸⁷ ومن الجدير بالإشارة الى ان وجهة النظر المتعلقة بقيمة كُردستان الإستراتيجية قد أُثرت مرة أخرى بعد انتهاء الحرب حين طرحها المفوض المدني وكالة، كولونيل أرنولد ويلسون، بوصفها دافعاً قوياً لبسط الإدارة البريطانية المباشرة على جميع مناطق كُردستان الجنوبية.

على الرغم من ان للمناطق الكُردية أنفة الذكر قيمة اقتصادية أقل مقارنة بقيمتها الإستراتيجية، فان تقرير اللجنة قد أكد ان ((البترول يجعلنا نبدى الرغبة في فرض سيطرتنا أيضاً على (ولاية) الموصل، التي تقع بالمقربة منها آبار ثمينة، وهي، في حالة استحواذ قوة أخرى عليها، ستؤثر على مصالحنا بصورة سلبية)).⁸⁸ لقد كان فرض السيطرة البريطانية على المناطق الكُردية ضرورياً أيضاً بالنسبة الى مسألة إرواء ميزوبوتاميا العربية ونظام الملاحة النهرية القائم فيها. بالاضافة الى ذلك، عدت حكومة الهند كُردستان جزءاً أساسياً من أي مخطط بريطاني لإحياء الزراعة في ميزوبوتاميا، أملاً في جعلها مخزن حبوب للإمبراطورية البريطانية. ولم تكن للبريطانيين امتيازات في ميداني الإرواء والملاحة النهرية قبل الحرب فحسب، بل أيضاً قاموا بتدشين بعض الخطط التي جعلتهم قلقين بصورة أكثر بشأن تعزيز موقفهم في البلاد.⁸⁹ بعد نهاية الحرب، أصبحت ثروة كُردستان الجنوبية البترولية الكامنة وقيمتها الاقتصادية بالنسبة الى المصالح البريطانية في ميزوبوتاميا واحدة من أسباب وضعها تحت الانتداب البريطاني، ومن ثم إلحاقها قسراً بالدولة العربية العراقية. فعلى

⁸⁶ Ibid, Paragraphs 21-22.

⁸⁷ Ibid, Paragraph 22.

⁸⁸ Ibid, Paragraph 26.

⁸⁹ Ibid, Paragraphs 24, 27-29.

ضوء الحسابات الإستراتيجية والاقتصادية أنفة الذكر أصبحت تجزئة كُردستان العثمانية أمراً ضرورياً. وتحتم على بريطانيا، كما يشير تقرير اللجنة، ان تكون مهياًة لتبني مخطط تقسيم ثانٍ من أجل تحقيق غاياتها الإستراتيجية والاقتصادية (انظر الخارطة رقم ٤). وهذا المخطط سيُمكن فرنسا من توسيع الأقاليم الخاضعة الى سيطرتها من سواحل البحر الأبيض المتوسط، في الغرب، الى منطقة أورمية في كُردستان الشرقية، في الشرق. وهذا كان يعني تنازل بريطانيا عن جزء من حصتها في كُردستان.^{٩٠} وأصبح من الضروري أيضاً ان تُعوض روسيا القيصرية من خلال إلحاقها شمال بلاد فارس وكُردستان الشرقية، اللتين كانتا في الأصل ضمن مجال نفوذها قبل اندلاع الحرب.^{٩١} ان تقديم التنازل الأخير، كما أكد تقرير اللجنة، سيجعل فرض سيطرة بريطانية مباشرة على كُردستان الجنوبية ذا أهمية إضافية للوقوف بوجه أي توسع إقليمي روسي نحو الجنوب في اتجاه بغداد والبصرة.^{٩٢}

نصّ الخيار (B) على تقسيم الأقاليم العثمانية على مجالات مصالح خاضعة لسيطرة القوى الأوربية (انظر الخارطة رقم ٥).^{٩٣} فضلاً عن منح اسطنبول الى روسيا وولاية البصرة الى بريطانيا واحتمال منح أزمير الى اليونان، ستبقى بقية الأقاليم ضمن الإمبراطورية العثمانية من دون المساس بها. ومن المفترض ان يضم المجال البريطاني كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا، كما كان في المخطط الثاني من الخيار (A).^{٩٤} وكذلك تشابهت الدوافع البريطانية في الخيار (B) مع تلك التي كانت قائمة في الخيار (A). أما المجال الفرنسي فضمّ جزءاً كبيراً من كُردستان الشمالية. وبحسب هذا الخيار، كان بمقدور بريطانيا وحليفاتها التفكير في إجراء إصلاحات اجتماعية وإدارية معينة ضمن مجالاتها كي تضع حداً لسوء الإدارة التركية. وربما يتطلب إجراء مثل هذه الإصلاحات إقامة ((هيئة دولية دائمة)).^{٩٥} مع ذلك حذر تقرير اللجنة من ان تطبيق الخيار (B) قد ((يقود بسهولة الى وضع فوضوي)) في كُردستان وآسيا الصغرى ككل، نتيجة لإضعاف حكومة السلطان العثماني.^{٩٦}

⁹⁰ Ibid, Paragraph 34.

⁹¹ Ibid, Paragraph 41.

⁹² Ibid, Paragraph 43.

⁹³ Ibid, Paragraph 48.

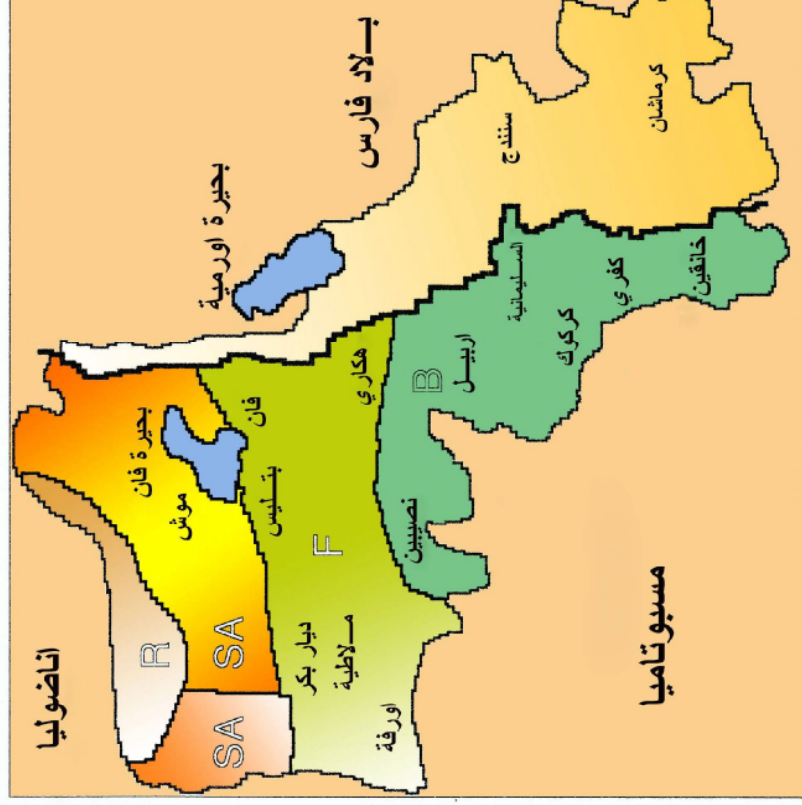
⁹⁴ Ibid, Paragraph 52.

⁹⁵ Ibid, Paragraphs 62-64.

⁹⁶ Ibid, Paragraph 67.

خارطة (4):خطة لجنة بونسن الثانية
لاحاق كردستان

فرنسا F
بريطانيا B
روسيا SA
الادارة الخاصة SA

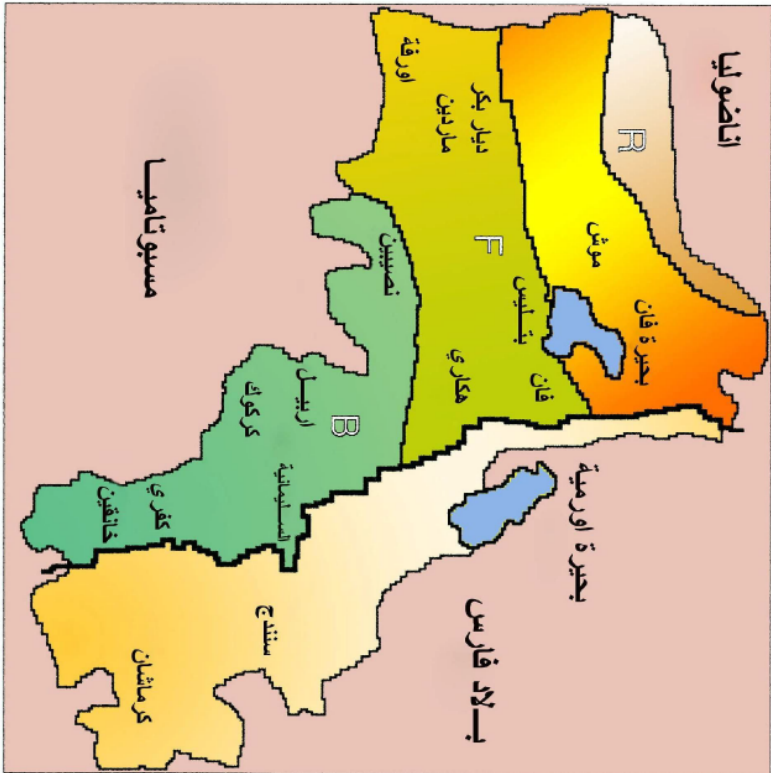


Source: Enlarged Extract,
CAB 37/1 PRO

الخارطة (5): مناطق المصالح في كريستان
بحسب توصيات لجنة بونسن

فرنسا F بريطانيا B
الإدارة الخاصة SA روسيا R

Source: Enlarged Extract,
CAB 37/1 PRO



استند الخيار (C) الى «توطيد إمبراطورية عثمانية مستقلة»، كما كانت هي قائمة آنذاك، باستثناء تنازل حكومة اسطنبول عن الأقاليم المذكورة آنفاً لبريطانيا وروسيا واليونان. وتوجّب على السلطات العثمانية ان تجري إصلاحات بشأن تحسين أوضاع رعاياها من الأرمن على ضوء التوجهات التي كانت قائمة في العام ١٩١٤. ولم توص اللجنة بتبني هذا الخيار خوفاً من حصول تداعيات، في مقدمتها تعزيز النفوذ السياسي الروسي والنفوذ الاقتصادي الفرنسي ووقعت سلسلة من حالات التمرد الداخلي في إمبراطورية عثمانية غير خاضعة للأصلاحات. ان التطور الأخير في حالة حدوثه ستجرّ عملياً الى تجزئة عشوائية غير منتظمة للإمبراطورية العثمانية، وهو الأمر الذي وجّب على بريطانيا تجنبه.^{٩٧} بتعبير آخر، عارضت بريطانيا أية تجزئة تلقائية لآسيا العثمانية أو ظهور كيانات سياسية وإدارية جديدة فيها، من دون ان تأخذ بنظر الاعتبار مسبقاً مصالحها الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

واستند الخيار (D) الى توطيد أركان إمبراطورية عثمانية مستقلة ذات حكومة قائمة على نظام اللامركزية. نظراً «لإنقسام تركيا الآسيوية أثنيًا وتاريخياً على خمسة ولايات كبيرة وهي أناضوليا وسوريا وارمينيا وفلسطين والعراق-الجزيرة»،^{٩٨} بحسب استنتاجات تقرير اللجنة، «فان على الحكومة العثمانية ان تتبنى قدراً من نقل السلطات لتلبية طموحات العرب والأرمن في امتلاك صوت في إدارة شؤونهم المباشرة».^{٩٩} في حالة فشله، فتح هذا المخطط الطريق أمام تشكيل «عدة دول تتمتع بحكم ذاتي»: تركيا الأصلية في أناضوليا وفدراليتين ارمنية وعربية خاضعة أسماً لحكم السلطان (انظر الخارطة رقم ٦).^{١٠٠} فضلاً عن ذلك، في حال انحلال الإمبراطورية العثمانية، سيكون بمقدور بريطانيا ان تنفذ سياستها الخاصة بولايات سوريا والعراق- الجزيرة، بما في ذلك الإعلان عنها «دولاً مستقلة» تحت حمايتها، أو «إلحاقها» أو تسميتها جزءاً من «مجال نفوذها» بحسب الظروف.^{١٠١}

في الوقت الذي رفضت فيه اللجنة الخيارات الثلاثة الأولى، أوصى تقريرها في نهاية الأمر بتبني الخيار الأخير، نظراً لأنه لن يُجبر بريطانيا على تحمل عبء مسؤوليات

⁹⁷ Ibid, Paragraphs 73-73.

⁹⁸ Ibid, Paragraph 81.

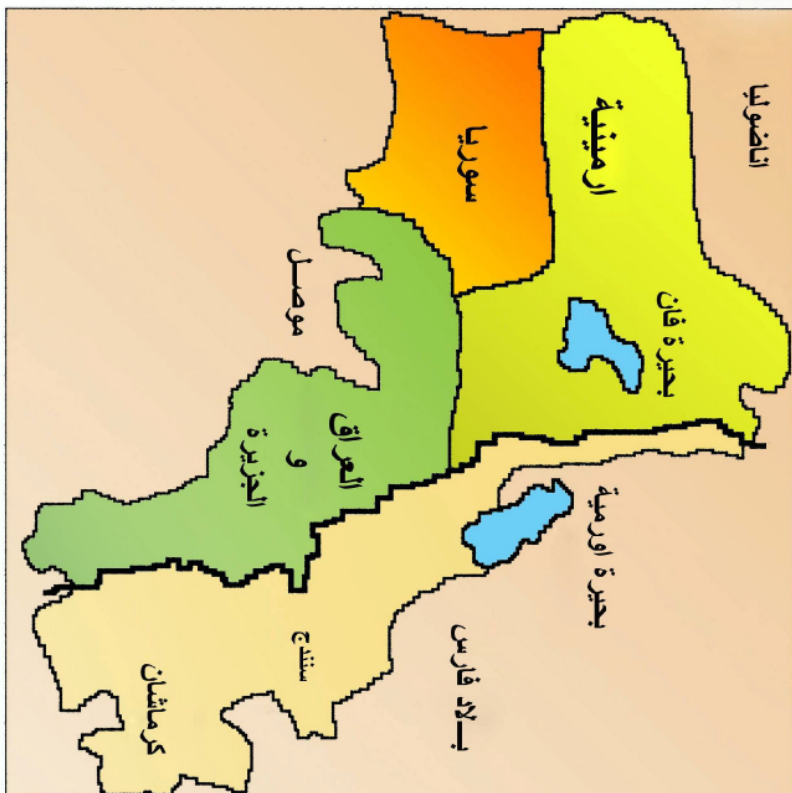
⁹⁹ Ibid, Paragraph 85.

¹⁰⁰ Ibid, Paragraph 87.

¹⁰¹ Ibid, Paragraph 88.

الخارطة (6): خطة لجنة بونسن للحكم
الذي في الامبراطورية العثمانية

Source: Enlarged Extract,
CAB 37/1, PRO



عسكرية مباشرة أو فورية في تلك المنطقة. كما انها منحت بريطانيا الأسلوب الأمثل في السيطرة على انحلال الإمبراطورية العثمانية في حالة حصوله بطريقة تخدم توطيد المصالح البريطانية الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية. استند الخيار الأخير، على ما يبدو، الى فكرة الحكم الذاتي للشعوب غير التركية. لكنه غُضَّ النظر عن الطموحات السياسية للكرد، الذين كانوا، بحسب زعم مارك سايكس، لا يمتلكون «إحساساً بالقومية» في أي شكل من أشكاله: «انه لأمر مستحيل ان تكون كردستان وطيدة. ليس هناك سبب يمنع توزيع الكرد حين تفرض الحدود ذلك أو لماذا ينبغي اعتبار الكرد شعباً في حاجة الى مساندة»¹⁰² «أي من خلال تشكيل كيان سياسي». بهذا الشكل، يعني الخيار (D) في التطبيق تقسيم كردستان العثمانية بين كيانات سياسية-أثنية جديدة، تكون فيه كردستان الشمالية جزءاً من ارمينيا وكردستان الجنوبية ضمن العراق-الجزيرة. والجدير بالإشارة انه بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، دعا موظفون بريطانيون الى تبني مخططات مماثلة حيث قدموا مسوغات شبيهة بتلك التي قدمها مارك سايكس.

٢- مراسلات حسين-مكماهون واتفاقية سايكس-بيكو

بدأت وزارتنا الخارجية والحرب بإجراء اتصالات رسمية بصورة مشتركة مع حسين بن علي، شريف مكة، في تموز عام ١٩١٥.¹⁰³ كان الهدف المباشر وراء إقامة تلك الاتصالات هو إقناع عرب آسيا في التخلي عن ولائهم الى حكومة الباب العالي، ومن ثم كسبهم الى جانب المجهود الحربي البريطاني ضد القوات التركية، في حين كانت غاية الشريف حسين من بناء علاقة مباشرة بالبريطانيين هي إنشاء دولة عربية كبرى بمساعدتهم في حالة إنهاء الوجود التركي في الولايات العربية. واللافت للنظر ان وزارة الهند قد أبدت معارضتها لفكرة كسب الدعم العربي خشية ان تتعارض الالتزامات السياسية المترتبة عليه مع مصالح بريطانيا الامبريالية لمرحلة ما بعد الحرب،¹⁰⁴ في مقدمتها عملية استعمار ميزوبوتاميا لصالح حكومة الهند.

¹⁰² Ibid, Appendix IX, Remarks on Sir A. Hirtzel's Note by Lieut.-Col. Sir M. Sykes, 15 March 1915, pp.100-101.

¹⁰³ Hurewitz, *Diplomacy in the Near and Middle East*, Vol. I, p.47.

¹⁰⁴ Ibid.

استمرت المراسلات الرسمية بين هنري مكماهون، المفوض السامي البريطاني في مصر، والشريف حسين نحو ثمانية أشهر (١٤ تموز ١٩١٥-١٠ آذار ١٩١٦)، تبادل خلالها الطرفان عشر رسائل. أكدت تلك الرسائل تخلي بريطانيا التام عن مبدأ حماية الوحدة الإقليمية للإمبراطورية العثمانية. في الوقت نفسه مثّلت الرسائل البداية التاريخية الفعلية للدعوات العربية في جزء كبير من كردستان العثمانية بذريعة كونها أرضاً عربية. لقد طالب الشريف حسين البريطانيين بالموافقة على إلحاق مناطق كردية عدّة بالدولة العربية المستقبلية حالما تنتهي الحرب (انظر الخارطة رقم ٧). بهذا الخصوص تضمنت الرسالة الأولى مقترحاً قدمه الشريف حسين:

**على انكلترا الاعتراف باستقلال البلدان العربية التي تحدها شمالاً مرسينا
واضنة الى خط العرض ٣٩، التي تقع عليها بيرجيك وماردين والجزيرة (ابن
عمر) والعمادية، حتى حدود بلاد فارس.^{١٠٥}**

في البدء، عدّت بريطانيا تعيين حدود الدولة العربية المستقبلية مسألة ((سابقة لأوانها))،^{١٠٦} في حين أصر الشريف حسين على مناقشتها أولاً، مدعياً انه لم يضع ((ضمن تلك الحدود)) مناطق يسكنها ((عرق أجنبي)).^{١٠٧} بعد حصول موافقة بريطانية مبدئية على مطالب الشريف حسين، قام مكماهون باستثناء مناطق عربية كاسكندرونة من الدولة العربية المستقبلية، في الوقت الذي لم يعترض فيه على ضمّ جزء كبير من كردستان الى تلك الدولة.^{١٠٨} لقد أسند الشريف حسين مطلبه بضم ولاية الموصل الى دولته العربية المستقبلية الى عوامل تاريخية وعاطفية بوصفها كانت جزءاً من الإمبراطورية العربية-الإسلامية في القرون الوسطى. وهي لذلك تمتلك قيمة خاصة عند العرب.^{١٠٩} ولمسألة حدود الدولة العربية أهمية خاصة لكونها قد أثّرت في مرحلة لاحقة من قبل الشريف فيصل بن حسين، حين كان حاكماً على سوريا في العام ١٩١٩ وحين أصبح فيما بعد ملكاً على العراق في العام ١٩٢١، بوصفه اعترافاً بريطانياً بالمطالب الشريفة الشرعية بإلحاق كردستان الغربية بسوريا الكبرى وكردستان الجنوبية بالدولة العربية في العراق العربي.

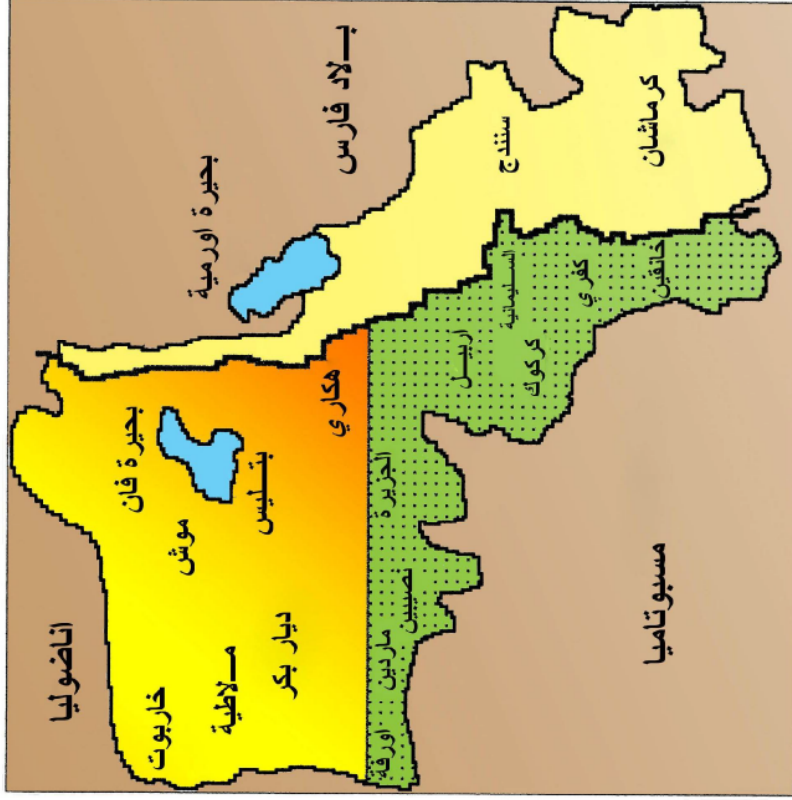
¹⁰⁵ Letter No.1, From Amir Abdullah to Ronald Storrs, The Correspondence between Sir Henry McMahon, His Majesty's High Commissioner at Cairo, and the Sharif Hussein of Mecca, July 1915-March 1916, Cmd 5957.

¹⁰⁶ Letter No.2, From Sir Henry McMahon to Sharif Hussein, 30 August 1915, ibid.

¹⁰⁷ Letter No.3, From Sharif Hussein, 9 September 1915, ibid.

¹⁰⁸ Letter No.4, From Sir Henry McMahon, 24 October 1915, ibid.

¹⁰⁹ Letter No.5, From Sharif Hussein, 5 November 1915, ibid.



الخارطة (7):مراسلات حسين مكماهون
(1915-1916)

ادعائات الشريف حسين
في كردستان



قبل مرور شهر واحد على إعلان الشريف حسين انتفاضته ضد حكومة السلطان العثماني، دخل وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وروسيا في اتصالات تمخضت عنها اتفاقية سرية بشأن تجزئة الإمبراطورية العثمانية. على النقيض من اتفاقية قسطنطينية، أتمت اتفاقية سايكس-بيكو (٢٦ نيسان- ٢٣ تشرين الأول ١٩١٦) والمعروفة أيضاً بالاتفاقية الثلاثية ((بعد دخول روسيا المفاوضات السرية التي كانت تجري بين المسؤولين البريطانيين والفرنسيين)) بكونها مخططاً شاملاً لتقسيم الإمبراطورية العثمانية. وكما شكلت هذه الاتفاقية تغييراً جذرياً في طبيعة الاهتمام البريطاني بكردستان العثمانية. فهي لم تشمل إخضاع جزء من كردستان تحت النفوذ البريطاني فحسب، بل حددت بصورة مباشرة وصريحة مصير باقي المناطق الكردية. جاءت بنود الاتفاقية الجديدة كحصيلة لتبادل ١١ رسالة بين الحلفاء الثلاثة: بريطانيا وفرنسا وروسيا. ويمكن عدّ الاتفاقية خطة عاجلة لتحديد مصير الإمبراطورية العثمانية سياسياً وإقليمياً لمرحلة ما بعد نهاية الحرب. كانت بريطانيا هي الطرف الذي اتخذت المبادرة بعدما استمرت الحرب على النقيض من توقعات الحلفاء المتفائلة حول انتهائها بشكل سريع وحاسم. وبالمقارنة مع توصيات لجنة بونسون التي فضلت خيار اللامركزية الإدارية، استندت اتفاقية سايكس-بيكو الى فكرة تقسيم الإمبراطورية العثمانية، حيث لم تعد المحافظة على وحدتها الإقليمية حجر الأساس في إستراتيجية بريطانيا الامبريالية، تلك الإستراتيجية التي بدأت تركز على إقامة مجال خاضع للسيطرة المباشرة ومجال آخر خاضع للسيطرة غير المباشرة في ميزوبوتاميا العربية وكردستان الجنوبية بغية إحكام قبضة البريطانيين على الممرات البحرية والبرية المؤدية الى مستعمراتهم في الشرق، خاصة الهند.

تضمنت النقاط الأولى والثانية والرابعة والتاسعة من الاتفاق البريطاني-الفرنسي أموراً تتعلق بمستقبل كردستان. واحتوت النقطة الأولى تعهداً بريطانياً-فرنسياً بشأن الاعتراف بدولة عربية مستقلة وحمايتها أو كونفدرالية من الدول العربية تحت حكم شيخ عربي في منطقتي (A) و(B). وسمحت النقطة الثانية لفرنسا وبريطانيا إقامة ((إدارة أو سيطرة مباشرة أو غير مباشرة)). ومنحت النقطة الرابعة بريطانيا حق ((تزود معين من مياه دجلة والفرات في المنطقة (A) الى المنطقة (B))), فضلاً عن فرض سيطرتها على حيفا وعكا. وفي النقطة التاسعة، وافقت فرنسا على عدم الدخول في أية مفاوضات أو التخلي عن حقوقها في المنطقة الزرقاء لصالح طرف

ثالث، باستثناء الدولة العربية أو كونفدرالية الدول العربية.¹¹⁰ أما الاتفاقية الثلاثية فقد منحت روسيا حق «الحاق» مناطق ارزوم وطرابزون وفان وبتليس حتى نقطة تحدد لاحقاً بالمقربة من سواحل البحر الأسود والى الغرب من طرابزون. وستفرض روسيا سيطرتها أيضاً على «منطقة كُردستان الى الجنوب من فان وبتليس، بين موش وسيرت ومجرى دجلة وجزيرة ابن عمر وخط اعالي الجبال المسيطرة على العمادية ومنطقة مرغافان*» (انظر الخارطة رقم ٨). واتفقت بريطانيا وروسيا كذلك على ان تبدأ «حدود الدولة العربية» من منطقة مرغافان ولتتبع خط اعالي الجبال، التي تفصل المناطق العثمانية عن المناطق القاجارية.¹¹¹ وأبدت بريطانيا وفرنسا رغبتهما على الخصوص في ان تستمر روحية التعاون والتشاور بينهما، التي سادت أجواء الاتفاقية، حتى في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب.¹¹²

لم يكن تجاهل المسألة الكردية الميزة الرئيسية في هذه الاتفاقيات السريّة فحسب، بل أيضاً استمرارية فكرة تجزئة كُردستان العثمانية. فضلاً عن ذلك، سعى مارك سايكس، من خلال تحويل كُردستان الجنوبية الى مجالين للنفوذ، واحدة بريطانية والأخرى فرنسية، خاضعتين أسماً لحكم عربي، الى التوفيق بين الادعاءات الفرنسية والبريطانية، من جانب، والطموحات الشريفية (نسبة الى الشريف حسين) في ذلك الإقليم، من جانب ثانٍ.¹¹³ وعلى ضوء كل ذلك، يُمكن القول ان اتفاقية سايكس-بيكو قد أكدت اهتمام بريطانيا المباشر في الأجزاء الجنوبية من كُردستان، على النقيض من الافتراضات التي قدمها دفيد مكدول.¹¹⁴ ففي النقطة الأولى من التفاهم البريطاني-الفرنسي، ضمت المنطقة (A) الخاضعة للنفوذ الفرنسي المنطقة الواقعة الى الغرب من نهر الزاب الصغير في كُردستان الجنوبية، في حين امتدت المنطقة (B) الخاضعة للنفوذ

¹¹⁰ Grey to Cambon, 16 May 1916, Tripartite (Sykes-Picot) Agreement on the Partition of the ottoman Empire: Britain, France and Russia, 26 April-23 October 1916, Documents on British Foreign Policy (DBFP), 1st series, Vol. IV, (ed) Woodward & Butler, p.24151.

* من المرجح أن يكون الاسم الصحيح لهذه المنطقة (مرگور) [الناشر]

¹¹¹ Edward Grey to Count Benckendorff, Russian Ambassador in London, 23 October 1916, ibid.

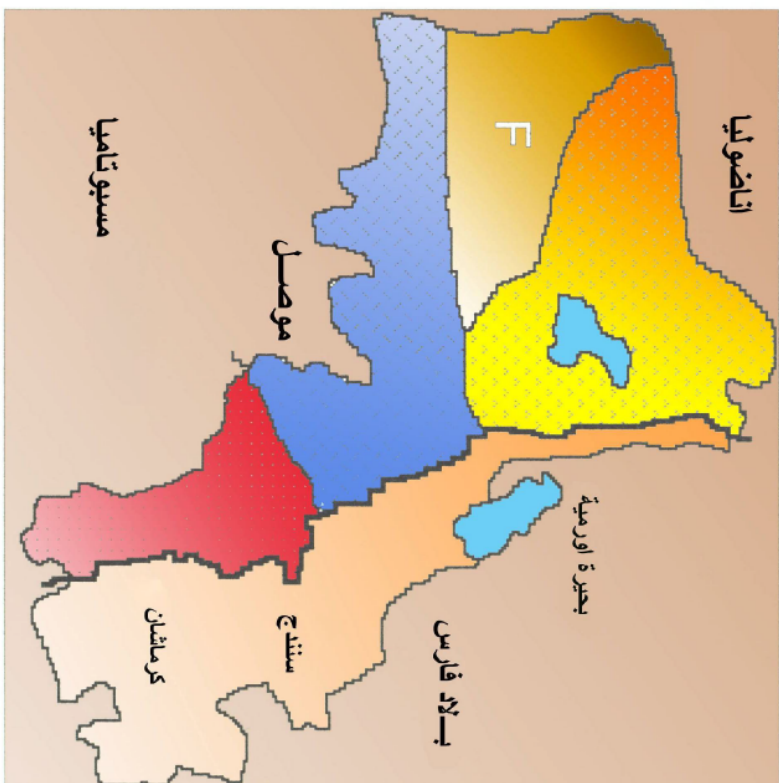
¹¹² Klieman, **Foundations of British Policy in the Arab World**, p.13.

¹¹³ Secret Memorandum for the War Department No.2522, 5 January 1916, F0371/2767, PRO.

¹¹⁴ McDowall, **A Modern History of the Kurds**, p.117.

الخارطة (8): تقسيم كردستان العثمانية بين الحلفاء بحسب اتفاقية سايكس بيكو الثلاثية

- منطقة النفوذ الفرنسي (المنطقة الزرقاء)
- منطقة النفوذ البريطاني (المنطقة الحمراء)
- السيطرة الروسية المباشرة
- السيطرة الفرنسية المباشرة F



البريطاني من المنطقة الواقعة الى الشرق من نهر الزاب الصغير حتى الحدود القاجارية- العثمانية في الغرب. وبحسب النقطتين الأولى والثانية من التفاهم البريطاني- الفرنسي، وجب على روسيا إلحاق الجزء الشرقي من كردستان الشمالية وشريط صغير من الأرض في أعالي كردستان الجنوبية.

ان هاتين النقطتين تكشفان، فضلاً عن النقطة التاسعة من التفاهم البريطاني- الفرنسي، عن مدى قلق وزارة الحرب البريطانية ولأسباب عسكرية من وجود تماس بري مباشر بين المناطق الخاضعة للنفوذ البريطاني وتلك التي هي ستخضع للسيطرة الروسية. ففي هذا الصدد، أشار التقرير النهائي للجنة بونسن بوقت مبكر الى وضع افتراضي وهو انه إذا أصبحت روسيا جاراً لبريطانيا في ميزوبوتاميا، فانه يتحتم على الأخيرة ان تأخذ بالحسبان، لدى وضعها ترتيبات عسكرية خاصة بالأراضي الملحقة الجديدة، ان روسيا «قد وضعت في ميدان (القتال) في منشوريا جيشاً زاد عن ثلاثة أرباع مليون رجل».¹¹⁵ ان ذلك التقرير النهائي يوحي ضمناً ضرورة ان تجنب بريطانيا وضعاً يكون لها حدود مشتركة مع روسيا لدى وضع ترتيبات إقليمية جديدة خاصة بالإمبراطورية العثمانية لمرحلة ما بعد الحرب. كان من المأمول، بحسب وجهة النظر البريطانية، انه بتحويل المنطقة (A) الى مجال للنفوذ الفرنسي والمنطقة الزرقاء الى مجال للسيطرة الفرنسية المباشرة سينشأ حاجز يقف في طريق أي توسع إقليمي روسي في اتجاه الجنوب، حيث تقع المناطق الخاضعة للسيطرة البريطانية المباشرة وغير المباشرة.

وعلى الرغم من ان بريطانيا وضعت ضمن مجال نفوذها (أي المنطقة B) منطقة كركوك الكردية التي ساد التوقعات حول وجود البترول فيها، ظلت البحرية البريطانية توجه انتقاداتها ضد طريقة تجزئة ولاية الموصل بين بريطانيا وفرنسا. لقد أرادت البحرية ان تسيطر بريطانيا لوحدها على المصادر البترولية المحتملة الواقعة الى الشمال من نهر الزاب الصغير والى الجنوب منه. ففي مذكرة الى حكومة المصغرة (Cabinet)، كرّر الأدميرال إدموند سلد أهمية البترول بالنسبة الى خطط البحرية الخاصة بتحديث أسطولها ومؤكد الحاجة الماسة الى تأمين امتيازات بترولية في ميزوبوتاميا وفي أماكن أخرى.¹¹⁶ ومن الجدير بالإشارة ان الحسابات البترولية هي

¹¹⁵ The Bunsen Committee-, op. cit., Paragraph 43.

¹¹⁶ Vice Admiral Edmond Slade, Memorandum on The Political Position in the Persian Gulf at end of the War (Cabinet Paper, G118) 31 October 1916, CAB21/119, PRO.

التي جعلت البحرية، بقيادة وينستون تشرشل، تحت حكومة الهند في البداية على إعداد حملة عسكرية لغزو ميزوبوتاميا بهدف حماية حقول البترول الواقعة في جنوب بلاد فارس.¹¹⁷ ومع استمرار الحرب، نالت وجهة نظر البحرية تأييداً من دوائر رسمية أخرى في لندن، منها وزارة الطيران والاهم منها وزارة الخارجية. وشكلت الحرب عاملاً جديداً من حيث إبرازها حاجة بريطانيا الماسة الى تأمين مصادر بترولية في ظروف الحرب، وان ذلك الأمر لا يمكن تحقيقه إلا في حالة فرض بريطانيا لسيطرتها المباشرة وغير المباشرة على مناطق يتوقع وجود مصادر بترولية فيها، مثل ولاية الموصل.

الاحتلال البريطاني لكردستان الجنوبية، ١٩١٧-١٩١٨

١- بريطانيا والشؤون الكردية عُشية وقوع الحرب العالمية الأولى

اعتبر القوميون الكرد وصول لجنة الاتحاد والترقي الى السلطة في اسطنبول في شهر تموز من العام ١٩٠٨ فرصة ثمينة لوضع حل للمسألة الكردية بوسائل سياسية سلمية. وكان لثورة تركيا الفتاة وقع عظيم بين سكان الأقاليم غير التركية الخاضعة للإمبراطورية العثمانية. ومنذ بدايتها، ضمت لجنة الاتحاد والترقي العديد من الكرد في قياداتها وقواعدها على حد سواء. وجاء اثنان من مؤسسي تلك اللجنة وهما إسحاق سكوتي وعبدالله جودت من أصول كردية. كما انضم قادة قوميون كرد بارزون الى اللجنة، منهم عبد الرحمن بدرخان والشيخ قادر، ابن الشيخ عبيد الله النهري. كان الأول قد حضر مؤتمر الفتاة تركيا الليبرالية في باريس في العام ١٩٠٢، في حين نفي الثاني بعد تورطه في محاولة لجنة الاتحاد والترقي في قلب حكم السلطان عبد الحميد في العام ١٨٩٦.¹¹⁸ تأثر القوميون الكرد، على غرار نظرائهم العرب والأرمن، بوجود المؤسسات الديمقراطية الأوربية وانتشار المفاهيم الليبرالية حول المساواة وحقوق الفرد وحق الشعوب في تقرير مصيرها القومي، لدى قيامهم بمعارضة حكم السلطان عبد الحميد الاوثقراطي. ومكنت ثورة ١٩٠٨ القوميين الكرد من إقامة منظمات سياسية وجمعيات ثقافية ونوادي اجتماعية تعمل على ترويج فكرة منح الشعب الكردي حكماً ذاتياً على الصعيدين السياسي والثقافي. في تلك السنة، أسس أمين عالي بدرخان والشيخ قادر والمارشال أحمد ذوالكفل باشا والجنرال شريف باشا

¹¹⁷ Kent, *Moguls and Mandarins*, p.24.

¹¹⁸ Ernest E. Ramsaur, *The Young Turks: Prelude to the Revolution of 1908*, [Princeton: Princeton University Press, 1957, p.38.

خندان أولى المنظمات السياسية الكردية سُميت بجمعية سمو كُردستان وارتقائها (تعالى وترقى كوردستان)،¹¹⁹ لتظهر بعدها جمعيات سياسية وتجمعات ثقافية كُردية فعالة أخرى، مثل جمعية نشر التعليم الكُردى (كورد نشري معرفت جمعيتي) وجمعية الأمل الكُردى (هيفى كورد جمعيتي)*.

سرعان ما سبب تحول لجنة الاتحاد والترقى من النزعة الليبرالية الى النزعة التسلطية ومن النزعة العثمانية الى النزعة الاقصائية الطورانية بعد استيلائهم على السلطة خيبة أمل لدى نُخب القوميات غير التركية. ولم يتوان قادة نظام تركيا الفتاة الجديد عن شن حملة قمعية واسعة بدون تمييز ضد جميع العناصر الليبرالية والقومية من الأثنيات والأديان المختلفة. نتيجة لذلك، أغلقت الجمعيات الاجتماعية والمنظمات السياسية والأندية الثقافية الكُردية الحديثة التأسيس، ومُنعت جميع النشاطات الأخرى بما في ذلك إصدار المطبوعات الكُردية. لذلك اضطرت الحركة القومية الى العمل بشكل سرّي، على غرار الحركات القومية غير التركية. ويُذكر ان حكومة تركيا الفتاة أصدرت حكماً بالإعدام ضد أمين بدرخان وشريف باشا اللذين تركا البلاد.¹²⁰ واضطر عدد آخر من القوميين الكُرد، كثرىا بدرخان، الذهاب الى المنفى من أجل استئناف نشاطاتهم السياسية.

وقع عدد من الشخصيات القومية الكُردية بحكم وجودهم في المنافي الخارجية، خاصة في بلدان أوروبا الغربية، تحت تأثير المفاهيم الحديثة عن حق الشعوب الخاضعة في تقرير مصيرها وحق الأفراد في المساواة أمام القانون، وعزز هذا العامل بدوره من إيمان تلك الشخصيات بضرورة تدويل قضية مستقبل الشعب الكُردى عن طريق كسب دعم قوى الحلفاء وتعاطفهم في المؤتمرات الدولية الخاصة برسم مستقبل الأقاليم غير التركية التابعة للإمبراطورية العثمانية. وكما تم التنويه إليه آنفاً، فشل الشيخ عبيد الله النهري قبل أربعة عقود تقريبا من ذلك في إقامة صلات قوية مباشرة مع القوى الأوربية الكبرى،

¹¹⁹ شيركو بليج، القضية الكُردية: ماضي الكُرد وحاضرهم، القاهرة: مطبوعات خويبون، رقم ٥، السعادة، ص٥١-٣٤٩-٣٥٠. زكي، خلاصة تاريخ الكُرد وكُردستان، ص٣٤٩-٣٥٠.

* الأسماء الصحيحة للجمعيات الثلاث الوارد ذكرها أعلاه هي على التوالي: جمعية التعاون والترقى الكردى- كورد تعاون وترقى جمعيتي، جمعية نشر المعارف الكردية- كورد نشر معارف جمعيتي وجمعية هيفى للطلبة الكرد- كورد طلبه هيفى جمعيتي. [الناشر]

¹²⁰ W.G. Elphinston, 'The Kurdish Question' International Affairs, XXII (January 1946), p.94.

خاصة بريطانيا، من اجل الحصول على دعمها لمشروع إقامة كردستان مستقلة موحدة، وذلك بسبب تضارب مصالح تلك القوى مع مشروعه السياسي.

ان التوجه السياسي نحو الخارج لدى أغلب الحركات القومية الكردية قد تأثرت بعاملين رئيسيين، تمثّل الأول بمواجهتها قوتين معاديتين كبيرتين وهما الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية. وأما العامل الثاني فتمثل بموقع كردستان الجيوسياسي حيث كانت (ومازالت) بلداً منغلِقاً يفتقد الى منفذ خارجي يؤدي الى البحر ومُحاطاً بدول معادية من كافة الجهات. ولكي ينجح القوميون الكرّد في كفاحهم من أجل تحقيق التطلعات القومية الكردية، أدركوا ان الحصول على المساندة الخارجية هو أمر حيوي جداً إذ يُسهل عليهم التغلب على جملة مصاعب سياسية ودبلوماسية. ويقدر ما تعلق الأمر بالعامل الخارجي، اقتصرت خيارات القوميون الكرّد على (١) طلب المساعدة من بريطانيا العظمى بوصفها أقوى الدول الليبرالية أو (٢) طلب مساندة روسيا القيصرية بوصفها القوة الأقرب جغرافياً الى كردستان. وهذان الخياران يعكسان شروطاً سياسية وظرفاً جغرافية سائدة آنذاك. ولكن كل ذلك لا يعني بالضرورة أن للقوميين الكرّد إستراتيجية واضحة المعالم نحو القوى الأوربية الكبرى أو أسلوباً مشخِصاً في كيفية التعامل معها، وإنما تُدلل على وجود وعي عام لدى الأوساط القومية الكردية بأهمية العامل الدولي وضرورة استغلال الفرصة التي أحدثتها التحولات المفاجئة في العلاقات الإقليمية والدولية، وكذلك تجنب حدوث أي تضاد بين التطلعات القومية الكردية ومصالح قوى الحلفاء في كردستان.

على الرغم من بذل مساع عديدة من اجل الحصول على مساندة خارجية، لم تُبد أي من القوى الأوربية الكبرى استعدادها لدعم القوميون الكرّد قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، باستثناء روسيا القيصرية، التي جعلها موقعها الجغرافي القريب من كردستان عاملاً خارجياً يُمكنه التأثير في الوضع الكردي إذا دعت الضرورة الى ذلك. واجبر الضعف الذي أصاب الحركة القومية الارمنية داخل الولايات الشرقية روسيا القيصرية على اللجوء الى الكرّد كأداة لإضعاف السيطرة التركية على تلك الولايات، دون ان تُلزم نفسها بوعود واضحة ومحددة تتعلق بمصيرهم السياسي. بمساعدة روسية مباشرة، في صيغة أسلحة وأموال، قام الأمير عبد الرزاق بدرخان، احد القوميون الكرّد ودبلوماسي سابق في السفارة العثمانية في سان بطرسبورغ، بتنظيم حركة سرّية

معادية للأتراك، ضمت ضباطاً كرداً عملوا في الجيش العثماني وقادة قبليين من مناطق تبليس ووان وبوتان. سعى عبد الرزاق من وراء حركته السياسية المسلحة الى إنشاء حكم كردي تحت حماية روسيا، بحسب المصادر البريطانية.^{١٢١} وبهذا الصدد، اعتقد نوثيل بوكسون، بعد زيارته ارمينيا في العام ١٩١٣، ان غاية روسيا من وراء دعم الحركة القومية الكردية هي منع الكرد من «التوصل الى اتفاق مع الأتراك او مع المسيحيين لكي تبقى متمسكة بذريعة تمكنها من التدخل».^{١٢٢}

وفي نيسان العام ١٩١٣، قاد عبد الرزاق بدرخان انتفاضة كردية منظمة في كردستان الشمالية، سرعان ما امتدت الى مناطق أخرى في كردستان الجنوبية. شارك في تلك الانتفاضة شخصيات قومية كردية جاءت من كردستان الشرقية في مقدمتهم السيد طه، حفيد الشيخ عبيد الله النهري، وإسماعيل آغا سمكو، زعيم فدرالية الشكاك القبلية. يبدو ان القوميين الكرد كانوا يأملون في ان يؤدي تقهقر تركيا العسكري في منطقة البلقان في ١٩١٢-١٩١٣ ومناشدتهم للأرمن ولبقية الجماعات المسيحية من اجل الانضمام الى الانتفاضة المسلحة، وهي الخطوة التي استهدفت طمأنة القوى الأوربية بشأن غايتهم السياسية، الى ظهور دعم دولي واسع للمسألة الكردية. ويذكر ان القنصل البريطاني في مدينة الموصل، الذي كان يراقب عن كثب سير الأحداث الملتهبة في كردستان، قد رفض تماماً الادعاءات التركية بأن تلك الانتفاضة مجرد مؤامرة روسية، حيث أكد على جذورها المحلية والمتمثلة بنهج حكومة تركيا الفتاة المعادي للكرد.^{١٢٣}

وفي أعقاب فشل حركة عبد الرزاق بدرخان في تحقيق هدفها، اندلعت انتفاضة كردية غير موفقة في تبليس قبل ان تمتد الى كردستان الجنوبية. وشهدت الأخيرة انتفاضة محلية أشعلها البارزانيون في ربيع العام ١٩١٤. وبحسب ما يذكره كمال مظهر، طلب قائد الانتفاضة البرزانية، عبد السلام، مساعدات بريطانية وروسية.^{١٢٤} وأما المناطق المنخفضة من كردستان الجنوبية فكانت مسرحاً دائماً لتمرد عشائر

¹²¹ G. Lowther to Edward Grey, Pera, 9 December 1911, Enclosure 2 in No.1, from Acting Vice Consul Safrastian to Consul McGregor Bitlis, 17 November 1911, F0371/1263, PRO.

¹²² Noel Buxton, 'The Russians in Armenia', pp.1362-1363.

¹²³ G. Lowther to Edward Grey, Constantinople, 22 May & 8 August 1913, F0371/1773, PRO.

¹²⁴ Ahmad, *Kurdistan during the First World War*, p.67.

الهماوند، ودخلت عشائر الجاف ومنطقة باجلان في مصادمات مسلحة مستمرة مع السلطات المحلية التركية.^{١٢٥}

عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى، أجرى الشيخ محمود الحفيد، وهو الشخصية الاجتماعية والقومية الأكثر نفوذاً في كردستان الجنوبية، اتصالات أولية مع القوى الأوربية عن طريق ممثلي اللجنة الدولية الروسية- البريطانية المشتركة الخاصة بتثبيت الحدود، التي كانت تسعى الى حل النزاع الحدودي القائم آنذاك بين الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية. وتطلع الشيخ محمود من وراء اتصالاته الى إقناع الأوربيين بدعم مساعيه لإخراج الأتراك قسراً من كردستان الجنوبية.^{١٢٦} وكان الجانب الروسي هو الذي أبدى بعض الاهتمام بعرض الشيخ محمود حيث اتصل به بصورة سرية ممثلو القنصليات الروسية الموجودة في تركيا وإيران. مع هذا، لم يخرج الشيخ محمود بنتيجة تُذكر من تلك الاتصالات. وأبدت قبائل كردية رئيسية في كردستان الجنوبية، مثل الهماوند والجاف والدرزئي، رغبتها هي الأخرى في نيل دعم روسيا ضد الأتراك.^{١٢٧} وفي كردستان الشرقية، سادت الفوضى السياسية مع تسارع وتيرة تدهور نفوذ الحكومة القاجارية. باختصار شديد، هكذا كان حال النشاط القومي الكردي وتمرد القبائل الكردية عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى.

٢- إندلاع الحرب العالمية الأولى والوضع الكردي

أدى اندلاع الحرب العالمية الأولى ووصوله الى الأقاليم الآسيوية العثمانية الى خلق ظروف جديدة جعلت النخبة الكردية التقليدية والحديثة تؤمن بإمكانية استغلالها في تحقيق تطلعاتها السياسية القومية إذا ما ضمنت دعم قوى الحلفاء. ففي ربيع العام ١٩١٥، اندلعت انتفاضة كردية في منطقة درسيم، استطاع خلالها المنتفضون الكردي طرد القوات التركية لمدة عام. وانتفض الكرد الدرسييون للمرة الثانية في صيف العام ١٩١٧، وتبعهم سكان خربوت الكردية. وفي شهر آب من العام نفسه، انتفض أهالي دياربكر وماردين، ومن ثم سكان بتليس ضد حكومة السلطان. وكان القاسم المشترك بين هذه الانتفاضات هو غياب الدعم الخارجي، باستثناء انتفاضة آب العام

¹²⁵ Cox, Memorandum, 7 December 1918, F0371/3407, PRO.

¹²⁶ هاوار، محمد رسول، شيخ محمودى قارهمان و دموله تمكى خواروى كوردستان، ج ١، لندن: جاف برس، ١٩٩٠، ص ١٨٤.

¹²⁷ Cox, Memorandum, 7 December 1918, F0371/3407, PRO.

١٩١٧ التي تلقت دعماً روسياً محدوداً للغاية. ان غياب الدعم الخارجي يُفسر جزئياً لماذا فشلت تلك الانتفاضات الكُردية، وهذا بدوره رسخ الاعتقاد بعدم نجاح تلك الجهود إلا إذا تلقت المسألة الكُردية دعماً خارجياً مادياً وسياسياً. ومنحت الحرب العالمية الأولى القوميين الكُرد الموجودين في الخارج، مثل ثريا بدرخان في مصر والجنرال شريف باشا في أوروبا المعروفين بمعاداتهما الشديدة لحكومة تركيا الفتاة، فرصة إجراء اتصالات مع السلطات البريطانية.

دفعت الحاجة العسكرية لإضعاف جبهة العدو التركي بالروس الى مناقشة المحليين الكُرد من اجل نيل دعمهم. وهذا التوجه فرضته أيضاً طموحات روسيا الإقليمية التي أكدتها بنود اتفاقية سايكس-بيكو الثلاثية. تلك الاتفاقية التي وضعت جزءاً كبيراً من كُردستان العثمانية تحت سيطرة روسيا المباشرة. لكن، سياسة الاحتلال القائمة على التدمير والنهب، التي اتبعتها روسيا، ودعم مهاجمة المسلحين المسيحيين للمسلمين الكُرد أدت الى نفور الكُرد منهم. أما البريطانيون فكانوا يراقبون عن كثب التطورات الجارية في كُردستان التي سادت الفوضى مدنها وقصباتها. وعكس هذا الأمر اهتمام البريطانيين بمستقبل الأقاليم العثمانية والقاجارية، على المدى الطويل، وكذلك بوضعهم قواتهم المتقدمة في شمال ميزوبوتاميا، على المدى القصير.

مع ذلك، لم يُبد البريطانيون اهتماماً يذكر بوضع ترتيبات سياسية مع القادة القوميين الكُرد التي من شأنها ان تُلبي مصالح الطرفين الآنية أو المستقبلية، كما كان الحال في الجزيرة العربية التي شهدت دعماً بريطانياً لثورة الشريف حسين يستند الى اتفاق ثنائي عام. واقتصرت نشاطات البريطانيين على نيل ولاء أهالي بعض المناطق في كُردستان الشرقية. وهذا الأمر فرضته حاجة البريطانيين الى تعزيز أمن مصالحهم في منطقة الخليج وحقول بترول إقليم خوزستان في جنوب إيران، وكذلك تأمين خط اتصال مباشر لهم مع حلفائهم الروس الموجودين في المناطق الكُردية الشمالية. وأبدى البريطانيون قلقهم من النجاح الذي كان يحققه العملاء السريون الألمان في إقناع بعض القبائل الكُردية، كالسنجابيين، بالعمل ضد القوات الروسية. وتمكنت تلك القبائل من منع حدوث اتصال بري بين القوات الروسية والقوات البريطانية الموجودة في ميزوبوتاميا. باختصار، ظلّ البريطانيون يتجنبون أي تورط مباشر في الشؤون

الكردية الداخلية طوال الأعوام الثلاثة الأولى من الحرب. وتشير مذكرة بريطانية بهذا الصدد الى الآتي:

حتى هذه الفترة (أي احتلال بغداد في آذار العام ١٩١٧) لم تكن الإدارة المدنية (البريطانية) بحاجة الى الاهتمام بالشؤون الكردية. كان قد أقر منذ أوائل العام ١٩١٤ ان تقدم (القوات البريطانية) نحو بغداد، او حتى نحو الموصل، وربما سيجعلنا على اتصال مع الكرد. ولكن هذا الاحتمال كان يبدو بعيداً في شهر كانون الأول من العام ١٩١٤، حين عرض شريف باشا خدماته على القوات (البريطانية). فبالرغم من كونه رجلاً مرموقاً وعدواً لدوداً للنظام الجديد في تركيا، وجد من الضروري ان يُرفض عرضه، لأنه حتى لو كان هناك احتمال لتقدم (بريطاني) نحو بغداد في تلك الفترة، فان الفرصة لم تكن قائمة للتحرك الى ما وراءها (بغداد)، حتى الجماعات الكردية، التي كان بالإمكان ملاقاتها ما بين العمادية وبغداد، لم تكن ذات أهمية إطلاقاً.^{١٢٨}

في الوقت نفسه الذي حفز فيه الاحتلال البريطاني لبغداد الأسر الكردية المعروفة فيها أو في أطرافها على طلب الحماية البريطانية للشعب الكردي (على شاکلة الحماية التي وفرتها فرنسا للجماعات المسيحية في الأقاليم العثمانية) ومساندة قيام كونفدرالية كردية،^{١٢٩} فانه عمل على تغيير موقف المسؤولين البريطانيين الميدانيين اتجاه أهمية كردستان الجنوبية من الناحيتين العسكرية والسياسية بالنسبة الى أمن ميزوبوتاميا:

مع احتلالنا لبغداد وتقدمنا اللاحق صعوداً في اتجاه ديالى، اكتسبت المشاكل المرتبطة بكردستان اهتماماً جديداً وحيوياً بالنسبة إلينا، ليس فقط، بسبب متطلبات الوضع العسكري المباشرة بل وأيضاً بسبب اليقين المتزايد من ان الكرد لن يكونوا الجيران في فترة الحرب فقط وإنما أيضاً سيتحول بعضهم الى رعايا (بريطانيين) دائمين فيما بعد. ولم يكن بالإمكان، في ذلك الوقت، المغالاة في تقدير أهمية تأمين دعم (الكرد) وثقتهم.^{١٣٠}

¹²⁸ Ibid.

¹²⁹ Political, Baghdad, to Secretary of State (SIS) for India (No-9915) 16 November 1918, AIR20/512, PRO.

¹³⁰ Precis of-Affairs in Southern Kurdistan during the First World War, Office of The Civil Commission, Baghdad, 1919, F0371/4192, PRO, p.3.

أصبحت السلطات البريطانية الميدانية قلقة بشكل متزايد بشأن الآثار السلبية التي كانت تتركها السياسات الروسية القاسية في كردستان الجنوبية وكردستان الشرقية، التي أفاد منها الأتراك. وبدأت سياسات حلفائهم الروس تؤثر في سمعة البريطانيين ومصداقيتهم بين السكان الكُرد،^{١٣١} الذين كانوا قد أعلنوا قبل ذلك بأنهم لن يرحبوا بتقدم قوات الحلفاء نحو مناطقهم فحسب، بل وسينتفضون أيضاً ضد الأتراك.^{١٣٢} وأكد برسي كوكس، الموظف السياسي الرئيس في ميزوبوتاميا، القيمة الكبيرة لـ(النية الحسنة) للكُرد تجاه البريطانيين في ميزوبوتاميا،^{١٣٣} ولهذا أوصى بإقامة مكتب كُردِي (Kurdish Bureau) في بغداد، مهمته التأثير في مواقف الكُرد الجنوبيين عن طريق الدعاية وتوزيع الأموال بغية كسبهم الى جانب البريطانيين في القتال ضد الأتراك.^{١٣٤} مع ذلك، لم يكن بإمكان البريطانيين التدخل في شؤون الأهالي من الكُرد الخاضعين للاحتلال العسكري الروسي، وذلك لأن الجوانب العسكرية من اتفاقيات الحلفاء خلال الحرب منعت البريطانيين من التدخل في شؤون أية منطقة تخضع للاحتلال الروسي حتى وإن كانت ضمن مجال النفوذ البريطاني.^{١٣٥}

كانت الحكومة البريطانية تخشى فعلاً من احتمال الدخول في «مصادمات جدية مع الروس» خلال الحرب، في الوقت الذي كانت هي في حاجة ماسة إليهم لمحاربة الأتراك في كردستان.^{١٣٦} لذلك، امتنع البريطانيون عن بسط سيطرتهم على مناطق كُردية مهمة، مثل بدرة وقزلباط وسلسلة جبال حميرين، لكي لا يغضب الروس. وكان إخلاء القوات الروسية لمواقعها في المناطق الكُردية القريبة من بغداد وعودة الأتراك إليها مجدداً هو العامل الذي اجبر البريطانيين على دخول كردستان الجنوبية في نهاية العام ١٩١٧، أملاً في تعزيز أمن ميزوبوتاميا العربية. فضلاً عن ذلك، أدى وصول البلشفيين الى السلطة في روسيا ومن ثم انسحاب جيوشها من الحرب الى خلق فراغ عسكري وسياسي خطير في كردستان الجنوبية والشرقية. وهذا التطور المفاجئ عرض الوجود البريطاني في المناطق المجاورة والقريبة الى تهديدات تركية جدية.

¹³¹ Cox, Baghdad, 18 May 1917, AIR20/504, PRO.

¹³² Precis of Affairs ..., op. cit., p.3.

¹³³ Cox, Memorandum, 7 December 1918, F0371/3407, PRO, p.6.

¹³⁴ Cox, Baghdad, 18 May 1917, AIR20/504, PRO.

¹³⁵ Precis of Affairs ..., op. cit., p.2.

¹³⁶ Ibid, pp.3 & 5.

وبتعبير آخر، لم تكن فكرة الزحف شمالاً نحو كردستان الجنوبية ضمن مخططات البريطانيين الأولية.

حالما بدأت القوات البريطانية بالتقدم في اتجاه الشمال، سارعت شخصيات من مناطق كردية عدة، كخانقين وكفري وكركوك والسليمانية، الى إبداء استعدادها للتعاون معها ضد الأتراك. وأشار الكولونيل ويلسون، خليفة كوكس في إدارة ميزوبوتاميا العربية، في احد تقاريره المؤرخة ١٥ تشرين الأول ١٩١٨ الى ان غالبية القبائل الكردية الموجودة الى الشرق من نهر الزاب الصغير كانت «معادية للأتراك بفاعلية» وإنهم «متحمسون للتخلي عن ولائهم الى تركيا والوقوف تحت النفوذ البريطاني».^{١٣٧} ان الطريقة التي تقدم بها البريطانيون نحو الشمال واحتلالهم لمدن كردية رئيسة، كخانقين وكفري وكركوك، من دون ان يواجهوا مقاومة تُذكر ترجع أسبابه جزئياً الى رفض الكرد مساعدة الأتراك سواء بالمقاتلين الرجال أو بالموثونة. فالقبائل والطوائف الكردية القوية، مثل الداوديين والطالبانيين، قاومت جميع محاولات الأتراك لإجبارها على إرسال الموثونة أو الرجال دعماً لمجهودهم الحربي. وعرض الهماونديون الكرد على القوات البريطانية تزويدهم بالموثونة في الوقت نفسه الذي رفضوا فيه إرسال أي شيء الى الجانب التركي.

ومن اجل تفادي الضغوط التركية لإرغامها على تسليم الأغذية، قامت القبائل الكردية الصغيرة، خاصة في منطقة كفري، بترك المناطق الخاضعة للسيطرة التركية لتتجه الى مناطق أخرى خاضعة للسيطرة البريطانية.^{١٣٨} وأرجعت مذكرة بريطانية فشل الدعاية التركية في تعبئة السكان الكرد ضد القوات البريطانية الزاحفة شمالاً الى مواقف رجال الدين الكرد المعادية للأتراك، الذين رفضوا إطلاق دعوة «الجهاد» عند مطالبة الأتراك لهم بذلك. وصرح هؤلاء بأن الحرب التي دخل فيها الأتراك هي حرب من اجل «زيادة شانهم»، وأنهم «أعداء الكرد بالتوارث».^{١٣٩} وأدت المواقف الكردية المعادية للأتراك بعض الدور في إرغام الأتراك على القيام بانسحاب عاجل من كردستان الجنوبية دون إبداء مقاومة حقيقية، على النقيض مما فعلوه في ميزوبوتاميا العربية.

¹³⁷ Political, Baghdad, 15 October 1918, F0371/3407, PRO.

¹³⁸ Precis of Affairs ..., op. cit., p5.

¹³⁹ Cox, Memorandum, 7 December 1918, F0371/3407, PRO, p.6.

على الرغم من سياسات الاحتلال الوحشية التي اتبعتها القوات الروسية في مناطقهم، لم يفقد الكُرد الثقة والأمل في ان يسمح لهم البريطانيون بإقامة حكم ذاتي كُردبي بعيداً عن أي تسلط تركي. وتصاعدت الآمال الكُردية بشكل ملحوظ تحت تأثير دعايات الحرب التي أطلقها البريطانيون بعد دخولهم مدينة بغداد في العام ١٩١٧. وصرحت جريدة (تيگهيشتنى راستى = فهم الحقيقة) التي صدرت باللغة الكُردية في عددها الأول في ١٢ كانون الأول ١٩١٨ انه:

حالما ستربح بريطانيا الحرب... فإنها ستخلص أمم العالم أجمع من دون استثناء، خاصة عرب وكُرد وميزوبوتاميا وجيرانها، من الشقاء لتمنحهم فرحة التحرير والحرية والوحدة. ان تحقيق مثل هذه المطالب المقدسة سيكون مستحيلاً من دون مساعدة حكومة عادلة، كحكومة بريطانيا العظمى، تُعامل (البشر) بصورة متساوية.^{١٤٠}

أخذ الكُرد هذه الوعود محمل الجد. فحين حاول البريطانيون بسط سيطرتهم السياسية، لم يجدوا أنفسهم في موقف يدعوهم الى إرسال قوات عسكرية إضافية لاحتلال المدن والقرى الكُردية، التي حُررت من الأتراك بمبادرات محلية، كما كان الحال في السليمانية وكويسنجق ورائية وراوندوز.^{١٤١}

٣- الشيخ محمود الحفيد والتقدم البريطاني نحو كُردستان الجنوبية

من المهم جداً، في سياق تفسير الظروف المحيطة بمد النفوذ البريطاني الى مناطق كُردستان الجنوبية، تسليط الضوء على نشاطات الشيخ محمود الحفيد ومواقفه لما أداه من دور مؤثر وواضح في صياغة العلاقات البريطانية- الكُردية في مراحلها المبكرة. بفضل مكانته الدينية البارزة وموقعه الاجتماعي كاستقراطي عراقي كبير ودوره السياسي المشهود خلال المراحل الأولى من الحرب، كان الشيخ محمود الشخصية الكُردية الأوسع نفوذاً والأرقى سمعة من غيره في كُردستان الجنوبية سواء خلال فترة الحرب أو في أعقابها.^{١٤٢} ان المساعي السياسية التي بذلها الشيخ خاصة خلال فترة الحرب هي التي جعلت من مدينة السليمانية مركزاً مهماً للحركة القومية

¹⁴⁰ Quoted by Ahmad, *Kurdistan During The First World War*, p-107.

¹⁴¹ Political, Sulaimaniya, to Political, Baghdad, 19 November 1918, AIR20/512, PRO.

¹⁴² حلمي، رفيع، *ياداشت*، ج١، بغداد: ١٩٨٨، ص٣٥-٣٦.

الكردية، وهي المكانة التي ما زالت تحتلها حتى هذا اليوم. كما تم الإشارة إليه آنفاً، حاول الشيخ محمود الاقتراب من الروس أملاً في تعبئة الكرد ضد الأتراك بمساعدتهم. لكن خيبة محمود بمواقف الحلفاء، من جانب، ووعود حكومة تركيا الفتاة بمنح الشعوب التركية الحكم الذاتي، من جانب ثان، هي التي دفعته على ما يبدو الى تعبئة بعض قوات الخيالة الكردية التي قاتلت، جنباً الى جنب مع مقاتلي بعض العشائر العربية الجنوبية، مع الجيش التركي ضد القوات البريطانية في المراحل الأولى من الحرب العالمية الأولى.

لم يمض وقت طويل حتى قام الشيخ محمود بسحب قواته من الحرب بعد ان خسر ثقته تماماً بالأتراك وبوعودهم الكاذبة، ولكنه بادر الى قيادة قوات كردية قامت بمقاتلة القوات الروسية الغازية، التي كانت ترتكب مجازر بحق أهالي بعض مناطق كردستان الشرقية. وموقف الشيخ محمود القومي هذا خلق له شعبية واسعة بين المحليين الكرد القاطنين على جانبي الحدود القاجارية- العثمانية.^{١٤٣} وكغيره من القوميين الكرد، كان الشيخ محمود يمتلك معلومات جيدة عن التداعيات المهمة المرتبطة بالتطورات الدولية الحاصلة خلال زمن الحرب، في مقدمتها إعلان الرئيس الأمريكي ويلسون لنقاطه الأربعة عشرة ووقوع الثورة البلشفية في روسيا، التي أثرت بشكل ملموس في الطموحات القومية للشعوب غير التركية الخاضعة لحكم السلطان العثماني. في أعقاب تقهقر القوات التركية وانسحابها بعد سقوط بغداد، بادر الشيخ محمود، كغيره من الشخصيات الكردية المحلية، الى الاتصال بالسلطات البريطانية الميدانية بغية التنسيق معها بشأن طرد الأتراك من المناطق الكردية.

كان الشيخ يأمل بإقامة حكومة كردية تحت إشراف بريطاني،^{١٤٤} ولهذا الغرض قام بإرسال شخصيتين كرديتين الى بغداد، حاملين معها رسالة منه الى البريطانيين ناشد فيها حكومتهم «بأن لا تستثنى كردستان من قائمة الشعوب المتحررة».^{١٤٥} كما طلب الشيخ محمود من البريطانيين تصوراتهم عن كيفية طرد القوات التركية من كردستان الجنوبية.^{١٤٦} ولكنه، لم ينتظر القوات البريطانية طويلاً إذ بادر الى عقد

¹⁴³ Ibid. p.50.

¹⁴⁴ Ibid, p.51.

¹⁴⁵ Political, Baghdad, 1 November 1918 f F0371/3407, PRO.

¹⁴⁶ Ibid.

اجتماع كبير حضره جميع الشخصيات المحلية في السليمانية والمناطق المحيطة بها، بُحث خلاله رسم مستقبل الكُرد في ضوء المستجدات الجديدة، خاصة تراجع القوات التركية والفراغ السياسي الناجم عن ذلك. وكان أهم نتائج ذلك الاجتماع الواسع هو تشكيل حكومة كُردية برئاسة الشيخ محمود.^{١٤٧}

في أعقاب الاحتلال البريطاني لبغداد، ازدادت بسرعة القيمة السياسية والعسكرية للدور الكُردية بالنسبة الى الطرفين المتحاربين: البريطاني والتركي. فالكُرد ليس بإمكانهم تقديم مقاتلين أشداء فحسب، بل أيضاً في إرسال المؤونة والمعلومات الى الأطراف المتحاربة، فضلاً عن حماية الطرق اللوجيستية. وأدى هذا الوضع بدوره الى ازدياد أهمية الشيخ محمود بوصفه الشخصية الأكثر نفوذاً سياسياً واجتماعياً ودينياً في المناطق الواقعة الى الشرق من نهر الزاب الكبير. وهذا يُفسر لماذا أُطلق الأتراك سراح الشيخ بعد إعادة احتلال مدينة كركوك رغم علمهم بقيامه باتصالات مع الجانب البريطاني. وكان الأتراك يأملون بإقناع الشيخ مجدداً بفكرة تعبئة المحليين الكُرد للقتال معهم ضد البريطانيين.^{١٤٨} وذهب الأتراك في محاولات استدراج الشيخ الى حد تنصيبه قائمقام السليمانية. في أثناء ذلك، شعر البريطانيون بالقلق جراء التغيير الحاصل في السياسة التركية تجاه الوضع الكُردية، خاصة بعد ان أحرزت القوات التركية تقدماً عسكرياً كبيراً في كُردستان الشرقية على حساب القوات الارمنية والمسيحية الأخرى المناصرة للحلفاء. وكل هذه التطورات، كما أشارت تقارير السلطات البريطانية في بغداد، تزامنت مع تطورات عسكرية سلبية في أوروبا:

كان في مقدور الأتراك في حينها تحقيق مكسب سياسي كبير من الانتصارات العسكرية الألمانية وتراجع الحلفاء في الجبهة الغربية. واتخذ القائد التركي أيضاً موقفاً إرضائياً تجاه القبائل (الكُردية)، الأمر الذي أعطى ثماراً جيدة ... كل هذا، بالإضافة الى عدم الثقة التي ولدها إخلاؤنا لكركوك ... عمل على تغيير الموازين السياسية لغير صالحنا.^{١٤٩}

على الرغم من كل شيء، ظلّ الشيخ محمود يُعلق آماله على البريطانيين، وحالما استطاعوا إعادة احتلال مدينة كركوك، لم يستأنف اتصالاته معهم فحسب بل أيضاً

¹⁴⁷ Precis Affairs... op. cit., pp. 5-6.

¹⁴⁸ حلمي، رفيق، ياداشت، ج ١، ص ٥٢-٥٣.

¹⁴⁹ Precis Affairs ... op. cit., p.6.

قام بأسر الجنود الأتراك الموجودين في منطقتهم معلناً نهاية الحكم التركي. وحذت بقية المناطق الكردية حذو السلیمانية، مثل كویسنجق ورائیه. في غضون ذلك، دعت شخصيات كردية محلية أخرى البريطانيين الى إرسال ممثلين عنهم الى كردستان الجنوبية بغية وضع ترتيبات لإدارة شؤونها المحلية. وحقيقة ان التوغل البريطاني بدأ بالكاد في كردستان الجنوبية حينما وقعت هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ هي التي جعلت مبادرة الكرد بطرد بقايا القوات التركية والموظفين الأتراك وإعلان الولاء الى الجانب البريطاني ذات أهمية ملموسة من الناحية السياسية. فعن طريق التعامل مع بعض الشخصيات الكردية كممثلين مدنيين لهم مع إبقاء قوة عسكرية تركية صغيرة في معظم مناطق كردستان الجنوبية، حاول الأتراك التأكيد على خضوع تلك المناطق لحكمهم بشكل قانوني، من دون ان يتأثر مصيرها بشروط هدنة مودروس. ولكن، مبادرة الكرد بالوقوف الى جانب السلطات البريطانية ودعوتهم لممثليها بزيارة مناطقهم، هي التي وضعت عملياً اغلب مناطق كردستان الجنوبية تحت النفوذ السياسي البريطاني من دون اللجوء الى وسائل الاحتلال العسكري.

ان تقدم القوات البريطانية الأولى داخل كردستان الجنوبية في المراحل الأخيرة من الحرب قد تزامنت مع تطورات سياسية وعسكرية مهمة كانت لها تأثيرات مباشرة في سير الأحداث اللاحقة في منطقة الشرق الأوسط. تمثلت واحدة من أهم تلك التطورات بالانسحاب الروسي من الحرب، الذي أعقبه إدانة البلشفيين وفضحهم لبنود الاتفاقيات والمعاهدات السرية التي توصل اليها الحلفاء في زمن الحرب المتعلقة بتجزئة الإمبراطورية العثمانية وتقسيم إيران القاجارية الى مجالات نفوذ. وساهمت هذه التطورات غير المتوقعة في التأثير بشكل مباشر في موقف صناع القرار البريطانيين تجاه المستقبل السياسي للإمبراطورية العثمانية وأقاليمها غير التركية. وكما أشير إليه آنفاً، وافقت بريطانيا على تقسيم ولاية الموصل مع فرنسا بهدف خلق «وقد إقليم فرنسي» بين منطقة نفوذها في كردستان وتلك التي كانت عائدة لروسيا.^{١٥٠} على أثر اختفاء روسيا مؤقتاً بوصفها قوة رئيسة من الساحة الإقليمية الشرق أوسطية في أعقاب الثورة البلشفية لم يعد توطيد المصالح الإستراتيجية البريطانية يتطلب تقسيم ولاية الموصل مع فرنسا. بهذا الشكل، تخلت لندن عن فكرة التوفيق

¹⁵⁰ Macdonogh to Nicholson, 6 January 1916, F0371/2767, PRO.

بين المصالح البريطانية والفرنسية في تلك الولاية لصالح فرض سيطرة بريطانية عليها. وبدا تعديل بنود اتفاقية سايكس- بيكو الخاصة بولاية الموصل الطريقة المثلى لتعزيز الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا على المدى الطويل. وفي أعقاب اجتيازهم حدود كردستان الجنوبية على أثر انسحاب القوات الروسية، صار البريطانيون في موقف سياسي أقوى بكثير من السابق من حيث إمكانية تجريد الفرنسيين من منطقة نفوذهم في ولاية الموصل.

ان قرار البريطانيين القاضي باحتلال مدينة الموصل، التي كانت بمثابة إشارة واضحة عن عزمهم على فرض سيطرتهم بصورة منفردة على ولاية الموصل بأكملها، كان قد حفزته أيضاً حسابات بترولية. ففي لقاء لحكومة الحرب المصغرة جرى قبل شهرين من انتهاء الحرب مع الإمبراطورية العثمانية، لفت وزير الخارجية البريطاني، آرثر بلفور، أنظار الحاضرين الى مستقبل التطور البترولي الباهر في ميزوبوتاميا، داعياً في نفس الوقت الى تسوية سياسية حول مصير هذه البلاد بحيث تتمكن الإمبراطورية البريطانية من تأمين سيطرتها على مصادرها البترولية الكامنة.^{١٥١} بهذا النحو أصبحت الحاجة الملحة لتعديل بنود اتفاقية سايكس- بيكو بطريقة تجعل البريطانيين قادرين على فرض سيطرتهم على ولاية الموصل بأكملها. ولهذا صرح بلفور ولورد كورزون في آب العام ١٩١٨ بأن بنود اتفاقية سايكس- بيكو أصبحت (قديمة)، وهو الأمر الذي سرعان ما نال قبول اللجنة الشرقية.^{١٥٢}

وكانت حكومة الحرب المصغرة قد شكلت اللجنة الشرقية من أجل التعامل بشكل خاص مع جملة قضايا ترتبط بأقاليم كثيرة تمتد من حدود الهند الغربية حتى السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط. ترأس لورد كورزون هذه اللجنة، التي ضمت بين أعضائها البارزين، فضلاً عن بلفور، إيدوين مونتغيو، وزير الهند، وهنري هيوز، رئيس هيئة الأركان العامة. وفي هذا المقطع الزمني تحديداً أثرت مسألة تقدم القوات العسكرية البريطانية في اتجاه مدينة الموصل، التي سرعان ما نالت تأييد لويد جورج، رئيس الوزراء البريطاني الجديد.^{١٥٣} ولتحقيق هذا الهدف الجديد، تقرّر ان

¹⁵¹ Imperial War Cabinet, 13 August 1918, CAB23/7, PRO.

¹⁵² War Cabinet Minute No.457, 13 August 1918, CAB23/7 & Eastern Committee Minute N0.34, 3 October 1918, CAB27/24, PRO.

¹⁵³ War Cabinet Minute No.457.13 August 1918, CAB23/43 & War Cabinet Minute No.482A. 3 October 1918, CAB23/14, PRO.

تقوم بريطانيا بفرض سيطرتها على مدينة الموصل قبل انتهاء الحرب. على الرغم من بذل جهود عسكرية كبيرة، لم يستطع البريطانيون تحقيق غايتهم قبل ان تنتهي الحرب إذ وقعت تركيا على هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأول. ولكن لم تمنع تلك الهدنة القوات البريطانية من السيطرة على مدينة الموصل بعد مرور أسبوع على توقيعها. ان دراسة بنود شروط هدنة مودروس بين بريطانيا وتركيا تُبين انه في الوقت نفسه الذي نصت فيه صراحة على انسحاب تركي من كردستان الشرقية، لم تُشر، لا من قريب أو من بعيد، الى اتخاذ إجراء مماثل له في كردستان الجنوبية.^{١٥٤} وكان مصطلح (ميزوبوتاميا) الذي استخدم في بنود الهدنة غامضاً في فحواه. بعبارة أخرى، لم توضح اتفاقية الهدنة مسألة هل كانت كردستان الجنوبية جزءاً من ميزوبوتاميا أم لا؟ وهذا يُفسر، مثلاً، لماذا أصر الأتراك باستمرار بعد انتهاء الحرب على عدم شرعية احتلال البريطانيين لولاية الموصل. ولهذا طالب الأتراك بعودة تلك الولاية لسيطرتهم. والجدير بالإشارة ان مسألة مصير تلك الولاية أصبح احد الأسباب الرئيسية لرفض تركيا الكمالية الاعتراف بالدولة العراقية خلال المدة ١٩٢٣-١٩٢٥.

ويُمكن إرجاع السبب في تغير الموقف البريطاني تجاه بنود اتفاقية سايكس-بيكو الى جملة تطورات سياسية وعسكرية إقليمية ودولية. وشكل دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب بصورة متأخرة احد تلك العوامل التي لم يكن بمقدور بريطانيا تجاهلها لدى وضع سياستها لمرحلة ما بعد الحرب، خاصة وان أمريكا عُرِفَ عنها معارضتها الشديدة لظاهرة الاستعمار القديم بسبب عرقلتها لحركة الاستثمار والتجارة الحرّة. ومع غياب روسيا والمانيا من الساحتين الإقليميتين والدولية، تبدل الوضع إذ بدأت بريطانيا تجد في فرنسا منافساً رئيساً لها في محاولاتها لتوطيد مصالحها السياسية والاقتصادية في الشرق الأوسط الجديد. ولذلك توجب على الساسة البريطانيين اتخاذ خطوات عاجلة لاحتواء توسع النفوذ الفرنسي السياسي والاقتصادي. على صعيد آخر، خلقت الحرب بسبب طولها ضغوطاً اقتصادية ومالية وسياسية لم يسبق لها مثيل مما أجبر حكومة لندن على التفكير بصورة جدية في تقليل مسؤولياتها العسكرية وخفض التزاماتها المالية، فضلاً عن تسريح أعداد كبيرة من قواتها العسكرية بصورة عاجلة. نظراً لاستحالة خيار توسيع الإمبراطورية

¹⁵⁴ British And Foreign Papers, 1917-1918, V. CXI, (HMSO), pp. 611-613.

البريطانية إقليمياً أمام الرأي العام تحتم على صناع القرار البريطانيين ان يعيدوا النظر في النظام الذي وضعوه للشرق الأوسط في أثناء الحرب.

خاتمة الفصل

تدل دراسة موقع كُردستان في سياسات بريطانيا تجاه الدولتين العثمانية والقاجارية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى وخلالها على ان المسؤولين البريطانيين نظروا الى الشؤون الكُردية من زاوية إستراتيجية بدرجة رئيسية، وزاوية اقتصادية-بتروولية بدرجة ثانوية. ونظراً لارتباط مصالح بريطانيا الإستراتيجية بمسألة توطيد الوحدة الإقليمية لكلا الدولتين العثمانية والقاجارية، فان ساستها ظلوا يعارضون بشدة سعي أية قوة داخلية الى تغيير الوضع القائم. وهذا يُفسر تناقض الفوران القومي الكُردي مع مصالح بريطانيا الإستراتيجية والاقتصادية، كما دلت على ذلك انتفاضة الشيخ عبيد الله في ١٨٨٠-١٨٨١. وفي نهاية العقد الأول من القرن العشرين، بدأ البريطانيون التفكير في بسط نفوذهم السياسي والاقتصادي على الأقاليم العثمانية الداخلية، بما في ذلك المناطق الجنوبية من كُردستان. وعكس هذا التوجه الجديد دخول بريطانيا في منافسة قوية مع بقية القوى الأوربية، خاصة المانيا، وكذلك ظاهرة التدهور المستمر في قوة الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية، اللتين كانتا تعانيان منها لعقود طويلة. وبعد مضي بعض الوقت على نشوب الحرب العالمية الأولى، سارعت بريطانيا بصورة حثيثة الى إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط الجيوسياسية بهدف بسط نفوذها السياسي والاقتصادي وتوطيده في المناطق الحيوية من آسيا العثمانية. وما كان تقرير لجنة بونسون ومراسلات حسين-مكماهون واتفاقية سايكس-بيكو الثلاثية سوى دليل على عزم بريطانيا على تجزئة كُردستان العثمانية.

في نهاية الحرب، تضافرت معاً جملة حسابات إستراتيجية وسياسية واقتصادية، أجبرت بريطانيا على إعادة النظر في سياستها لمرحلة ما بعد الحرب تجاه الأقاليم العثمانية غير التركية السابقة، كأرمينيا وكُردستان وميزوبوتاميا العربية. ونظراً لكون بنود الاتفاقيات التي ابرمها الحلفاء خلال الحرب أصبحت قديمة وغياب أية إشارة الى مسألة فرض بريطانيا لسيطرتها على كُردستان الجنوبية، تُفسر لماذا لم يكن لدى البريطانيين خطة محددة لإدارة ذلك الإقليم بصورة مباشرة، فضلاً عن تحديد مستقبل كُردستان السياسي على المدى الطويل ضمن سياق بناء نظام شرق أوسطي جديد.

وبينما كانت هي تنتظر انعقاد مؤتمر السلام وتبلور سياسة محددة تجاه مستقبل كُردستان، قامت لندن بتحويل الكولونيل ويلسون صلاحية اتخاذ إجراءات إدارية وسياسية تضمن الاستقرار واستتباب الأمن والنظام واستئناف النشاطات الاقتصادية في كُردستان الخاضعة للنفوذ البريطاني. مع ذلك، أكدت لندن بوضوح انه ينبغي على الموظفين البريطانيين الميدانيين تجنب أية إجراءات تؤدي الى المزيد من الالتزامات العسكرية والمالية والسياسية في المناطق الكُردية. وكما سيُبين الفصل الآتي كيف كانت للظروف المحيطة ببسط سيطرة البريطانيين على كُردستان الجنوبية تأثيرات مباشرة على سياستهم الميدانية، التي أدت دوراً مهماً في التأثير على التطورات السياسية اللاحقة في ذلك الإقليم في السنوات ١٩١٨-١٩٢٣. علاوة على ذلك، أدت سيطرة البريطانيين على كُردستان الجنوبية الى تورطهم في شؤون كُردستان الشمالية والشرقية، إذ استند أمن مصالحهم في ميزوبوتاميا العربية الى الاستقرار السياسي والأمني في المناطق الكُردية المجاورة والخارجة عن سيطرتهم.

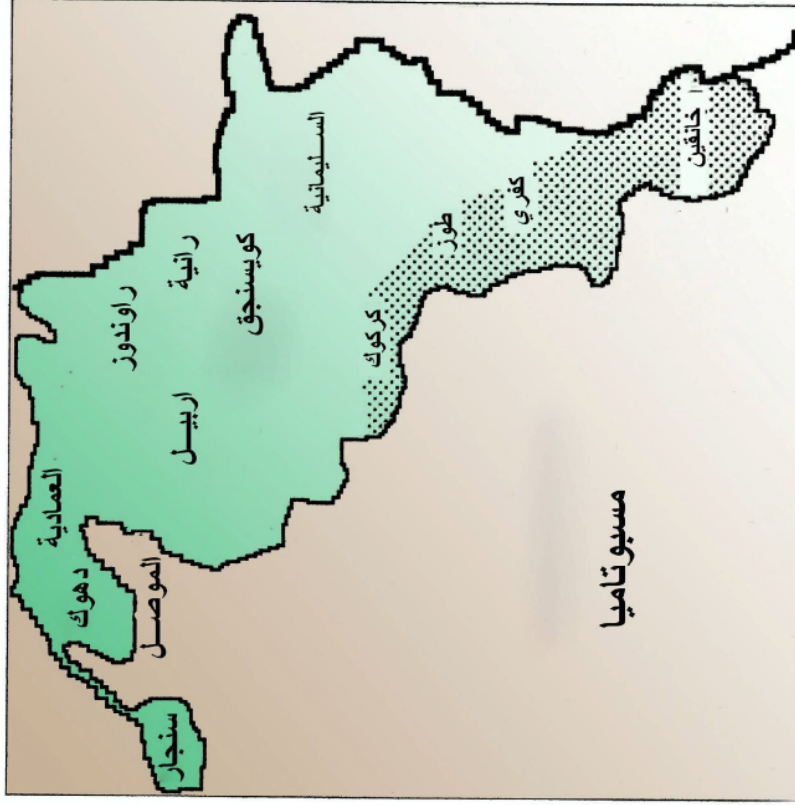
الفصل الثاني

السياسة البريطانية في كردستان الجنوبية:

تشرين الأول ١٩١٨-آب ١٩٢٠

وقع على عاتق وزارة الهند مسؤولية إدارة ممتلكات بريطانيا الإقليمية الجديدة في كردستان وميزوبوتاميا، في حين أبقّت وزارة الخارجية إشرافها على السياسة الحكومية العامة لحين انعقاد مؤتمر السلام القادم، الذي سيُقرر مستقبل تلك الأقاليم ضمن إطار تسوية سياسية سلمية للإمبراطورية العثمانية. وفي غضون ذلك، أدار الكولونيل ويلسون، بوصفه المفوض المدني وكالة والموظف السياسي الرئيس، سياسة بريطانيا الميدانية. هذه السياسة التي أدت دوراً حساساً للغاية في تحديد مسار الأحداث في غياب موقف رسمي عام واضح المعالم والغايات. وساعد ويلسون في تصريف الشؤون الإدارية والسياسية عدد من الموظفين السياسيين، الذين قاموا بتمشية القضايا المحلية كُلِّ في مقاطعاته، فضلاً عن رفع مقترحات حول الأسلوب الأمثل والممكن في عملية الإدارة. وقدمت السلطات العسكرية الميدانية من جانبها تصورات عن أولوياتها وأهدافها بقدر تعلق الأمر بالقضايا الإستراتيجية والأمنية.

لقد تَمَثَّلت المهمة الرئيسة للسلطات البريطانية في بغداد بعد انتهاء الحرب بإعادة الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في كردستان الجنوبية الى أوضاعها الطبيعية. وهذا الفصل يتناول جملة أوضاع عسكرية وسياسية أثرت في القرار البريطاني بشأن الموافقة على مشروع إقامة كيان كردي يتمتع بحكم ذاتي تحت إشرافهم السياسي بين نهاية تشرين الأول وبداية تشرين الثاني من العام ١٩١٨. وغالباً ما أشار المسؤولون البريطانيون في لندن والموظفون الميدانيون البريطانيون في الشرق الأوسط الى ذلك الكيان بوصفه ((دولة كُردية))، بالرغم من عدم تمتعها باستقلال تام أو هوية متكاملة. وفي صيف العام ١٩١٩، تم التخلص من هذه الدولة، بعد ان تغلبت القوات البريطانية على التحدي العسكري والسياسي الذي شكله الشيخ محمود، حاكم الكيان الكردي. ولذلك من المهم تقديم تحليل مفصل بعض الشيء حول أسباب الانقلاب الحاصل في السياسة البريطانية الميدانية وتداعياتها بالنسبة الى مستقبل كردستان الجنوبية على المديين القصير والطويل.



الخارطة (9): تقدم القوات البريطانية في كردستان الجنوبية في أثناء الحرب

المناطق الكردية الخاضعة
لسيطرة البريطانية

الحدود العثمانية الايرانية

السيطرة البريطانية غير المباشرة وتشكيل دولة الحكم الذاتي في كردستان الجنوبية: الظروف والغايات

في المراحل الأولى من الوجود البريطاني في كردستان الجنوبية، خضعت عملية صنع القرار الميداني البريطاني لجملة شروط، كان من أهمها عدم وجود قوات احتلال بشكل كاف أو إداريين مدنيين مؤهلين.¹⁵⁵ ولم يكن موقف بريطانيا السياسي والعسكري مستقرًا وأموناً بعد في المناطق الكردية الجنوبية المشرفة على سهول ميزوبوتاميا الواقعة الى الجنوب منها. وقبل التوصل الى هدنة مودروس، كان التوغل البريطاني قد بدأ تَوَّأً في كردستان الجنوبية (انظر الخارطة رقم ٩)، ولذا أصبح من الضروري ان تُطيل السلطات البريطانية في بغداد أمد حُسن النوايا التي أبدتها الأهالي الكُرد تجاههم، خصوصاً وان الأخيرين هم الذين بادروا الى تحرير العديد من مدنهم وقراهم من الوجود التركي، ودعوا في الوقت نفسه البريطانيين الى زيارة مناطقهم بهدف تقديم المساعدة على وضع ترتيبات سياسية وإدارية تتلاءم مع الأوضاع الجديدة. ان مواقف الكُرد الجنوبيين المعادية للأتراك والمؤيدة لبريطانيا شكلت العامل الذي سهل على البريطانيين إنجاز مهمتهم الفورية المتمثلة بتحقيق الاستقرار الأمني وتطبيع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية من دون الحاجة الى إقامة إدارة مباشرة عسكرية أو مدنية مترهلة وباهظة التكاليف.

ان موقف الكُرد الايجابي المذكور أتاح للبريطانيين فرصة لخفض مستوى الالتزامات العسكرية والمالية القائمة آنذاك في ميزوبوتاميا، وجعلهم في موقف جديد أصبحوا من خلاله قادرين على تعزيز نفوذهم السياسي بسهولة في كافة أرجاء كردستان الجنوبية. وينبغي التذكير بهذا الشأن، انه لم تكن في البدء لدى البريطانيين أية نية لتوسيع الرقعة الجغرافية للاحتلال العسكري حين دعا الشيخ محمود ممثلهم للقدوم الى مناطق كردية حساسة من الناحية الإستراتيجية. يقول تقرير بريطاني مطوّل بهذا الخصوص:

كان الاحتلال العسكري (لكردستان الجنوبية) امراً مستبعداً الى حد كبير، وذلك لأنه حتى بعد إلحاق الهزيمة بالأتراك، تضافرت معاً (عوامل) التجهيزات

¹⁵⁵ W.R. Hay, Two Years In Kurdistan (London: Sifgwick & Jackson Ltd, 1921), p-6

ومصاعب أخرى لتجعل من المستحيل الاحتلال بواسطة حامية حتى نقطة قريبة جداً في متناول اليد ومهمة للغاية سياسياً بالنسبة لنا، كالسليمانية. لهذا توجّب (علينا) تبني خيار الاعتماد على الوسائل السياسية البحتة، وتولد شعور (لدينا) بأن أفضل الوسائل لتحقيق ذلك (الهدف) هي استغلال الحس الشرعي تماماً للقومية الكُردية التي كانت ولحقة زمنية طويلة تُثبت نفسها بين القبائل الكُردية الجنوبية.^{١٥٦}

يتضح من كل ذلك ان نوئيل كان منطقياً في خياره وهو أن لا يحصل تدخل بريطاني مباشر، وان يقتصر الدور البريطاني على إسداء نصائح سياسية وأمنية وإرشادات إدارية وفنية للزعامة الكُردية، التي تُرك لها أمر الإدارة الفعلية للشؤون المحلية. ان وجود تطلعات قومية أولية في أوساط الزعامات الكُردية شكّل واحداً من أهم العوامل التي أثرت في صنع القرار الميداني البريطاني في مراحله الأولى. لقد عدّ أهالي كُردستان الجنوبية قدوم القوات البريطانية الى ديارهم تحريراً من الحكم التركي ومساوئه وفرصة لبناء إدارة محلية تتوافق مع رغباتهم الخاصة. وبحسب ما ذكره برسي كوكس:

كانت فكرة الحكم الذاتي الكُردية، بعد ان نمت وترعرعت في عهد النظام الدستوري (العثماني)، قد أحييت من جديد وقد حفرتنا الى حد كبير بنود بياننا الموجه للعرب الذي أثبت وجود موقف مغاير تجاه الحساسيات والتطلعات العرقية عن تلك التي كان يتبناها الأتراك.^{١٥٧}

ودلل الترحيب الحار والودي الذي تلقاه الميجر ادورد نوئيل من لدن ممثلي المدن والقرى الكُردية في منطقة السليمانية على تصاعد آمال الكُرد.^{١٥٨} ويذكر ان نوئيل عمل وكيلاً في الاستخبارات العسكرية البريطانية حيث مارس نشاطه في منطقة القوقاز خلال الحرب العالمية الأولى وفي شمال إيران في العام ١٩١٩، كما عينه الكولونيل ويلسون موظفاً سياسياً مسؤولاً ميدانياً عن الشؤون الكُردية.^{١٥٩}

¹⁵⁶ Precise of Affairs..

¹⁵⁷ Ibid, p.4.

¹⁵⁸ Political Officer, Sulaimaniya, to Political, Baghdad, 16 November 1918, AIR20/512, PRO.

¹⁵⁹ Political, Baghdad, to Political, Mosul, 20 November 1918, AIR20/512 & E.W.L. Noel, Note -in- Colonial Office Minute No.4958, 22 July 1922, C0730/13, PRO.

ان قرار السلطات البريطانية في بغداد في خوض تجربة السيطرة غير المباشرة في إدارة المنطقة الكُردية (B) قد استند أساساً الى النصيحة التي أسداها نوئيل، الذي رأى في ذلك النظام الإداري- السياسي حلاً منطقياً على ضوء التطلعات والرغبات المحلية السائدة في كُردستان الجنوبية. بتعبير آخر، لم تكن السلطات البريطانية في ميزوبوتاميا في وضع عسكري أو أي موقف سياسي يسمحان لها ان تتجاهل وجود مشاعر وتطلعات قومية في أوساط النخبة الكُردية المحلية، التي نشطت تحت تأثير وعود أطلقها الحلفاء، خاصة بريطانيا العظمى. وكان الشيخ محمود وحلقته القومية المتمركزة في منطقة السليمانية هي التي بادرت الى إطلاق عملية تشكيل حكومة كُردية قبل انتهاء الحرب بوقت قصير. وكان الهدف من وراء ذلك، على ما يبدو، نيل إقرار بريطاني بالوضع الجديد، وجعل المسؤولين البريطانيين يدركون أهمية التعامل بشكل إيجابي مع التطلعات الكُردية في أعقاب طرد رموز النظام التركي من كُردستان الجنوبية. فضلاً عن ثقته الأولية بالوعود السياسية البريطانية، تعامل الشيخ محمود مع الأوضاع السائدة آنذاك بأسلوب سياسي ذرائعي، فمن جانب، أبدى الشيخ استعداداً ملموساً لاحترام مصالح بريطانيا في كُردستان الجنوبية، ومن جانب ثانٍ، ربط ذلك الأمر بتمتع الكُرد بحكم ذاتي في مناطقهم الأصلية. بهذا النحو، سعت الزعامة الكُردية الجنوبية منذ البداية وعلى النقيض من نظيرتها العربية، الى التوفيق بين تطلعاتها ومصالح بريطانيا لدى ملء الفراغ السياسي والإداري الناجم عن طرد الأتراك.

أدى نوئيل دوراً مهماً في إقناع السلطات البريطانية في ميزوبوتاميا بضرورة اللجوء الى التعامل السياسي المنفتح مع الزعامة الكُردية لتحقيق هدفها في تعزيز نفوذها في كُردستان الجنوبية. وتمثل ذلك التعامل السياسي باحترام التطلعات القومية الكُردية الأولية واحتضانها في السياسة البريطانية، سواء المحلية الميدانية منها أو الدولية الرسمية. ففي أعقاب زيارته الأولى الى السليمانية، بعث نوئيل تقريراً الى رؤسائه في بغداد أكد فيه ان الحركة القومية الكُردية ((قوية جداً الى الحد الذي لا أرى فيه صعوبة تُذكر في تشكيل دولة كُردية تحت حمايتنا وسيطرة موظفين سياسيين على النهج العام، شريطة ان نتخذ حالاً مبادرة سريعة ونشطة)).¹⁶⁰ تلك كانت خلفية إصدار السلطات البريطانية في بغداد تعليمات خاصة أرسلتها الى نوئيل تؤكد للكُرد الجنوبيين بأنه ليس في نية بريطانيا فرض ((إدارة غريبة عن عاداتهم وآمالهم)).¹⁶¹

¹⁶⁰ Political, Baghdad, 17 November 1918, AIR20/512, PRO.

¹⁶¹ political, Baghdad, to SIS for India, 31 October 1918, AIR20/512,PRO.

وبهذا الشكل بدأ تزايد النفوذ البريطاني في كردستان الجنوبية يرتكز الى التفهم الذي أبداه نوثيل نحو التطلعات القومية الكردية، من جانب، والى استعداد الشيخ محمود للتعاون مع البريطانيين بطريقة تحترم مصالحهم، من جانب ثان (انظر الخارطة رقم ١٠). وتجسد التفاهم المشترك في قيام دولة كردية تتمتع بحكم ذاتي تحت إشراف بريطاني، تألفت مكوناتها الأساسية من: حكومة كردية، ومستشارين بريطانيين في مجالات عسكرية مالية وإدارية وقضاء محلي ونظام جباية للضرائب وقوة ليفي محلية (وحدة عسكرية تألفت من عناصر كردية). وعين البريطانيون الشيخ محمود حاكماً على المنطقة (B) الممتدة من نهر الزاب الصغير شرقاً حتى الحدود العثمانية- القاجارية القديمة غرباً. وفضلاً عن نوثيل، بوصفه الموظف السياسي، ساعد الشيخ محمود موظفان بريطانيان هما: الميجر دانيالز، المشرف على تشكيل قوات الليفي الكردية وتدريبها، والكولونيل غوردون ولكر، المشرف على شؤون الدخل والضرائب. والجدير بالإشارة، ان الموظفين البريطانيين في لندن وفي الشرق الأوسط قاموا لاحقاً بربط نظام السيطرة غير المباشرة بنوثيل، وهو النظام الذي كان يتقاطع جوهرياً مع نظام السيطرة المباشرة الذي دعا إليه الكولونيل ويلسون. وحصل الاعتراف البريطاني بسلطة الشيخ محمود قبل ان تشرف الحرب على نهايتها.^{١٦٢} وهذا الاعتراف جاء منسجماً مع إرادة محلية تمخض عنها انتخاب الشيخ رئيساً لحكومة محلية اعترفت بها الزعامات الكردية في منطقة السليمانية قبل ان يُجبر الأتراك على الخروج من السليمانية.

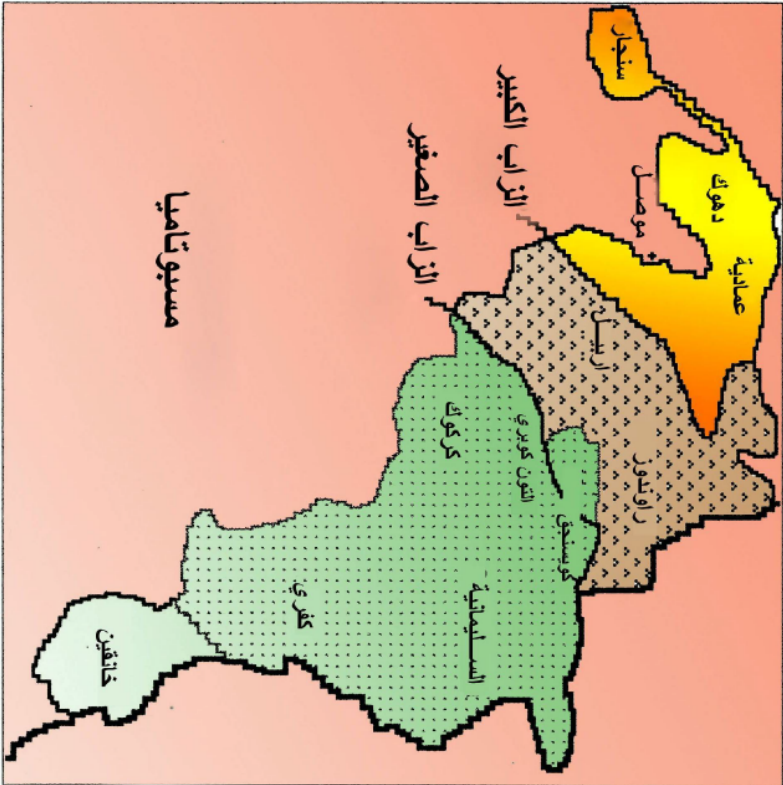
ولخيار السيطرة غير المباشرة مزايا سياسية وإستراتيجية متنوعة بقدر ما يتعلق الأمر بالبريطانيين. فلمسالة اصطفا الكرد وتعاونهم مع البريطانيين أهمية خاصة بوصفها نقطة انطلاق مُمكنة لتوسيع الرقعة الجغرافية للسيطرة البريطانية في اتجاه مناطق كردستان النائية. أما وجود كردستان جنوبية معادية فسيُمكن الأتراك من العودة إليها، سواء بوسائل سياسية أو بطرق عسكرية. لهذا، تلخصت مهمة نوثيل الأساسية في كسب «تعاطف الكرد عن طريق تشجيع الشعور القومي المناقض للنزعة الإسلامية»^{١٦٣} التي كان يُروّج لها الأتراك. ولم يكن خافياً على البريطانيين ان عودة

¹⁶² Precip of Affairs-, op. cit. p6.

¹⁶³ E.W.L. Noel, Note -in- Colonial office Minute No.4958, 22 July 1922, C0730/13, PRO.

الخارطة (10): دولة الحكم الذاتي الكردية

- دولة الحكم الذاتي الكردية
- مناطق كردية تنظم الى الدولة الكردية



الحكم التركي الى إقليم كردستان الجنوبية سيشكل تهديداً مباشراً لسيطرتهم على ميزوبوتاميا العربية. وكانت المنطقة الأخيرة ما زالت تشهد مؤامرات يحوكمها الأتراك وأعدائهم، الذين كانوا يحثون سكانها العرب على محاربة أعداء الإسلام والمسلمين (أي البريطانيين). وبهذا الشكل، تحتم على السلطات الميدانية البريطانية تجنب موقف تواجه فيه خصمين بصورة متزامنة، أي الأتراك والكرد. وتطلب تحقيق تلك الغاية قيام البريطانيين بتطبيع الأوضاع العامة في المناطق الكردية من خلال تقديم المساعدة لزمعائها لإعادة الاستقرار الأمني وتسهيل استئناف النشاطات الاقتصادية.

علاوة على كل ذلك، كانت للسيطرة غير المباشرة منفعة سياسية إضافية تمثلت بضرورة التصدي للدعاية السياسية المعادية لبريطانيا، التي وقف البلشفيون وراءها. لقد شكلت المفاهيم الإيديولوجية الثورية المتعلقة بحق الشعوب الخاضعة في تقرير مصيرها والتضامن الأممي تهديداً حقيقياً للنفوذ الامبريالي البريطاني في إيران وتركيا وغيرها من بلدان الشرق الأوسط. ففي ظل تلك الظروف، أصبح تشكيل حكومة ذاتية كردية فكرة مقبولة عملياً إذ سيصبح بالإمكان تصوير المواقف البريطانية على انها منسجمة مع النقاط الأربعة عشر التي أطلقها الرئيس الأمريكي ويلسون. وهذه النقاط استندت إليها مناشدات الزعامات الكردية الخاصة بضرورة منح حق تقرير المصير الى الشعوب غير التركية، في مقدمتها الشعب الكردي. فوق ذلك، ستساعد هذه الواجهة السياسية المتمثلة بمنح الأهالي حق إدارة شؤونهم البريطانيين في تقوية صلاتهم مع الحلقات القومية الناشطة في أجزاء كردستان الأخرى أو الموجودة في المنفى.

على صعيد آخر، تأثرت السياسة البريطانية في كردستان الجنوبية بالتغيرات الحاصلة في الاصطفاف الدولي والتحالفات بين القوى الكبرى، التي حصلت خلال الحرب العالمية الأولى. ان وقوع ثورة أكتوبر وإدانة روسيا البلشفية للاتفاقيات السرية المتعلقة بتجزئة الإمبراطورية العثمانية بصورة كاملة وتقسيم إيران القاجارية الى مجالات نفوذ بين روسيا القيصرية وبريطانيا قد جعلت السياسة البريطانية يستغنون عن فكرة إقامة حزام فرنسي يفصل المنطقة البريطانية عن المنطقة الروسية في كردستان العثمانية في حالة تنفيذ مشروع التقسيم المتفق عليه. وحالما وضعت الحرب أوزارها، عمل البريطانيون بسرعة على إخضاع المناطق التي احتلوها الى سيطرتهم السياسية. وبينما سعت حكومة لندن الى فرض سيطرة بريطانية

عسكرية وسياسية في المنطقة (A)، أبلغت الكولونيل ويلسون بتفأولها بشأن إقناع حكومة باريس «بالتخلي عن ادعاءاتها في منطقة الموصل»، ناصحة إيّاه بضرورة ان لا يشعر الفرنسيون بأن البريطانيين ينتهكون بنود اتفاقية سايكس- بيكو القديمة.^{١٦٤} ومثلت تعليمات الحكومة البريطانية تلك واحدة من الإشارات المبكرة حول التغير الحاصل في وجهات نظرها بشأن الخارطة السياسية للأقاليم العثمانية السابقة لمرحلة ما بعد الحرب. لقد خضعت قضية إنهاء الوجود الفرنسي في كردستان الجنوبية الى حسابات إستراتيجية أساسية مرتبطة بسيطرة البريطانيين على ميزوبوتاميا العربية. ففوة الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا العربية يعدّ أمراً حيويّاً بالنسبة الى أمن المسالك البحرية والبرية المؤدية الى الهند. فضلاً عن ذلك، أصبح الإقرار بالسيطرة البريطانية الكاملة على ولاية الموصل أمراً مرغوباً فيه من أجل استغلال إمكانياتها الاقتصادية عاجلاً أم آجلاً. ولذلك، أصبح ضرورياً ان يُعاد النظر في بنود اتفاقية سايكس- بيكو أو حتى التخلي عنها تماماً من خلال إقناع الفرنسيين بالتنازل عن مجال نفوذهم السياسي في المنطقة (A).

بفضل سياستها المرنة في ظاهرها، التي استوعبت فكرة تشكيل حكومة ذاتية كردية تحت إشراف موظفيها، أصبحت بريطانيا في موقف أقوى لكسب تأييد المحليين الكرد في المنطقة (A)، الذين لم يكونوا يثقون بتاتاَ بنوايا الفرنسيين بسبب دعمهم للجماعات المسيحية المحلية. ولم يُبدِ الكرد أية رغبة تُذكر في الخضوع لسيطرة فرنسية، في الوقت الذي كانت الحماية البريطانية تعني مستقبل أكثر إشراقاً لهم مما كان قائماً. وكانت لندن تُفكر بالفعل في بسط نظام السيطرة غير المباشرة على المنطقة (A) كلها، تمهيداً لدمجها بالدولة الكردية الفتية الجديدة، شريطة ان تلتحق النواحي العربية من تلك المنطقة، كمدينة الموصل والقرى العربية الى الجنوب منها، بميزوبوتاميا العربية الخاضعة للإدارة البريطانية المباشرة. وتظاهرت السلطات البريطانية في بغداد بالموافقة على نظام السيطرة غير المباشرة (أي توحيد كردستان الجنوبية بعد إلغاء مجال النفوذ الفرنسي في جزء منها)، حتى انها اقترحت تشكيل «مجلس مركزي لكردستان الجنوبية يتألف من القادة التقليديين، تحت رعاية بريطانية».^{١٦٥}

¹⁶⁴ SIS to Civil Commissioner, Baghdad, Confidential, (undated) F0371/3386, PRO.

¹⁶⁵ Political, Baghdad, to SIS for India, 30 October 1918, AIR20/512, PRO.

بقدر ما يتعلق الأمر بالكولونيل ويلسون، مثلت فكرة قيام الكُرد بتقرير مصيرهم فرصة تُمكنه ووزارة الهند من مقاومة أي مشروع لإقامة حكم عربي أو بسطه على كُردستان الجنوبية، بحسب نقاط الاتفاق التي تضمنتها مراسلات حسين-مكماهون في أثناء الحرب. فمن وجهة نظره، ان اتخاذ ترتيبات سياسية وإدارية وفرضها كأمر واقع بمساعدة الكُرد أنفسهم سيكسبها شرعية لا يستطيع الفرنسيون أو الشريفيون العرب التشكيك فيها. وتضمنت احدي مذكرات وزارة الهند إشارة واضحة الى هذا الأمر:

من الواضح، بقدر ما يتعلق الأمر بكُردستان الجنوبية في اقل تقدير فان الأهالي قد مارسوا حق تقرير المصير واختاروا (عدا استثناءات معينة) في ان يتحولوا الى كونفدرالية منفصلة في ظلّ إرشاد بريطاني. ان هذا الإعلان وقبوله رسمياً من قبل المفوض المدني يبدو انه ينبغي (على أي حال فيما يتعلق بالكُرد الجنوبيين) اقتراح الكولونيل لورنس الخاص بمملكة عربية- كُردية. لكن، سيبقى الأمر صعباً مع فرنسا، وان التطورات الأخيرة في كُردستان تؤكد ضرورة ضمان إعادة نظر، في الأقل، في ذلك الجزء من اتفاقية سايكس-بيكو، الذي يتعلق بمقاطعة (district) الموصل وأعالي وادي دجلة. ان الرغبة في الوحدة التي عبّر عنها الكُرد في السليمانية يجعل من غير الممكن الدفاع أكثر من ذي قبل عن تقسيم إقليمهم الى ثلاث مناطق بشكل اعتباطي.¹⁶⁶

بهذا النحو، جاء كيان الحكم الذاتي في كُردستان الجنوبية الى الوجود نتيجة لتضافر عوامل عدّة هي: أولاً، لم تكن بريطانيا في موقف يجعلها تقبل بالتزامات عسكرية أو مالية إضافية بعد انتهاء الحرب، في وقت كانت هي في حاجة ماسّة الى تسريح قواتها العسكرية وخفض نفقاتها الامبريالية. ثانياً، تطلّب تعزيز موقف بريطانيا في ميزوبوتاميا (ذات الأهمية الإستراتيجية بالنسبة الى أمن الطرق البرية والبحرية الى الهند) ان تبقى كُردستان الجنوبية هادئة وحليفة أو في اقل تقدير صديقة للبريطانيين. ثالثاً، لم يكن بإمكان البريطانيين التفاوضي عن أو حتى ترويض التطلعات السياسية الكُردية الجامحة في المراحل الأولى من انتشار نفوذهم في كُردستان الجنوبية. رابعاً، لقد كان بإمكان تلك السياسة المرنة ان تُفشل دعايات

¹⁶⁶ J.E. Shuckburgh, India Office, Memorandum, 14 December 1918, F0371/3386, PRO.

الحرب المعادية لبريطانيا، التي أطلقها الأتراك والبُلشفيون ضدهم. وأخيراً، يُمكن ان تكون كُردستان الجنوبية في حال تمتعها بحكم ذاتي وسيلة على المدى القصير بيد ويلسون لإفشال محاولات أنصار الحركة الشريفة في إقامة دولة عربية تشمل ولاية الموصل، فضلاً عن ولايتي بغداد والبصرة.

نهاية دولة الحكم الذاتي الكُردية: الملايسات والغايات

١. مواقف الموظفين البريطانيين الميدانيين

عُرف عن الكولونيل ويلسون (سواء في الدوائر البريطانية الموجودة في لندن أو الموجودة في الشرق الأوسط) انه كان موظفاً تقليدياً ذا نزعة امبريالية سافرة،^{١٦٧} وذلك بسبب إيمانه الشديد بضرورة تحويل الأقاليم المفتوحة في ميزوبوتاميا وكُردستان الى مستعمرات بريطانية بحتة وبشكل صريح. ولم يُخف ويلسون رغبته المبكرة في جعل كُردستان الجنوبية (محمية بريطانية)^{١٦٨} في تقييماتها الأولى بشأن المناطق الكُردية:

من الناحيتين السياسية والإستراتيجية، هناك الكثير للتحديث عن تبني خط (نهر) الزاب الصغير حدوداً لدولة العراق، شاملة التون كوبري والسليمانية وبنجوين: ان مقاطعتي السليمانية و حلبجة الغنيتين قابلتان لتطور كبير، وان منتجاتهما هي أساسية بالنسبة الى صناعات العراق ورفاهيته، أي البترول والفحم الحجري والحبوب والجوز ومواد الأصباغ والتبغ. ان للمادتين الأوليتين على الخصوص، وكما تعلم حكومة صاحب الجلالة، قيمة عظيمة كامنة.^{١٦٩}

وطوال وجود ويلسون في ميزوبوتاميا بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠، لم يُبدِ حتى لمرة واحدة تعاطفاً يُذكر تجاه مطالب الحكم الذاتي الكُردية أو يقرّ بوجود تطلعات قومية كُردية. ولم يخفق القوميون الكُرد أنفسهم في ملاحظة الاختلاف الكبير بين موقف

¹⁶⁷ انظر على سبيل المثال لا الحصر المصدر الآتي:

Foreign Office Minute on 'the Administration Report on the Sulaimaniya division for Year 1919, 23 July 1920, F0371/5069r PRO.

¹⁶⁸ Political, Baghdad, to Political Sulaimaniya, 26 November 1918, AIR20/512, PRO.

¹⁶⁹ Political, Baghdad, 15 October 1918, F0371/3407, PRO.

ويلسون ومروّسه نوّيل تجاه الوضع الكردي. ففي مذكراته الشخصية، أشار رفيق حلمي، الذي عمل لفترة مترجماً مع البريطانيين، الى ان ويلسون لم يخف معارضته لوجود كيان كردي يتمتع بحكم ذاتي ولقيادة الشيخ محمود السياسية.^{١٧٠} وادعى ويلسون انه نظراً لانقسام الكرد (حالهم في ذلك حال العرب) وعجزهم عن حكم أنفسهم فانه ينبغي على بريطانيا ان تفرض الحماية المباشرة بصورة تجعل الموظفين البريطانيين مسؤولين وحدهم عن وضع السياسات وتنفيذها على الأرض.^{١٧١} وليس غريباً إذن ان لا يدخر ويلسون جهداً وقتاً في انتقاد تجربة الحكم الذاتي الكردية وتعريتها في التقارير التي كان يبعثها الى لندن، والإدعاء بأن المصالح البريطانية تستلزم إعادة النظر في الترتيبات الإدارية العثمانية القديمة.^{١٧٢}

لقد جسّد نوّيل حالة استثنائية بالمقارنة مع معاصريه من الموظفين السياسيين البريطانيين العاملين في كردستان الجنوبية من حيث دفاعه المستميت والثابت عن نظام السيطرة غير المباشرة، بالرغم من إقراره بوجود بعض النواقص فيه. أما بقية الموظفين البريطانيين فكانوا يتفقون مع موقف ويلسون المعارض لفكرة قيام كردستان جنوبية تتمتع بحكم ذاتي. وعكس وجود تلك المواقف رغبات المنادين بها في ممارسة سيطرة شاملة في إدارة الشؤون الكردية، كما عكست سماتهم ورغباتهم الشخصية. والجدير بالذكر ان جميع هؤلاء الموظفين ومساعدتهم قد جاءوا من صفوف الجيش البريطاني بسبب فقدان الكادر الإداري المدني المؤهل،^{١٧٣} وكذلك قلة الأشخاص من أصحاب الخبرة العملية في الشؤون الشرقية. وهذا الأمر ربما يُفسر الصرامة الشديدة التي تبناها الموظفون البريطانيون الميدانيون خلال التعامل مع أهالي كردستان الجنوبية.

ويصف أحد المعاصرين الكرد، رفيق حلمي، الميجر إي بي سون (خليفة نوّيل) بأنه متكبر جداً وفظ في تعامله مع السكان.^{١٧٤} وحين أصبح سون الموظف السياسي لمقاطعة السليمانية في العام ١٩١٩، سارع الى استبدال أغلبية الموظفين الكرد بهنود

¹⁷⁰ حلمي، *ياداشت*، ج١، ص٧١.

¹⁷¹ Political, Baghdad, to Political, Sulaimaniya, 26 November 1918, AIR20/512, PRO.

¹⁷² Political, Baghdad, 7 December 1918, F0371/3386, PRO.

¹⁷³ Hay, *Two Years in Kurdistan*, pp.5-6.

¹⁷⁴ حلمي، *ياداشت*، ج١، ص١٠٨.

وفرس وعرب. واستهدف هذا الإجراء إزالة الطابع الكردي عن الإدارة المحلية.^{١٧٥} ولم يكن الموظف السياسي لمقاطعة الموصل، الكولونيل جي إي لجمن، يخفي تشككه أو حتى كراهيته تجاه الكرد بسبب إيمانه الثابت باقتراحهم مجازر ضد المسيحيين المحليين في أثناء الحرب. ولهذا عامل لجمن المحليين الكرد بقسوة حيث قام بتهميرهم من مقاطعته.^{١٧٦} وفي مذكراته الشخصية، يوضح هومفري بومان، مدير التعليم في ميزوبوتاميا، كيف ان تعاطف لجمن مع (نكبة) المسيحيين أضفت عليه صفة القسوة بين المحليين الكرد.^{١٧٧} كما عُرف عن لجمن اتخاذ إجراءات قاسية ضد عرب ميزوبوتاميا، الذين قاموا بقتله في نهاية الأمر خلال أحداث حالات التمرد في العام ١٩٢٠. والجدير بالإشارة، ان خليفة لجمن، جي أج بيل، كان قد حذر السلطات البريطانية الميدانية من وقوع عواقب وخيمة في حالة استغلال اللاجئين المسيحيين الاثوريين في قمع المحليين الكرد بوصفها وسيلة عملية لتوطيد النفوذ البريطاني.^{١٧٨} ويُفسر نهج التفرقة الدينية لماذا اتخذت أولى الانتفاضات الكردية في مقاطعة الموصل بُعداً دينياً واضحاً، إذ كانت رد فعل مباشر على توطين البريطانيين للاجئين الاثوريين الغرباء في أراضٍ تعود ملكياتها الى الكرد.

وبالانسجام مع مواقفه العدائية التي اتخذها تجاه المحليين الكرد في مقاطعته، أبدى لجمن وبشكل طبيعي معارضته الشديدة لنظام السيطرة غير المباشرة التي ارتبطت به كيان الحكم الذاتي الكردي. وعبرت تلك المعارضة عن نفسها في حادثة خوشناوتي التي بدأت في بداية شهر كانون الثاني عام ١٩١٩. ففي حينها، أخبر نوئيل رئيسه ويلسون برغبة أشرف منطقة خوشناوتي الواقعة ضمن مقاطعة الموصل بالانضمام الى كيان الحكم الذاتي الكردي الذي ترأسه الشيخ محمود.^{١٧٩} وحالما علم بقرار ويلسون بالموافقة من حيث المبدأ على ما اقترحه نوئيل، سارع لجمن الى التعبير عن معارضته الشديدة لما حصل، طالباً منه العدول عن ذلك القرار.^{١٨٠} وبعد اطلاعه

¹⁷⁵ المصدر السابق، ص ٧٧ و ٨٤-٨٨.

¹⁷⁶ Political, Mosul, to Noel, Rowanduz, 11 January 1919 & Political, Mosul, to Political, Baghdad, 18 January 1919, AIR20/12, PRO.

¹⁷⁷ Humphrey Bowman, Middle East Window (London & Toronto: Longmans & Green Co., 1942), p.241.

¹⁷⁸ J. H. Bill to Civil Commissioner, Memorandum on the Future of the Qaza of Amadia, 21 October 1919, F0371/4193, PRO.

¹⁷⁹ Noel, Rowanduz, to Political, Baghdad, 10 January 1919, AIR20/512, PRO.

¹⁸⁰ Political, Mosul, to Political, Baghdad, 11 January 1919, AIR20/521, PRO.

على معارضة لجمن، أرسل نوئيل برقية أخرى الى ويلسون احتج فيها على إلغاء قراره حول توسيع الرقعة الجغرافية للكيان الكردي كي يشمل منطقة خوشناوتي: أنا لا أرى أي داعٍ في ان تعيد النظر في قرارك. أولاً، لا يوجد هناك سبب قوي يجعلنا نلتزم بالتقسيم (الإداري) التركي للمقاطعات، حتى لو كان الأمر كذلك، فان القبيلة المعنية كانت خاضعة لحكومة راوندوز بين عامي ١٨٩٦ و١٩١٤. ثانياً، جاء ممثلو القبيلة الواقعة في هذا الجانب من (نهر) الزاب لرؤيتي، معبرين عن رغبتهم في القبول (بسلطة) الشيخ محمود. ثالثاً، ان الحركة القومية التي بدأت تنمو يومياً من حيث القوة، وهي تحوي (بذور) التطور الطبيعية والصحية و... قد تُجذب وتستوعب العناصر الكردية النقية جميعها، (التي) ستفضله بطبيعة الحال على شكل الإدارة المختلطة في الموصل.^{١٨١}

لقد مثلت قضية الموقف من تلبية رغبة إشراف منطقة خوشناوتي في الانضمام الى كيان الحكم الذاتي أولى إشارات الانقسام الحاصل في مواقف الموظفين البريطانيين الميدانيين تجاه النظام الأمثل القادر على توطيد الموقف البريطاني في كردستان الجنوبية. ولم تُخف بقية الموظفين الميدانيين البريطانيين معارضتها القوية لوجود دولة كردية، ناهيك عن توسيع رقعتها الجغرافية. وضمن هذا التوجه، طلب الكابتن ستيفان لونغريغ، الموظف السياسي المساعد في كركوك،^{١٨٢} من ويلسون إخراج مقاطعة كركوك من سيطرة الحكومة الكردية في السليمانية.^{١٨٣} وفي عشية الانتفاضة الكردية، التي أعلنها الشيخ محمود في ٣ أيار ١٩١٩، حذر الموظف المساعد في اربيل من خطورة التأثيرات الصادرة عن كيان الحكم الذاتي الكردي على المقاطعة التي يُديرها، مُبدياً معارضته للطبيعة المرنة لنظام السيطرة البريطانية المباشرة المُطبقة في كردستان الجنوبية، التي منحت الموظفين الكرد دوراً محدوداً في الإدارة المحلية. كما دعا الموظف المساعد الى توحيد جميع أنظمة السيطرة بصورة عاجلة لمنع ظهور مطالب أخرى بالحكم الذاتي، على غرار ما حصل في السليمانية.^{١٨٤} ان شيوع هذه

¹⁸¹ Noel, Rowanduz, to Political, Baghdad, 10 January 1919, AIR20/512, PRO.

¹⁸² كتب ستيفان لونغريغ كتابين عن العراق استند فيهما الى تفسير الأحداث والتطورات من وجهة نظر بريطانية صرفة.

¹⁸³ Administration Report of the Sulaimaniya F0371/5069, PRO, p.3.

¹⁸⁴ Assistant Political Officer, Arbil, to Political Officer, Mosul, 3 May 1919, F0371/4193, PRO.

الآراء المساندة لإقامة إدارة بريطانية مباشرة بين الموظفين الميدانيين والضباط العسكريين في ميزوبوتاميا هو العامل الذي سهّل من مهمة ويلسون في منع عملية ظهور كردستان جنوبية تتمتع بحكم ذاتي، وكذلك القضاء على جميع آثار إدارة الحكم الذاتي الكردي القائمة في السليمانية.

واتسمت عملية فرض السيطرة المباشرة بطابعها التدريجي واستغلال الموظفين البريطانيين للتناقضات القبلية والمناطقية. وفي الوقت نفسه، عبّرت العملية عن وجود تناقض بين المشروع الذي كانت تفضله حكومة لندن والمتمثل بقيام كردستان جنوبية على أساس دولة واحدة أو عدّة دول، ومشروع ويلسون الميداني الهادف الى دمج جميع المناطق الكردية بالإدارة البريطانية المباشرة في بغداد. وكان لتوقيت الانقلاب في السياسة البريطانية الميدانية أهمية خاصة لأنها جاءت بعد قبول باريس المبدئي بإعادة النظر ببنود اتفاقية سايكس-بيكو في ١٨ كانون الأول ١٩١٨ بطريقة تسمح بدمج المنطقة (A) الفرنسية بمنطقة النفوذ البريطاني في كردستان الجنوبية. وهذا يُفسر جزئياً لماذا تراجع ويلسون عن فكرة توحيد إدارة إقليم كردستان الجنوبية على أساس الحكم الذاتي والسيطرة البريطانية غير المباشرة. وبدلاً منها، اقترح ويلسون «تجزئة» كردستان الجنوبية بين الكيان السياسي الكردي القائم وميزوبوتاميا العربية الخاضعة للإدارة البريطانية المباشرة. وتضمن هذا الاقتراح دمج المناطق المنخفضة من كردستان بإدارة ميزوبوتاميا البريطانية، في حين تُلحق المناطق المرتفعة بكيان الحكم الذاتي الكردي.^{١٨٥} وكانت غاية ويلسون من وراء كل ذلك منع تقسيم المنطقة (A) بين دولة الحكم الذاتي الكردي والدولة العربية المستقبلية، كما أوصت لندن بذلك. وادعى ويلسون في أحد تقاريره انه وبالرغم من غياب التجانس الأثني والديني، فان الرأي العام في مقاطعة الموصل مال لصالح خيار (دولة واحدة) تحت إدارة بريطانية بحيث تشمل كردستان الجنوبية والولايتين ذات الأغلبية العربية: بغداد والبصرة.^{١٨٦}

ألقي ويلسون المسؤولية على عاتق الكولونيل لجمن في إعادة تنظيم مقاطعة الموصل وفق نظام سيطرة الموظفين البريطانيين المباشرة. ونتيجة تنفيذ قرار

¹⁸⁵ A.J.Toynbee, Foreign Office Minute No.207981, 21 December 1918, F0371/3386, PRO.

¹⁸⁶ Ibid.

ويلسون، ظهر نظامان من السيطرة في كردستان الجنوبية لمدة ستة الى سبعة أشهر: تمثل الأول بكيان الحكم الذاتي الكردي القائم في المناطق الواقعة بين نهر الزاب الكبير غرباً والحدود العثمانية-القاجارية القديمة شرقاً، وتجسد الثاني في الإدارة البريطانية المباشرة الذي غطت المناطق الواقعة الى الشرق من نهر الزاب الكبير بما في ذلك منطقة سنجار الكردية. وبعد ان استقرت إدارة بريطانية مباشرة في جزء من كردستان الجنوبية، اتخذ ويلسون الاستعدادات لبسط سيطرتها على جميع أرجاء الإقليم المذكور. وتبين زيارة بومان في نيسان عام ١٩١٩ كيف كان قرار ويلسون في إلغاء الحكومة الكردية سرّاً مفتوحاً بين الموظفين البريطانيين، بحيث كان تطبيق السياسة الجديدة مجرد مسألة وقت.^{١٨٧} لقد استهدفت السياسة الانقلابية الجديدة منع توسيع كيان الحكم الذاتي الكردي جغرافياً لكي لا يشمل مناطق جديدة، مثل راوندوز وخوشناوتي. وفي الوقت نفسه، لجأ الموظفون البريطانيون الى سياسة تفرقة الصفوف بهدف إضعاف سلطة الحكومة الكردية. وضمن هذا التوجه، قام الموظفون البريطانيون بحث بعض القبائل الكردية، خاصة تلك التي كانت لها مشاكل عالقة مع أسرة الحفيد كالجاف، على التعبير عن معارضتها لحكومة الشيخ محمود تمهيداً لإخراجها من سلطتها.^{١٨٨} وفي مذكراته الشخصية، تحدث رفيق حلمي عن الكابتن أج بيل، الذي عمل معه مترجماً في كويسنجق، كيف كان يُدون تفاصيل الخلافات القبلية والعداوات الشخصية، خاصة تلك التي تعلق بالشيخ محمود.^{١٨٩}

على الصعيد الإداري، قام ويلسون بتعيين عدد من الموظفين السياسيين ومعاونيهم ممن كانوا يؤمنون بقوة بفرض سيطرة بريطانية مباشرة على كردستان الجنوبية، ومنهم الميجر سون في السليمانية، والميجر دبليو آر هي في اربيل،^{١٩٠} وكابتن أي جي راندل في كويسنجق. وعمل الموظفون البريطانيون على توسيع صلاحياتهم وتدخلاتهم على حساب حكومة الشيخ محمود، مبررين ذلك بوصفه رد فعل على السياسات غير العادلة التي كان ينتهجها ممثلو الحكومة الكردية. ففي قضاء كويسنجق، ادعى مساعد الموظف السياسي البريطاني في تقرير له كيف انه ((أُجبر

¹⁸⁷ Bowman, Middle East Window, p.228.

¹⁸⁸ حلمي، ياداشت، ج١، ص٧٨.

¹⁸⁹ المصدر السابق، ص٨٠-٨١.

¹⁹⁰ راجع كتابه عن ذكرياته في كردستان: Two Years in Kurdistan.

على التدخل)) في إدارة شؤون القضاء لكي ((يمنع التصادم أو الظلم)).^{١٩١} وكانت احدي نتائج السياسة الانقلابية الجديدة فصل مقاطعتي كركوك وكفري عن السليمانية وضمها عن كيان الحكم الذاتي في شباط ١٩١٩. وبالتناسب مع انحسار الرقعة الجغرافية لكيان الحكم الذاتي الكردي واقتصارها على السليمانية والمناطق المحاذية لها، أنكمش نفوذ الشيخ محمود وقلّت صلاحيات حكومته بشكل كبير. واستمرت عملية تحجيم الكيان الكردي بفصل مقاطعة راوندوز عنه في شهر حزيران ١٩١٩، في حين تم نقل كويسنجق إدارياً الى لواء اربيل الحديث التكوين.^{١٩٢} لقد استهدفت سياسة ويلسون الانقلابية تمزيق أوصال كردستان الجنوبية إدارياً وسياسياً بطريقة تمنع السليمانية من ان تبقى بؤرة للتحرك السياسي أو تصبح نواة لتشكيل دولة كردية كبيرة. كما سعى ويلسون ومرؤوسوه الى سد الطريق أمام ظهور قيادة سياسية موحدة ذات شرعية بين صفوف الكرد الجنوبيين.

٢. التفسيرات البريطانية في مواجهة التفسيرات الكردية عن الدولة الكردية

خضعت الظروف المحيطة بقيام الدولة الكردية وبأسباب تدميرها الى تأويلات مختلفة قدمها معاصرون كرد وبريطانيون. ففي أعقاب إسقاط حكومة الشيخ محمود، سارع ويلسون الى التقليل من شأنها، وتشويه وظيفتها، واصفاً إياها بأنها نظام إقطاعي خاضع لسيطرة بريطانية مباشرة.^{١٩٣} وفي اتصالاته مع رؤسائه في لندن، استخدم ويلسون مصطلح (الكونفدرالية) لدى تحدّثه عن كيان الحكم الذاتي الكردي، مدعياً انه لم يكن سوى اتحاد بين قبائل كردية يستند الى توافق جماعي تقليدي، وليس بوصفه ترتيباً سياسياً وإدارياً خاصاً أتفق عليه البريطانيون، من جانب، والشيخ محمود، من جانب ثانٍ. وبالطريقة نفسها، وصف الميجر سون الحكومة الكردية بأنها مجرد نظام قبلي متأخر. لقد سعت السلطات البريطانية الميدانية من وراء إطلاق تلك الصفات على كيان الحكم الذاتي الكردي الى استباق أي انتقاد يوجه ضدها بسبب إفشالها تجربة السيطرة غير المباشرة، وكذلك التهرب من المسؤولية في حالة تدهور الأوضاع السياسية والأمنية.

¹⁹¹ Administration Report on Keuisenjaq for the Year 1919,

¹⁹² The Administration Report on the Sulaimaniya division for Year 1919, F0371/5069, PRO, p.3.

¹⁹³ Ibid, p9.

لكن الوقائع، خاصة الظروف المحيطة ببسط النفوذ البريطاني على المناطق الكُردية تتناقض بصورة جلية مع ادعاءات ويلسون وسون وغيرهما من الموظفين البريطانيين بشأن تركيبة الكيان الكُردى ووظيفته وطبيعته صنع القرار ومصدره. فلم يكن الشيخ محمود رئيساً صورياً للإدارة الكُردية القائمة في عهده، ولم يُبدِ أي استعداد في ان يكون حاكماً مُجرداً من صلاحيات فعلية. ان سماته الشخصية العنيدة القوية تعارضت مع الدور الأسمى المحدود الذي رسمه له ويلسون. لقد مارس الشيخ محمود صلاحيات كبيرة لدى تصريف الشؤون الحكومية بما في ذلك تعيين الموظفين الكُرد في جميع المناطق الخاضعة لسلطته. أما الموظفون البريطانيون، وفي مقدمتهم نوئيل، فاقصر دورهم على تقديم الاستشارة والتنسيق بين الحكومة الكُردية والإدارة البريطانية في بغداد. بتعبير أدق، مارس المستشارون البريطانيون نفوذهم من خلال الشيخ محمود، ولم يكن الموظفون الكُرد مسؤولين أمامهم. على سبيل المثال لا الحصر، يُبين التقرير الإداري الخاص بقضاء كويسنجق كيف ان حاكم المدينة (حاكمي شار) كان مسؤولاً بصورة مباشرة إمام الشيخ محمود، في حين مارس الموظف المساعد البريطاني عمله بصفته مستشاراً له في القضايا الإدارية.¹⁹⁴ وتميزت الإدارة المحلية بطابعها الكُردى البحت، إذ جاء جميع المنتسبين من الكُرد. كما كان للحكومة الكُردية قوة عسكرية كُردية (الليفي)، نظمها ضباط كُرد، ووضعت تحت إمرة الشيخ محمود.¹⁹⁵ وكانت اللغة الكُردية اللغة الرسمية في إدارة الحكم الذاتي. أما القوانين فقد عُدت لتتماشى مع العادات والتقاليد المحلية. وفضلاً عن كل ذلك، كان لكيان الحكم الذاتي ميزانيته الخاصة القائمة على نظام جباية الضرائب. واستخدمت موارد الكيان في مجالات تحسين المرافق العامة، إلا ان الفائض منها كان يُرسل الى السلطات البريطانية في بغداد.

لم تكن الإدارة الكُردية من وجهة النظر الشيخ محمود وأنصاره مجرد ترتيب مؤقت جاء ليلبي حاجات آنية وإنما هي مثلت نواة دولة كُردية كبيرة تضم جميع مناطق كُردستان الجنوبية. فإضافة الى ذلك، لم يعتبر الكُرد تشكيل تلك الإدارة اعترافاً صريحاً بسلطة الشيخ محمود بوصفه زعيماً قومياً فحسب بل أيضاً إقراراً بريطانياً ضمنياً بأن كُردستان الجنوبية تُمثل وضعية سياسية وإدارية خاصة تختلف

¹⁹⁴ Administration Report on Keusenjaq., op. cit., p.31.

¹⁹⁵ Precis of Affairs-, op. op. cit., p.16.

عن بقية مناطق ميزوبوتاميا العربية الخاضعة لسيطرة بريطانية مباشرة، التي لا تؤدي نخبتها العربية المحلية دوراً يُذكر في الإدارة المحلية. وينبغي التأكيد هنا ان من الصعب جداً التأكد من ان الميجر نوئيل قام بإطلاع الجانب الكردي أم لا بالطابع المؤقت للترتيبات السياسية والإدارية التي أحاطت بتشكيل كيان الحكم الذاتي الكردي. فبالنسبة الى المعاصرين الكردي، ومنهم رفيق حلمي والشيخ قادر الحفيد (شقيق الشيخ محمود)، لا يرفضون تلك المزاعم المتعلقة بالطابع المؤقت والتجريبي للإدارة الكردية فحسب، بل أيضاً يؤمنون بأن الوعود البريطانية قد انطوت على توسيع الرقعة الجغرافية لكيان الحكم الذاتي. ان الأمر الذي شجع على خلق هذا الانطباع عند هؤلاء الكردي هو موافقة البريطانيين على إلحاق مناطق جديدة تقع بين نهري الزاب الكبير والزاب الصغير بكيان الحكم الذاتي الكردي.

وكان نوئيل قد قدم بنفسه طلباً الى السلطات البريطانية في بغداد يحثها فيه على الموافقة على توحيد بقية مناطق كردستان الجنوبية عن طريق دمجها بالكيان الكردي القائم. والجدير بالإشارة، ان بعض مناطق كردستان الشرقية المحاذية للحدود العثمانية- القاجارية قد قدمت هي الأخرى طلباً تؤكد فيه رغبتها بالانضمام الى الكيان الكردي. ولم تستطع السلطات البريطانية في بغداد ان تتهرب من انها هي التي كانت قد أطلقت فكرة ((كردستان للكردي)) تحت الحماية البريطانية بما في ذلك إنشاء دولة كردية، وإن هذه الفكرة لاقت ((شعبية حقيقية)) الى درجة ان ((إشارات صدرت عن جميع القبائل المجاورة تؤكد رغبتها في الانضمام الى الكونفدرالية الكردية)).¹⁹⁶

ففي ضوء هذه التطورات، قام البريطانيون بالموافقة على الصيغة الآتية:

سيُسمح للقبائل الكردية (الموجودة) بين (نهري) الزاب الكبير و ديبالي (عدا تلك القبائل الموجودة في الإقليم الفارسي)، التي تقبل بإرادتها الحرة بقيادة الشيخ محمود، ان تفعل ذلك، وان الأخير سينال دعمنا الأخلاقي في المناطق المذكورة آنفاً نيابة عن الحكومة البريطانية.¹⁹⁷

بحسب الشهادة التي قدمها نوئيل في وقت لاحق، كانت كردستان الجنوبية ((هادئة وقانعة)) خلال الأشهر الأولى من حياة الحكومة الكردية.¹⁹⁸ ويبدو ان توطيد

¹⁹⁶ Ibid, p10.

¹⁹⁷ Ibid.

¹⁹⁸ E.W.L. Noel, Note -in- Colonial Office Minute No.4958, 22, July 1922, C0730/13, PRO.

أركان الكيان الكردي وبسط نفوذ حكومة الشيخ محمود على مناطق كردية أخرى هي التي أثارت المخاوف عند ويلسون ودفعت به الى التعجيل بتغيير السياسة الميدانية بما في ذلك وضع نهاية لتجربة الحكم الذاتي. ومنذ بداية كانون الأول ١٩١٨، بدأت كردستان الجنوبية تشهد، سواء بصورة علنية أو خلف الكواليس، تصعيداً تدريجياً للخلافات البريطانية- الكردية حول المستقبل السياسي والإداري للمناطق الكردية الواقعة خارج كيان الحكم الذاتي. فمن جهة، عدّ ويلسون والموظفون البريطانيون من الذين شاطروه الرأي والموقف تزايد نفوذ الحكومة الكردية خطراً ينبغي التصدي له بالسرعة الممكنة قبل أن يفوت الأوان. ومن جهة ثانية، شدّد الشيخ محمود إصراره على توسيع الرقعة الجغرافية لكيان الحكم الذاتي من خلال إلحاق مناطق كردية أخرى بناءً على رغبات زعاماتها المحلية. وعدّ الشيخ محمود ما كان يطلبه أمراً طبيعياً ومنسجماً لا مع الرغبات الكردية المحلية فحسب، بل أيضاً مع روح الاتفاق الذي أبرمه مع البريطانيين ومع توجهات السياسة البريطانية العامة التي كان يتعامل معها. وشكلت زيارة ويلسون الى مدينة السليمانية في ١ كانون الأول ١٩١٨ نقطة الانعطاف في العلاقات الكردية- البريطانية. فخلال تلك الزيارة، عقد ويلسون اجتماعاً موسعاً مع أعضاء الحكومة الكردية بحضور نحو ٦٠ شخصية كردية محلية جاءت من مناطق كردستان الجنوبية ومن بعض مناطق كردستان الشرقية. ففي هذا اللقاء، حاول الجانب الكردي جاهداً الحصول على وعد بريطاني لا يضمن المستقبل السياسي لكردستان الجنوبية فحسب، بل أيضاً مستقبل أجزاء كردستان الأخرى، من خلال قيام كردستان موحدة مستقلة تحت حماية بريطانية.^{١٩٩}

وبحسب رأي رفيق حلمي، فإن الرغبة بالوحدة السياسية تحت قيادة الشيخ محمود، التي عبّرت عنها الزعامات الكردية الجنوبية والشرقية على حد سواء، هي التي أقنعت ويلسون بضرورة التخلص من الحكومة الكردية ورئيسها.^{٢٠٠} لقد عدّت السلطات البريطانية الميدانية، من جانبها، نشاطات محمود السياسية وتقديمه لمطالب جديدة انحرافاً عن الاتفاقات السابقة بينها.^{٢٠١} وبين ليلة وضحاها، أضفت التقارير البريطانية على الشيخ محمود صفة الطاغية، ولجأت الى ماضيه في محاولة

¹⁹⁹ India Office, Political Department, 27 August 1919, F0371/5069, p.2.

²⁰⁰ حلمي، ياداشت، ج١، ص٩٤.

²⁰¹ Administration Report of the Sulaimaniya division..., op. cit.

منها للتأكيد على شخصيته المتمردة التي لا يمكن الوثوق بها. وادعت تلك التقارير بان سعي الشيخ الى توسيع كيانه من خلال إلحاق مناطق غير مرغوب فيها بحسب المقاييس والمصالح البريطانية (كأربيل ومقاطعة الموصل)، ومحاولة كسبه ولاء جهات كُردية معادية للحلفاء قد حوّلته الى خطر يُهدد مستقبل السلام في البلاد.^{٢٠٢} ولهذا تحتم على ولسون، بحسب إدعاءاته، اتخاذ خطوات عاجلة لكبح جماح الشيخ محمود ومنع نفوذه من الانتشار الى ((مناطق غير ضرورية أو يُعترض عليه، وحيث يُشكل في المستقبل خطراً محتملاً يُهدد السلام)).^{٢٠٣}

ويُمكن القول، عند تلخيص موقف ولسون تجاه الشيخ محمود، ان الأول وافق على إقامة حكومة كُردية على مَضض لأسباب موضوعية تتعلق بضعف الموقف البريطاني العسكري والسياسي في شمال ميزوبوتاميا، وإنه عدّ الحكومة الكُردية ترتيباً سياسياً وإدارياً مؤقتاً وليس بديلاً عن الإدارة البريطانية المباشرة، كما يتضح من التقرير البريطاني الاتي:

"ومن دون التعاون والمساعدة الكاملتين التي كان يمنحنا إياها (الشيخ محمود) في ذلك الوقت، لأصبح من الضروري إدخال حامية (بريطانية) قوية، وهو الأمر الذي كان مستحيلاً في حينه. ومن وجهة النظر السياسية، كان من المهم جداً ان نُعزز النظام في المنطقة (الكُردية)، في نفس الوقت الذي نتجنب فيه مظهر من يستخدم القوة لهذا الغرض".^{٢٠٤}

وحالما اقتنع ولسون بأنه لم تُعد هناك حاجة لوجود حكومة كُردية بعد توطيد النفوذ السياسي والعسكري البريطاني، لم يتردد في اتخاذ السبل اللازمة لتدميرها. وتصاعدت مخاوف ولسون بسرعة وذلك لأن القبول المتزايد الذي اكتسبته تجربة الحكم الذاتي بين أوساط الكُرد في المناطق غير الخاضعة لسلطة الشيخ محمود قد تُجره على تطبيق نظام السيطرة غير المباشرة في مناطق ميزوبوتاميا العربية.^{٢٠٥} لتلك الأسباب، لم يدخر ولسون وقتاً أو جهداً في اتخاذ إجراءات عاجلة للقضاء على تجربة الحكم الذاتي حالما أُعتقد بامتلاكه للإمكانات السياسية والعسكرية اللازمة لإدارة كُردستان الجنوبية بواسطة الموظفين البريطانيين. وبحسب شهادة نوئيل، كان

²⁰² Precis of Affairs-, op. cit., p15.

²⁰³ Ibid.

²⁰⁴ Ibid, p.12.

²⁰⁵ E.W.L. Noel, Note -in- Colonial Office Minute, No.4958, 22 C0730/13, PRO.

ويلسون هو الذي اتخذ لوحده قرار إنهاء الحكومة الكُردية، من دون ان يستشير في ذلك الموظفين البريطانيين العاملين في تلك الحكومة. وقام بتنفيذ القرار الموظف السياسي الجديد، الميجر سون.^{٢٠٦}

عواقب فرض الحكم البريطاني المباشر على كُردستان الجنوبية بالنسبة الى المسألة الكُردية

لم تترك سياسة ويلسون الانقلابية تجاه الحكومة الكُردية خياراً أمام الشيخ محمود وحلقته القومية سوى تحدي السلطات البريطانية في بغداد، متهماً إياها بنكث الوعود السابقة. ولم يكن هذا التحدي في جوهره معادياً لبريطانيا أو يستهدف إنهاء نفوذها، وإنما كان رد فعل مباشر على الانقلاب الكبير الحاصل في سياسة ويلسون الميدانية القائمة، التي تزامنت مع تغيير الكادر الاستشاري البريطاني العامل ضمن الدولة الكُردية. ولم يكن للتحدي الكُردى أي ارتباط، لا من بعيد ولا من قريب، مع نشاطات حركة تركيا الفتاة المعادية للبريطانيين، كما يدعي المؤرخ بريتون سي بوش.^{٢٠٧} لقد كان الهدف الرئيس للكُرد الراضين للانصياع الى أوامر بغداد هو العودة الى الوضع السياسي والإداري السابق، إي قبل أن يُقلب ويلسون السياسة الميدانية رأساً على عقب لصالح فرض إدارة بريطانية مباشرة. ولم يكن الشيخ محمود غافلاً عن حقيقة انه كان في حاجة ماسة الى مساندة الحكومة البريطانية، خاصة وانه كان يأمل منها أداء دور مؤثر في مؤتمر السلام الدولي القادم في اتجاه الاعتراف بتطلعات السياسية القومية الكُردية.

بدأ التحدي الكُردى في ٢٢ أيار ١٩١٩ بدون ان تُراق أية دماء حيث اعتقلت حكومة الشيخ محمود جميع الموظفين البريطانيين، العسكريين منهم والمدنيين، في مدينة السليمانية. وسرعان ما تلقت الانتفاضة مساندة قوية من جانب بعض القبائل الكُردية الواقعة على الطرف الآخر من الحدود العثمانية- القاجارية القديمة، وهذا الأمر سهل تحرير منطقة شهرزور بما في ذلك مركزها مدينة حلبجة. وبينما كان الشيخ محمود يُعلق آماله على إلزام الجانب البريطاني على الدخول بسرعة في مفاوضات لمنع وقوع مصادمات عسكرية، أصر ويلسون على اللجوء الى القوة لحسم الموقف لصالح

²⁰⁶ Ibid.

²⁰⁷ Britton C. Busch, Mudros to Lausanne: Britain's Frontier in West 1918-1923 (New York: State University of New York Press, Albany, 1976), p.186.

البريطانيين، ولم يكن هدفه الأساس قمع المنتفضين الكُرد بقدر ما كان تدمير كيان الحكم الذاتي الكُردى بشكل نهائي. ويُذكر ان ويلسون قد أُصر بعد قمع الانتفاضة على شنق الشيخ محمود خلال المحاكمة العسكرية التي أُجريت له،²⁰⁸ بدلاً من نفيه الى الخارج، كما كانت تطالب السلطات العسكرية الميدانية. أراد ويلسون من وراء ذلك أن يقطع جميع الصلات مع القوميين الكُرد بصورة نهائية لكي يتسنى له توحيد إدارتي كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا العربية وفق نظام الحكم البريطاني المباشر.

على الرغم من قمع التحدي الكُردى وأسر قائده الشيخ محمود خلال القتال، استمرت المقاومة الكُردية للحكم البريطاني المباشر، حيث واصل أنصار الشيخ من الكُرد الجنوبيين والكُرد الشرقيين نشاطاتهم بمهاجمة المواقع البريطانية بصورة متقطعة.²⁰⁹ وفي الوقت نفسه، لم تتلق سياسة ويلسون الانقلابية في القضاء على كيان الحكم الذاتي الكُردى وإلحاقها بالإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا العربية تأييداً يُذكر من الزعامات الكُردية المحلية الأخرى، باستثناء قلة من (المتنورين بدرجة أكثر)، على حد وصف تقرير بريطاني.²¹⁰ ان انتشار الفوضى واختلال الأمن والنظام في المناطق الكُردية، خاصة الجبلية منها، أصبح السمة السائدة للحياة في كُردستان الجنوبية في المرحلة التي أعقبت اختفاء كيان الحكم الذاتي الكُردى.²¹¹ والجدير بالإشارة، ان نظام الحكم البريطاني المباشر لم يفشل في كُردستان الجنوبية فحسب، بل أيضاً في ميزوبوتاميا العربية. فقد شهدت الأخيرة وقوع حالات من التمرد في العام ١٩٢٠ نجم عنها مقتل ٤٢٦ جندياً بريطانياً وجرح ١٢٢٨، فضلاً عن ٦١٥ آخرين ممن اعتبروا في عداد المفقودين أو الأسرى.

واختلفت الأساليب التي عبّرت من خلالها الزعامات الكُردية المحلية عن معارضتها للحكم البريطاني المباشر، حيث لجأ بعض منها الى الحوار المباشر وإسداء

²⁰⁸ A.Tabot Wilson, Mesopotamia, 1917-1920: A Clash of Loyalties, London: Oxford University Press, 1931], p.142.

²⁰⁹ في أول مجابهة عسكرية مع القوات البريطانية، ألحقت القوات الكُردية هزيمة بها. لكن سرعان ما أعد ويلسون حملة عسكرية جديدة نجحت في قمع الانتفاضة وأسرت الشيخ محمود بعد اصابته بجروح. وقدم محمود الى المحاكمة ونفي الى الهند، وظلّ فيها معتقلاً حتى منتصف العام ١٩٢٢.

²¹⁰ Precis of Affairs, op. cit., p.12.

²¹¹ Sulaimaniya Monthly Progress Report for the Month of August 1919, F0371/5070 & Administration Report of the Kirkuk division for Period January 1st 1919-December 31st 1919, F0371/5069, PRO.

النصح، في حين لجأ بعض آخر الى قوة السلاح. ولم تقتصر المعارضة الكُردية لفرض الحكم البريطاني المباشر على المناطق، التي كانت ضمن كيان الحكم الذاتي الكُردى، فحسب، بل شملت العديد من المناطق الكُردية الأخرى. وفي اربيل، طالبت زعامات الكُرد الدزئيين البريطانيين بوضع ترتيبات سياسية وإدارية شبيهة بتلك التي كانت موجودة في المناطق الواقعة الى الشرق من نهر الزاب الصغير (أي كيان الحكم الذاتي). ولم تؤدِ إجراءات تجميلية اتخذها موظفون بريطانيون لم تمس بنية الحكم البريطاني المباشر وآلياته، كمنح بعض الزعامات الكُردية مراتب شرفية أو دوراً استشارياً محدوداً في القضايا الإدارية، الى الحد من انتشار الاضطرابات أو حدة المعارضة. ففي مقاطعة الموصل، وجد الموظفون البريطانيون صعوبة اكبر في التعامل مع سكان مناطق كُردية، كزاخو وعقرة، بالمقارنة مع سكان الاقضية القريبة من السليمانية، حين عملوا على إعادة تنظيمها إدارياً وسياسياً وفق نظام الحكم البريطاني المباشر.²¹² وفي بداية شهر نيسان ١٩١٩، تفاقمت الاضطرابات في زاخو بحيث أدت الى مقتل الموظف السياسي المساعد فيها، كابتن سي بيرسون.²¹³ ويُبين مقطع من يوميات الموظف السياسي البريطاني في اربيل كيف كان السورجيون والبارزانيون نشطين في معاداة الوجود البريطاني.²¹⁴ ويُذكر ان البارزانيين كانوا قد تحالفوا قبل ذلك مع خصومهم الزيباريين خلال انتفاضتهم ضد البريطانيين، التي أدت الى مقتل الموظف السياسي في مقاطعة الموصل، الكولونيل بيل (خليفة لجمن) والموظف السياسي المساعد في عقرة، كابتن كي سكوت.²¹⁵

ان العامل الديني هو الذي سعد من الموقف السياسي المتأزم وضاعف من غضب الكُرد العام من الموظفين البريطانيين في مقاطعة الموصل والمتمثل بموقفهم الداعم للاجئين المسيحيين الأثوريين على حساب مصالح الأغلبية الكُردية المحلية. لقد قام البريطانيون بإعادة توطين هؤلاء اللاجئين القادمين من إيران في أراضٍ تعود للكُرد ومن ثم استخدامهم كأداة للسيطرة البريطانية على السكان الأصليين. ومن اجل تعزيز الحكم البريطاني المباشر لجأ بعض الموظفين البريطانيين الى نهج تفريق

²¹² Precip of Affairs, op. cit., p.10.

²¹³ G.L.Bell, Northern Kurdistan, 8 March 1920, AIR20/513, PRO.

²¹⁴ Extract from the Dairy of Political Officer, Arbil, for Month of January 1920, F0371/5068, PRO.

²¹⁵ Political, Baghdad, 4 November 1919, F0371/4193, PRO.

الصفوف على أساس الدين. وكان لجمن أول مسؤول بريطاني لجأ الى ذلك النهج الهدام من الناحية الاجتماعية في المنطقة الكُردية الواقعة ضمن مسؤوليته الإدارية. وأبدى عدد قليل من الموظفين البريطانيين شكوكهم بجدوى تبني ذلك النهج لما له من خطورة على السلم الأهلي والتعايش الاجتماعي بين السكان الأصليين والوافدين كوسيلة لتوطيد أركان الحكم البريطاني المباشر في بعض مناطق كُردستان الجنوبية. ففي عشية انتفاضة العمادية، عبّر الكولونيل بيل عن مخاوف كبيرة تجاه تنفيذ فكرة إرسال اللاجئين الاثوريين الى المناطق الكُردية،^{٢١٦} قبل أيام فقط من وقوع حادثه قتله على يد المنتفضين الكُرد:

ان الاعتبار الوحيد الذي يدفع بالقبائل (الكُردية) الى إبداء معارضة عنيدة هو فكرة اننا مصممون على دعم المسيحيين ضد المسلمين بأية طريقة ممكنة... في الوقت الذي نسعى فيه الى التوصل الى ترتيب توفيقى مع المسلمين.^{٢١٧}

أما ويلسون فأنكر وجود أية علاقة مباشرة أو غير مباشرة بين إرسال اللاجئين المسيحيين وإسكانهم في مناطق كُردية واندلاع انتفاضة العمادية، التي أجبرت مرؤوسيه على مغادرة عقرة.^{٢١٨} عموماً، رفض ويلسون الاعتراف ان المصدر الحقيقي للمتعاب الشديدة التي كان يواجهها البريطانيون على الارض تكمن في تجاهل الرغبات الكُردية في الإدارة الذاتية.^{٢١٩} أما رفيق حلمي فعزا انتشار السخط الكُردى الى النهج القاسي التي اتبعه البريطانيون بعد نفي الشيخ محمود الى الهند.^{٢٢٠}

وتخبط الموظفون البريطانيون الميديانيون في محاولاتهم لتبرير وقوع الاضطرابات الحادة التي كانوا يواجهونها في المناطق الكُردية الخاضعة لسيطرتهم المباشرة. وأرجع بعض منهم أسباب الانتفاضات الكُردية، ومنها انتفاضة العمادية في تشرين الثاني ١٩١٩، الى الدعاية التركية المعادية للمسيحيين وكذلك الى الدعاية الفرنسية المناصرة للمسيحيين، مدعين ان موقف الفرنسيين هو الذي أثار مخاوف واسعة بين الأهالي الكُرد.^{٢٢١} عموماً أرجع الموظفون الميديانيون التغيير الطارئ في المواقف

²¹⁶ Foreign Office Minute No. 168555, 8 January 1920, F0371/4193, PRO.

²¹⁷ H. Bill to Civil Commissioner, Baghdad, Memorandum on the future of the Qaza of Amadia, 21 October 1919, F0371/4193, PRO.

²¹⁸ Civil Commissioner, Baghdad, 9 November 1919, F0371/4193, PRO.

²¹⁹ Civil Commissioner, Baghdad, 20 November 1919, F0371/4193, PRO.

²²⁰ حلمي، ياداشت، ج١، ص ٨-١٤.

²²¹ Precis of Affairs-, op. cit., p.11.

الكردية تجاههم الى عاملين رئيسيين هما: أولاً، سمات الكرد القومية، ومنها ((كراهيتهم المعتادة للقانون))، و ((الطموحات الشخصية لقادتهم المحليين)) وخلافاتهم الداخلية، وثانياً، التأثيرات الخارجية وأهمها نشاطات الكماليين المعادية لبريطانيا (نسبة الى مصطفى كمال زعيم النزعة التركية الطورانية) بين الأوساط المحلية الكردية القائمة على استغلال المشاعر الدينية والنزاعات القبلية الداخلية،^{٢٢٢} وانتشار الأطروحات البلشفية القادمة من إيران وتركيا،^{٢٢٣} وعودة أسرى الحرب الكرد من الهند الى ديارهم، الذين سردوا حكايات عن كيفية اضطهاد البريطانيين للهنود.^{٢٢٤}

لقد اتخذت المعارضة الكردية للسيطرة البريطانية المباشرة أشكالاً متعددة. ففي حين لجأ أنصار الشيخ محمود الى أساليب الكر والفر في مهاجمة المواقع الخاضعة للسيطرة البريطانية، انتفضت قبائل كردية سواءً بمفردها أو بالتحالف مع قبائل أخرى خاصة في المناطق الجبلية الوعرة والناثية. ويلاحظ أن حالات التمرد المحلية لم تتطور الى انتفاضة كردية عامة شاملة لغياب التنسيق والحساسيات القبلية والمناطقية. وهذا الأمر ساعد البريطانيين على الحد من خطورة حالات التمرد تلك، بالرغم من فشلهم في القضاء عليها قضاءً مبرماً، كما لم تكن حالات التمرد حصرًا على منطقتي الموصل والسليمانية، إنما شملت النواحي الغربية من كردستان بما في ذلك منطقة جزيرة ابن عمر. ونظرًا لعجز السلطات البريطانية الميدانية عن وضع حد للاضطرابات وفقدان السيطرة على الأوضاع في عموم إقليم كردستان الجنوبية، بدأت المخاوف تُثار في بعض الدوائر الرسمية في لندن، وذلك لأن وقوع انتفاضة كردية عامة ضد الوجود البريطاني سيلقي بظلال الشك على جميع الالتزامات البريطانية في كردستان.^{٢٢٥} وساهم بروز تلك المخاوف جزئيًا في ظهور دعوات أطلقتها الدوائر الرسمية البريطانية المختلفة تنص على اتخاذ سياسة عامة مُشخصة تجاه كردستان ومستقبلها بأسرع وقت ممكن.

وأثار تأزم العلاقة بين الكرد الجنوبيين والموظفين البريطانيين مخاوف حقيقية في أوساط الحلقات القومية في كردستان الشمالية، التي ربّما كانت تخشى ان يقود الوضع المتدهور في المناطق الكردية الخاضعة للإدارة البريطانية المباشرة الى ردود فعل

²²² Civil Commissioner, Baghdad, Priority, 11 November 1919, F0371/4193, PRO.

²²³ Civil Commissioner, Baghdad, 27 March 1920, F0371/5068, PRO.

²²⁴ Administration Report Of the Sulaimaniya Division-, op. cit.

²²⁵ Parliamentary Question, No.151967, 14 November 1919, F0371/4193, PRO.

سلبية في لندن بحيث تؤثر على موقفها الرسمي تجاه المسألة الكردية في مؤتمر السلام القادم، مما قد يجعلها ترفض فكرة إخضاع كردستان لانتداب بريطاني منفصل. وكما خشى القوميون الكرد من قيام الأتراك باستغلال الوضع المتأزم القائم لإعادة نفوذهم الى كردستان الجنوبية وإيجاد فريق من المناصرين لهم بين الكرد الراضين للحكم البريطاني المباشر. ورأى هؤلاء القوميون الكرد في السياسة الميدانية القائمة على الحكم المباشر السبب الرئيس للمشكلات التي كان يواجهها البريطانيون في المناطق الكردية. ففي أعقاب حادثة عقرة، أبلغت لجنة الاستقلال الكردية في كردستان الشمالية الحكومة البريطانية بوجود أسباب داخلية وراء الاضطرابات السائدة في المناطق الكردية الخاضعة لسيطرتها. ومن خلال تأكيدها على إقرار البريطانيون أنفسهم في ان القبائل الكردية المنتفضة ضدهم كانت هي تلك القبائل نفسها التي رحبت بقدمهم في نهاية الحرب، أقلت لجنة الاستقلال الكردية باللوم بشكل رئيس على النهج الذي اتبعه الموظفون الميدانيون البريطانيون الذي تجاهل مشاعر الكرد وتقاليدهم القومية. كما ان اللجنة ذاتها حذرت من تنامي مشاعر كردية معادية لبريطانيا، داعية في الوقت نفسه البريطانيون الى تهدئة الأوضاع الملتهبة على المدى القصير من خلال تعيين موظفين بريطانيين جدد لهم ((معرفة جيدة بسلوك القبائل النفسية وبشخصيتها)).^{٢٢٦} واتفق نوييل مع هذا الرأي الى حد كبير حيث أكد على ان الانقلاب الحاصل في السياسة الميدانية البريطانية من احتضان النزعة القومية الكردية الى معاداتها هو السبب الرئيس للمتعاب التي كان الموظفون البريطانيون يواجهونها في كردستان العثمانية.^{٢٢٧}

بدأت تتصاعد أصوات بعض الموظفين البريطانيين الميدانيين والوجهاء المحليين الكرد الداعين الى إعادة نظام السيطرة غير المباشرة القديم من اجل فسخ المجال أمام قيام حكم ذاتي كردي جديد. وكانت هذه الدعوات وليدة قناعات متزايدة بضرورة اتخاذ إجراء عاجل للسيطرة على انتشار المعارضة الكردية للحكم البريطاني المباشر. وعلى الرغم من إيمان الميجر سون العميق بالحكم البريطاني المباشر وإبداء تحفظات شديدة حول منح الكرد حكماً ذاتياً،^{٢٢٨} عدَّ تشكيل حكومة كردية برئاسة حمدي بك

²²⁶ Residence, Cairo, to Curzon, 9 December 1919, F0371/4193, PRO.

²²⁷ E.W.L. Noel, Note -in- Colonial Office Minute No.4958, 22 July 1922, C0730/13, PRO.

²²⁸ Soane, Sulaimaniya, to Civil Commissioner, Baghdad, 11 January 1920, F0371/5068, PRO.

بابان (وهي إحدى الشخصيات الكُردية ذات الميول البريطانية والمقيمة في اسطنبول)، اقتراحاً «أكثر عقلانية» من غيره، وان «مثل هذه الخطوة ستنال التزكية عاجلاً أم آجلاً من أجل نزع سلاح الدعايين» (أي أنصار الشيخ محمود، الذين ادعوا تراجع البريطانيين عن وعود سابقة قطعوها على أنفسهم).^{٢٢٩} والتمس موظفون مساعدون بريطانيون، من ضمنهم الكابتن سي تي بيل، من ويلسون ان يدرس فكرة إنشاء نظام سيطرة غير مباشرة في منطقة راوندوز من خلال إقامة «دولة» كُردية صغيرة تعمل على إعادة الاستقرار واستتباب الأمن، بعد ان فشل البريطانيون في فرض سيطرتهم المباشرة عليها.^{٢٣٠} والجدير بالذكر ان لمنطقة راوندوز اهمية إستراتيجية بفضل إشرافها على احدى الطرق الرئيسية المؤدية الى كُردستان الشرقية. ورشح الموظفون البريطانيون الميدانيون السيد طه، حفيد الشيخ عبيد الله نهري، بوصفه الحاكم المؤهل لإدارة كيان الحكم الذاتي بحكم تمتعه بنفوذ ملحوظ بين أهالي تلك المنطقة. والغريب انه حتى الكولونيل لجمن أوصى بتنصيب السيد طه حاكماً على راوندوز.^{٢٣١}

يتضح مما سبق ان الدعوات بشأن إعادة تشكيل حكومة ذاتية في كُردستان الجنوبية لم تكن مقتصرة على العناصر القومية في السليمانية، إذ جابه ويلسون مطالب قدمها وجهاء محليون كُرد (ممن عارضوا الشيخ محمود أو اتخذوا موقفاً محايداً من نزاعه مع السلطات البريطانية في بغداد) تدعوه الى تشكيل حكم ذاتي كُردى بوصفه الضمانة ضد أية محاولة لإلحاق كُردستان الجنوبية بدولة ميزوبوتامية عربية مستقبلية. ففي بداية تموز عام ١٩٢٠، رفعت مذكرة مذيلة بتوقيع ٦٢ شخصية كُردية (أغلبها من زعماء القبائل ووجهاء المدن ومن مناطق السليمانية واربييل) طالبت بصريح العبارة بتحويل كُردستان الى دولة مستقلة تحت انتداب بريطاني منفصل^{٢٣٢} بالانسجام مع وعود الحكومة البريطانية السابقة. كما نصّت تلك المذكرة على ضرورة وجود ممثل عن أهالي كُردستان الجنوبية في مؤتمر السلام الدولي القادم.^{٢٣٣} وفي شهر

²²⁹ Confidential Memorandum From Political Officer, Sulaimaniya, to Civil Commissioner, Baghdad, 4 August 1920, F0371/5069, PRO.

²³⁰ Beale, Rowanduz, to Political, Baghdad, 29 May 1919, AIR20/714, PRO.

²³¹ Beale, Mosul, to Political, Baghdad, 6 June 1919, AIR20/714, PRO.

²³² Civil Commissioner, Baghdad, 3 July 1920, F0371/5069, PRO.

²³³ Translation of [an] Undated Persian Document, Civil Commissioner, Baghdad, 17 August 1920, F0371/5069, PRO.

آذار، رفع الكابتن سي أي روندل تقريراً الى ويلسون أشار فيه الى لقاءاته مع اثنين من الزعماء المحليين العاملين في الإدارة البريطانية في اربيل وهما الملا محمود أفندي، حاكم المدينة، ونائبه، جميل آغا. وكان الملا محمود أفندي «مؤكداً لأقصى حد في رايه انه ينبغي تعيين حاكم كردي» وان هذا «الحاكم يجب ان يتلقى دعم البريطانيين وإرشاداتهم».²³⁴ واقترح الزعيمان الكرديان ان تضم الدولة الكردية المقترحة «جميع كردستان الواقعة ضمن منطقة الانتداب البريطاني».²³⁵ وفضلاً عن الإيمان بضرورة وضع حد لحالة عدم الاستقرار المنتشرة في كردستان الجنوبية لما تسببه من أضرار للجانبين البريطاني والكردي، عبّرت تصورات تلكا الشخصيتين عن وجود مخاوف كردية متزايدة بشأن إمكانية عودة الحكم التركي الى المناطق الكردية أو احتمال إلحاقها بدولة عربية في ميزوبوتاميا.²³⁶ وعلى الرغم من تزايد الصعوبات المتعلقة بظهور التزامات مالية وعسكرية إضافية وبقضايا حساسة أخرى، مثل سحب الجنود البريطانيين أو إبقائهم بصورة دائمة في كردستان الجنوبية، ظلّ ويلسون متمسكاً بموقفه السابق بعناد كبير، مُصرّاً على استمرار نظام الحكم البريطاني المباشر، رافضاً في الوقت نفسه أية مقترحات (كردية أو بريطانية) تدعو الى قيام كيان حكم ذاتي كردي مهما كانت مساحته الجغرافية أو درجة الصلاحيات الممنوحة لقادته.

مواقف لندن تجاه شؤون كردستان الجنوبية

ان الجانب اللافت للنظر في طريقة تعامل ويلسون الميدانية مع الشؤون الكردية هو قدرته على إتباع نهج يختلف بشكل كبير عما كان يطرحه على حكومة لندن. ففي إحدى لقاءات كونفرانس شؤون الشرق الأوسط لما بين الوزارات (Interdepartmental Conference of Middle Eastern Affairs)، التي عُقدت برئاسة لورد كورزون من أجل مناقشة إدارة ميزوبوتاميا المستقبلية (١٧ نيسان ١٩١٩)، اقترح ويلسون وكبديل عن تحويل كردستان الى وحدة إدارية تتمتع بحكم ذاتي خطة لإقامة عدد من دول الحكم

²³⁴ Confidential Memorandum From Capt. A.G. Rudly, Arbil, to Civil Commissioner, Baghdad, March 1920, F0371/5069, PRO.

²³⁵ Confidential Memorandum From Political Officer, Arbil, to Civil Commissioner, Baghdad, 17 July 1920, F0371/5069, PRO.

²³⁶ Ibid.

الذاتي الصغيرة في المناطق الكُردية الخاضعة للسيطرة البريطانية: واحدة في منطقة السليمانية، والثانية في منطقة راوندوز، والثالثة في منطقة العمادية، والرابعة في منطقة جزيرة بن عمر ... الخ.²³⁷ وطبقاً لهذه الخطة، سيتولى رئاسة هذه الدول حُكام يختارون من بين الزعامات المحلية الكُردية الذين سيتلقون مساعدة مستشارين بريطانيين تعينهم السلطات البريطانية في بغداد. ونالت خطة ويلسون موافقة الكونغرانس المذكور المبدئية وتقرر الآتي:

ينبغي منح ويلسون صلاحية اتخاذ خطوات من اجل إقامة خمس مقاطعات في العراق، كما اقترح الكولونيل (إيفلين) هاول...، ومقاطعة عربية في الموصل، يحيطها شريط من دول الحكم الذاتي الكُردية تحت زعامة الأشراف الكُرد مع مستشارين سياسيين بريطانيين.²³⁸

لكن ويلسون لم يبادر الى تنفيذ تلك الخطة، وإنما أسرع الى إعادة تنظيم إدارة كُردستان الجنوبية وفق نظام السيطرة البريطانية المباشرة، مانحاً أولية استثنائية لمسألة تدمير تجربة الحكم الذاتي الكُردية الجارية آنذاك في السليمانية. ان التحليل الآتي لبنية السيطرة البريطانية في كُردستان الجنوبية يكشف بوضوح ان إدارة ويلسون كانت تُعيد ترتيبها على وفق نظام السيطرة المباشرة. فمنذ شهر كانون الأول ١٩١٨، حين أصبح ضمّ المنطقة (A) الى مجال النفوذ البريطاني أمراً محسوماً، قام ويلسون بتسخير جهوده من اجل تعميم نظام السيطرة المباشرة على جميع أرجاء كُردستان الجنوبية. واتخذت السيطرة المباشرة في حينها شكلين رئيسيين: كان الشكل الأول نظاماً قُبلياً، حيث عدت القبيلة الكُردية (تشكياً سياسياً) تحت السلطة الاسمية لزعماء تقليديين، يتم اختيارهم من قبل السلطات البريطانية بحسب مستوى الولاء. وكان على هؤلاء الزعماء الخاضعين لمراقبة الموظفين المساعدين البريطانيين تنفيذ الأوامر والتقيّد بالتعليمات الصادرة عن السلطات البريطانية في بغداد. وغالباً ما طُبّق هذا الشكل من نظام السيطرة المباشرة في النواحي الجبلية، مثل قلعه دزه، وعلى بعض القبائل الكبيرة القوية، مثل الجاف،

²³⁷ استثنى ويلسون عدة مناطق ومدن كُردية من خطة اقامة سلسلة من الدويلات الكُردية مثل اربيل وزاخو وعقرة كي يلحقها بمقاطعة عربية في الموصل التي ستكون خاضعة الى الإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا.

²³⁸ Interdepartmental Conference on middle Eastern Affairs (IDCM), Minute No-16 , 17 April 1919, F0371/4149, PRO.

وفي المناطق النائية، التي يصعب الوصول إليها. أما الشكل الآخر للسيطرة المباشرة فكان أكثر تشدداً من الأول، إذ أحتكر الموظفون البريطانيون السلطة والصلاحيات. وتبعاً لهذا الشكل من السيطرة المباشرة قُسمت مقاطعة السليمانية على خمس مقاطعات ثانوية وهي السليمانية وشارباثير وجمجمال وحبجة ورائيه. وكان لكل واحدة من هذه المقاطعات الثانوية موظف مساعد بريطاني لإدارة شؤونها المحلية. وقُسمت هذه التشكيلة الإدارية على مديريات (مديرلق) يُديرها موظفون بدرجة مدير، قد يكون بعضهم من الكُرد. وغالباً ما طُبّق هذا الشكل من الإدارة المباشرة في المناطق السهلية والمدن، حيث كان من السهل على البريطانيين نشر قواتهم بسرعة في الحالات الضرورية.

وخسر الكُرد سيطرتهم على قوات الليفي المحلية في شهر أيار من العام ١٩١٩، حين سُلمت قيادتها الى ضباط بريطانيين. وتناقص عدد الضباط الكُرد بوتيرة سريعة. فبعد ان بلغ عددهم ٣٦ ضابطاً في عهد حكومة الشيخ محمود، عاد لينخفض الى ٩ ضباط. كما أُجبر لمجنودون الكُرد على أداء الخدمة باسم الحكومة البريطانية بدلاً من الإدارة الكُردية.^{٢٣٩} وأُخضعت مقاطعة كركوك، التي كانت ضمن كيان الحكم الذاتي الكُردى حتى شهر شباط ١٩١٩، الى سيطرة بريطانية أكثر تشدداً من باقي المقاطعات الكُردية.^{٢٤٠} وسارع ويلسون الى تنظيم مقاطعة اربيل الحديثة التشكيل وفق نظام السيطرة البريطانية المباشرة.^{٢٤١} وكان من المفترض ان يكون لكل المقاطعات الكُردية مجلس إقليمي خاص بها خاضع لسيطرة بريطانية قوية، تمهيداً لضم كُردستان الجنوبية الى الإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا.

في تعليقه على التقرير الإداري لمقاطعة السليمانية للعام ١٩١٩، وصف هيوبرت يانغ، احد أبرز خبراء الشؤون العربية والشرق أوسطية في وزارة الخارجية البريطانية، خطوات ويلسون الإدارية المشار إليها آنفاً على انها «توضيح جلي جداً بشأن إلغاء خطوات اتخذت في الأصل لتشكيل كُردستان ذات حكم ذاتي، ومن اجل إقامة إدارة مباشرة بدلاً عنها».^{٢٤٢} والجدير بالتنويه ان بنية الحكم البريطاني المباشر في إقليم

²³⁹ Administration Report of the Sulaimaniya division., op. cit.

²⁴⁰ Administration Report of the Kirkuk division for Period January 1st, 1919 to December 31st 1919, F0371/5069, PRO.

²⁴¹ Administration Report of the Arbil division for the Year 1919, F0371/5069, PRO.

²⁴² H.W. Young, Foreign Office Minute on the Administration Report on the Sulaimaniya, division for Year 1919, No.4958, 23 July 1920, F0371/5069, PRO.

كُردستان الجنوبية كانت مختلفة عن تلك التي كانت قائمة في ميزوبوتاميا العربية، وذلك بسبب تميز المنطقتين الواحدة عن الأخرى من حيث درجة خضوعهما الى سيطرة البريطانيين السياسية ومن حيث سماتهما الجغرافية والاجتماعية. هذا من جانب، ومن جانب آخر، كانت حكومة لندن تتدخل بصورة أكثر في عملية صنع القرار الخاص بشؤون ميزوبوتاميا العربية السياسية والإدارية والعسكرية، في حين تركت مساحة أوسع من الحرية للسلطات البريطانية الميدانية في أسلوب إدارة شؤون إقليم كُردستان الجنوبية. وعبرَ هذا الوضع عن مستوى الوضوح في التصورات التي كوَّنتها حكومة لندن حول مستقبل ميزوبوتاميا العربية السياسي ومقدار رغبتها في تحديد مسار التطورات فيها، بالمقارنة مع كُردستان الجنوبية، التي افتقدت وجود خطوط عامة واضحة بشأن مصيرها على المديين القريب والمتوسط.

لقد خلق قلب ويلسون للسياسة الكُردية رأساً على عقب، كما أُشير إليه، حالة من عدم الاستقرار السياسي واسعة الانتشار، بحيث أُجبر البريطانيون على القيام بسلسلة عمليات عسكرية انتقامية، شملت قصف قرى كُردية بشكل عشوائي بغية السيطرة على الأوضاع المنفلتة. ولكن، بدلاً من ان تعزز السيطرة البريطانية، مكَّنت تلك الإجراءات القاسية الأتراك من استعادة بعض النفوذ في بعض المناطق الكُردية، خاصة الجبلية. وكان من الطبيعي ان تنزعج حكومة لندن من التطورات السياسية والعسكرية السلبية الحاصلة في كُردستان الجنوبية. ففضلاً عن رفضها القاطع لتقديم أية التزامات عسكرية أو مالية إضافية، خشيت حكومة لندن من أن تجعل سياسة ويلسون القائمة على تجاهل التطلعات السياسية الكُردية من كُردستان الجنوبية مصدر تهديد دائم للمصالح البريطانية في ميزوبوتاميا العربية وكذلك في إيران. حتى وزارة الهند، التي كانت تفضل بصورة عامة سياسة ويلسون في إخضاع إقليم كُردستان الجنوبية لسيطرة الموظفين البريطانيين الميدانيين، تولدت عندها شكوك بجدوى محاولات ويلسون في فرض حكم بريطاني مباشر على مناطق كُردية نائية (كالعمادية)، التي كان يتعرض فيها موظفون بريطانيون الى عمليات قتل على يد المحليين.^{٢٤٣} ولهذا أرسلت وزارة الهند برقية الى ويلسون في شهر آب (١٩١٩) أكدت فيها على القلق العام الناشئ في لندن بسبب تدهور الوضع الكُردية.

²⁴³ India Office, Political Department, 27 August, 1919, F0371/4192, PRO, p.2.

وفضلاً عن مصاعب مالية حادة وعدم معرفة المصير الذي ستؤول إليه كُردستان، أشارت برقية وزارة الهند الى وجود رغبة واضحة لدى لندن في عدم اللجوء الى إدارة بريطانية مباشرة أو الى الاحتلال العسكري السافر، مفضلة عليهما نظام الإشراف السياسي العام بوصفه الوسيلة الرئيسة لتأمين مصالح بريطانيا الإستراتيجية في كُردستان. وذكرت وزارة الهند ويليسون ان المسؤولين في حكومة لندن قد قاموا:

لحد الآن بدعم سياسة بسط النفوذ البريطاني على كُردستان الجنوبية لاعتقادهم ان الأهالي سيرحبون بذلك. فعلى اساس هذا التصور، قاموا بالموافقة على اقتراحك القاضي بتشكيل دول الحكم الذاتي الكُردية تحت زعامة الأشراف الكُرد مع مستشارين سياسيين بريطانيين... يبدو الآن ان ذلك التصور لم يكن في محله الصحيح، وان الأهالي، بدلاً من الترحيب بالنفوذ البريطاني، عبّروا عن عدائهم بشكل فعال الى الحد الذي يتطلب التصدي لهم. ففي ظل هذه الظروف، الا يكون انسحاب موظفينا السياسيين... وترك الكُرد وشأنهم المسار الأفضل؟ ان خيار تعزيز النظام عن طريق استخدام القوة ضد رجال القبائل الجبلية غير الراغبة (في الخضوع لحكم بريطاني) سيفتح الباب أمام إمكانية (نشوء) التزامات عسكرية، تنظر إليها حكومة صاحب الجلالة بخشية كبيرة. ان الأمر الأخير الذي لا ترغب في حدوثه هو خلق مشكلة على حدود العراق الشمالية- الشرقية، شبيهة بمشكلة حدود (الهند) الشمالية- الغربية.^{٢٤٤}

وتكشف هذه البرقية كيف كانت الحكومة البريطانية مخطئة في اعتقادها بأن ويليسون كان يقوم بتنظيم إدارة كُردستان الجنوبية وفق خطة دول الحكم الذاتي. ويبدو ان السبب في التباس الأمر على لندن يكمن في المعلومات التي أرسلها ويليسون بشأن طبيعة الإجراءات الميدانية التي اتخذها من قبله. باختصار، ان المصاعب البريطانية في كُردستان، وكما كان هو الحال في ميزوبوتاميا العربية، قد أمانت اللثام عن عيوب جدية في نظام الحكم البريطاني المباشر، فهو مُكلف من الناحية المالية ومخاطرة من الناحية العسكرية وضار من الناحية السياسية.

ومع إن سياستها الكُردية قد شابتها مصاعب جمّة لم يكن بالإمكان التسرّر عليها، أرجعت السلطات البريطانية الميدانية سبب الانقلاب في تلك السياسة والتخلي

²⁴⁴ Ibid.

عن تنفيذ مهمتها الأصلية في إقامة «كردستان جنوبية مستقلة» تحت رعاية بريطانية الى طابعها غير العملي وغير المنسجم مع «وضع البلاد المتأخر وغير المتطور وغياب الاتصالات والانشقاقات بين القبائل». فبهذا الشكل، صوّرت السلطات البريطانية الميدانية عملية التجزئة الإدارية لكردستان الجنوبية ومن ثم دمجها بالإدارة القائمة في ميزوبوتاميا العربية على انها إجراء ضروري ومبرر، مع إنها أقرت بأنها «خبيثت تطلعات» العديد من الكرد.^{٢٤٥} وفي برقيات لاحقة تبادلتها وزارة الهند مع ويلسون حول شؤون كردستان الجنوبية، واصل الأخير دفاعه المستميت عن سياسته الكردية، مدعيًا ان الحكم الذاتي الكردي كان خياراً غير قابل للديمومة أو البقاء. وادعى ويلسون عدم وجود أية ضرورة تستوجب تشكيل الحكومة الكردية في العام ١٩١٨:

ان الفكرة المتجسدة في نقاط الرئيس ويلسون الأربعة عشر، التي أكدها الإعلان الانكلو- فرنسي في ٨ تشرين الثاني، والمتمثلة بإحلال القومية أو الدين أو العرق كمعيار لقيام الحكومة في الشرق الأوسط بفضل قدرتها ومقدرتها على الحكم قد فجرت العداوات الخاملة في القرون الأخيرة. وتبنى (هذه الفكرة)، التي جاءت في خضم بؤس حاد أنتجته الحرب، كل عرق وكل طائفة، لتفسرها بحسب سماتها العرقية الخاصة.^{٢٤٦}

على صعيد آخر، أشارت الصحف الوطنية البريطانية في تقارير لها الى انتشار ظاهرة النشاطات المعادية لبريطانيا في كردستان الجنوبية.^{٢٤٧} وكما أثرت مسائل في البرلمان البريطاني بشأن طبيعة السياسة البريطانية تجاه ذلك الإقليم على المدى الطويل.^{٢٤٨} ومع ذلك، واصل ويلسون دفاعه عن موقفه، مدعيًا ان أغلبية الأهالي من الكرد قد أبدوا ترحيبهم بسياسة الحكم المباشر، التي لم تستند، على حد زعمه، الى «القوة بل الى الرضا»، وان الشعب الكردي، بحسب ادعائه، قد طالب برفع مستوى إشراف البريطانيين على شؤونه بعد أن «ذاق طعم الفوضى القومية لفترة وجيزة» في عهد حكومة الشيخ محمود.^{٢٤٩} ولكي يُسكّن مخاوف حكومة لندن من زيادة نفقاتها، ادّعى ويلسون ان ثروة كردستان الجنوبية المادية لن تفسح المجال لحصول أية زيادة

²⁴⁵ Precip of Affairs-, op. cit., p.12.

²⁴⁶ Political, Baghdad, Priority, 29 August 1919, F0371/4192.

²⁴⁷ Extract from Glasgow Herald, No.153000, 13 November 1919, F0371/4193.

²⁴⁸ Parliamentary Question, 14 November 1919, F0371/4193.

²⁴⁹ Ibid.

في الالتزامات المالية، وان مستقبل الإدارة البريطانية أكثر إشراقاً مما كان يبدو عليه، وذلك بسبب وجود حقول بترولية وأراضٍ خصبة لزراعة القمح. وصوّرَ وِلسون قراره في إلغاء الحكومة الكُردية على إنه السبيل الوحيد لإحباط محاولات ((العناصر غير المنظمة)) في السيطرة على إقليم كُردستان الجنوبية، وأنه من دون ذلك الإجراء يتحتم على البريطانيين تقديم التزامات عسكرية إضافية لحماية اربيل وكركوك وكفري.

لقد أخضع وِلسون اقتراح لندن الخاص بتشكيل كُردستان جنوبية تتمتع بحكم ذاتي الى حسابات إستراتيجية، وهي إنه ينبغي تحديد أشكال السيطرة البريطانية وإتساعها (أي أن تكون مباشرة أو غير مباشرة، أو تشمل رقعة جغرافية كبيرة أو محدودة). وطبقاً لتلك الحسابات الإستراتيجية، كان على السليمانية، التي مثلت بؤرة النشاط السياسي القومي، ان تخضع لإشراف بريطاني بصورة اشمل وأوسع مقارنة بمناطق كُردية أخرى/ وذلك بسبب أهميتها الجيوسياسية والعسكرية. علاوة على ذلك، ادعى وِلسون ان قيام كُردستان جنوبية تتمتع بحكم ذاتي سيؤدي لا محالة الى تخلية هذا الإقليم من الوجود البريطاني بصورة كاملة، وهو الأمر الذي سيُضعف موقف بريطانيا الاستراتيجي في ولايتي بغداد والبصرة، فضلاً عن خلق حالة من عدم الاستقرار السياسي الخطير.²⁵⁰ وستكون عاقبة كل تلك التداعيات، بحسب ادعاء وِلسون، إرغام بريطانيا على تقديم التزامات عسكرية ومالية أكثر بكثير مما كانت ستتحمله في حالة خضوع كُردستان الجنوبية لنظام السيطرة المباشرة. وبالرغم من فشلها كنظام إداري وسياسي، استمرت السيطرة المباشرة في المناطق الكُردية، وذلك بسبب التأثير الحاسم الذي كان يُمارسه الموظفون البريطانيون الميدانيون على مسرح الأحداث واتجاهاتها. وبهذا الصدد، تكشف مقدمة إحدى ملفات وزارة الخارجية عن قدرة سون، بوصفه الموظف السياسي، على سد الطريق امام اتخاذ أسلوب جديد في إدارة الشؤون الكُردية، وذلك حين أحبط محاولة لتعيين حاكم كُرد.²⁵¹

وكانت الحكومة البريطانية قد رفضت مقترحاً رفعه وِلسون لبناء خطٍ للسكك الحديد، يمتد من قزلباط الى كفري وكركوك، وذلك بسبب مخاوفها من ان يستغلها في تحقيق أهداف سياسية وعسكرية، أولهما تعزيز أركان نظام السيطرة المباشرة،

²⁵⁰ Civil Commissioner, Baghdad 13 February 1920, F0371/5070, PRO.
²⁵¹ Foreign Office Minute No.15161, 3 December 1920, F0371/5069, PRO.

وثانيهما قمع الانتفاضات الكُردية. وبالرغم من الموافقة المبدئية التي أبداهما وزير الدولة لشؤون الهند، إدوين مونتيجو، على خطة ويلسون المتعلقة بدمج كُردستان الجنوبية بميزوبوتاميا البريطانية لدواعٍ إستراتيجية،^{٢٥٢} فإن أغلبية المسؤولين البريطانيين المدنيين والعسكريين ممن حضروا اللقاء الذي عُقد في وزارة الهند قد أوصوا بإقامة دويلات كُردية: واحدة في السليمانية والثانية في جزيرة ابن عمر.^{٢٥٣} مع هذا، لا شيء من هذا القبيل قد تُرجم الى واقع ملموس بالتماشي مع توصيات ذلك اللقاء، هذا لأن الدوائر الرسمية البريطانية المختلفة كانت وما زالت غير متفقة بشأن مستقبل كُردستان الجنوبية على المدى الطويل، أي الى ما وراء فرض الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا.

عواقب فرض الحكم البريطاني المباشر على كُردستان الجنوبية بالنسبة الى المسألة الكُردية

ان الجانب الأبرز والأهم في تجربة الحكم الذاتي الكُردية هو القرار اللاحق الذي اتخذته السلطات البريطانية الميدانية في إنهاؤها قبل أن تنضج وأن تُكمل دورتها. واتخاذ هذا القرار لا يرجع الى فشل تلك التجربة، إذ أن الحكومة الكُردية نجحت في أداء مهام رئيسة أُلقيت على عاتقها، في مقدمتها ملء الفراغ السياسي والإداري الناشئ عن إنهاء الحكم التركي وعودة الاستقرار وتطبيع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية من دون ان تُثقل كاهل البريطانيين مالياً أو عسكرياً. كما ان تجربة الحكم الذاتي ولدت انطباعاتاً ايجابية عاماً بين الأهالي عن البريطانيين، وساعد هذا العامل على بسط نفوذهم في إقليم كان يزداد أهمية مع مرور الوقت من الناحية الجيوسياسية وبالموازاة مع تصاعد التهديدات التركية. ومكّن هذا الإقليم البريطانيين من الاتصال بريا بشمال غرب إيران حيث كمن الخطر البلشفي. ولأن الإقليم كان محاذياً لمجال النفوذ الفرنسي ومناطق مهمة أخرى الى الشمال منها، أصبح بإمكان البريطانيين التأثير في مسار التطورات السياسية في أقاليم كُردستان الشمالية وارمينيا وأناضوليا.

252 A. Hirtzel, India Office, 25 November 1919, F0371/4193, PRO.

²⁵³ Minute of a Meeting Held at the India Office, 6 December 1919, F0371/4193, PRO.

ترأس اللقاء ارثر هيرتزل، الوزير المساعد في وزارة الهند، من أجل مناقشة مقترح ويلسون حول تحديد الحدود بين ميزوبوتاميا وكُردستان الجنوبية في ٢٧ تشرين الثاني.

على ضوء ما سبق ذكره، لا يصح ان يُعزى العامل الذي دفع بويلسون الى إسقاط الحكومة الكُردية الى فشلها، بوصفها تجربة غير مدروسة في الإدارة المحلية، وإنما يجب التركيز على مخاوف حقيقية أثارها تلك الحكومة، بسبب عدم قدرة الموظفين البريطانيين على التحكم بالتطورات السياسية، التي تعدت تأثيراتها حدود الرقعة الجغرافية الأصلية للكيان الكُردى. فلكونها ارتبطت بنظام إداري وسياسي جديد أثبت قدرته على التوفيق بين مصالح بريطانيا العليا وتطلعات الكُرد النامية، تولدت لدى بويلسون مخاوف من ان يقود نجاح تجربة الحكم الذاتي الكُردى في السليمانية الى قيام دولة موحدة تشمل كُردستان الجنوبية ككل أو حتى تطبيق التجربة ذاتها في ميزوبوتاميا العربية (أي ولايتي بغداد والبصرة السابقتين، اللتان كانتا خاضعتين الى إدارة بريطانية مباشرة وسافرة). ويعني كل ذلك عملياً إنهاء نظام الحكم الاستعماري المباشر، الذي كان ينادي به بويلسون ويدافع عنه لأسباب إستراتيجية واقتصادية سبق الإشارة إليها. وشارك بويلسون في رأيه هذا مجموعة قوية من الموظفين السياسيين والضباط العسكريين الميدانيين. وهذا العامل جعل من الصعب جداً إعادة تطبيق تجربة الحكم الذاتي في كُردستان الجنوبية في ظل وجود سلطات ميدانية تعارضها بشدة. وكما سيُبين الفصل السادس، عجزت الحكومة الكُردية الثانية عن الاستمرار هي الأخرى، لكونها جاءت الى الوجود في ظروف سياسية غير ملائمة، إذ انها هي أيضاً واجهت معارضة شديدة من السلطات البريطانية الميدانية منذ لحظة قيامها في خريف العام ١٩٢٢.

إن للحقبة الزمنية ١٩١٩-١٩٢٠ أهمية سياسية استثنائية بسبب العواقب السلبية التي تركها نظام السيطرة المباشرة، والمتمثلة بضياع فرصة ثمينة بالنسبة الى الكُرد لتحقيق بعض تطلعاتهم السياسية في الحكم الذاتي. كما تحول نهج بويلسون الميداني الى نموذج يُمكن الاقتداء به مستقبلاً، لأنه أستند الى آلية إخضاع كُردستان الجنوبية، وكونه أوجد تبريرات إستراتيجية واقتصادية لإلحاق المقاطعات الكُردية بالإدارة القائمة في ميزوبوتاميا العربية. وكل تلك الأمور تُفسر لماذا وجد من خُلف الإدارة القائمة في كُردستان الجنوبية بالدولة العربية، بولسون في الإدارة من السهولة نسبياً إدماج إقليم كُردستان الجنوبية بالدولة العربية، بدلاً من تحويله الى كيان سياسي منفصل.

ان تقارير بويلسون خلال المدة ١٩١٨-١٩٢٠ تُبين لدى دراستها انه ومروؤسيه قاموا بتشويه معلومات جغرافية وديمغرافية وسياسية عن كُردستان الجنوبية، في

مقدمتها سعة الإقليم جغرافياً وتوزيع السكان فيها وتوجهات الكُرد السياسية وطبيعة علاقاتهم الاقتصادية بالأقاليم المجاورة. لقد ادعى وِلسون، على سبيل المثال لا الحصر، ان سكان اربيل وكركوك لم يكونوا من الكُرد، وإنما كانوا من الأتراك،^{٢٥٤} وان تواجد الكُرد قد اقتصر على المناطق الجبلية، وانهم اعتمدوا اقتصادياً على ميزوبوتاميا العربية. كما زعم وِلسون بأن الكُرد منقسمون أثنيًا الى مجموعتين: الأولى كُردية من حيث الأثنية ((وتشمل كل الأفراد الذين ينتمون الى القبائل)) والثانية غير كُردية ((أي كل الأفراد الذين لا ينتمون الى أية قبيلة)). بالاضافة الى ذلك، لم يعد وِلسون أهالي كُردستان من معتنقي ديانة أخرى غير الإسلام، كالإيزدية واليهودية والمسيحية من الأثنية الكُردية. ومن أجل احتواء المشاعر القومية الكُردية النامية، لجأ وِلسون ومرووسوه الى وسائل تركية قديمة، استندت أساساً الى سياسة تفريق الصفوف من خلال تشجيع النزعات القبلية والمحلية، حتى انه أضفى عليها طابعاً مؤسسياً ضمن نظام الحكم المباشر.

على صعيد آخر، تقاربت آراء الدوائر السياسية والعسكرية الميدانية في ميزوبوتاميا بشأن إقامة مستوطنات في بعض المناطق الكُردية الإستراتيجية، كالعمادية، يشغلها اللاجئين الأثوريون القادمون من إيران خلال الحرب العالمية الأولى. وتكمن غاية البريطانيين الرئيسة من وراء مشروع الاستيطان في إعادة تنظيم الأثوريين من الرجال في وحدات مسلحة جديدة، مهمتها الأساسية هي قمع الانتفاضات الكُردية. وقد تضمنت إحدى مقترحات وِلسون، التي بعثها الى اللورد كورزون، فكرة استغلال حادثة قتل أحد الموظفين البريطانيين على يد المحليين الكُرد، وذلك عن طريق تنفيذ مشروع استيطاني للاجئين الأثوريين يُنفذ في مناطق كُردية وقعت ضمن خط الهدنة.^{٢٥٥} وكانت الدوائر العسكرية الميدانية البريطانية تفكر بعض الوقت في مشروع إعادة تسليح اللاجئين الأثوريين، بوصفه وسيلة لتعزيز سيطرتها في مناطق كُردية صعب على البريطانيين إخضاعها، منها العمادية، التي كانت مسرحاً لانتفاضة كبيرة:

²⁵⁴ Civil Commissioner, Baghdad, 8 November 1919, F0371/4193, PRO. It should be said many of the Kurdish population of Arbil spoke (and still speak) Turkish alongside Kurdish.

²⁵⁵ Letter From Young to Kidston, 15 September 1919. F0371/4192, PRO.

لقد كان الأثوريون يحاربون الكُرد عدّة أجيال ... سيكون من الأفضل كثيراً أن يُسمح لقائد اللاجئين (الأثوريين) في معسكر بعقوبة بان يدعو ملك خوشابا ... وضباط آخرين ... الى تشكيل ثلاثة أفواج (drogin) او ثلاثة آلاف رجل تحت إمرة قائد بريطاني لبعض الوقت في العمادية.^{٢٥٦}

ومن الإجراءات العسكرية غير المُكلفة، التي دعا الى اتخاذها ويلسون وضباط عسكريون آخرون بهدف تعزيز المواقع البريطانية في المناطق الجبلية من إقليم كُردستان الجنوبية، استخدام سلاح الجو الملكي.^{٢٥٧} ومنذ تلك المدة، صار استخدام القوة الجوية الملكية وسيلة رئيسة لتوطيد السيطرة البريطانية على المناطق الكُردية المتمردة. ووسائل السيطرة القسرية هذه، التي طُورت واستُخدمت لأول مرة في عهد إدارة ويلسون، أصبحت جزءاً لا يتجزأ من السياسة البريطانية المستقبلية في إخضاع الكُرد وإبقاء كُردستان الجنوبية ضمن الدولة العربية طوال العهد الملكي.

كان لفرض نظام السيطرة المباشرة وإنهاء تجربة الحكم الذاتي تأثيرات سياسية طويلة المدى على مستقبل المسألة الكُردية. فالقضاء على التحدي السياسي الذي شكله الشيخ محمود وتفريق صفوف أنصاره من القوميين أدى الى عرقلة التطور الكمي والكيفي للحركة القومية الكُردية الفتية وكبح جماحها في كُردستان الجنوبية. ولا يُمكن التقليل من أهمية وجود زعامة قوية، كزعامة الشيخ محمود، بالنسبة الى الكُرد الجنوبيين، حتى أنّ السلطات البريطانية في بغداد قد أقرت بذلك صراحةً:

على الرغم من عيوبه، شكّلَ (محمود) في ذلك الوقت قيمة سياسية كبيرة. ففي كُردستان الجنوبية، يوجد مقابل كل شخص عارض تعيينه (حاكماً) أربعة أشخاص رحبوا بذلك، وهذه نسبة واطنة من الاعتراضات في بلد حيث الروابط العائلية والعداوات الداخلية لها دور كبير ... يبقى العامل الأبرز هو ان الشيخ

²⁵⁶ Ex. Commander-in-Chief to General Officer Commanding, 5 August 1919, AIR20/513, PRO.

²⁵⁷ Civil Commissioner, Baghdad, February 1920, F0371/5067, PRO.

لربما كان الاول من نوعه في التاريخ الحديث ان يقع قصف جوي ضد مراكز مدنية كوسيلة لاختتام الانتفاضات، كما فعل البريطانيون في كُردستان الجنوبية. للتفاصيل راجع:

David C. Omissi, Air Power and Colonial Control: the Royal Air Force, 1919-1939, (Manchester: 1990).

محمود كان قوة في البلاد، وعلى هذا الأساس كان لتعيينه قيمة متميزة في معاملتنا مع غالبية القبائل.^{٢٥٨}

ولم يقتصر نفوذ الشيخ محمود على مناطق كردستان الجنوبية فقط، وإنما امتد الى مناطق مجاورة في كردستان الشرقية، التي عبرت زعاماتها المحلية عن رغباتها في الانضمام الى كيان الحكم الذاتي الكردي والاعتراف بقيادتها. وأصبح غياب قيادة كردية في الداخل (أي قيادة الشيخ محمود)، بوصفها بديلاً سياسياً جاهزاً عن حكم الموظفين البريطانيين، عاملاً أطال من أمد نظام السيطرة المباشرة، بالرغم من وجود مشاعر عدم الارتياح إزاءه، أبدتها لندن في أكثر من مناسبة. وكان لهذا النظام تداعيات سياسية، من جعلتها أنها عبّدت الدرب أمام ضمّ كردستان الجنوبية الى الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا. وهذا التطور كان بمثابة تقسيم الأمر الواقع لكردستان العثمانية. كما يُمكن للمرء ان يعزو تَعَثُّر تطور كردستان الجنوبية سياسياً وإدارياً (بالمقارنة مع ميزوبوتاميا العربية) الى غياب قيادة سياسية كردية قادرة على تعبئة الأهالي أثنياً أو دينياً أو قبلياً. وهذا الأمر جعل من السهل نسبياً على البريطانيين تركيز الجهود في إنجاح مشروع منح ميزوبوتاميا العربية شكلاً من أشكال الإدارة الذاتية ضمن صيغة الانتداب اعتباراً من أواخر العام ١٩٢٠، وأن تجري العملية السياسية على حساب مستقبل إقليم كردستان الجنوبية.

خاتمة الفصل

لقد مثّل انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى وانهيار الإمبراطورية العثمانية نهاية للنظام الإقليمي الشرق الأوسطي القديم، وبداية لعملية جديدة تُعيد رسم خارطة تلك المنطقة الحساسة لمرحلة ما بعد الحرب. ومنحت هذه التحولات فرصاً متفاوتة لنخب القوميات الجديدة غير التركية (كالكرديّة والعربيّة والأرمنيّة) من أجل تحقيق تطوراتها السياسية. ونشطت الحركات القومية في كردستان العثمانية وكردستان القاجارية تحت تأثير ظروف الحرب وما رافقها من أحداث سياسية وتطورات عسكرية غير متوقعة، بدءاً بإعلان ويلسون لنقاطه الأربعة عشر، بوصفها أساساً يرتكز عليه النظام العالمي الجديد، وانتهاءً بثورة أكتوبر، المُنادية بتحرير

²⁵⁸ Precs of Affairs-, op. cit.,p.13.

جميع شعوب الشرق الخاضعة. ففي كُردستان الجنوبية، تصاعدت آمال الزعامات المحلية والأهالي على حد سواء مع توغل البريطانيين سياسياً وعسكرياً. وعدت الأكثرية من كُرد الجنوب البريطانيين محررين، لا مستعمرين. وبالفعل، مثل شعار «كُردستان للكُرد» (الذي رفعه البريطانيون بوصفه محوراً للإجراءات الإدارية والسياسية التي تبناها بعد انتهاء الحرب مباشرة) بداية لعهد جديد يُبشر بالخير، من وجهة النظر الكُردية.

ان التغييرات اللاحقة، التي طرأت على السياسة الميدانية المتمثلة باستبدال نظام السيطرة غير المباشرة بنظام السيطرة المباشرة في حزيران ١٩١٩، تُبين بجلاء كيف كان تفاؤل الكُرد سابقاً لأوانه حتى درجة الإفراط. ففي غياب سياسة رسمية نهائية مُحددة المعالم نحو مستقبل كُردستان السياسي على المدى المتوسط أو المدى البعيد، اتخذت إجراءات الموظفين الميدانيين البريطانيين أهمية فاقت ما هو مُعتاد عليه، حتى إنها أصبحت العامل المؤثر الرئيس سواء في سير التطورات السياسية اللاحقة، أو في النهج الذي ستتعامل فيه لندن مع المسألة الكُردية في أثناء مؤتمر السلام القادم. ان التبريرات والتصورات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية المتعلقة بأفضل السبل اللازمة لتعزيز موقف بريطانيا في ميزوبوتاميا العربية وكُردستان الجنوبية، التي قدمها الموظفون الميدانيون (في مقدمتهم ويلسون)، قد أثرت بشكل مباشر وكبير في الطريقة التي صاغت فيها لندن قرارها القاضي بضم كُردستان الجنوبية الى منطقة الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا. ويعني كل ذلك انه أصبح من الصعب ان تتحول كُردستان الجنوبية الى كيان إداري وسياسي قائم بذاته أو يُمكن فصل مصيرها عن مصير بقية المناطق الكُردية الواقعة الى الشمال والغرب منها. وكانت هذه بمثابة مؤشرات مُبكرة عن توجهات البريطانيين، التي تقاطعت مع مشروع قيام كُردستان موحدة، الذي طالب به القوميون الكُرد.

لقد كان لقمع القوميين الكُرد الجنوبيين وإلغاء حكومة الشيخ محمود الأولى تداعيات سلبية واسعة تعدت حدود المناطق الكُردية الخاضعة للسيطرة البريطانية. فالتحول الجذري الحاصل في السياسة الميدانية («وهي المسؤولة عن حالة الإرباك، الذي شاب الجهود الرامية الى تنسيق مواقف القوميين الكُرد على صعيد كُردستان الكبرى وعن خلق انطباع مشوش عن الوضع الكُردى لدى الدوائر الرسمية المعنية في

لندن))، قد تسببت في عرقلة عملية النضوج الطبيعي للحركة القومية وفي تحجيم الرقعة الجغرافية لانتشار النزعة القومية. إن غياب قيادة قومية، كالتّي مثلها الشيخ محمود، عن ميدان النشاط السياسي بعد حزيران ١٩١٩ كان مسؤولاً بشكل جزئي عن عدم وجود تنسيق يُذكر في الجهود السياسية والدبلوماسية للكرد الشماليين والكرد الجنوبيين، خاصة وأنه تزامن مع مقطع تاريخي بالغ الحساسية والأهمية (أي عشية مناقشة مستقبل كردستان السياسي في مؤتمر باريس للسلام). لقد أنعم الشيخ محمود، قبل نفيه الى الهند، في تهيئة ظروف مؤاتية لحضور كُردي جنوبي في المؤتمر المذكور. فضمن هذا السياق، منح الشيخ محمود الجنرال شريف باشا تفويضاً، على صيغة عريضة ذيلتها إمضاءات عدد من الزعامات المحلية في كردستان الجنوبية، تُشير الى تمثيله لمصالح الكُرد سواء أكانوا من الجنوب أم من الشمال.^{٢٥٩} كما جاء توثيق علاقات الشيخ محمود مع زعامات محلية في كردستان الشرقية ومحاولة ضمهم الى كيان الحكم الذاتي ضمن إطار جهوده السياسية الرامية الى خلق حالة جديدة من التعاون والتنسيق على أوسع نطاق ممكن. وكما أُشير إليه آنفاً، عارض ويلسون مثل هذه النزعة الكردستانية الواسعة، إذ حاول وبمساعدة مرؤوسيه منع توثيق أية علاقة، مهما كان مضمونها أو شكلها، بين الكُرد الجنوبيين والكُرد الشرقيين، بذريعة المحافظة على الوحدة الإقليمية لإيران القاجارية. وفي مذكراته الشخصية، يعطي رفيق حلمي مثلاً على نجاح السلطات البريطانية في بغداد في إحباط محاولات وفد كُردي جنوبي من الذهاب الى باريس لدعم جهود شريف باشا الدبلوماسية.^{٢٦٠}

ويتحمل الشيخ محمود المسؤولية جزئياً إزاء تدهور العلاقات الكردية-البريطانية في كردستان الجنوبية، التي أدت الى نفيه الى الهند. لقد أتسمت مواقف الشيخ بالحدّة. ففي الوقت الذي أفرط في تفاؤله وقدرته على إجراء التغيير، لم يتمتع الشيخ بالصبر والاعتدال اللّازم لدى التعامل مع الأطراف الأخرى، سواء أكانت بريطانية أم كُردية. ويشير رفيق حلمي الى أن الشيخ محمود كان تعوزه الخبرة السياسية والعملية اللازمة لإدارة علاقاته مع السلطات البريطانية في بغداد.^{٢٦١} إن

²⁵⁹ حلمي، يادشت، ج١، ص١٩ و٦٥-٦٦.

²⁶⁰ المصدر السابق، ج١، ص٦٥-٦٦.

²⁶¹ المصدر السابق، ج١، ص٦٧.

الضغوط المستمرة، التي كان يُمارسها الشيخ محمود على البريطانيين بهدف التعجيل بتنفيذ الوعود والاتفاقات ومنها توسيع الرقعة الجغرافية لكيان الحكم الذاتي الكردي، قد جاءت قبل ان يجعل البريطانيين يقرون بميزته بوصفه حاكماً يستند الى شرعية محلية وبنواياه كزعيم سياسي قادر على مواجهة الأوضاع المتغيرة. واستغل ويلسون الموقف تماماً، ولم يتردد في تقاريره المُرسلة الى لندن في إعطاء صورة سلبية عن شخصية الشيخ محمود وأفعاله، بحيث جعل منه الخطر الجدي الأول الذي يُهدد المصالح البريطانية في ميزوبوتاميا.

وأدت الأوضاع السياسية والعسكرية المحيطة بسقوط الحكومة الكردية الى تراجع ملحوظ في ثقل الكرد السياسي، حيث وجدوا أنفسهم في موقف أضعف مما كانوا يتصورونه أو كانوا يتمنونه عشية افتتاح جلسات مؤتمر باريس للسلام الخاصة بمستقبل الأقاليم العثمانية غير التركية. وجعلت قضية الشيخ محمود وإشاعات معادية للكرد أطلقها القوميون الأرمن حكومة لندن أقل اندفاعاً وأهتماماً في تعاملها مع المسألة الكردية. وبهذا النحو، أصبح الكرد شعباً مشاكساً ومتمرداً، لا يجب الاستقرار، ويفتقد الى زعامات سياسية تقليدية يُمكن الوثوق بها. وفي الوقت نفسه، أضرت الأحداث المرتبطة بسقوط الكيان الكردي بالجهود التي كان يبذلها الميجر نوئيل من أجل تأمين مساندة بريطانية رسمية للتطلعات القومية الكردية خلال مؤتمر السلام، وذلك لان سمعته، كخبير مُلم بخبايا المسألة الكردية، قد ارتبطت بشدة بتجربة الحكم الذاتي في كردستان الجنوبية. ولربما، أن من أسوء نتائج اختفاء الحكومة الكردية الأولى هي عدم قدرة القوميين الكرد، سواء في كردستان أم في المهجر، على الاستشهاد بها بوصفها تجربة ناجحة تثبت قدرة الكرد على حكم أنفسهم أو انها تجسيد حي لقوة النزعة القومية الكردية. بتعبير أدق، لم يكن بإمكان القوميين الكرد الإشارة الى نجاح الحكومة الكردية في دعم مطالبهم الداعية الى إنشاء كردستان مستقلة موحدة تحت إشراف إحدى القوى الكبرى خلال مؤتمر السلام.

الفصل الثالث

مواقف الموظفين البريطانيين الميدانيين تجاه المسألة الكردية بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠: التأثيرات وردود الأفعال

حين بدأ مؤتمر باريس للسلام جلساته لمناقشة وضع تسوية سلمية لمستقبل الإمبراطورية العثمانية في العام ١٩١٩، كان لدى حكومة لندن معلومات قليلة نسبياً عن أوضاع الشعب الكردي وتطلعات نخبه التقليدية والحديثة. وفي تلك الأثناء، حصل فراغ سياسي خطر في أغلب المناطق الكردية الواقعة خارج نطاق السيطرة البريطانية في كردستان الجنوبية نتيجة لتدهور وانحسار سلطة الحكومتين المركزيتين في اسطنبول وطهران. وهذا الوضع المتسم بالتقلب والقلق المستمرين قد مكن بعض الموظفين البريطانيين العاملين في كردستان وفي الأقاليم المجاورة، كالميجر نوئيل والكولونيل ويلسون، من أداء دور مؤثر وملحوظ، في صياغة مواقف ستتخذها حكومة لندن نحو مستقبل كردستان السياسي، من خلال التقارير المرفوعة المتعلقة بالوضع الكردي القائم أو من خلال وضع خطط سياسية وإدارية لتحديد مصير الكرد وفق متطلبات تعزيز المصالح البريطانية على المديين القصير والطويل.

كان نوئيل أول موظف بريطاني قد عهدت إليه مسؤولية الإشراف على الشؤون الكردية بصورة ميدانية بين شهر تشرين الثاني من العام ١٩١٨ وشهر حزيران من العام ١٩١٩. وبعد ذلك تولى ويلسون بنفسه تلك المسؤولية بشكل مباشر حتى شهر كانون الأول من العام ١٩٢٠، شريطة أن يتشاور وأن يُنسق مع المفوض السامي البريطاني في اسطنبول في جميع الأمور المتعلقة بالوضع الكردي ومستجداته. ونظراً لأهمية آراء ومقترحات نوئيل وويلسون حول معالجة المسألة الكردية، فقد مُررت بين الدوائر الرسمية البريطانية، في مقدمتها وزارة الخارجية، ووزارة الهند ووزارة الحرب. ولم تُثر تلك الآراء والمقترحات تعليقات وردود فعل صَدَرَت عن كبار موظفي المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول والقاهرة فحسب، بل شكّلت نقطة انطلاق لأية مناقشات تخص المسألة الكردية، جرت خلال جلسات كونفرانس شؤون الشرق الأوسط ما بين الوزارات. فالكونفرانس كان بمثابة هيئة رسمية تدارسية ترأسها لورد

كورزون ترفع التوصيات المتعلقة بمستقبل الإمبراطورية العثمانية بشكل عام والأقاليم غير التركية بشكل خاص. لهذا فان دراسة تصورات ويلسون ونوئيل حول المسألة الكردية ومستقبل كردستان تُساعد في إلقاء الضوء على الأسباب التي أجبرت الحكومة البريطانية على إبداء اهتمام أكبر بشؤون الشعب الكردي وعلى كيفية تحديد أهداف السياسة الكردية لتلك الحكومة ضمن إطار التسوية السلمية السياسية والإقليمية للإمبراطورية العثمانية.

مواقف كولونيل ويلسون تجاه المسألة الكردية بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠

١- أصول تفكير ويلسون:

عُرف عن ويلسون في أوساط الموظفين البريطانيين العاملين في وزارات الخارجية والهند والحرب أنه كان موظفاً ذا نزعة امبريالية حيثُ عدّ فرض سيطرة بريطانية مباشرة وصریحة على الشؤون المحلية في الأقاليم التي خضعت للسيطرة البريطانية خلال الحرب الوسيلة المثلى والوحيدة لتحقيق المصالح البريطانية بأشكالها المختلفة في ميزوبوتاميا العربية وكردستان. وبالفعل، لم يحاول ويلسون تهيئة الأرضية لقيام كردستان جنوبية ذات حكم ذاتي بصورة تلبّي رغبات لندن، خلال السنوات الثلاث التي عمل فيها كمفوض مدني بالوكالة لميزوبوتاميا. وبدلاً من ذلك البديل الإداري والسياسي، أنشأ ويلسون إدارة بريطانية مباشرة مُحكمة، أزال خلالها كيان الحكم الذاتي الكردي عن الوجود، بل أغلق الطريق بوجه محاولات حثيثة أخرى لإقامة كيانات مشابهة لها من حيث الشكل والمضمون في إقليم كردستان الجنوبية.

وهذه الوقائع، التي تؤكد عليها هذه الدراسة، تتناقض مع ما افترضه بعض الباحثين، منهم ليورا لوكيتز، أن ويلسون هو الشخص الذي كان مسؤولاً عن وضع نظام السيطرة غير المباشرة والذي دعا الى تطبيقها طوال عهده^{٢٦٢}، فضلاً عن رفضه قيام أي شكل من أشكال الحكم الذاتي الكردي، سَحَرَ ويلسون جهوده في منع أو قطع الصلات السياسية للكرد الجنوبيين عن إخوتهم في المناطق المجاورة، بغية فصل مستقبل كردستان الجنوبية بشكل نهائي ودائم عن كردستان الشمالية. فمنذ البدء، ادعى ويلسون أن المسألة الكردية شأن يهْمُ كردستان الشمالية لوحدها. وطالب

²⁶² Liora Lukitz, Iraq, the Research for National Identity, (London: Frank Cass, 1995), p.21.

ويلسون، بقدر ما تعلق الأمر بكردستان الجنوبية، بإلحاقها بصورة مباشرة وصريحة بالإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا العربية، أملاً في جعله أمراً واقعاً، تواجه فيه بريطانيا بقية القوى المنافسة عند انعقاد جلسات مؤتمر السلام الدولي القادم. وكان ويلسون قد برر وجهة نظره الخاص بدمج الإقليم الكردي الجنوبي بميزوبوتاميا البريطانية بالمنطق الآتي:

لأسباب اقتصادية وإستراتيجية، ولكي تُأمّن لدولة العراق فائدة (وجود) شريط جبلي تملأه الأشجار بصورة حسنة وقابل للتطور الكبير، فإنه سيكون من المرغوب فيه إدخال السليمانية ورائيه وكويسنجق ضمن حدود إدارة ميزوبوتاميا.^{٢٦٣}

كما أكد ويلسون، حين أُثرت الشكوك حول جدوى تطبيق نظام السيطرة المباشرة، انه في حين قد يؤدي نظام السيطرة غير المباشرة الى حماية المصالح البريطانية بتكاليف مالية وعسكرية أقل، فان تطبيقه في كردستان الجنوبية سيُعرض حتماً موقف بريطانيا الى خطر جدي على طول ميزوبوتاميا وعرضها:

ان التخلي عن مقاطعات الموصل واربيل والسليمانية سيؤثر بصورة غير مناسبة في موقفنا في ولايتي بغداد والبصرة الى درجة سيجعل موقفنا سريعاً غير قابل للاستمرار من دون (إرسال) تعزيزات كبيرة. ان هذه الولايات الثلاث تشكل وحدة لا يُمكن فصمها. فولاية الموصل لا تمتلك رابطاً اقتصادياً طبيعياً مع تركيا او سوريا... وان الشكوك والاعتراضات الصادرة عن تخلينا عن مقاطعات السليمانية واربيل والموصل والفوضى التي لا مفر منها نتيجة إزالة السيطرة الخارجية عن هذه (المقاطعات) سيكون لها أخطر تأثير في أرجاء ميزوبوتاميا كافة.^{٢٦٤}

بصيغة أخرى، عدّ ويلسون مستقبل كردستان الجنوبية لا علاقة له بمستقبل بقية أجزاء كردستان. ووجهة النظر هذه نالت ترحيباً حاراً من لدن السلطات العسكرية في ميزوبوتاميا.^{٢٦٥} لقد قضى ويلسون وقته في ميزوبوتاميا يدعو لندن الى الموافقة على منح ترتيباته السياسية والإدارية المؤقتة في كردستان الجنوبية صفة ثابتة ودائمة تدرج ضمن السياسة البريطانية الرسمية للمرحلة القادمة.

²⁶³ Political, Baghdad, Secret NO-6666, 13 June 1919, F0371/4192, PRO.

²⁶⁴ Civil Commissioner, Baghdad, 13 February 1920, F0371/5070, PRO.

²⁶⁵ Ibid.

بهذا الشكل مثلت محورية (centrality) ميزوبوتاميا النقطة التي انطلق منها ويلسون في تعامله مع المستقبل السياسي للشعب الكردي، ومهما كانت صيغة التسوية السياسية والإقليمية التي سيؤخذ بها، فإنه سيتوجب على البريطانيين تقسيم الولايات الكردية التابعة للإمبراطورية العثمانية، فضلاً عن الإبقاء على كردستان الشرقية، كما كانت، ضمن المملكة القاجارية. واستندت وجهة نظر ويلسون تلك الى أطروحة انه بالرغم من أن الكرد يشكلون مجموعة قومية ويتمتعون بأحاسيس قومية وهوية منفصلة، فإنهم غير قادرين على حكم أنفسهم، بسبب غياب ((القادة)) و((تبعثرهم بصورة واسعة)) وانقسامهم الى ((مائة قبيلة محاربة)). ونظراً لمعارضة الكرد الشماليين لاستمرار الحكم التركي في مناطقهم والاحترام الذي يكونه لبريطانيا ونيلها ثقتهم، بحسب اعتقاد ويلسون، فإن إقامة شكل من أشكال الحكم البريطاني في كردستان الشمالية سيوفر مستقبلاً ((أفضل الفرص (لقيام) بلد مستقر ومزدهر)). وطبقاً لخطة ويلسون تلك، سيكون للكرد الشماليين ((دولة الحكم الذاتي)) تقع تحت حماية بريطانيا وإشرافها الوثيق. وهذا الحل سيكون ((قابلاً للتطبيق ومنسجم مع العدالة وتطلعات الأهالي)).^{٢٦٦}

لقد تطلبت خطة ويلسون تلك من بريطانيا الموافقة على فرض انتدابها على كردستان الشمالية أو توسيع انتدابها على ميزوبوتاميا ليشمل ذلك الإقليم أيضاً. وستكون بنية الدولة الكردية، التي اقترحتها ويلسون، كونفدرالية، تضم كيانات صغيرة متعددة خاضعة اسماً لحكم قادة تقليديين محليين، وستكون خاضعة بمجملها لإدارة مركزية، قد يترأسها ((حاكم كردي صوري)). وستكون حدود الدولة الكردية المقترحة بالشكل الآتي:

الى الشمال من جزيرة ابن عمر قليلاً والى الشمال من نصيبين والى الجنوب من ماردين والى الشمال من رأس العين على طول خط العرض ٣٧ وحتى بيرجيك، ومن هناك صعوداً الى شمال (نهر) الفرات، وأخيراً الانحناء باتجاه الشرق مقتفياً حدود ولايات خاربوت... وبتليس وان، بهذا النحو، تستثنى إيرزجان وارضروم والحدود الفارسية.^{٢٦٧}

²⁶⁶ Precs of Affairs-, op. cit., p.18.

²⁶⁷ Ibid, p.19.

لقد استتنت خطة ولسون، في الواقع، مناطق كُردية شمالية شاسعة من دولة الحكم الذاتي الكُردية المقترحة، فضلا عن كُردستان الجنوبية، التي سُدْمج بميزوبوتاميا الخاضعة للإدارة البريطانية. ودعا ولسون مند البدء، كما أشار ارنوئيلد توينبي الخبير في وزارة الخارجية، بفكرة تقسيم كُردستان العثمانية بين ((فدرالية كُردية والعراق))،^{٢٦٨} مع خضوع الأولى لشكلٍ من أشكال السيطرة البريطانية.^{٢٦٩} لقد كانت الإستراتيجية إحدى الدوافع الرئيسة وراء خطة ولسون القائمة على تجزئة كُردستان العثمانية بتلك الصورة المُشار إليها آنفاً، أي تحويل كُردستان الشمالية الى حاجز قوي، يُعزز من أمن ميزوبوتاميا. ولم تتلقَّ خطة ولسون المذكورة دعم وزارتي الهند والخارجية، بسبب ما تضمنته من التزامات عسكرية ومالية وسياسية إضافية كبيرة. ومع هذا، ظلَّ مقترح تجزئة كُردستان بديلاً مطروحاً على طاولة المناقشات بين الدوائر المعنية بالقرار السياسي في لندن وفي الشرق الأوسط، خاصة إذا ما طُبِق بطريقة تُقوي من أمن موقف بريطانيا في ميزوبوتاميا العربية.

٢- إدارة ولسون للشؤون الكُردية

خارج كُردستان الخاضعة للسيطرة البريطانية

ان التمعن في إجراءات ولسون العملية في المناطق الكُردية الواقعة خارج السيطرة البريطانية يكشف عن سعيه الدائم لترجمة تصوراتهِ الخاصة الى واقع ملموس، خصوصاً بعد توليه الإدارة الميدانية للشؤون الكُردية في شهر حزيران من العام ١٩١٩. ان غياب سياسة بريطانية مشخصة المعالم نحو كُردستان، التي يُمكن عزوها الى عدم توصل بريطانيا الى اتفاق مع فرنسا بشأن التسوية السلمية للإمبراطورية العثمانية، والأكثر أهمية من ذلك، تركيز المساعي الدبلوماسية للدولتين على مشاكل أوروبية أكثر أهمية وحساسية، قد مكَّن الموظفين البريطانيين الميدانيين من القيام بدورٍ أوسع من حيث التأثير في اتجاه الأحداث وسير التطورات في المناطق الكُردية مما كانوا قادرين عليه في حالة وجود شروط اعتيادية. واستهدف ولسون من وراء مبادراته المختلفة توسيع النفوذ السياسي البريطاني في الأجزاء الغربية والمركزية

²⁶⁸ Toynbee, Foreign Office Minute No.207981, 21 December 1918, F0371/3386, PRO.

²⁶⁹ J.E. Shuckburgh, Note on Kurdistan, India Office, 14 December 1918, F0371/3386, PRO.

من كُردستان، خاصة جزيرة ابن عمر وراوندوز وما يُحيطها من مناطق شكّلت شريطاً في شمال إقليم كُردستان الجنوبية الخاضع للسيطرة البريطانية.^{٢٧٠} وبالتوافق مع هذا التوجه، سعى لجمن، من جانبه، الى نقل مقاطعة الجزيرة إدارياً وسياسياً من ديار بكر الى مقاطعة الموصل، التي كان يديرها وفق نظام السيطرة المباشرة.

اتسمت مبادرات وِلسون بمجملها بغياب أي إجراء تشاوري مُسبق مع المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول، متجاهلاً بذلك توصيات لندن حول ضرورة التنسيق والتشاور مع موظفيها. لقد برهنت المناطق الكُردية الواقعة ضمن الشريط المذكور آنفاً على صعوبة إخضاعها، من الناحيتين السياسية والعسكرية، لإدارة بريطانية مباشرة، في الوقت الذي اتخذت فيه أهمية إستراتيجية وسياسية متزايدة بسبب محاذاتها لكُردستان الشمالية وكُردستان الشرقية.^{٢٧١} ويُذكر ان التهديدات الكمالية والبلشيفية كانت تلوح في الأفق بصورة متزايدة مما أستوجب على الموظفين البريطانيين الميدانيين التفكير في اتخاذ أنجع التدابير من أجل التصدي لها.

لقد مثّلت كُردستان الشرقية مصدر قلقٍ دائمٍ للسلطات البريطانية في بغداد بسبب استمرار الانتفاضة الكُردية الدموية، التي كان يقودها سمكو، زعيم قبائل الشكاك الكُردية. ان الحالة غير الطبيعية التي كانت تمر بها كُردستان الشرقية قد أثارت قلق تلك السلطات خوفاً من ان تُزيد من حالة عدم الاستقرار السياسي في السليمانية والمناطق الكُردية وصولاً الى العمادية.^{٢٧٢} وأبدى وِلسون قلقه بشأن تأثيرات الوضع في كُردستان الشرقية على الوضع في كُردستان الجنوبية وبالعكس، في حالة تورط بريطانيا في شؤون الأولى. وحينما أرسل نوثيل مساعده الشخصي الى كُردستان الشرقية في مهمة استطلاع الحقائق، انتقد وِلسون تلك المبادرة بوصفها (مغامرة غير حكيمة) ، ومن ثم أمر بإنهائها.^{٢٧٣} مع ذلك، وجّه سون نصيحة لوِلسون تقضي بضرورة استغلال اتصالاته مع السيد طه، حليف سمكو، بهدف تعزيز أمن الحدود الشمالية للنفوذ البريطاني في كُردستان الجنوبية. ولهذا أصبح الهدف من وراء اتصال البريطانيين بالسيد طه هو توسيع نفوذهم السياسي في أعماق كُردستان

270 Diary of Maj. Noel on Special Duty, Nisibin, 17 April 1919, F0371/4192, PRO.

271 *Precis of Affairs-*, op. cit., p.14.

272 Cox, Tehran, 26 August 1919, F0371/4192, PRO.

273 Memorandum from the Office of Civil Commissioner, Baghdad, to CGS, 18 April, AIR20/512, PRO.

العثمانية أكثر من مسألة استقرار الوضع السياسي في كردستان الشرقية. وبعد حصوله على موافقة برسي كوكس، الوزير البريطاني المؤقت في طهران، بدأ ويلسون يتفاوض مع السيد طه في صيف عام ١٩١٩، بغية التصدي لما أسماه بـ«الدعاية التركية»، حيث طلب منه إدارة كيان كردي في راوندوز وشمدينان ومناطق أخرى الى الشمال منهما، بالنيابة عن الحكومة البريطانية.^{٢٧٤} ويُذكر ان السيد طه يتمتع بشعبية ملحوظة في تلك المناطق الكردية بسبب النفوذ الديني الذي تمتعت به أسرته المعروفة منذ عهد جده الأكبر، الذي سُمي باسمه.

ويتبين من مساندة ويلسون لمشروع قيام كيان كردي في أعماق كردستان العثمانية أنه كان ينوي استخدامه وسيلة في توسيع الرقعة الجغرافية للسيطرة البريطانية على حساب السلطات العثمانية، حتى إنه قام بحث المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول على ممارسة الضغط على السلطات العثمانية من اجل تخلية حاميتها في باشقلا وديزه ونهري في شهر تموز من العام ١٩١٩.^{٢٧٥} ولم يكن إجبار العثمانيين على إخلاء حاميتهم سوى خطوة أساسية في خطته القاضية بضرورة اعترافهم بخضوع تلك المناطق الكردية للسيطرة السياسية البريطانية. ولم يكن لدى كابتن سي تي بيل، الموظف السياسي المساعد في راوندوز، أدنى شك ان ذلك الكيان الكردي سيتوسع باتجاه الشمال، ليشمل أورمان وجولميرگ.^{٢٧٦} وكان المفوض السامي البريطاني بالوكالة في اسطنبول قد أبدى قلقه بشأن عدم قيام ويلسون باستشارته حول المبادرة التي اتخذها خارج المناطق الكردية الخاضعة للسيطرة البريطانية بهذا النحو:

ان عدم قدرتي على فهم الحد الذي وصلت اليه حقاً حكومة صاحب الجلالة قد ازداد باكتشاف ان السلطات (البريطانية) في ميزوبوتاميا كانت في حزيران (١٩١٩) على وشك التوصل الى اتفاق رسمي مع الشيخ طه، كان من شأنه إنشاء دولة صغيرة على اراضٍ ما زالت تركية يحكمها رئيس قبلي تحت حماية بريطانية.^{٢٧٧}

ولم تؤد قضية السيد طه الى نتيجة تُذكر، إذ أن ويلسون أراد منه ان يكون مجرد حاكم صوري، محاطاً بمستشارين بريطانيين يمارسون السلطة الفعلية.

²⁷⁴ G.L. Bell, Northern Kurdistan, 8 March 1920, AIR20/512, PRO.

²⁷⁵ Political, Baghdad, to Political Rowanduz, 3 July 1919, AIR20/714, PRO.

²⁷⁶ Political, Rowanduz, to Political, Baghdad, 3 July 1919, AIR20/714, PRO.

²⁷⁷ Acting High Commissioner, Constantinople, to Prodrom, London, 8 September 1919, F0371/4192, PRO.

ومن جانب آخر، حاول ويلسون استغلال الغموض الكامن في مصطلح "ميزوبوتاميا"، وذلك من خلال دفع حدود ميزوبوتاميا نحو الشمال في عمق المناطق المركزية من كردستان العثمانية. ففي رده على تساؤلات أثارها وزير الهند بشأن مسألة تعيين حدود ميزوبوتاميا الشمالية، دعا ويلسون بقدر الإمكان الى تبني الأراضي المرتفعة، التي تفصل بين نظامي دجلة والفرات النهريين (watershed) في كردستان. وهذا الأمر في حالة تحقيقه سيمنح ميزوبوتاميا «حدوداً طبيعية»، «غير قابلة للمنازعة» من الناحية السياسية، و«سهلة في تعيينها» من الناحية العملية.²⁷⁸ وفي هذا الصدد، اتخذ ويلسون مبادرة مستقلة لتحويل الحدود الشمالية المقترحة الى أمر واقع مفروض، حينما اغتنم فرصة طلب الكولونيل خورشيد بك، قائد إحدى وحدات فرسان الحميدية السابقة وزعيم قبلي في حكاري، إقراراً بريطانياً رسمياً بتقديمه الولاء الى حكومة لندن بدلاً من حكومة اسطنبول.²⁷⁹ وقام ويلسون بإرسال موافقته بشكل عاجل، حيث اشتملت على الإعلان الآتي:

قُلِّ خورشيد بك (بسلطة) الحكومة البريطانية بدلاً من الحكومة التركية السابقة... وإذا ما رغب الزعماء المحليون والقبائل الكردية الموجودة في جبال كردستان، التي تصب مياهها في دجلة وتفرعاتها وفي الخابور وفي الزابن، في تقديم الولاء نفسه فإنه ينبغي عليهم إشعار الموظف السياسي الأقرب إليهم، وليطمئنوا ان طلبهم سيُدرس بطريقة مفضلة، وسيُبعث الى الحكومة (البريطانية). وبهذه الوسيلة سيتحد الكرد، إن شاء الله، تحت حكومة موحدة وعطوفة.²⁸⁰

وأستند ويلسون في تبريره منح الحماية البريطانية لجميع الزعماء المحليين والقبائل الكردية الى تبريرات جيوسياسية والى رغبة الأهالي. باختصار، لم تكن قضيتي السيد طه وخورشيد بك سوى تعبير صريح ومباشر عن رغبات ويلسون المبكرة في إخضاع مناطق كردية أخرى الى السيطرة البريطانية، وكذلك إصراره على ترجمة تصوراتهِ الى واقع ملموس بشكل مستقل، أي من دون التنسيق أو التشاور مع أطراف بريطانية أخرى معنية بالوضع الكردي، كالمفوضية السامية البريطانية في اسطنبول.

²⁷⁸ Political, Baghdad, 8 December 1918, F0371/3386, PRO.

²⁷⁹ Poldist, Keu, to Political, Baghdad, Priority, 1 February 1919 AIR20/512, PRO.

²⁸⁰ Political, Baghdad, to Civil Commissioner on tour at Mosul, Priority, 1 February 1919, AIR20/512, PRO.

٣- مخطط ولسون بشأن مستقبل كردستان في إطار التسوية السلمية التركية

شكل قرار حكومة لندن القاضي بتقليص التزاماتها العسكرية ونفقاتها المالية الى أقل مستوى ممكن وكذلك رغبتها في تجنب خطوات مضادة قد تتخذها باريس على شكل إنشاء حزام للنفوذ خاص بها في كردستان حاجزاً منيعاً بوجه ولسون ورغباته في تنفيذ مبادراتها المتعلقة بتوسيع النفوذ البريطاني في كردستان العثمانية. ونتيجة لوجود تلك القيود العسكرية والمالية والسياسية، التي دلت على الصيغة المتأخرة في تعامله مع مستجدات الوضع الكردي، تخلى ولسون عن مشروع إقامة كيانات كردية صغيرة تحت إشراف بريطاني، داعياً، كبديل عنه، الى تبني خطة أخرى استندت أساساً الى تقسيم كردستان العثمانية على جزأين: سيُلحق الجزء الجنوبي منها بميزوبوتاميا، في حين يبقى الجزء الشمالي، كما كانت، تحت الحكم التركي. وكان ولسون يأمل من وراء عودة الحكم التركي الى المناطق الكردية الشمالية الى ان يُحقق هدفه المحوري وهو تجزئة كردستان العثمانية بشكل دائم. وبخلاف ذلك، وحسب تصور ولسون، فان إقامة دولة مستقلة في كردستان من دون خضوعها لإشراف بريطاني وثيق سيسجع الكرد الجنوبيين سواء على الانضمام الى تلك الدولة أم على إقامة كيان خاص بهم. وفي كلتا الحالتين، رأى ولسون ان موقف بريطانيا الاستراتيجي والسياسي سيتعرض الى ضغط شديد، لا في ميزوبوتاميا العربية فحسب، بل أيضاً في شمال إيران، حيث كانت الحكومة القاجارية المدعومة من قبل بريطانيا تواجه تهديدات القوميين المحليين والبلشفيين على حد سواء. وسيؤدي كل ذلك، طبقاً لاستنتاجات ولسون، الى زيادة كبيرة في مستوى التزامات بريطانيا العسكرية والمالية.

تلك كانت خلفية التوصية التي أطلقها ولسون في نيسان عام ١٩١٩ والقاضية بتقديم اعتراف بريطاني باستمرارية الحكم التركي في ست ولايات كردية وأرمنية.^{٢٨١} وفي شهر حزيران، أوضح ولسون انه إذا لم تتشكل دولة كردية شمالية تحت رعاية بريطانية، فانه يرغب في ان يفرض الأرمن أو الأتراك سيطرتهم على الولايات الكردية الأربع، دياربكر وبتليس ووان وخاربوت.^{٢٨٢} وفي شهر تشرين الثاني، وفي معرض رده

²⁸¹ Civil Commissioner, Baghdad, 22 October 1919, F0371/4193, PRO.

²⁸² Political, Baghdad, 13 June 1919, F0371/4192, PRO.

على توصيات كورزون الخمس المتعلقة بالموقف البريطاني من مستقبل المسألة الكردية، اعترض ولسون على التوصية الخامسة الداعية الى منع الأتراك من الرجوع الى كردستان الشمالية، موضحاً ان البريطانيين غير قادرين على إخراج الأتراك، وان معارضة نوثيل لتجزئة كردستان العثمانية تتقاطع مع المصالح البريطانية في ميزوبوتاميا وإيران. وذهب ولسون الى ابعد من ذلك حينما شكك باعتقاد نوثيل الراسخ في ان الكرد سيبقون مواليين الى بريطانيا في المستقبل.^{٢٨٣}

واشدت لهجة الانتقادات التي وجهها ولسون الى أطروحات نوثيل وتوصياته المتعلقة بالشؤون الكردية حتى وصل الأمر به الى معارضة مقترح وزارة الخارجية القاضي بترشيح الأخير عضواً في إحدى اللجنتين الدوليتين المنبثقتين عن مؤتمر باريس للسلام، التي تتعامل بشكل خاص مع المسائل القومية، ومنها المسألة الكردية. يقول ولسون:

انا أعد نوثيل ملتزماً بعمق كبير بأشخاص من الكرد وبنهج سياسي معين عموماً أكثر من ان يكون الممثل المرضي تماماً للمصالح البريطانية في اللجنة المقترحة... وأرى ان ممثل بريطانيا في اللجنة الدولية ينبغي، إذا أمكن، ان يكون ذا خبرة أوسع ومزاجاً أكثر حكمة. ان ليتوننت- كولونيل كونليف أوين، مدير التسفير في ميزوبوتاميا حالياً الملحق العسكري في اسطنبول سابقاً، الذي حصل مؤخراً على معرفة وثيقة بالمسائل المتعلقة بالجماعات الاثورية والكلدانية والأرمنية، هو الشخص الذي انجراً على اقتراحه بوصفه الممثل البريطاني المناسب، وانه سيتمتع بثقتي كاملة.^{٢٨٤}

والواضح من تعبيرات ولسون تلك انه كان يخشى من التأثير الذي سيتركه نوثيل على الموقف البريطاني تجاه المسألة الكردية خلال مؤتمر السلام الخاص بالتسوية السلمية لممتلكات الإمبراطورية العثمانية. وبالرغم من معارضة ولسون لتعيينه وكذلك طلب حاكم الهند (viceroy) بإرساله الى شيراز في إيران، لم يكن كورزون^{٢٨٥} ولا مرؤوسوه في وزارة الخارجية، في مقدمتهم هيوبرت يانغ وروبرت فانسيثارت،^{٢٨٦} على استعداد في

²⁸³ Political, Baghdad, 27 November 1919, F0371/4193, PRO.

²⁸⁴ Civil Commissioner, Baghdad, 19 May 1920, F0371/5068, PRO.

²⁸⁵ Curzon, Foreign Office, 27 May 1920, F0371/5068, PRO.

²⁸⁶ Young, Foreign Office Minute No.4123, 26 May 1920, F0371/5068, PRO.

الاستغناء عن خدمات نوئيل، إذ كان يُعتبر الموظف البريطاني الوحيد الذي يملك معرفة عميقة بالشؤون الكردية وأوضاع الولايات الشرقية الست. ففي معرض تأكيده على أهمية نوئيل، اعترف يانغ أنه قد «أسى تقييمه إلى حد كبير»، فلو ظلَّ في كردستان الجنوبية في العام ١٩١٩ لكان بالإمكان تجنب وقوع انتفاضة الشيخ محمود.

وبالرغم من عدم نجاحه في منع ترشيح نوئيل وفشله المتكرر في تحقيق خطته وغاياته الأخرى، ظلَّ ويلسون يُشكل عاملاً مهماً، وذلك لكونه المسؤول المباشر عن تسيير الشؤون الكردية ميدانياً في حقبة كانت بالغة الحساسية، ارتبط بها مستقبل كردستان السياسي. وترك ويلسون وراءه إرثاً سياسياً وإدارياً مُتجذراً أثرت بشكل مباشر وغير مباشر بمستقبل المسألة الكردية على المديين المتوسط والطويل. وأثرَ وجهة نظره الخاصة بأهمية كردستان الجنوبية الإستراتيجية بالنسبة إلى أمن ميزوبوتاميا بشكل خاص في قرار حكومة لندن المتعلق بتقسيم كردستان العثمانية بوصفه صيغة تُلبي متطلبات حماية المصالح البريطانية الإستراتيجية والاقتصادية. وأخيراً وليس آخراً، فإن الإجراءات الميدانية التي قام بها ويلسون قد محت من الوجود آثار الحكم الذاتي من كردستان الجنوبية، ومن ثمَّ عادت الدرب في الوقت نفسه أمام ضمِّ ذلك الإقليم إلى مشروع الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا. وهذا التطور الأخير هو الذي فصل عملياً مصير الكرد الجنوبيين عن مصير إخوانهم الكرد الشماليين والكرد الشرقيين.

تعامل الميجر نوئيل مع المسألة الكردية، ١٩١٨-١٩٢٠

١- أصول تفكير نوئيل

بالرغم من كون كردستان بلداً نائياً بشكل ملحوظ، فقد استطاعت، بحسب قول بوش، «أن تجذب إليها أولئك الموظفين الامبرياليين الذين استطاعوا دوماً الظهور على حدود مضطربة لأداء دور مستقل ومهم».^{٢٨٧} كان نوئيل أحد أولئك الموظفين البريطانيين المتميزين. ولكن تصوراتهِ عن المسألة الكردية تميّزت باختلافها الشديد مع تلك التي كانت لويلسون، الذي ظلَّ إمبريالياً تقليدياً خالصاً في توجهاته وممارساته. فعلى النقيض من ويلسون، اعتقد نوئيل عن يقين واضح ان الوسيلة





²⁸⁷ Busch, Mudros to Lausanne, p.183.

الأفضل لحماية المصالح البريطانية تتمثل في العمل سويةً مع الحركة القومية الكردية الناهضة أينما وجدت في أجزاء كردستان. وبحسب تصوراته، تُمثل كردستان أهمية بحد ذاتها بالنسبة الى بريطانيا، مناقضاً بذلك الرأي السائد بأنها ذات قيمة ثانوية ارتبطت بحسابات أمنية تتعلق بحدود ميزوبوتاميا الشمالية. و عوضاً عن ارتجال خطط ومشاريع متفرقة تُقرر مستقبل أجزاء كردستان المختلفة، دعا نوثيل الى تبني سياسة بريطانية شاملة. بتعبير آخر، دعا نوثيل الى عدم تجزئة المسألة الكردية لدى معالجتها وتجنب تحديد مصير كل جزء بمعزل عن أجزاء كردستان الأخرى (انظر الخارطة رقم ١١). وحالما تسلم مهمة إدارة الشؤون الكردية ضمن الفريق البريطاني الذي أدار شؤون ميزوبوتاميا في شهر تشرين الثاني من العام ١٩١٨، طرح نوثيل أول مشروع شامل لإقامة كردستان منفصلة تتمتع بحكم ذاتي. وطبقاً الى الخطوط العامة لهذا المشروع، ستكون هناك كونفدرالية كردية، تتألف من ثلاثة كيانات كردية خاضعة لإشراف بريطانيا وحمايتها، وتكون السليمانية مركزاً إدارياً لكردستان الجنوبية، في حين تكون الموصل وديار بكر مركزين إداريين لكردستان الغربية والمركزية بحسب الترتيب. وكان من المؤمل ان يؤدي قادة محليون من أصحاب النفوذ التقليدي (ديني أو قبلي)، من شاكلة الشيخ محمود والسيد طه، دوراً سياسياً شاخصاً في كونفدرالية الكيانات الكردية.^{٢٨٨}

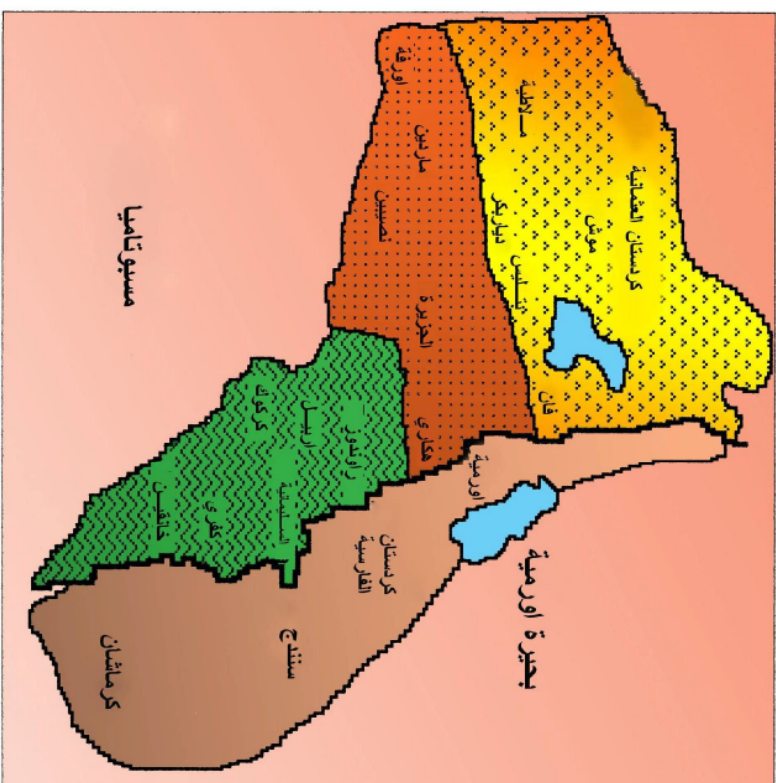
ظلاً نوثيل يؤكد انه لا ينبغي على بريطانيا ان تتخذ موقفاً غير مبال تجاه مصير كردستان لما لهذه المسألة من تأثيرات مباشرة على مصالح بريطانيا الإستراتيجية في الولايات العثمانية، فضلاً عن إيران القاجارية. فعودة الحكم التركي أو تشكيل دولة أرمنية كبرى على حساب الكرد، بحسب اعتقاد نوثيل، سيؤدي بشكل مؤكد الى انتشار حالة عدم الاستقرار في المناطق الكردية، وهذا الأمر سيُعرق عملية وضع الترتيبات الإقليمية والسياسية الجديدة في آسيا العثمانية لمرحلة ما بعد الحرب. كان نوثيل يعتقد أن لبريطانيا فرصة لا تعوز لتوسيع نفوذها السياسي وتعزيز مصالحها الإستراتيجية من خلال تشجيع الحركات القومية الكردية على تحقيق تطلعاتها السياسية الشرعية. وقال نوثيل ضمن هذا السياق فما يخص الجزء الجنوبي من كردستان العثمانية ان:

²⁸⁸ Mesopotamia: Future Constitution, Enclosure No.8, Political Officer, Sulaimaniya, Note on the Political Status of Kurdistan, November 1918, F0371/4147, PRO.

الخارطة (11): خارطة نول حول كردستان
العثمانية و كردستان القاجارية

-  مناطق ذات اغلبية كردية ادعاهها الارمن
-  مناطق كردية لم يدعي بها لتكون ضمن مسبوتاميا او ارمينا
-  مقاطعات كردية ضمت حاليا الى مسبوتاميا
-  الحدود العثمانية الايرانية

Source: FO371/4192



الحركة القومية (الكردية) قوية جداً الى درجة انني لا أتوقع صعوبة تُذكر في إقامة دولة كُردية تحت حمايتنا وسيطرة الموظفين السياسيين (البريطانيين) على السياسة العامة، شريطة ان تتحرك الآن بسرعة وبهمة. ان الحركة (الكردية) قوية جداً (هنا في السليمانية بالتأكيد) حتى انني انصح بقوة بإرسال موظفين مؤهلين ليأخذوا على عاتقهم بشكل مباشر مسؤولية الخدمات الإدارية الرئيسية.^{٢٨٩}

وَجَدَ نوئيل في قيام كُردستان كونفدرالية تحت إشراف بريطاني حلاً مثالياً لملء الفراغ الناجم عن انحلال الإمبراطورية العثمانية. فضلاً عن ان الدولة الكُردية الكونفدرالية ستُساعد على تأمين الاستقرار السياسي في كُردستان المضطربة، فانها ستُنهي نفوذ القوى المنافسة لبريطانيا، وستُسهل من تنفيذ مشروع ارمينيا موحدة. أرتكز أسلوب تعامل نوئيل مع الوضع الكُردى على دور مبادر وفعال لبريطانيا، يأخذ في الحسبان عدم قدرتها على زيادة التزاماتها العسكرية أو نفقاتها المالية. كما كان لمواقف نوئيل تجاه المسألة الكُردية بُعد أخلاقي ملموس. ففي الوقت الذي رأى نوئيل ضرورة أن ترعى بريطانيا مصالحها الإستراتيجية في الولايات العثمانية السابقة، فإنه دعا الى اتخاذ وسائل تُمكن حكومته من تحمّل واجباتها الأخلاقية تجاه القوميات الجديدة، في مقدمتها الكُرد:

ينبغي ان يكون ممكناً العثور على معادلة تؤمن مصالح ميزوبوتاميا الاقتصادية والإستراتيجية في هذه المناطق (الكردية)، ولكن من دون ان تغلق الباب بصورة نهائية بوجه التطلعات الكُردية الشرعية.^{٢٩٠}

فضلاً عن وجود الجانب المُثلى، لربما كان نوئيل يطمح الى أن يؤدي دوراً يشبه ذلك الذي قام به تي أي لورنس (لورنس العرب) في الجزيرة العربية خلال الحرب العالمية الأولى. مع كل ذلك، يُمكن القول ان تعامل نوئيل مع المسألة الكُردية قد استند بشكل أساس الى حسابات موضوعية: أولاً، في أعقاب الحرب وجدت بريطانيا نفسها بسبب طول مدة تلك الحرب في وضع سياسي ومالي جعلها غير قادرة على تحمّل المزيد من الالتزامات العسكرية في المناطق الجديدة التي خضعت لسيطرتها، خاصة في الشرق الأوسط. لقد تكبدت بريطانيا بسبب الحرب خسائر بشرية ومادية هائلة.

²⁸⁹ Political, Baghdad, to SIS for India, 17 November 1918, AIR20/512, PRO.

²⁹⁰ E.W.C. Noel, Note on the Kurdish Situation, July 1919, F0371/4192, PRO, p.19.

كما أدت الحرب الى نشوء معارضة شعبية ترفض أية رغبة في الاستحواذ على المزيد من المستعمرات الجديدة أو القيام بمغامرات استعمارية أخرى. ثانياً، عبّر أسلوب تعامل نوئيل مع المسألة الكردية عن حدوث تغييرات عميقة على الساحتين الإقليمية والدولية بسبب وقوع ثورة أكتوبر وإعلان الرئيس الأمريكي ويلسون لنقاطه الأربعة عشر، اللتين أثرتا بصورة مباشرة في التطلعات السياسية للشعوب غير التركية. وأخيراً، استند نوئيل في صياغة تصوراتهِ عن الوضع الكردي الى خبرته الشخصية المتراكمة، إذ سبق وان عمل ممثلاً لبريطانيا لدى حكومة إقليم شمال الغرب، التي كانت تؤدي وظيفة الدولة الحاجزة بالنسبة الى الهند البريطانية. فبحسب اعتقاد نوئيل ان بإمكان كردستان ان تؤدي دوراً استراتيجياً بالنسبة الى ميزوبوتاميا البريطانية شبيه بالدور الذي كان يؤديه إقليم شمال الغرب في الهند. كما استند نوئيل في تحليلاته الى خبرته في إيران وقوقازيا، اللتين شهدتا ظهوراً سريعاً للنزعة القومية بوصفها عاملاً سياسياً جديداً ومهماً. وينبغي التذكير أيضاً ان تصورات نوئيل قد تأثرت بنجاح التجربة البريطانية في التحالف مع الحركة الشريفة العربية ضد الحكم التركي خلال الحرب العالمية الأولى.

لم يكتفِ نوئيل، وعلى غرار ويلسون، بالدعوة الى تبني أطروحاته الخاصة بالمسألة الكردية فحسب، بل أيضاً حاول جاهداً ان يُترجم بعضاً منها الى واقع ملموس حينما تولى مسؤولية إدارة الشؤون الكردية ميدانياً بين تشرين الثاني عام ١٩١٨ وجزيران عام ١٩١٩. بالرغم من التحفظات التي أبداه ويلسون، الذي كان يُفضّل ان تكون كردستان «محمية بريطانية»^{٢٩١} ساند نوئيل تماماً، حالما عُيّن مستشاراً للشيخ محمود، نظام السيطرة غير المباشرة، وسهل من تطبيقها على وفق صيغة كيان حكم ذاتي كردي خاضع لإشراف بريطاني. وهذه الصيغة كانت تُرضي التطلعات الكردية في الوقت الذي كانت تُعزز فيه من النفوذ البريطاني في أعماق المناطق الكردية. فعلى ضوء ذلك، قام نوئيل بتوسيع الرقعة الجغرافية الخاضعة لسيطرة حكومة الشيخ محمود لتشمل مناطق كردية أخرى، حيث بدأ بالمناطق النائية كراوندوز ومحيطها.^{٢٩٢} وبرّر نوئيل خطواته تلك بان الكرد سيحققون

²⁹¹ Political, Baghdad, to Political, Sulaimaniya, 26 November 1918, AIR20/512, PRO.

²⁹² Political, Baghdad, to SIS for India, 17 November 1918, AIR20/512, PRO.

استقلالهم في أي حال، وهو مما سيجعل القوى الأوربية تواجه «أمراً واقعاً... من الصعب جداً قلبه»²⁹³ ولربما بالغَ نوئيل بحدة المشاعر القومية الكُردية لكي يُقنع لندن بضرورة أن تُظهر التزامها بالمسألة الكُردية بالسرعة الممكنة. ان قيام لندن بمبادرة عاجلة، بحسب رأي نوئيل، سيمنع القوى الأخرى من استغلال التطلعات الكُردية الجامحة لأغراضها الخاصة، ويُمكنها من إقامة كُردستان منفصلة حسب مقتضيات مصلحتها الخاصة.

وبينما كان نوئيل يحاول الحصول على دعم الدوائر البريطانية المختلفة سواء في لندن أم في الشرق الأوسط لأطروحاته، حفّزَ في الوقت نفسه المشاعر القومية الكُردية وشجّع الناطقين باسمها على أخذ المبادرات السياسية، بدلاً من الانتظار. كان نوئيل يهدف من وراء ذلك لفت أنظار المسؤولين البريطانيين الى المسألة الكُردية. وعلى سبيل المثال، حتّ نوئيل الكُرد الجنوبيين تحت قيادة الشيخ محمود على التوقيع على إعلان خاص قام هو بصياغة فقراته. ومن خلال هذا الإعلان طلب الموقعون من الحكومة البريطانية ان تؤدي دور «الوسيط» بالنيابة عن الكُرد، لكي يحصلوا على مقعد ليمثل عنهم يشارك في جلسات مؤتمر السلام القادم.²⁹⁴ وعدّ نوئيل شريف باشا المرشح المناسب لكي يمثل الشعب الكُرد في المحفل الدولي المذكور، وأكد لرؤسائه أن «الكلام عنه حسن للغاية في كُردستان الجنوبية».²⁹⁵ ووافق الشيخ محمود بالفعل على شريف باشا بوصفه ممثلاً لجميع الكُرد في مؤتمر السلام القادم، ولهذا الغرض نظم، بحضور نوئيل، عريضة وقع عليها أشرف الكُرد ووجهاءهم منحت شريف باشا صلاحية التعامل مع الحلفاء نيابة عن الكُرد الجنوبيين.²⁹⁶

وهذا التنسيق السياسي المحدود النطاق على مستوى كُردستان العثمانية، الذي ساعد نوئيل على تحقيقه، لم يستمر طويلاً إذ توقف على حين غرة بسبب قلب ويلسون للسياسة الميدانية رأساً على عقب، بحيث أنهت تجربة الحكم الذاتي الكُردية. أما حكومة لندن فلم تكن تثق هي الأخرى بالقوميين الكُرد، خاصة المثقفين منهم ممن عاشوا لسنوات طويلة في المنفى، وفضلت عليهم قادة تقليديين محليين لدى التعامل

²⁹³ Political, Baghdad, to SIS for India, 28 November 1918, AIR20/512, PRO.

²⁹⁴ Political, Baghdad, 7 December 1918, F0371/3386, PRO.

²⁹⁵ Political, Baghdad, 12 November 4 1918, AIR20/512, PRO.

²⁹⁶ رفيق حلمي، ياداشت، ج ١، ص ٦٥-٦٦.

مع الوضع الكردي. ولربما يعود السبب في ذلك الى محدودية التطلعات السياسية لأولئك القادة التقليديين وإمكانية مراقبة تحركاتهم ميدانياً. فضلاً عن ذلك، خشيت لندن، وبحسب تعبير توينبي، من فكرة منح الكرد مقعداً في مؤتمر السلام القادم لأنه سيشكل **((سابقة حادة للأرمن والصهاينة وبقية القوميات))**.²⁹⁷

ولأن نوئيل اعتبر مستقبل كردستان مسألة لا يمكن تجزئتها، أظهر اهتماماً خاصاً بتدهور الوضع في كردستان الشرقية بوصفها احد أعراض معضلة كردية عامة. وأظهر نوئيل رغبته، كما توقع منه ويلسون، في ان يطلق حركة أخرى في كردستان الشرقية، شبيهة بتلك التي كانت تجري في كردستان الجنوبية المجاورة لها. وكان المقصود ب**((الحل الجذري))** للمسألة الكردية، التي أكد عليها نوئيل، هو توضيح المستجدات أمام حكومة لندن في أن حماية وحدة إيران الإقليمية قد أصبح قديماً، ولم تعد تتناسب مع المتغيرات الداخلية والإقليمية الجديدة. فالتطورات السياسية التي جرت في كردستان الشرقية في نهاية الحرب العالمية الأولى تبيّن مدى تأثر زعامات الكرد ووجهاتهم بالدعايات السياسية التي أطلقها الحلفاء في زمن الحرب بشأن تحرير القوميات المضطهدة من ظلم حكومات كانت غريبة عنهم. وكان المؤكرويون الكرد في منطقة صابلاغ قد طرحوا أمام القنصل البريطاني في مدينة كرماشان فكرة **((كردستان مستقلة تحت رعاية بريطانية))**.²⁹⁸ وفي شهر أيار من العام ١٩١٨، قام السيد طه، الذي كان قد بدأ تعبئته السياسية للكرد الموجودين على جانبي الحدود العثمانية-القاجارية، بزيارة ويلسون في بغداد، طالباً منه مساندة بريطانية لفكرة قيام كردستان موحدة، تشمل جزأها الشرقي.²⁹⁹

ساعد تشكيل حكومة الشيخ محمود في كردستان الجنوبية بعد نهاية الحرب مباشرة على خلق انطباع قوي بين الكرد الشرقيين بأن البريطانيين يقومون برعاية التطلعات القومية الكردية. ويذكر ان عدداً من الكرد الجنوبيين قد توجهوا الى كردستان الشرقية من أجل الترويج لفكرة كردستان مستقلة وموحدة.³⁰⁰ كما وصلت وفود كردية من مناطق مريوان وسقز وبانه الى السليمانية، التي أطلق فيها نوئيل

²⁹⁷ Toynbee, Foreign office Minute No.204299, 14 December 1918, F0371/3386, PRO.

²⁹⁸ Precis of Affairs-, op. cit., p.7.

²⁹⁹ E.W.C. Noel, Note on the Kurdish Situation, July 1919, F0371/4192, PRO, p.18.

³⁰⁰ Ibid.

«حملة نشطة من اجل كُردستان مستقلة».^{٣٠١} وعبرت تلك الوفود عن رغبتها صراحة بإخضاع كُردستان الشرقية لحكم كُردي تحت حماية بريطانيا. وتلك كانت خلفية النصيحة التي رفعها نوثيل الى رؤسائه:

من الممكن جعل القبائل الكُردية (الشرقية) تقف معنا. فمن وجهات النظر الدينية والعرقية والجغرافية، سيوفر هذا الأمر حلاً جذرياً لمشكلة عامة في هذه المنطقة، ومن الأفضل ان نُمسك الثور من قرنيه الآن، في وقت يكون فيه كل شيء في حالة جريان، من تركها (أي المشكلة) تغلي لتسوية مستقبلية.^{٣٠٢}

في الوقت نفسه، أكد نوثيل انه ستترك المساعي البريطانية في دعم سلطة الحكومة القاجارية آثاراً مؤذية بالنسبة الى العلاقات البريطانية مع كُردستان الجنوبية.^{٣٠٣} قام نوثيل باتخاذ مبادرة غير مسبوقه حين أرسل مساعده الشخصي، شير يانغ،^{٣٠٤} الى منطقة أورمية الكُردية في مهمة خاصة يلتقي خلالها السيد طه، أملاً في وضع ترتيبات سياسية شبيهة بتلك التي جرت في كُردستان الجنوبية. بعبارة أخرى، سعى نوثيل الى إيجاد دور بريطاني فاعل في كُردستان الشرقية وعلى طول الحدود القاجارية- العثمانية القديمة، أي خارج حدود كُردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية. وفي تقريره حول الوضع في منطقة أورمية، أشار شير يانغ الى وجود «مراجعة واضطراب فطبع»، مؤكداً انه سيلقى أي تدخل بريطاني أو أمريكي ترحيباً محلياً بوصفه الحل الوحيد لإعادة الاستقرار واستتباب السلام. كما أكد يانغ ان المشاعر المناصرة للبريطانيين قوية بشكل عام.^{٣٠٥} وكانت تقارير بريطانية أخرى قد أكدت ان التمرد الكُردي في أورمية قد يتطور الى «انتفاضة عامة»، تشمل كُردستان الشرقية كلها.^{٣٠٦} في غضون ذلك، سعى سمكو، قائد التمرد الكُردي، الى إقامة علاقات وثيقة مع السلطات البريطانية في بغداد.^{٣٠٧} ففي بداية شهر تموز (١٩١٩) عبّر سمكو

³⁰¹ Political, Baghdad, to Political, Mosul, 20 November 1918, AIR20/512, PRO.

³⁰² Political, Baghdad, 12 December 1918, F0371/3386, PRO.

³⁰³ E.W.C. Noel, Note on the Kurdish Situation, July 1919, F0371/4192, PRO, p.18.

³⁰⁴ Noel, Rowanduz, to Political, Baghdad, 21 February 1919, AIR20/512, PRO.

³⁰⁵ General Headquarter, Mes.Ex. Force, to Political, Baghdad, 16 April 1919, AIR20/512, PRO.

³⁰⁶ Assistant Political officer, Sennah, to Political, Baghdad, 16 April 1919, AIR20/512, PRO.

³⁰⁷ Political, Baghdad, to Prodrom, Tehran, 25 May 1919, AIR20/512, PRO.

وحليفه السيد طه عن رغبتهما في التعاون مع البريطانيين بشأن مسألة ترحيل المسيحيين في شمال غرب إيران لقاء الحصول على دعم سياسي بريطاني.³⁰⁸ ولكن، معارضة ويلسون والموظفين البريطانيين في إيران لأي توجه يدعم تطلعات الكرد الشرقيين قد أفشلت محاولات سمكو وطه في التوصل إلى اتفاق ثنائي. وبسبب الخشية من ردود أفعال معادية للبريطانيين تصدر عن الحكومة المركزية في طهران، لم تُبدِ حكومة لندن ولا موظفوها الميدانيون في إيران استعداداً يُذكر حتى لإقامة اتصال مباشر مع سمكو.

وعبر الميجر أم جي روس، أحد الموظفين السياسيين البريطانيين الميدانيين، عن تصورات تشبه تلك التي قدمها الميجر نوئيل فيما يخص الوضع في كردستان الشرقية. ففي تحريره لأسباب حالة عدم الاستقرار المهيمنة في أورمية والمناطق المجاورة، أكد روس على الطابع ((الاعتباطي)) للحدود التي تفصل كردستان الشرقية عن كردستان الجنوبية، وأن تلك الحدود لم تكن تعكس الوقائع الاقتصادية الأثنية والجغرافية القائمة. وعلى غرار نوئيل، ساند روس فكرة حق تقرير المصير، ليس لأن على بريطانيا احترام هذا المبدأ فحسب بل أيضاً بسبب:

ان أية محاولة لإكراه الكردي على البقاء في ظل الحكومة الفارسية، التي يحاول تحرير نفسه منها، ستتهز نفوذنا من الأعماق في جميع تلك البقاع من كردستان في وقت لسنا مهيين لدعم سلطتنا بقوات.³⁰⁹

على النقيض من سائر الموظفين البريطانيين المعاصرين له، رأى روس أنه على بريطانيا الامتناع عن التدخل بالضد من المساعي التي يبذلها الكرد الشماليون للانضمام إلى دولة كردية موحدة. وهذا الموقف البريطاني لم يعده روس انتهاكاً للتعهدات البريطانية السابقة بشأن دعم وحدة إيران الإقليمية. والتعليق الآتي، الذي كتبه توينبي، يلقي بعض الضوء على البعد الإيراني في سياسة بريطانيا تجاه الكرد:

إنها مشكلة جدية تماماً. فالكرد الفرس لا يمكن الوصول إليهم، وهم خارج سيطرة (الموظفين البريطانيين) سواء في طهران أو في بغداد. لربما يمكننا أن نمنعهم من الانضمام رسمياً إلى الكونفدرالية الكردية- العثمانية، ولكن لا

³⁰⁸ Political, Baghdad, Addressed to Constantinople, 3 July 1919, F0371/4192, PRO.

³⁰⁹ Maj. M.J. Ross, Note on Kurdish Claims to the Urmia District of Persia 8/9 July 1919, AIR20/512, PRO.

يمكننا ان نمنعهم من اغتنام هذه الفرصة (قيام حكم ذاتي كُردي) للتخلي عن ولائهم لإيران. وإذا ما حققوا نواياهم الحالية فأنا سنكون في موقف محرج تماماً فيما يتعلق بالوحدة الإيرانية. فنحن حقاً تعهدنا بأن نحترمها. ومع ذلك، وكان من شأن الأفعال التي قمنا بها على الجانب التركي من الحدود ان تؤدي الى انفصال ولاية كبيرة من إيران.³¹⁰

فضلاً عن انها واجهت معارضة الموظفين البريطانيين سواء في ميزوبوتاميا أو في إيران، تعاملت لندن مع تصورات روس بحذر شديد، وظلَّ أسلوب التعامل الارثوذكسي مهيمناً والقائم على حماية وحدة إيران الإقليمية من أية تهديدات داخلية أو خارجية.

٢- نؤيل ووضع حل جديد للمسألة الكُردية

ضمن إطار التسوية السلمية التركية

إن الانطباع الايجابي الأولي الذي تولد عند كثير من الكُرد عن الدور البريطاني بدأ يتغير نتيجة تضافر تطورات عدّة. فمن جانب، ترك تأجيل مؤتمر السلام، الذي علق الكُرد عليه آمالا كبيرة، أثره السلبي في ميولهم السياسية.³¹¹ ومن جانب ثانٍ أدى الانقلاب الحاصل في السياسة الميدانية البريطانية في كُردستان الجنوبية الى إثارة مخاوف كُردية. وأصاب القوميين الكُرد حالة تشويش بشأن نوايا بريطانيا الحقيقية في كُردستان. فمن جهة، أخبر البريطانيون المنظمات القومية الكُردية ان لندن لن تغض النظر عن المصالح الكُردية في مؤتمر السلام القادم، وان عليهم الانتظار حتى ظهور نتائج السياسية. ومن جهة ثانية، عملت السياسة البريطانية المتبّعة ميدانياً على إضعاف الحركات القومية الكُردية الى أقصى الحدود، كاستبدال نظام الحكم الذاتي الكُردي بحكم بريطاني مباشر في كُردستان الجنوبية، وكذلك من خلال اتخاذ سياسة بريطانية مُتشددة تجاه من يُطالب بإقامة سلطة كُردية.

وبدأت مؤشرات التغيير في المواقف الكُردية المحلية تجاه البريطانيين تعكسها تقارير كان يبعثها موظفون بريطانيون ميدانيون الى رؤسائهم. ففي كُردستان

³¹⁰ Foreign Office Minute No.206918, 21 December 1918, F0371/3386, PRO.

³¹¹ Political Department, India Office, Mesopotamia: British Relations with Kurdistan, 27 August 1919, F0371/4192, PRO.

الشرقية، صارت التقارير تربط بصورة متزايدة تحركات القوميين الكُرد بالأفعال المعادية للمسيحيين في شمال غرب إيران.³¹² وأرجع برسي كوكس التحول في المواقف الكُردية من مناصرة بريطانيا الى معاداتها الى خيبة الأمل الذي أصاب الكُرد الجنوبيين بسبب الانقلاب الحاصل في السياسة البريطانية الميدانية في كُردستان الجنوبية (أي التخلي عن دعم الحكم الذاتي الكُردى وفرض حكم بريطاني مباشر) وما رافقها من تطورات، في مقدمتها انتفاضة الشيخ محمود.³¹³ وبنفس الطريقة، لاحظ القنصل البريطاني في مدينة أورمية ان وقوع تلك الانتفاضة وقمعها قد أثرت سلباً في موقف الكُرد الشرقيين، الذين بدعوا يتوجهون نحو الأتراك من أجل الحصول على دعم، بدلاً من البريطانيين.³¹⁴ وكان نوئيل قد لفت الأنظار مراراً الى تطورات وقعت بصورة غير متوقعة وبعيداً عن التدخلات البريطانية. وكان نوئيل قد حذر قبل ذلك من مغبة فرض نظام السيطرة المباشرة في كُردستان الجنوبية، لما قد تُسببه من ردود فعل سلبية لدى الكُرد الشماليين، الذين رأوا فيه «مقدمة لتوغل بريطاني يجري على حسابهم».³¹⁵ كما عزا نوئيل بروز التحركات المعادية للمسيحيين والبريطانيين على حد سواء الى السياسة الميدانية البريطانية التي فضّلت المسيحيين على المسلمين.³¹⁶

يرجع السبب الرئيس في تدهور الوضع السياسي بوتيرة متسارعة في المناطق الكُردية الخارجة عن السيطرة البريطانية في ربيع وصيف عام ١٩١٩ الى اشتداد المخاوف الكُردية من فرض حكم مسيحي أرمني على كُردستان الشمالية. وأججت ماكينتا الدعاية التركية مشاعر الكُرد ضد الأوربيين، الذين بدا لهم كما لو كانوا يتآمرون ضدهم كمسلمين، أي بغض النظر عن أصولهم الأثنية. وكانت تلك الخلفية الحقيقية لقيام نوئيل بمهمة رسمية تمثّلت بزيارة النواحي المضطربة من كُردستان الشمالية، تمهيداً لتهيئة تقرير نهائي حول «الوضع السياسي بين الكُرد والأتراك»، وبشأن «الأوضاع الاقتصادية».³¹⁷ والجدير بالذكر ان نوئيل لم يُمنح مهمة إقامة «دولة كُردية

³¹² Political, Baghdad, 6 January 1919, F0371/4147, PRO.

³¹³ Cox, Tehran, 26 August 1919, F0371/4192, PRO.

³¹⁴ Civil Commissioner, Baghdad, to SIS for India, 25 August 1919, AIR20/714, PRO.

³¹⁵ Political, Baghdad, to Egyptian Force, Cairo, 28 April 1919, AIR20/714, PRO.

³¹⁶ Noel, Aleppo, to Political, Baghdad, 2 August 1919, AIR20/714, PRO.

³¹⁷ Political, Baghdad, to Egypt Force, 11 March 1919, AIR20/714, PRO.

شمالية))، شبيهة بتلك التي أنشئت في كردستان الجنوبية، كما يعتقد روبرت أولسن خطأً،^{٣١٨} أو كما ادعى مصطفى أتاتورك بعد ذلك بعدة سنوات. بدأ نوثيل مهمته بجولة أولية قصيرة، ومن ثم وسّع من تنقلاته لتشمل مناطق كردية مختلفة، أهمها ديار بكر ونصيبين. ولتسهيل مهمته، أصطحب نوثيل ممثلين عن القوميين الكرد وبموافقة وزارة الخارجية البريطانية.^{٣١٩} ويلاحظ أن الدوائر الرسمية البريطانية المعنية، خاصة وزارتي الخارجية والهند، كانتا تنتظران المزيد من المعلومات المباشرة لتحديد موقف لندن النهائي تجاه مستقبل كردستان خلال مؤتمر السلام القادم.

لكن، تضافر الجهود التي بذلتها الحكومة العثمانية، التي تم إشعارها رسمياً من لندن حول طبيعة مهمة نوثيل،^{٣٢٠} مع المساعي المعادية التي قام بها القوميون الطورانيون الأتراك أجبرت نوثيل على إنهاء مهمته قبل أوانها. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، تأثرت مهمة نوثيل بالمواقف السلبية التي اتخذها الموظفون البريطانيون في اسطنبول، الذين رفضوا تزويده بالدعم السياسي اللازم. وكان الأدميرال دي روبيك، الذي حل محل غوف كالثورب في منصب المفوض السامي البريطاني في اسطنبول، قد خشي من ان تُعطي مهمة نوثيل، الذي رافقه فيها شخصيتان كرديتان تمثلان الدوائر القومية الكردية في اسطنبول، الحكومة العثمانية والحركة الكمالية ((أسباباً جدية للشك في ان حكومة صاحب الجلالة تُشجع الكرد على العمل ضد الأتراك)).^{٣٢١} وادعى موظف بريطاني كان قد تواجد في المنطقة الشمالية في تقرير له الى ان نوثيل ((يدير نوعاً خطراً من الدعاية المناصرة للكرد والمناوئة للأتراك)).^{٣٢٢}

وفي مذكرة مهمة دافع نوثيل عن نفسه ضد التهم الموجهة إليه بان نشاطاته هي التي حفزت الدعاية المعادية لبريطانيا التي أطلقها القوميون الأتراك، مؤكداً ان المواقف المعادية لبريطانيا كانت منتشرة قبل ان يبدأ مهمته. وأرجع نوثيل أسباب هذه المواقف المعادية لعوامل عدة: أولاً، إمكانية انتباه الأتراك الى خطورة قيام كيان الحكم الذاتي في

³¹⁸ Olson, The Emergence of Kurdish Nationalism, p -53.

³¹⁹ IDCIM, Secretary's Note, 6 September 1919, F0371/4193, PRO.

³²⁰ De Robeck to Curzon, confidential, 20 December 1919, Enclosure No. 1, Mr. Ryan, Memorandum, F0371/4193, PRO.

³²¹ High Commissioner, Constantinople, to General, Baghdad, 18 September 1919, F0371/4192, PRO.

³²² General Headquarter, Egypt, 27 September 1919, F0371/4192, PRO.

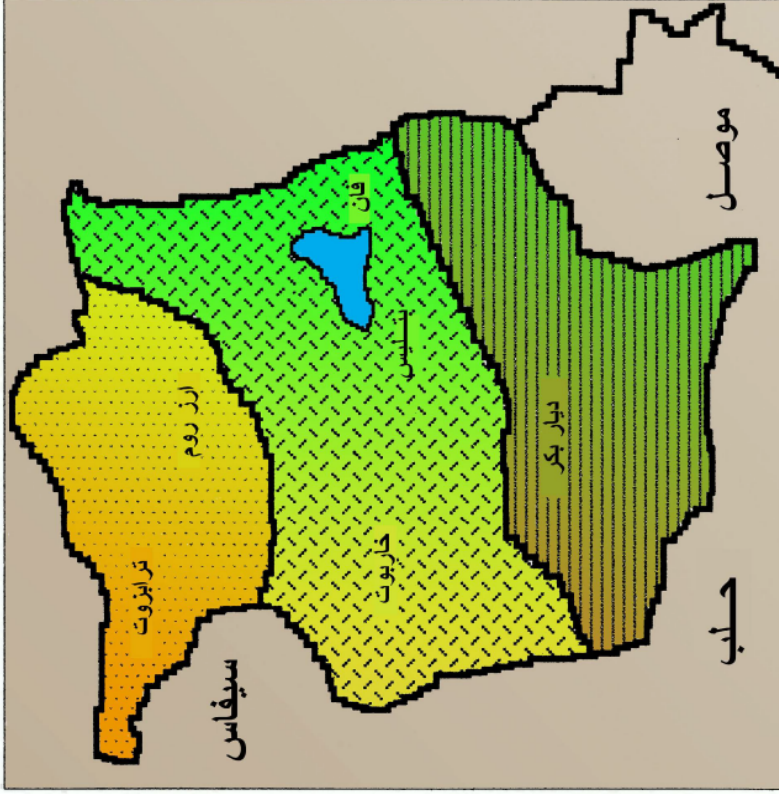
كُردستان الجنوبية بعد انتهاء الحرب مباشرة، وثانياً، اعتراف البريطانيين باللغة الكُردية وتشجيعهم النظام القبلي في مناطق كُردستان الخاضعة لسيطرتهم، وأخيراً، وجود تصريحات متكررة وجهتها الحكومة البريطانية الى الكُرد، أكدت فيها على انها لن تتجاهل المصالح الكُردية في مؤتمر السلام القادم. وعاد نوثيل بالذاكرة الى بيان قوات مصر الاستكشافية البريطانية، بوصفه دليلاً قاطعاً يُفند التهمة الموجهة إليه. هذا البيان الذي ذكر تحديداً «المصالح الأرمينية والكُردية بوصفها عوامل أساسية في البلاد التي تُعرف بآرمينيا وكُردستان».^{٣٢٣} وتُبين الأدلة المتوافرة ان الأتراك كانوا يراقبون عن كثب مهمة نوثيل الى كُردستان الشمالية وبقلق كبير، حتى أن مصطفى كمال عدّ مهمة نوثيل «حدثاً مهماً» في الصراع القومي التركي، وزعم إحقاقه الفشل الكبير بجميع المؤامرات البريطانية «تحت غطاء استقلال الكُرد».^{٣٢٤}

وخوفاً من ان تخلق وزارة الخارجية البريطانية عداء تركيا لا رغبة لها فيه، أمرت نوثيل بإنهاء جولته في كُردستان الشمالية. ومع ذلك، استطاع نوثيل ان يُقدم استنتاجاته بشأن الوضع السياسي في كُردستان، أكد فيها وجود «إحساس حيوي جداً بالقومية الكُردية، وبُغض تجاه الأتراك، وكراهية شديدة تجاه الحكومة» العثمانية في كل المناطق التي زارها. ودحض نوثيل وجود أي «حركة مناوئة لبريطانيا أو ذات نزعة إسلامية» بين الكُرد الموجودين الى الشرق من مدينة ديار بكر. ولكون نوثيل ممثلاً لبريطانيا، تعمل الكُرد معه ب«مودة بمنتهى التهذيب».^{٣٢٥} وحاول نوثيل، في أعقاب إخفاقه في نيل دعم حكومته لمشروع إقامة كونفدرالية كُردية منفصلة، أن يغتنم الفرصة، التي وفرتها جولته في المناطق الكُردية، في ان يرفع بشكل مباشر الى وزارة الخارجية خطة جديدة بشأن مستقبل كُردستان تدخل ضمن إطار التسوية السلمية لمصير الإمبراطورية العثمانية. ولفقت خطة نوثيل النظر الى وجود ترابط خفي بين شؤون آرمينيا وكُردستان. وعلى ضوء ذلك الترابط، سعت خطته الى التوفيق بين التطلعات القومية الكُردية والطموحات السياسية الأرمينية (انظر الخارطة رقم ١٢). ونصت الخطة على:

³²³ Maj. Noel, Memorandum, December 1919, F0371/4193, PRO.

³²⁴ Mustafa Kemal, A Speech Delivered by G. Mustafa Kemal, President of the Turkish Republic, October 1927 (Leipzig: K.F. Koehler Publisher, 1929), pp.101-120 & 220.

³²⁵ Political, Baghdad, 26 September 1919, F0371/4192, PRO.



خارطة (12): خطة نول حول مستقبل الولايات العثمانية غير التركية

- الخزام الشمالي
- الخزام المركزي
- الخزام الجنوبي

Source: FO371/4192 & FO371/7149

وضع الولايات الشرقية الستة معاً تحت قوة منتدبة وتقسيمها ثانية على مقاطعات أو أحزمة، ستكون الجنوبية منها كُردية حصراً، والشمالية أرمنية حصراً، والحزام المركزي مختلطاً. وسيكون لكل حزام إدارة محلية وحكومة ذاتية، تخضع الى مركز مستقل، يقع خارج الولايات الست أو في الحزام المركزي.^{٣٢٦}

اشترطت خطة نوئيل تلك وجود نظام موحد للإدارة بالنسبة الى الأحزمة الثلاثة، ولكنه قابل للتعديل بالتوافق مع السمات القومية لكل أمة (الكردية والأرمنية). وستكون اللغتان الكردية والأرمنية لغتين رسميتين للحكومة في الحزامين الجنوبي والشمالى بحسب الترتيب، و تُدرس اللغتان في مدارسهما. وسيُجند الكُرد والأرمن في وحدات الجندرية ويُوظفون في الإدارة المدنية في الحزام المركزي. لقد كان نوئيل يأمل بعد أن تطبق خطته لمدة عشرين أو ثلاثين عاماً أنه سيكون بالإمكان اتخاذ قرار بشأن ((الوضع السياسي المستقبلي للقوميات المختلفة)). لكنه، أكد الحاجة الى وجود ((مُنْتَدَب مدعوم بجيش احتلال)).^{٣٢٧} بتعبير آخر، تطلبت خطة نوئيل تدخل الحكومة البريطانية بصورة مباشرة وفاعلة في عملية ترجمتها الى واقع ملموس.

في غضون ذلك، نصح نوئيل حكومته ان تأخذ بنظر الاعتبار ثلاثة أمور حين تُحدد موقفها النهائي تجاه المسألة الكردية: أولاً، ضرورة ان تكون كُردستان مُنْحَرَّة من الحكم التركي. ثانياً، ينبغي ان لا تخضع أرض كُردستان للتقسيم. وأخيراً، لدى تعيين الحدود الجنوبية لكُردستان ((ينبغي ان يُتبع بأقرب ما يكون الخط الأثني ما بين الكُرد والعرب)).^{٣٢٨} كانت النقطة الأخيرة مناقضة تماماً لما اقترحه ويلسون. فالأخير أراد ان تكون مصالح الإدارة البريطانية الإستراتيجية والاقتصادية في ميزوبوتاميا المعيار الوحيد في تحديد الأقاليم التي ستبقى ضمن كُردستان أو التي ستُضم الى ميزوبوتاميا. وللتغلب على مخاوف لندن بشأن انجرارها الى التزامات عسكرية ومالية إضافية لا رغبة لها فيها أو وقوع تطورات سياسية تتقاطع مع مصالحها في كُردستان، سعى نوئيل الى طمأنتها في ان الكُرد كانوا مناصرين بقوة

³²⁶ IDCM, Secretary's Note, 6 September 1919, F0371/4193, PRO.

³²⁷ E.W.C. Noel, Note on the Kurdish Situation, July 1919, F0371/4192, PRO, p.18.

³²⁸ Civil Commissioner, Baghdad, 22 November 1919, F0371/4193, PRO.

لبريطانيا، وانهم قادرون لوحدهم على إبقاء الحكم التركي خارج كُردستان، حتى بدون وجود حثٍ بريطاني. لكنه، مع ذلك، حذر من ان:

تقسيم البلد (كُردستان) من خلال إلحاق الجزء الغني منه، أي كُردستان الجنوبية، بميزوبوتاميا، سيمنح الغليان القومي المعادي للبريطانيين فرصة لإحياء النفوذ التركي، ومن ثم لفقدان الأمن على حدودنا، وقد يحدث رد فعل على طول الطريق الإيراني.³²⁹

ولاحتواء الدعاية المتصاعدة التي كان يشنّها الكماليون الأتراك ومن أجل التصدي لمحاولاتهم الدعوية لكسب ود الكُرد وولائهم، اقترح نوئيل اتخاذ سلسلة خطوات عاجلة، تتضمن تعيين احد الأمراء البدرخانيين السابقين حاكماً على دياربكر، والجنرال حمدي باشا ضابطاً عاماً لقيادة الوحدة العاشرة الخاصة، وشخصية قومية كُردية أخرى متصرفاً لمدينة ماردين.³³⁰

وبالرغم من عجزه عن إثارة اهتمام بريطانيا بشكل كبير وتفعيل دورها في قضايا كُردستان الشمالية الداخلية، استطاع نوئيل ان يُبرز نقطة مهمة، وهي ان الكُرد يشكلون قومية قائمة بحد ذاتها، بقدر ما انطبق التعريف نفسه على الأرمن، وان بريطانيا لدى سعيها لحماية مصالحها، لا تستطيع ان تتجاهل الكُرد تماماً كعامل سياسي في أية تسوية سلمية لمستقبل الأقاليم غير التركية التابعة للإمبراطورية العثمانية. وبالفعل، برهن نوئيل على ان إقامة دولة أرمنية أمر صعب التحقيق جداً، إلا في حالة استجابة بريطانيا لتطلعات الكُرد القومية. وفي التحليل الأخير، أدت تصورات نوئيل ومساعيه دوراً غير قليل في تدويل المسألة الكُردية، كما تجسد ذلك في بنود معاهدة سيفر لعام ١٩٢٠.

ردود فعل السلطات البريطانية في الشرق الأوسط نحو آراء ويلسون ونوئيل بشأن مستقبل كُردستان

١- المفوضية السامية البريطانية في القاهرة والشؤون الكُردية

نتيجة لإدراكها المتزايد بشأن عدم إمكانية تجاهل المسألة الكُردية في أية تسوية إقليمية مُقبلة، أصبحت حكومة لندن في حاجة مُلحة لتحديد مصالح بريطانيا في

³²⁹ Ibid.

³³⁰ Political, Baghdad, 29 September 1919, F0371/4193, PRO.

كُردستان، وإيجاد آلية عملية لتحقيقها ضمن إطار عملية واسعة لإعادة رسم النظام الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط. ولهذه الأسباب، أصبحت وجهات نظر ويلسون ونونيل المتضادة حول مستقبل كُردستان محوراً لمناقشات جرت داخل أو بين مختلف الدوائر الرسمية البريطانية، سواء في لندن (وزارتي الخارجية والهند على الأخص) أو في منطقة الشرق الأوسط (المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول وفي القاهرة). وانجرت السلطات المدنية والعسكرية البريطانية في مصر الى المناقشات المتعلقة بالمسألة الكُردية بسبب احتلال قوات الاستكشاف المصرية لبعض المناطق الواقعة في غرب كُردستان العثمانية. وينبغي التذكير بأن هذه المناطق كانت اصغر بكثير في مساحتها من المناطق الكُردية الجنوبية الخاضعة لسيطرة قوات الاستكشاف الهندية، التي قامت باحتلال ميزوبوتاميا.

وتتج عن تلك التطورات نشوء مركزين لإدارة الشؤون الإدارية والأمنية للمناطق الكُردية الخاضعة للسيطرة البريطانية: الأولى في بغداد والثانية في القاهرة. ونتيجة لذلك، تطورت منافسة شديدة بين المركزين بسبب محاولتهما التأثير في رسم السياسة البريطانية الرسمية ووجهتها، خاصة فيما يتعلق بأمر مصير كُردستان السياسي. حتى حين عُهدت مهمة إدارة الشؤون الكُردية الميدانية الى الميجر ويلسون بالتشاور مع المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول، لم يكف الموظفون البريطانيون في القاهرة عن إبداء معارضتهم لنهج ويلسون وأطروحاته المتعلقة بالوضع الكُردية. وينبغي التذكير بأن الهوة بين القاهرة وبغداد كانت موجودة قبل إخضاع مستقبل كُردستان للمناقشة بين الدوائر البريطانية الرسمية المختلفة أو داخلها. ومثّلت المفوضية السامية في القاهرة، وكما عُرف عنها في حينه، «المدرسة الأهلية» (Native School)، التي نادى بانتهاج سياسة السيطرة غير المباشرة، قوامها إدارة أهلية تحت إشراف وثيق من مستشارين بريطانيين. أما السلطات البريطانية في بغداد فمثّلوا ما عُرف بـ«المدرسة الإمبريالية»، التي دعت الى فرض نظام السيطرة المباشرة بوصفه الوسيلة المثلى والعملية لتعزيز موقف بريطانيا ومصالحها في ميزوبوتاميا. والجدير بالذكر ان هذين المصطلحين قد استخدمتا خلال جلسات كونفرانس الشؤون الشرق الأوسطية ما بين الوزارات.³³¹

³³¹ Interdepartmental Conference of Middle Eastern Affairs (IDCM). IDCM, minute 37, 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

وبالرغم من انسحاب قوات الاستكشاف المصرية من المناطق الكُردية الغربية بهدف تسليمها الى الفرنسيين، واصل الموظفون البريطانيون العاملون في القاهرة إبداء ردود الفعل وطرح الآراء في كل ما خصَّ مستقبل كُردستان السياسي. ولم تحفّ درجة التباين في وجهات النظر الموظفين العاملين في بغداد والقاهرة فحسب، بل زادت حدّة. لقد عبّر إدموند ألنبي، المفوض السامي البريطاني في القاهرة، ومرؤوسه عن معارضتهم الصريحة لمخططات الميجر ويلسون الخاصة بتقسيم كُردستان العثمانية ما بين ميزوبوتاميا العربية البريطانية وتركيا العثمانية. في الوقت نفسه، لم يُخفِ ألنبي ومرؤوسه مساندتهم القوية لخطة نوئيل القائمة على تعيين حدود واضحة لكُردستان المستقبل، تقوم على العامل الأثني. وكانت أطروحات نوئيل الخاصة بالشؤون الكُردية متطابقة مع التصورات التي قدمها الموظفون البريطانيون في القاهرة، الذين رأوا ضرورة منح الكُرد فرصة حق تقرير المصير الذاتي، وضرورة عدم تعرض كُردستان لأي تقسيم اعتباطي. في برقية له موجهة الى وزارة الحرب، حدّر ألنبي من أطروحة ويلسون القاضية بتجاهل الحدود الأثنية ما بين كُردستان وميزوبوتاميا العربية لما ستخلقه من مشاكل:

ان ضم ميزوبوتاميا لكُردستان الجنوبية... سيعني... التصادم مع الكُرد، وربما سينشأ بلد حدودي، مما سيتطلب نفقات عسكرية دائمة. لهذا، فأنني أوصي بإدخالهم الى الدولة المؤقتة الكُردية- الأرمنية كما اقترح نوئيل. انني أرى... انه ينبغي التشجيع على الاعتراف بالقومية الكُردية، وان يُحرر جميع الكُرد من مخاوف الخضوع الى الهيمنة الأرمنية. لربما سينساقون (أي الكُرد) بسبب وجود هذه المخاوف الى أحضان CUP (القوميين الكماليين)، في حين لو تم ترصيتهم، فإنهم سيبرهنون على كونهم حاجزاً منيعاً أمام الجهاد (المعلن من القوميين الكماليين). وفي حالة توصلهم الى اتفاق مع الأرمن، فإنهم سيعززون الموقف الارمني.³³²

وشارك الكولونيل آرثر فرنج (المقر العام العائد لقوات الاستكشاف المصرية) النبي في تصورات، ورأى من الضروري ان تتركز سياسة بريطانيا الكُردية في مؤتمر

³³² Commander-in-Chief, Egypt, to war Office, 12 September 1919, F0371/4192, PRO.

السلام على الاعتراف بالقومية الكردية بالانسجام مع فكرة حق تقرير المصير، وضرورة تجنب عودة الحكم التركي الى الولايات الكردية والأرمنية. بهذا الشكل، وعارض الكولونيل فرنج بصورة مباشرة وصريحة خطة ويلسون لتقسيم كردستان العثمانية، بما في ذلك ضم كردستان الجنوبية الى ميزوبوتاميا البريطانية، حيث أكد انه:

**كلما تجانس سكان ميزوبوتاميا المستقبلية ستكون مهمة المنتدب أبسط
ومرضية أكثر. وبالرغم من ان إدخال هذه المقاطعات الكردية (في كردستان
الجنوبية) قد يزيد من دخل (ميزوبوتاميا)، فإنها ستبرهن على كونها نقطة
ضعف في مجالات أخرى.^{٣٣٣}**

وفي إيران، طرح الموظفون البريطانيون وجهات نظر حول مستقبل كردستان القاجارية بطريقة تختلف تماماً عن تلك التي كان قد طرحها نظرائهم في مصر بخصوص كردستان العثمانية. وتميزت مواقف الموظفين البريطانيين في إيران بكونها امتداداً طبيعياً لموقف المدرسة الامبريالية، إذ عارضوا إضعاف وحدة إيران الإقليمية بحجة تأثيرها على المصالح الامبريالية البريطانية في الهند وميزوبوتاميا العربية. وهذا يُفسر لماذا عارض هؤلاء الموظفون في تقاريرهم أهداف القوميين الكرد الشرقيين وشككوا بغايات الانتفاضة الكردية القائمة، وعلى الأخص نوايا قائدها سمكو، الذي اتهموه بقتل المار شمعون، الزعيم الديني والديني للمسيحيين من أتباع الطائفة الآثورية في منطقة أورمية الكردية. كما وقف هؤلاء الموظفون ضد مساعي سمكو لإقامة اتصالات مباشرة مع السلطات البريطانية في بغداد، ولم يكتفوا بذلك فقط، إنما دعوا لندن الى تقديم المساندة الى الحكومة القاجارية لإنجاح جهودها العسكرية في القضاء على الانتفاضة الكردية. وكان القنصل البريطاني في مدينة تبريز قد نصح برسي كوكس بعدم الاستجابة الى محاولات سمكو في إقامة ارتباط مباشر مع بريطانيا محذراً منه بوصفه انتهازياً، وانه سيكون من ((الخطأ)) أخلاقياً أن تتعامل بريطانيا مع شخص قتل المار شمعون.^{٣٣٤}

وبالفعل، بدأ البريطانيون تقديم المساعدات العسكرية المباشرة لحكومة طهران. في نيسان العام ١٩١٩، أي حين طلب الحاكم القاجاري لمقاطعة سنندج مساعدة

³³³ Col. French, Cairo, Directory of Military Intelligence, 2 October 1919, F0371/4192, PRO.

³³⁴ Tabriz to Tehran, April 1919, AIR20/512, PRO.

الطائرات البريطانية للدفاع عن المدينة من هجمات المنتفضين الكُرد،^{٣٣٥} لم يكن البريطانيون في موقف يسمح لهم بتقديم مثل تلك المساعدة بسبب انشغال طائراتهم في مهام أخرى في شمال غرب إيران.^{٣٣٦} ولم يمض وقت طويل حتى بدأ الطرفان البريطاني والإيراني بتنسيق الجهود العسكرية ضد المنتفضين الكُرد. ففي شهر شباط من العام التالي، قام الإيرانيون والبريطانيون بعمليات عسكرية جوية وبرية متزامنة ضد الانتفاضة الكُردية بهدف استباق وقوع ((اضطراب خطير)) في كُردستان الشرقية.^{٣٣٧} واتسع التعاون والتنسيق بين الإيرانيين والبريطانيين ليشمل القضاء على مقاومة أولئك الكُرد الذين واصلوا هجماتهم ضد المواقع البريطانية في كُردستان الجنوبية في المدة التي أعقبت أسر الشيخ محمود ونفيه الى الهند. وعلى سبيل المثال، سلّمت السلطات القاجارية اثنين من الثائرين الكُرد الى السلطات البريطانية في بغداد.^{٣٣٨}

ان أهمية آراء الموظفين البريطانيين في إيران تكمن في انسجامها الكبير مع الاعتقاد الامبريالي القديم الذي رأى في توطيد وحدة إيران القاجارية وتعزيز توجهها البريطاني أفضل وسيلة لخدمة مصالح بريطانيا الإستراتيجية. ولذلك، كان من الضروري، بحسب وجهة نظرهم، ان تتحاشى بنود معاهدة السلام القادمة الخاصة بمصير الإمبراطورية العثمانية أية موضوعات تؤثر في العلاقات القائمة آنذاك بين كُردستان الشرقية وإيران القاجارية.

٢- المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول

اختلفت آراء موظفي المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول الواحد عن الآخر، ومن حقبة لأخرى. مع ذلك، كان هناك نقطة مشتركة اتفق عليها هؤلاء الموظفون انه لا يمكن لبريطانيا ان تغفل المسألة الكُردية لدى مناقشة التسوية السلمية لمصير الأقاليم العثمانية غير التركية. وكان الأدميرال سومرست غوف كالثوب، المندوب السامي البريطاني حتى شهر أيلول العام ١٩١٩، شارك نوئيل رايه

³³⁵ Assistant Political Officer, Sennah, to Political, Baghdad, 16 April 1919, AIR20/512, PRO.

³³⁶ General Headquarter, Mes.Ex.Force, to Civil Commissioner, Baghdad, 20 April 1919, AIR20/512, PRO.

³³⁷ Civil Commissioner, Baghdad, February 1920, F0371/5070, PRO.

³³⁸ Civil Commissioner, Baghdad, 11 April 1920, F0371/5068, PRO.

في ان التطلعات السياسية الكُردية لا تتناقض مع المصالح الإستراتيجية البريطانية المتمثلة بأمن حدود ميزوبوتاميا الشمالية.^{٣٣٩} وعلى غرار نوئيل، فضلَ غوف كالثُورب استجابة بريطانية سريعة لما كان يحصل من تطورات سياسية في كُردستان الشمالية. فبشأن مصداقية القوميين الكُرد ورغبتهم في الوقوع تحت السيادة البريطانية، أكد غوف كالثُورب لوزارة الخارجية البريطانية ان لهذه:

القضية اهمية سياسية كبيرة ... ويجب مواجهتها ... ان الأمر الأكثر جوهرية هو ضرورة الحصول على أفضل فائدة ممكنة من الظروف، وانني لا استطيع تخيل أي حل لا يضع ميزوبوتاميا تحت الانتداب البريطاني، وفي الوقت نفسه فان الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع الكُرد سيكون أمراً جوهرياً بالنسبة الى ازدهار ميزوبوتاميا وسلامها.^{٣٤٠}

وبينما عدّ إعادة بسط السيادة العثمانية على كُردستان العثمانية حلاً ((غير عملي))، نصح غوف كالثُورب بعدم تقديم مساندة بريطانية للمطالب التي قدمها الأرمن على حساب الكُرد.^{٣٤١} في الوقت الذي طالب فيه ان تشمل ميزوبوتاميا على جبال من كُردستان لأهميتها من الناحية الإستراتيجية، أوضح غوف كالثُورب انه لا ينبغي تجاهل التطلعات السياسية الكُردية، إذا ما أرادت حكومته تعزيز موقفها الاستراتيجي وتأمين الاستقرار السياسي على طول حدود ميزوبوتاميا الشمالية. وبهذا الشكل أعطى غوف كالثُورب الكُرد أهمية خاصة، بوصفهم عاملاً يُمكن له ان يُحبط أية تهديدات أو مؤامرات تركية مستقبلية ضد ميزوبوتاميا.^{٣٤٢} وذهب مساعد غوف كالثُورب، الأدميرال ريتشارد وب، ابعد من رئيسه حين أعلن تأييده غير المتحفظ لخطة نوئيل الخاصة بمستقبل كُردستان وارمينيا، رافضاً في الوقت نفسه أطروحات ويلسون حول الموضوع. كما اتفقت ملاحظات الكابتن سي سي وولي، احد الموظفين البريطانيين الميدانيين في كُردستان الشمالية، مع استنتاجات نوئيل في ان النزعة القومية الكُردية المتزايدة، التي عبرت عن نفسها بالرغبة في الانفصال

³³⁹ Young, Foreign Office Minute No.101503, 14 July 1919, F0371/4192, PRO.

³⁴⁰ High Commissioner, Constantinople, to Foreign Office, Repeated to Political, Baghdad, 10 July 1919, AIR20/714, PRO.

³⁴¹ IDC, 6 September 1919, F0371/4193, PRO.

³⁴² High Commissioner, Constantinople, to Political, Baghdad, 3 & 13 April 1919, AIR20/714, PRO.

عن الحكم التركي والقبول بالانتداب البريطاني، لا يمكن تجاهلها بسهولة لكونها عاملاً سياسياً قائماً.^{٣٤٣}

أما خليفة غوف كالثورب في منصبه، الأدميرال جون دي روبك، ومرؤوسوه فاتخذوا مواقف مغايرة لتلك التي تبنتها المفوضية السامية البريطانية في القاهرة حيث كانوا متفقين في ان لا تساند بريطانيا تطلعات الكرد القومية. وفي الوقت الذي لم يريدوا ان يفقدوا القوميين الكرد كورقة سياسية يُمكن استخدامها في حالات الضرورة، رغب جون دي روبك وفريقه تجنب مخاصمة الحكومة العثمانية في اسطنبول أو حصول المزيد من التدهور في علاقات بريطانيا مع القوى القومية الكمالية. وبالرغم من إقراره بعمق الحركات القومية الكردية ومصداقيتها،^{٣٤٤} لم يرَ جون دي روبك أية فائدة تذكر في قيام كردستان مستقلة بقدر ما يتعلق الأمر بمصالح بلاده. لذلك، فانه في الوقت الذي لم يرغب في حصول تدخلات بريطانية، أكد انه «ينبغي ان يترك الكرد لوحدهم في سعيهم للوصول الى مرحلة النجاة وفق الارتباط بالأتراك».^{٣٤٥} وبطريقة مماثلة، انتقد توماس هوهلر، احد الموظفين السياسيين، الأدميرال ريتشارد وبّ تفضيله خطة نوئيل حول مستقبل كردستان وارمينيا على خطة ويلسون، رافضاً في الوقت نفسه أي تدخل بريطاني في الشؤون التركية الداخلية دعماً للكرد أو الأرمن سواءً أكان ذلك لدواعٍ إنسانية أو أية دواعٍ أخرى. ورأى هوهلر انه على بريطانيا «ان تتعامل حصراً مع المسألة الكردية على الأغلب» من زاوية أمن (حدود ميزوبوتاميا).^{٣٤٦} كان هوهلر يأمل في ان يضع أسلوب تعامله مع المسألة الكردية حداً للمواقف المناوئة لبريطانيا، التي اتخذها الكماليون الأتراك، وان تتمكن بريطانيا من جعل الجبال الكردية «حدوداً سليمة» لميزوبوتاميا، بحيث «يُمكن الدفاع عنها».^{٣٤٧} وثمّن لورد كورزن وجهة نظر هوهلر،^{٣٤٨} لأنه هو الآخر لم يرغب في اتخاذ سياسة تجاه تركيا تُبعد الكماليين عن لندن وترميهم في أحضان روسيا البلشفية. والجدير بالإشارة

³⁴³ Capt. Woolley, Note on Kurdish National Movement -in- Civil Commissioner, Baghdad, 29 July 1919, AIR20/512, PRO.

³⁴⁴ De Robeck to Curzon, Confidential, 9 December 1919, F0371/93, PRO.

³⁴⁵ High Commissioner, Constantinople, 12 November 1919, F0371/4193, PRO.

³⁴⁶ Hohler, Constantinople, to Clerk Kerr, 27 August 1919, DBFP, p.742.

³⁴⁷ An Account of a Conversation between Hohler and Brigadier-General McCoy, 14 October 1919, DBFP, pp-821-23.

³⁴⁸ Ibid, Footnote 3, p.823.

انه طرحت خطط توازن بين الكُرد والأُتراك، كالخطة التي قدمها اندرو راين، احد الموظفين السياسيين، وفحواها إقامة تركيا كبيرة تتمتع فيها كُردستان الشمالية بحكم ذاتي داخلي. واستندت الخطة في نجاحها على توصل العناصر الكُردية المعتدلة الى اتفاق وتوافق مع العناصر التركية المعتدلة.³⁴⁹

خاتمة الفصل

لقد جعلت ثورة أكتوبر ودخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية ضد المانيا وحليفاتها اتفاقية سايكس- بيكو قديمة، غير ملائمة في ان تكون قاعدة لإعادة الخارطة الإقليمية للشرق الأوسط بشكل، وتحديد مصير شعوب آسيا العثمانية، بشكل خاص. لتلك الأسباب، بدأت حكومة لندن البحث عن تسوية سياسية وإقليمية جديدة تأخذ بالحسبان متغيرات دولية، في مقدمتها التهديدات البلشفية وبروز حركات قومية بين الشعوب غير التركية في الأقاليم التي كانت ضمن تركيا العثمانية وفي إيران القاجارية.

واتسمت العملية، التي شخّصت فيها حكومة لندن أهدافها ومصالحها في كُردستان، بالبطء والتردد، والسبب في ذلك عدم وجود استعداد مُسبق للتعامل مع مسائل جديدة، بضمنها المسألة الكُردية. فضلاً عن ذلك، كان الوضع الداخلي الكُردية مُبهماً بالنسبة الى لندن، إذ لم يكن هناك سوى اتصالات ميدانية ضعيفة ومتقطعة قبل وقوع الحرب وخلالها بين مسؤولين بريطانيين وبعض الشخصيات الكُردية. وبعد انتهاء الحرب، وجدت بريطانيا نفسها في وضعية جديدة حيث استولت على مناطق كُردية شاسعة من دون وجود تخطيط مُسبق. وزادت الأهمية الإستراتيجية لهذه المناطق بصورة تدريجية، خاصة بالنسبة الى أمن الحدود الشمالية لميزوبوتاميا العربية، التي خضعت للاحتلال البريطاني خلال الحرب.

ان تصورات نوئيل وويلسون المتناقضة بشأن الأهمية السياسية للعامل الكُردية من عدمه خلقت في البدء حالة من التردد والارتباك داخل الدوائر التابعة لوزارتي الخارجية والهند. وثُبين أحد محاضر وزارة الخارجية، التي كُتبت قبل أسابيع قليلة من إجراء الحلفاء لمفاوضاتهم المتعلقة بالتسوية السلمية التركية مقدار الارتباك الذي أصاب تلك الدوائر بشأن الوضع الكُردية: «انني لست متأكداً بخصوص نوئيل، بعد

³⁴⁹ De Robeck to Curzon, Confidential, 2 March 1920, F0371/5067, PRO.

ان جاء وتكلم معنا طويلاً بشأن كُردستان، ناقضه الكولونيل ويلسون (بغداد)، الذي قال عنه انه كان خاطئاً تماماً في تصوراتهِ ومقترحاتهِ الواحد بعد الآخر).³⁵⁰ ولم يكن نوئيل أو ويلسون قادرين على إقناع لندن بتبني أطروحاتهما أو جعلها منطلقاً للسياسة البريطانية في كُردستان قبل مناقشة مؤتمر باريس للسلام قضية مصير الأقاليم العثمانية غير التركية.

مع ذلك، تمخض عن التعليقات وردود الفعل المختلفة، التي أحدثتها وجهات نظرهما المتناقضة داخل الدوائر الرسمية البريطانية سواء في لندن أو في الشرق الأوسط، ظهور مبادئ عامة، أسترشد بها الوفد البريطاني في باريس لدى مناقشته مستقبل كُردستان ضمن إطار معاهدة السلام التركية. وكانت تلك المبادئ العامة حصيلة مزج تصورات وهواجس الدوائر الرسمية البريطانية المختلفة في الشرق الأوسط: أولاً، لحماية مصالحها، على بريطانيا أن لا تلتجئ الى استخدام القوة فيما وراء حدودها القائمة في كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا. وتلك الحدود ينبغي ان تكون «قصيرة بقدر الإمكان». وهذا يعني انه، باستثناء كُردستان الجنوبية، لن تقبل بريطانيا بأية التزامات عسكرية إضافية عند تطبيق بنود معاهدة السلام التركية الخاصة بكُردستان الشمالية وارمينيا. وبهذا الشكل، سيقع على عاتق أهالي كُردستان الشمالية (الواقعة خارج منطقة الانتداب البريطانية) مسؤولية تدبير أمورهم. ثانياً، باستثناء كُردستان الجنوبية، التي ستخضع الى الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا، لن توافق بريطانيا على انتداب يشمل كل أجزاء كُردستان، سواءً أكانت هي الدولة المنتدبة أم لا. ويعني هذا عملياً، ان بريطانيا رأت في تقسيم كُردستان العثمانية وسيلة تحمي مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية، ولهذا ربطت المسألة الكُردية بمصير كُردستان الشمالية فقط. وأخيراً، لم تُرد بريطانيا عودة السيادة التركية الى كُردستان.³⁵¹

استجابت النقطتان الأولى والثانية لرغبات السلطات المدنية والعسكرية البريطانية في بغداد في أن تبقى كُردستان الجنوبية خاضعة لسيطرتها وضمن منطقة

³⁵⁰ Foreign Office Minute, Bolshevik Propaganda in the East, 7 January 1920, Reports and Papers from the Foreign Office Confidential Print, Part One, From the Mid Nineteenth Century to the First world War, DBFP, p.20.

³⁵¹ SIS to Civil Commissioner, Baghdad, 22 November 1919, F0371/4193, PRO.

الانتداب البريطاني لدواعٍ إستراتيجية واقتصادية. وأُخذ بنظر الاعتبار مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية التركية من خلال كُردستان الشمالية، الذي نادى به المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول، والذي جاء منسجماً مع تصورات اللورد كورزون ووينستون تشرشل، وزير الحرب. أما الاعتراف المحدود بالشعب الكردي بوصفه قومية قائمة بذاتها وبتطلعاته السياسية، التي جسدها النقطة الثالثة بشكل غير مباشر، فقد انسجم الى حد ما مع أطروحات نوثيل والسلطات البريطانية في القاهرة. ولكن المبدأ الأكثر أهمية من كل ذلك، الذي أكدت عليه السياسة البريطانية تجاه قضية التسوية السلمية التركية، هو إخضاع الموقف الرسمي من المسألة الكردية برمتها لمتطلبات ضمان مصالح بريطانيا المختلفة في ميزوبوتاميا وتركيا وإيران. ويتبين من القراءة السريعة للنقاط الأربعة الذكر ان الموظفين البريطانيين الميدانيين لم يشاركوا بفاعلية في تحديد اتجاه التطورات السياسية في المناطق الكردية فحسب، بل أثروا أيضاً في سير المناقشات داخل الأوساط الصانعة للقرار الخاص بمستقبل كُردستان السياسي. وأصبح دور الموظفين الميدانيين، بقدر ما يتعلق الأمر بالوضع الكردي، أكثر وضوحاً وتأثيراً وحاسماً في الحقبة الزمنية التالية (١٩٢١-١٩٢٣)، التي شهدت إحباط برسي كوكس، المفوض السامي البريطاني الجديد في بغداد، لمساعي بُذلت في إقامة كُردستان جنوبية منفصلة، تمهيداً لإلحاقها قسراً بدولة عربية جديدة أقيمت في العراق العربي.

الفصل الرابع

الأبعاد الإقليمية لسياسة بريطانيا الكردية، ١٩١٨-١٩٢٠

ان الاتفاقيات السرية لاقتسام آسيا العثمانية بين بريطانيا العظمى وحليفاتها، التي عُقدت خلال الحرب العالمية الأولى، قد تجاهلت تماماً مصالح الشعوب غير التركية وتطلعاتها السياسية، كالكرد والأرمن. ولكن، نشر السلطة البلشفية الجديدة في روسيا بنود تلك الاتفاقيات السرية بشكل مثير وفي أجواء دولية مُلبدة بالغيوم، من جانب، وإعلان الرئيس الأمريكي لنقاطه الأربعة عشر بوصفها قاعدة عامة لنظام عالمي جديد قائم على مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، التي جاءت في أعقاب دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد القوى المركزية، من جانب ثانٍ، أُجبرت بريطانيا على إعادة النظر في موقفها تجاه مستقبل الولايات العثمانية غير التركية حيث تواجدت الشعوب الكردية والأرمنية والعربية وغيرها. وكما سيتضح الأمر للبريطانيين لاحقاً، أي بعد انتهاء الحرب، أُتسمت القضايا المتعلقة بمستقبل القوميات الجديدة بالتعقيد الشديد.

ويرجع احد الأسباب الرئيسية لذلك التعقيد الى تضارب المعلومات، التي جاءت من مصادر مختلفة. فالقوميون الأرمن والكرد والعرب قدموا إدعاءات متناقضة حول العائدية الأثنية والتاريخية للولايات العثمانية غير التركية. فمن طرف، ادعى القوميون الكرد والعرب بعائدية ولاية الموصل أثنياً الى المجموعة التي ينتمون إليها، أملا في ضمّها الى الكيان السياسي- الأثني الساعين الى تأسيسه. ومن طرف ثانٍ، ادعى القوميون الكرد والأرمن بعائدية ولايات وان وبتليس وديار بكر الى المجموعة الأثنية التي ينتمون إليها، وتأسيساً على ذلك طالبوا بضمّها الى الكيان السياسي- الأثني الذي يجهدون من اجل إنشائه بمساعدة قوى الحلفاء المنتصرة في الحرب. وبرزت هذه الادعاءات الإقليمية الى السطح حالما بدأت تلك القوى بمناقشة مستقبل كردستان وارمينيا وميزوبوتاميا العربية ضمن إطار التسوية السلمية التركية.

وفي خضم تضارب الآراء وتناقض الطموحات والمصالح واشتداد الخلافات على الصعيدين الإقليمي والدولي، سعت بريطانيا الى تسوية المصير السياسي للقوميات الجديدة بطريقة تخدم غاياتها الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية ضمن إطار نظام

إقليمي شرق أوسطي جديد تتحكم بمقدراته. ويتناول هذا الفصل تحديداً مسألة كيف ان بحث الحكومة البريطانية عن حل للمسألة الأرمنية وإعادة النظر في موضوع الوعود التي قدمتها الى الشريفيين العرب بعد اندلاع الحرب جعلها تعي حجم تداخل القضايا الإقليمية ومدى الترابط الداخلي بين التسويات السياسية لمصير الولايات العثمانية غير التركية. ويبحث هذا الفصل أيضاً التطلعات السياسية للقوميات الكردية والأرمنية والعربية بقدر ما يتعلق الأمر بتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة في السياسة البريطانية تجاه المسألة الكردية في الحقبة الزمنية التي سبقت إعلان بنود معاهدة سيفر.

القوميون الكرد والتسوية السلمية التركية، ١٩١٩-١٩٢٠

أدى قمع حكومة تركيا الفتاة ذات التوجهات الطورانية المعادية للمنظمات السياسية والنوادي الثقافية العائدة للقوميات غير التركية، من جانب، واندلاع الحرب العالمية الأولى، من جانب ثانٍ، الى لجوء الحركة القومية الكردية الى العمل السري. وكانت بعض الحلقات القومية الكردية التي قادها شريف باشا وثريا بدرخان والسيد طه وعبد الرزاق بدرخان قد واصلت نشاطاتها السياسية والدعائية في المنافي بهدف كسب تعاطف قوى الحلفاء وتأييدهم لمسألة إنشاء كيان قومي قائم على الأثنية الكردية. وفي غضون ذلك، شهدت كردستان العثمانية وكردستان القاجارية على حد سواء وقوع سلسلة انتفاضات محلية عفوية معادية للحكم المركزي، اختلفت الواحدة عن الأخرى من حيث شدتها ورقعتها الجغرافية. وكان القاسم المشترك بين تلك الانتفاضات قد تمثل بغياب التنسيق والقيادة. واستمر هذا الحال على منواله حتى ألحق الحلفاء هزيمة حاسمة بالإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى. وهذا التطور أدى بدوره الى خلق مجال لمضاعفة النشاطات السياسية والدعائية، التي كانت تقوم بها الحلقات القومية الكردية سواء في كردستان أو في خارجها. وبدأت الجمعيات السياسية والنوادي الثقافية والاجتماعية الكردية بالظهور مجدداً، كجمعية الأمل الكردية^{٣٥٢} والنادي الكردي، وكما شكّلت جمعيات ونوادٍ جديدة، مثل لجنة الاستقلال الكردية في القاهرة. وقام النادي الكردي بإنشاء فروع له في مدن كردية عدّة، منها دياربكر وماردين.

³⁵² شيركو، القضية الكردية، ص ٥٢.

عانت الحركات القومية الكُردية منذ البدء من ضعف كبير تمثل بغياب تنظيم سياسي قادر على النشاط والتأثير في أرجاء كُردستان المختلفة، وكذلك عدم تبلور قيادة كُردستانية موحدة قادرة على استثمار كافة الفرص وتعبئة جميع الطاقات السياسية والإعلامية في خدمة المسألة الكُردية. وكانت الاتصالات السياسية لمرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى، التي أجراها القوميون الكُرد فيما بينهم، كالشيخ عبد القادر نهري وشريف باشا والشيخ محمود وعبد السلام البارزاني،³⁵³ قد توقفت على حين غرة نتيجة لوقوع تلك الحرب. إن إتكال القوميون الكُرد على المبادرات الفردية والاتصال المُرتجل بهذه الدولة أو تلك وفي غياب جبهة سياسية كُردية موحدة في مرحلة ما بعد الحرب قد أثر سلباً في الجهود التي بذلوها من أجل خلق دعم دولي للتطلعات القومية الكُردية. ولربما كانت موافقة الشخصيات الكُردية المعروفة والمنظمات السياسية الرئيسية على تخويل شريف باشا مهمة تمثيل الشعب الكُرد في مؤتمر السلام في باريس النجاح النسبي الوحيد الذي تم تحقيقه في مجال تنسيق المساعي السياسية على صعيد كُردستان الكبرى.

ان القاسم المشترك بين أغلبية الشخصيات القومية الكُردية الرئيسية تمثلت بتأكيدها على ضرورة ضمان مساندة بريطانيا للمسألة الكُردية على الصعيد الدولي. وبنت تلك الشخصيات تصوراتها حول إمكانية قيام بريطانيا بدور ايجابي فيما يتعلق بتقرير مصير كُردستان بعد انتهاء الحرب استناداً الى عاملين رئيسيين: أولاً، فضلاً عن وجودها العسكري المُكثف وثقلها السياسي الكبير في منطقة الشرق الأوسط، كانت لبريطانيا جملة مصالح إستراتيجية واقتصادية سعت الى تحقيقها من خلال عملية رسم مستقبل الولايات العثمانية غير التركية، ومنها الولايات الشرقية الستة، التي تتألف منها كُردستان العثمانية. على ضوء ذلك، سعى القوميون الكُرد الى إقناع الموظفين البريطانيين، سواء كانوا يعملون ميدانياً أم في لندن، بأن تطلعاتهم السياسية لا تتضارب مع المصالح البريطانية وإنما تلتقي معها على أكثر من صعيد، بما في ذلك الصعيد الاستراتيجي. ففي اتصالاته المبكرة مع المسؤولين البريطانيين، حاول شريف باشا البرهنة على انه إذا مُنحت كُردستان حكماً ذاتياً تحت حماية بريطانية، فإنه بإمكانها أن تؤدي «وظيفة تجاه ميزوبوتاميا شبيهة بتلك التي كان

³⁵³ Ahmad, Kurdistan during the First World War, pp.63 & 67.

يُؤديها إقليم الشمال الغربي تجاه الهند)).^{٣٥٤} كما أخبر الشيخ قادر البريطانيين ان قيام كُردستان مستقلة تحت حمايتهم يُمكنها من القيام بدور الحاجز القوي أمام الأتراك الكماليين والروس البلاشفة على حد سواء.^{٣٥٥} وفي القاهرة، قدم قوميون كُرد منفيون، من أبرزهم ثريا بدرخان، تصورات مماثلة الى المفوضية السامية البريطانية.

ثانياً، ان الدعاية السياسية البريطانية، سواء في أثناء الحرب أو بعد انتهائها، بشأن منح الشعوب الخاضعة الحق في تقرير مصيرها السياسي، من جانب، وكذلك إعطاء موافقتها على إنشاء كيان الحكم الذاتي الكُرد في تحت رعايتها وإشرافها في كُردستان الجنوبية، من جانب ثانٍ، قد أدت الى تصاعد آمال النخب السياسية والاجتماعية الكُردية بشأن رسم مستقبل الشعب الكُرد بعيداً عن الهيمنة التركية أو الفارسية. لقد فسرت تلك النخب هذه التطورات الإيجابية على انها دليل على جدية البريطانيين وتفهمهم للتطلعات السياسية للقوميات الجديدة، ومنها القومية الكُردية.

كما يُفسر تضافر العاملين آنفي الذكر لماذا كُرس القوميون الكُرد جهودهم السياسية والدعائية خلال المدة ١٩١٩-١٩٢٠ من اجل تأمين دعم البريطانيين لمشروع إقامة دولة كُردستان المستقلة تحت حمايتهم السياسية. وكان القوميون الكُرد يرغبون، وبعد تأمين دعم البريطانيين لهم، في فرض دولة كُردستان المستقلة كأمر واقع على الوفود المشاركة في مؤتمر السلام المزمع عقده، بدلاً من الانتظار حتى تقرر تلك الوفود مصير الكُرد على طاولة المفاوضات. لقد تولدت مثل هذه القناعات حول ضرورة أخذ المبادرات لدى بعض الأوساط السياسية الكُردية خلال سنوات الحرب. ففي طهران حتّ شريف باشا البريطانيين، خلال لقائه ببرسي كوكس (الوزير البريطاني المؤقت في إيران في ذلك الوقت) على اخذ المبادرة في إقامة إدارة ذاتية في كُردستان الجنوبية تحت حمايتهم، وأن يفصحوا علناً عن سياستهم الخاصة بحل المسألة الكُردية.^{٣٥٦} وسرعان ما وسّع شريف باشا من مقترحه ليشمل إقامة كُردستان عثمانية وفق صيغة الحكم الذاتي.^{٣٥٧} وصدرت عن شخصيات ومنظمات كُردية، مثل

³⁵⁴ A.J. Toynbee, Foreign Office Minute No.174037, 22 November 1918, FO371/34071 PRO.

³⁵⁵ De Robeck to Curzon, 2 March 1920, Enclosure No.1, A. Ryan, Memorandum, 24 February 1920, F0371/5067, PRO.

³⁵⁶ Precis of Affairs-, op. cit., p.8.

³⁵⁷ Toynbee, Foreign Office Minute No.174037, 22 November 1918, FO371/3407, PRO.

اللجنة الكُردية في القاهرة، مقترحات مماثلة في فحواها. فمن جانب، رحبت تلك الشخصيات والجمعيات بأي تطور يؤكد دعم البريطانيين للقضية الكُردية، ومن جانب ثانٍ، قاموا بحثاً لندن على اتخاذ سياسة نهائية محددة المعالم تجاه المسألة الكُردية قبل ان يتخذ مؤتمر السلام قراره النهائي بشأن تلك المسألة.³⁵⁸

وفي أكثر من مناسبة ومن خلال القيام بمبادرات عدّة، سعى القادة القوميون الكُرد الى اختبار موقف بريطانيا الحقيقي نحو المسألة الكُردية. ففي كانون الأول من العام ١٩١٩، طلب الكُرد من البريطانيين رعاية الاتفاق الكُردى- الأرمني بصورة رسمية (تفاصيل هذه الاتفاقية في هذا الفصل). وكان الشيخ قادر قد عبّر في حوار له مع تي بي هوهلر عن مخاوفه انه في ظل غياب سياسة بريطانية مُحددة المعالم قد تحاول بعض المجموعات السياسية التركية في اسطنبول كسب الكُرد الى جانبها بواسطة تقديم وعد يتضمن منح كُردستان حكماً ذاتياً تحت حماية تركية. وسيكون ثمن كل ذلك، وقوف الكُرد مع تلك المجموعات في القتال ضد الحركة الكمالية. ففي الوقت الذي أبدى فيه الشيخ قادر عدم ثقته بالأتراك وبوعودهم المعسولة، سعى، على حد قول هوهلر، الى:

صياغة مساره بصورة تامة بالانسجام مع مسار الحلفاء، خاصة انكلترا، لأنه يرى ان مصير كُردستان قد ارتبط بصورة حميمة بسياسة بريطانيا العظمى أكثر بكثير من سياسات بقية الحلفاء، وانه قلق من الإقدام على فعل من دون موافقتنا وقبولنا.³⁵⁹

وأخيراً وليس آخراً، طلب شريف باشا، بوصفه ممثل الشعب الكُردى ونخبه السياسية القومية، من بريطانيا خلال انعقاد جلسات مؤتمر السلام موافقتها على مبادرته في رفع مذكرة حول المسألة الكُردية، يطالب فيها إقامة انتداب بريطاني على كُردستان (انظر الخارطة رقم ١٣).³⁶⁰

أما البريطانيون فتجنبوا باستمرار إبداء أي رد فعل قد يقودهم الى التورط في الشؤون الكُردية. واستمرت هذه الحالة على منوالها حتى نهاية العام ١٩١٩، أي حين

³⁵⁸ Policy, Cairo, to General, 6 August 1919, AIR 20/714 & the letter by the Kurdish Democratic Party to British High Commissioner, 31 August 1919, FO 371/4192 & Letters by the Kurdish Communities at Constantinople and the Association for Uplifting Kurdistan to Lloyd George, March 1920, FO371/5068, PRO.

³⁵⁹ De Robeck to Curzon, Confidential, 9 December 1919, Enclosure No.1, T.B. Hohler, Memorandum, 8 December 1919, FO 371/4193, PRO.

³⁶⁰ British Delegation, Paris, 12 October 1919, FO 371/93, PRO.

الخارطة (13): حدود كردستان بحسب الخارطة التي قدمها القوميون الكرد (1919)

حدود كردستان



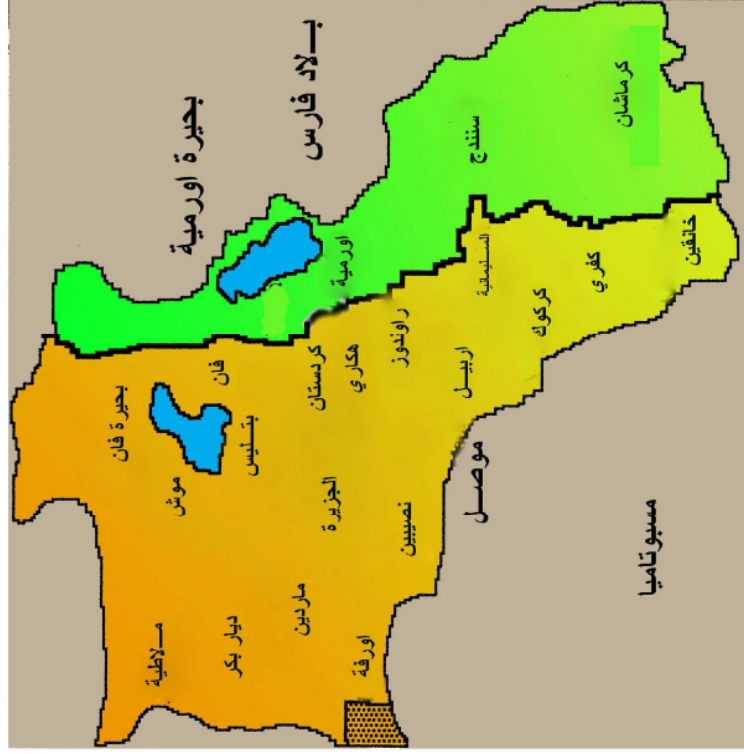
الحدود العثمانية الايرانية



ممر الى البحر



Source: FO371/5968



بدأت بريطانيا بوضع مبادئ عامة تُرشد طريقة تعاطيها مع المسألة الكُردية، منها رفض قيام أي انتداب بريطاني أو أجنبي على كُردستان أو فصل كُردستان الشرقية عن إيران. وفيما يتعلق بجملة قضايا ترتبط مباشرة بمستقبل كُردستان، فضلت بريطانيا خيار الانتظار حتى تبدأ المناقشات داخل مؤتمر السلام ومن ثم تتخذ موقفها النهائي. وسعت بريطانيا من وراء سياستها الكُردية الى الأخذ بنظر الاعتبار تطورات سياسية جديدة وقعت في المنطقة، في مقدمتها بروز الكمالية كقوة سياسية وعسكرية وتحديد حلفائها السابقين لمصالحهم ومناطق نفوذهم في عملية التسوية السلمية لأقاليم الإمبراطورية العثمانية. ففرنسا، وهي المنافس الإمبريالي الرئيس لبريطانيا، قد طالبت بتعويضات إقليمية واقتصادية في كُردستان لقاء خسارتها للموصل، في حين أبدت الولايات المتحدة اهتمامها الملحوظ بأمر انتداب ارمينيا.

فيما يتعلق بمسألة إقامة علاقات سياسية وثيقة مع القوميين الكُرد، أبدى الموظفون البريطانيون الميدانيون في بغداد واسطنبول تحفظات كبيرة، إذ عارضوا بشكل خاص قيام بريطانيا بتشجيع الجهود السياسية الكُردية أو الاعتراف بوحدة كُردستان. لقد رأى هؤلاء الموظفون ان إرضاء التطلعات القومية الكُردية لا يعود بأية فائدة تُذكر على بريطانيا ومصالحها الإستراتيجية، لكون القوميين الكُرد شكلوا قوة سياسية ثانوية. وفي تقاريرهم المُرسلة الى وزارة الخارجية ووزارة الهند، صعد الموظفون من انتقاداتهم للحركات القومية الكُردية وخاصة قادتها البارزين، الذين عابوا عليهم عدم وحدتهم وفقدانهم لنفوذ واسع أو امتلاك الشرعية اللازمة، بسبب بعدهم عن واقع الحال في المناطق الكُردية. كما وصفت بعض تقارير الموظفين القوميين الكُرد على أنهم انتهازيون،³⁶¹ وان الحركات القومية الكُردية ما هي إلا هيجان قبلي، حركته مخاوف قادتها من معاقبة الأوربيين لهم رداً على مذابح مزعومة ارتكبوها ضد المسيحيين في أثناء الحرب.

وكان راين وهولر في المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول قد أوضحا مراراً للقوميين الكُرد ان بريطانيا تعارض أية محاولة تهدف الى تعبئة الأهالي الكُرد سياسياً، مهما بلغ الطابع السلمي والقانوني للوسائل التي يتوسلون بها. فاتخاذ مبادرات سياسية مستقلة، بحسب رأي هؤلاء الموظفين البريطانيين، يؤدي الى عواقب

³⁶¹ Precs of Affairs-, op. cit., p.17.

وخيمة بالنسبة الى المصالح البريطانية، كما برهنت على ذلك ملابسات قضية الشيخ محمود في كردستان الجنوبية في حزيران عام ١٩١٩. ان وجود كردستان متأججة سياسياً قد تجلب أنظار القوى المعادية واهتمامها بالوضع الكردي، خاصة روسيا البلشفية. تلك كانت خلفية تحذير علي وصريح وجهته المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول الى القادة الكرد مفاده ان عدم استقرار كردستان سياسياً سيؤثر سلباً في موقف بريطانيا نحو المسألة الكردية خلال مؤتمر السلام القادم.

بهذا الشكل، وجد القادة الكرد أنفسهم في مأزق حقيقي. فمن جانب، شكك البريطانيون بقدرتهم على ممارسة نفوذ يُذكر في المناطق الكردية، في نفس الوقت الذي شككوا بقوة المشاعر القومية الكردية على الأرض. ومن جانب ثانٍ، لم يتردد البريطانيون في تحذيرهم من إنهم سيواجهون، في حالة قيامهم بنشاطات سياسية تُثبت قدرتهم على ممارسة نفوذ سياسي ملحوظ أو تؤكد قوة النزعة القومية الكردية، عواقب وخيمة ((إذا أُكتشف أمرهم وهم يعدون حركة ضد الأتراك أو أي شيء من هذا القبيل)). بعبارة أخرى، كان على القوميين الكرد ان لا يثيروا في نشاطاتهم السياسية والإعلامية حفيظة الأتراك أو شكوكهم، وان عليهم، بحسب توصيات البريطانيين، القبول بحالة الانتظار، حتى ظهور نتائج مؤتمر السلام الخاص بمصير الإمبراطورية العثمانية.³⁶² في الوقت نفسه، واجه القوميون الكرد حملات قمع كانت تشنها السلطات العثمانية، الخاضعة عملياً للسيطرة البريطانية. استهدفت تلك الحملات القضاء على المنظمات السياسية وإلغاء اللجان الثقافية ومنع التجمعات واعتقال الناشطين الكرد سواء في العاصمة اسطنبول أو في سائر مدن كردستان.

لقد عكس التفاوت الملحوظ في المواقف البريطانية الأولية تجاه الوضعين الكردي والأرمني عوامل إستراتيجية وسياسية ودينية مهمة: أولاً، كان للمسألة الأرمنية بُعداً دينياً وأخلاقياً من وجهة نظر قوى الحلفاء، نتج عن بروز إدعاءات بوقوع مذابح تعرض لها الأرمن على يد السلطات التركية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها. وأحدثت تلك المذابح المزعومة ردود فعل أخلاقية قوية وواسعة في بلدان أوروبا وأمريكا الى الحد الذي لم يعد بالإمكان عدم التعامل مع طموحات الأرمن القومية المتمثلة بتكوين وطن أثني، على غرار ما طالب به يهود أوروبا وأمريكا في فلسطين.

³⁶² High Commission, Constantinople, 21 July 1919, FO 371/4192, PRO.

وهذا الوطن شمل معظم الولايات العثمانية الشرقية شكل الكُرد فيها أغلبية السكان بشكل واضح وملموس. وقد عدّ هذا الوطن الأثني أو الدولة الأثنية في نظر القوميين الارمنيين والمتعاطفين معهم في أوروبا وأمريكا بمثابة الضمان الوحيد لسلامة الشعب الأرمني وأمنه على المدى الطويل. وتشابهت المسألة الارمنية كثيراً مع نظيرتها اليهودية من حيث التبريرات الأخلاقية والدينية. فاليهود نالوا دعم قوى غربية لمشروعهم في إقامة وطن قومي لهم بحجة حمايتهم من ظاهرة الاضطهاد الديني المتفشية في أوروبا.

ثانياً، بسبب الوضع الجيوسياسي الذي تمتعت به ارمينيا المقترحة، المتمثل بوقوعها بين الإمبراطورية الروسية القديمة والإمبراطورية العثمانية، اتخذت المسألة الارمنية أهمية إستراتيجية أكثر من نظيرتها الكُردية بالنسبة الى المصالح البريطانية. بعبارة أخرى، رأت حكومة لندن في قيام دولة أرمنية مستقلة حاجزاً إستراتيجياً بوجه روسيا البلشفية وتطلعاتها السياسية والإيديولوجية عبر حدودها الجنوبية. وأخيراً، على النقيض من القوميين الأرمن واليهود الصهاينة، لم يكن للقوميين الكُرد أي لوبي سياسي أو إعلامي يدعم تطلعاتهم السياسية عن طريق توفير غطاء دولي لها. ولهذا العامل الأخير أهمية كبيرة، نظراً لعدم إطلاع الحكومة البريطانية على التعقيدات المحيطة بالمسألة الكُردية أو بتداخلها مع مسائل أخرى، في مقدمتها المسألة الارمنية. فحين طلبت تلك الحكومة إرسال معلومات مفيدة عن زعيم قومي مناسب يُمكن التفاوض معه حول التطلعات السياسية للشعب الكُرد خلال مؤتمر السلام، ادعى الموظفون البريطانيون، سواء العاملون منهم في اسطنبول أم في بغداد، عدم وجود مثل ذلك الزعيم، الذي يُمكن التعامل معه. وأكد هؤلاء الموظفون، في الوقت نفسه، عدم وجود مسألة اسمها مسألة كُردية أو حركة اسمها حركة كُردية، وان الذين يدعون بأنهم يمثلون قضية الشعب الكُرد لا يملكون نفوذاً يُذكر على الأرض.

ان واقع الحركات القومية الكُردية والنشاطات التي كانت تقوم بها داخل كُردستان وخارجها تتناقض بشكل ملحوظ مع الصورة التي أرسلها الموظفون الميدانيون في اسطنبول وبغداد الى لندن. فباستثناء سمكو، الذي تمتع بنفوذ معين بين الكونفدراليات القبلية التي كان يقودها على طول المناطق المحاذية للحدود القاجارية- العثمانية، تعدّت نفوذ الزعماء القوميين الكُرد، كالشيخ قادر والشيخ

محمود وأبناء الأسرة الأميرية البدرخانية، الحدود القبلية، لتشمل مناطق كُردية عدّة. ولهذا لا يُمكن وصف هؤلاء الزعماء على انهم مجرد قادة قبليين. فضلا عن ذلك، ضمّت الحركات القومية الكُردية الى صفوفها شخصيات عسكرية ومدنية بارزة، علاوة على الطلبة والمتقنين والحرفيين. وكان للنادي الكُردى، وهي المنظمة القومية الرئيسية التي نظّمت حملات إعلامية وسياسية لتعبئة رأي عام كُردى من اجل إقامة كُردستان منفصلة، فروع في شمال كُردستان وغربها، مثل ديار بكر وسيرت وساور وماردين والجزيرة. وضمّ النادي الى صفوفه الموظفين المدنيين والحرفيين وضباط في أجهزة الجيش والشرطة العثمانية.^{٣٦٣}

ان استمرار حالة عدم تبلور سياسة بريطانية محددة المعالم والأهداف تجاه مستقبل كُردستان، خاصة بعد كانون الأول عام ١٩١٩، قد فسرت من قبل القوميون الكُرد على انها نذير شؤم، وبدأت الهواجس تنتابهم بشكل متزايد لئلا تضع قوى الحلفاء ترتيبات سرّية، تستهدف تقسيم كُردستان العثمانية على نطاق واسع. فبعد محاولته لبعض القادة القوميون الكُردية، كتب سي غاربيت الموظف في وزارة الهند: «انهم لا يدركون فقط ان بريطانيا العظمى وفرنسا لن تقبل مسؤولية (الانتداب على كُردستان) وإنما يعون أيضاً ان هذين الحليفين يفكران بتقسيم الأراضي الكُردية بطريقة تمنع إمكانية قيام كُردستان موحدة».^{٣٦٤} وان هؤلاء القوميون، طبقاً لرأي غاربيت، لا يملكون خياراً سوى اللجوء الى القوميون الأتراك، وذلك لأنهم يفضلون خيار «كُردستان موحدة» تحت حماية تركيا ضعيفة على خيار «تجزئة دائمة»، الذي كانوا يرون ان الكُرد مهددون به.^{٣٦٥}

وسبب ظهور ردود فعل محلية كُردية معادية للبريطانيين والمخاوف المتزايدة التي ولّدتها شائعات قوية بشأن تمزيق أوصال كُردستان العثمانية في تفريق صفوف القوميون الكُرد في كُردستان الشمالية. وكان تقرير شريف باشا بشأن الإشاعات المتعلقة بقرار مؤتمر السلام في تقسيم كُردستان بين بريطانيا وفرنسا قد احدث، بحسب قول دي روبيك، استقطاباً سياسياً بين الحلقات القومية الكُردية. فمن جانب،

³⁶³ Nasser Effendi, Notes on the Present Kurdish Situation, Mes.Ex.Force, 5 August 1919, AIR20/513, PRO.

³⁶⁴ C. Garbett, Memorandum on Kurdistan, 29 January 1920, FO 371/4193, PRO.

³⁶⁵ Ibid.

اصطفت مجموعة من القوميين الكُرد، من الذين آمنوا بقدرة الحركة القومية الكُردية على طرد الأتراك من كُردستان، ومن ثم جعل مؤتمر السلام يعترف بوجود كُردستان محررة كأمر واقع لا يمكن تجاهله. ومن جانب ثانٍ، قاد شريف باشا مجموعة أخرى من القوميين الكُرد، من الذين لم يعتقدوا بأنهم يملكون القدرة الكافية على مواجهة الأتراك لوحدهم، ولهذا سعوا الى استباق عملية تجزئة كُردستان عن طريق الدخول في اتفاق ثنائي مع السلطات العثمانية، يُنص على منح «كُردستان كلها حكماً ذاتياً تحت السيادة التركية».³⁶⁶ وبالطريقة ذاتها، أكد الشيخ قادر، خلال تعبيره عن مخاوفه من وجود مخططات فرنسية لتقسيم كُردستان، انه يسعى الى كُردستان موحدة، حتى لو استلزم تحقيق ذلك خفض سقف التطلعات القومية الكُردية الى مستوى الحكم الذاتي الداخلي ضمن تركيا.³⁶⁷

ان الاعتدال المفاجئ الذي طرأ على المواقف السياسية لفريق من القوميين الكُرد، الذي عبّر عنه الشيخ قادر وشريف باشا وغيرهم، قد عكس، قبل كل شيء، فقدان الأمل بإمكانية تحقيق التطلعات القومية الكُردية ضمن إطار التسوية السلمية لمستقبل الإمبراطورية العثمانية التي سيتوصل إليها مؤتمر السلام.³⁶⁸ وفي الوقت نفسه، عكس هذا الاعتدال السياسي معارضة هؤلاء القوميين لإعادة تقسيم كُردستان وخروج الشعب الكُردى خالي اليدين من التسوية السلمية التي سيتحكم بها الحلفاء المنتصرون في الحرب. ولهذه الأسباب، رأى هذا الفريق من القوميين الكُرد انه من الضروري التوصل الى ترتيبات سياسية مُسبقة مع السلطات العثمانية، اي قبل ان يتخذ مؤتمر السلام قراره بشأن مستقبل كُردستان العثمانية السياسي. وبهذه الطريقة سيضمن الشعب الكُردى في الأقل، بحسب اعتقاد هذا الفريق، كُردستان موحدة تتمتع بحكم ذاتي ضمن تركيا جديدة. بتعبير أدق، كانت المخاوف السياسية من تمزيق أوصال كُردستان العثمانية هي الدافع الرئيس وراء الاعتدال الطارئ على مواقف مجموعة من القوميين الكُرد، وليس الدافع الديني ((أي الولاء الى السلطان العثماني بوصفه خليفة المسلمين))، كما زعم موظفو المفوضية السامية البريطانية في

³⁶⁶ De Robeck, Constantinople, 27 February 1920, F0371/5067, PRO.

³⁶⁷ De Robeck to Curzon, 2 March 1920, Enclosure No.1, A. Ryan, Memorandum, 24 February 1920, F0371/5067, PRO.

³⁶⁸ De Robeck to Curzon, Confidential, 9 December 1919, Enclosure No-1, T. B. Hohler, Memorandum, 8 December 1919, FO 371/4193, PRO.

اسطنبول. ففي أعقاب ملاقاته لوفد من النادي الكردي، كتب الأدميرال وب قائلاً ان مؤشرات ((الولاء (الكردي) الى الأتراك كانت أما غير حقيقية أو ناتجة عن ضغط مباشر أو، في بعض الأحيان، عن عدم التأكد من توفر الدعم الذي يُمكن ان يستند إليه الكردي في صراعهم من اجل التخلص من الظلم التركي)).³⁶⁹

كان لكلا العاملين المذكورين، فضلاً عن الإجراءات البريطانية على الأرض وحالة عدم التيقن من نوايا لندن بشأن مستقبل كردستان في الحقبة ١٩١٩-١٩٢٠ تأثيراً سلبياً داخل الحركة القومية الكردية إذ تعمقت الخلافات والتوجهات بين قادتها البارزين. بصورة تدريجية بدأ التشاؤم يحل محل التفاؤل، في نفس الوقت الذي عرقلت السلطات البريطانية الميدانية عملية ظهور كردستان جنوبية وفق نظام الحكم الذاتي، ومنعت أي ارتباط سياسي بين جنوب كردستان وشرقها. وبينما كانت تُحذر القوميين الكردي في كردستان الشمالية من مغبة القيام بنشاطات سياسية غير مرغوب بها، غضّ المسؤولون البريطانيون النظر عن اتخاذ السلطات العثمانية لإجراءات معادية للكردي، كغلق صحفهم ومنظماتهم السياسية، فضلاً عن اعتقال أعضائها.

بالرغم من ذلك، لم يكن بمقدور البريطانيين تجاهل المسألة الكردية بشكل كامل بسبب وجود ثلاثة عوامل: أولاً، لم يكن بالإمكان تغاضي النظر عن حركات قومية كردية بوصفها عاملاً مهماً في تقرير مصير الأقاليم غير التركية كارمينيا وميزوبوتاميا وسوريا. ثانياً، باحتلالها الأجزاء الجنوبية من كردستان العثمانية، واجهت بريطانيا قضية كيفية التعامل مع القوميين الكردي. بتعبير آخر، لم يكن للبريطانيين من خيار سوى التورط في مستقبل المسألة الكردية ضمن إطار التسوية السلمية للإمبراطورية العثمانية. ثالثاً، تزامن فورة النزعة القومية الكردية مع التهديدات المتزايدة التي شكلها الكماليون الأتراك والبلشفيون الروس ضد المصالح الامبريالية البريطانية على طول الخط الممتد من الهند الى ميزوبوتاميا عبر إيران القاجارية. ان هذه القوى المعادية لبريطانيا، في اعتقاد لندن، يُمكن ان تستغل تدهور الوضع الكردي الناجم عن تجاهل المسألة الكردية لتحقيق مآربها الإقليمية. لهذا كان على حكومة لندن ان تُوجد معادلة ما تُحقق من خلالها أهدافها الرئيسية في كردستان، لكن من دون الذهاب أبعد من تلبية الحد الأدنى من التطلعات الكردية المتمثلة بإقامة حكم ذاتي على جزء من كردستان العثمانية.

³⁶⁹ Commission, Constantinople, 3 February 1920, F0371/5067, PRO.

تطور سياسة بريطانيا الكردية على ضوء الطموحات السياسية للأرامنة وبقية المسيحيين، ١٩١٨-١٩٢٠

١. المواقف البريطانية المبكرة

منذ القرن التاسع عشر، تركت سياسات القوى الأوربية الكبرى آثارها على علاقات الأرمن مع الكرد بسبب تدخلاتها المباشرة وغير المباشرة في شؤون الإمبراطورية العثمانية الداخلية، خاصة في الولايات الشرقية الست. فمن جانب، استخدمت روسيا القيصرية سوء معاملة السلطات العثمانية لرعاياها الأرمن ذريعة للتدخل في شؤون الولايات الشرقية، حيث عدت المسلمين، الذين شكلوا غالبية السكان، عائقاً بوجه بسط نفوذها السياسي وتحقيق مطامع إقليمية جديدة. وصب في مصلحة روسيا نشوء خلافات كردية-أرمنية واستمراريتها، إذ أنها تمنحها الفرصة للتدخل مباشرة في قضايا الولايات الشرقية، حيث تواجدت أقلية من الأرمن جنباً إلى جنب مع أغلبية واضحة من الكرد. ومن جانب ثانٍ، سعت السلطات العثمانية من خلال إتباع نهج فرق تسد التقليدي وتقوية النزعة الإسلامية المتشددة بين الكرد إلى التصدي للنشاطات الأرمنية السياسية والإعلامية والعسكرية. وهذه السياسة العثمانية القائمة على التفريق الديني والمذهبي مثلت أسهل الطرق وأفضلها لحرق النزعتين القوميتين الأرمنية والكردية بصورة متزامنة. وبتعبير أدق، تنازع الكرد والأرمن فيما بينهم بالنيابة عن الأتراك والروس، بحسب الترتيب. وفي الربع الأخير من ذلك القرن، بدأت بريطانيا هي الأخرى بالتدخل مباشرة في شؤون الولايات الشرقية باستخدام ذرائع أخلاقية وسياسية، أي حماية الأرمن المسيحيين من ظلم الكرد المسلمين. واتخذت التدخلات البريطانية شكل ممارسة ضغوط مباشرة على حكومة الباب العالي من أجل إرغامها على إجراء إصلاحات إدارية، تستهدف أساساً احتواء النفوذ الروسي المتزايد الناجم عن تأزم المسألة الأرمنية وتدهور العلاقات الداخلية بين الجماعات الدينية والأثنية المختلفة في الولايات الشرقية الست.

وكما دللت إنتفاضة ١٨٨٠-١٨٨١، أدرك القوميون الكرد الأوائل الحاجة إلى تجنب مصيدة الدخول في نزاع مع الأرمن المسيحيين، التي كانت تصب في مصلحة الأتراك المسلمين، كذلك تشخيص الحكم التركي بوصفه العدو الحقيقي للكرد ولسائر الجماعات المسيحية الموجودة في كردستان. بالرغم من بروز شعور مماثل لدى بعض

القوميين الأرمن، إلا إنهم عجزوا عن إقامة تحالف مع القوميين الكُرد بسبب تعرضهم لضغوط روسيا القيصرية الشديدة. وكان لفشل الكُرد والأرمن في إزالة الخلافات بينهم عواقب وخيمة بالنسبة الى تطور الحركتين القوميتين الكُردية والأرمنية حتى العام ١٩١٩. وحين وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، كان الأتراك والروس يتمتعون بموقف قوي، مكنهما من تعبئة الجماهير الكُردية والأرمنية لصالح مجهودهما الحربي، بحسب الترتيب، مما سبب ذلك في وقوع كوارث إنسانية في الولايات الشرقية وفي شمال غرب إيران. وهذه المناطق كانت ميادين لمعارك كبيرة وقعت بين القوات الروسية والقوات العثمانية ووحدات المسلحين غير النظاميين، الذين جُندوا من الأهالي لصالح الطرفين المتحاربين. لقد نجم عن وقوع تلك الحرب وفاة أو قتل عشرات الآلاف من أبناء الشعبين الكُرد والارمني. ففي كُردستان الجنوبية، خسر نحو ٣٠٠,٠٠٠ كُرد حياتهم، بحسب تقديرات المؤرخ أمين زكي.^{٣٧٠} وخسرت راوندوز وحدها ٨٠٪ من سكانها خلال الحرب، بحسب معلومات دبليو آر هي.^{٣٧١} إما المؤرخ الأمريكي، روبرت أولسون، فيقدر الضحايا الكُرد بنحو مليون شخص.^{٣٧٢} وإذا اخذ بنظر الاعتبار التقديرات البريطانية الخاصة بتعداد الشعب الكُرد الذي بلغ نحو ثلاثة ملايين فرد خلال زمن الحرب^{٣٧٣} فان هذا يعني أن كُردستان خسرت ما يقارب ٢٠٪ من سكانها عند انتهاء الحرب.

لقد أثار انتصار الحلفاء الكاسح وخضوع مناطق كبيرة من كُردستان للسيطرة البريطانية مخاوف حقيقية لدى أهالي بعض المقاطعات الكُردية من أن تلجأ تلك الدول المسيحية الى نهج انتقامي ضدهم تحركه دوافع دينية. فبناءً على التجربة التاريخية ومعلوماتهم عن روسيا القيصرية، نظر المحليون الكُرد الى الحلفاء على أنهم قوى مسيحية، جاءت لنصرة إخوتهم في الدين (أي الجماعات المسيحية المحلية) على حسابهم (أي كما كانوا يفعلون في الماضي). كما فسّر الكُرد مساندة أوروبا وأمريكا للقضية الأرمنية، سواء أكانت سياسية أم إعلامية، على إنها إشارة قوية على

³⁷⁰ محمد أمين زكي، تاريخ الكُرد وكُردستان من أقدم العصور وحتى الآن، القاهرة: ١٩٣٩، ص ٢٧٤-٢٧٥.

³⁷¹ Hay, Two Years in Kurdistan, p.192.

³⁷² Olson, The Emergence of Kurdish Nationalism, p.21.

³⁷³ British Desiderate in Turkey, op. cit., Appendix VI, Note by the Secretary, Political and Secret Department, India Office: "The Future Settlement of Eastern Turkey in Asia and Arabia", 14 March 1915, p.83.

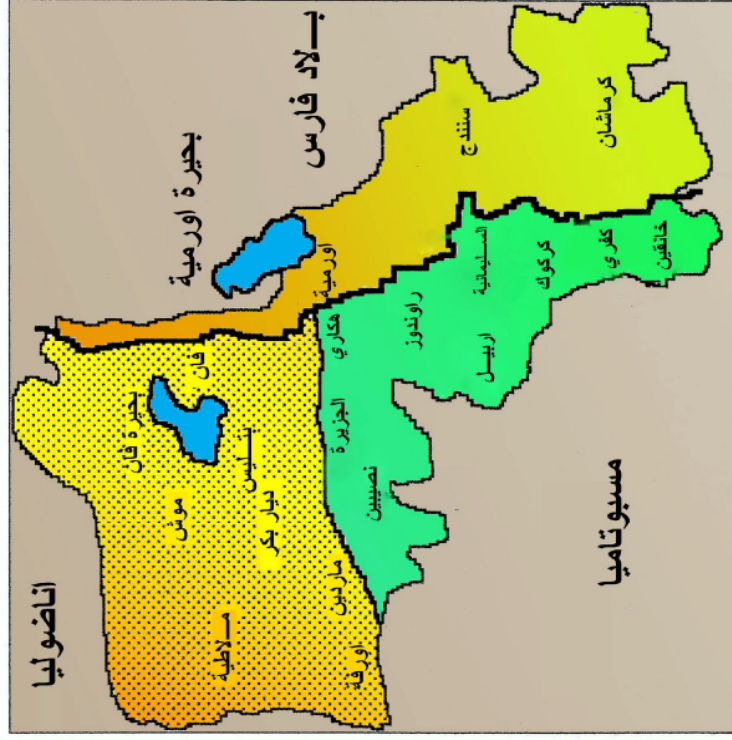
وجود نية حقيقية مُبَيَّنة لإلحاق كُردستان العثمانية بدولة أرمنية مسيحية كبرى. وأما العامل الذي صعد من المخاوف الكُردية بوتيرة مسرعة هو الحملة الدعائية الواسعة، التي بدأ يشنها مجموعة كبيرة من القوميين الأرمن، على طول الولايات الشرقية وعرضها. لقد أكدت تلك الدعايات الارمنية ان قوى الحلفاء المسيحية عازمة على مقاضاة الكُرد بسبب جرائم ارتكبوها ضد الأرمن خلال الحرب. ونجحت تلك الحملة الدعائية المعادية للكُرد في رسم صورة قاتمة غير حقيقية عن أبناء الشعب الكُرد في أوساط الرأي العام الأوربي والأمريكي، بوصفهم مُذنبين، نتيجة لقتلهم المدنيين المسيحيين الأبرياء. ونالت تلك الدعايات الارمنية مُساندة بعض رجال الإرساليات المسيحية الغربية، من أمثال الواعظ دبليو أي ويغرام، وهو رجل دين من أتباع الكنيسة الإنجيلية الإنكليزية وعاش في مدينة أورمية الكُردية قبل الحرب العالمية الأولى وبعد اندلاعها.³⁷⁴ والجدير بالتأكيد أن الدافع الرئيس وراء محاولات الأرمن في توجيه تهمة قتل المسيحيين الى الشعب الكُرد ككل هو إقناع قوى الحلفاء بضرورة ضم كُردستان الشمالية الى دولة ارمينيا الكبرى، بوصفه الحل العملي الوحيد الذي سيؤمن أمن الأرمن وسلامتهم على المدى الطويل (انظر الخارطة رقم ١٤).

ولكن، الميجر نوئيل سارع الى التحذير من مغبة تورط بلاده في «عداوات آسيا الصغرى»، التي أرجعها الى «المخاوف التي زرعها الأرمن بذكاء (بين الكُرد) بشأن عزم الحلفاء على مساندة حكم أرمني يخضع له المسلمون».³⁷⁵ وبالفعل، ساند الحلفاء، بما في ذلك بريطانيا وأمريكا، في البدء مشروع إنشاء ارمينيا كبرى تشمل معظم الولايات الشرقية في المدة ١٩١٤-١٩١٩. ولم تكن نوايا الحلفاء خافية على بعض الزعماء القوميين الكُرد، سواء أكانوا في تركيا أم في المنافي.

وبينما كانت الحرب العالمية الأولى تشرف على نهايتها، اتخذ بعض الكُرد مبادرة، سعوا من خلالها الى تحسين العلاقات الكُردية- الأرمنية، في الوقت نفسه دعوا فيه الموظفين البريطانيين الى المساهمة في دعم تلك الجهود. فعلى سبيل المثال، عرّضت الزعامات الموكريّة الكُردية على القنصل البريطاني في مدينة كرماشان حلاً

³⁷⁴ Reverend Wigram, Notes Regarding Kurds, Baghdad, 20 February 1919, AIR20/512, PRO.

³⁷⁵ Dairy of Maj. Noel, On Special Duty in Kurdistan, from 14 June to 21 September 1919, F0371/5068, PRO.



الخارطة (14): الادعاءات الارمنية في كردستان بحسب خارطة ارمينيا المقترحة من قبل القوميين الارمن خلال مؤتمر باريس (1919)

- الحدود العثمانية الابرانية
- الادعاءات الارمنية في كردستان

للمشكلة الكرديّة- المسيحية في منطقة أرمية. وهي المنطقة التي شهدت في أثناء الحرب دخول الكرّد، من طرف، والأرمن والآثوريين، من طرف ثانٍ، في قتال مرير نيابة عن الروس والعثمانيين الأتراك. وتضمن الحل المذكور نقطتين، تمثّلت الأولى بفصل كرّدستان الشرقية عن إيران القاجارية، وأما الثانية فنصّت على قيام البريطانيين بتدخل عاجل ومؤثر من أجل تطبيع الأوضاع في مناطق تواجدت فيها الجماعتان المسيحية والمسلمة.³⁷⁶ وقبل ان تنتهي الحرب، لفتَ شريف باشا أنظار البريطانيين الى دسائس الأتراك لكونها مسؤولة عن تنامي ظاهرة الكراهية بين الأرمن والكرّد، حيث قال:

تكمُن المهمة الآن في التوفيق بين العرّقين، المحمديّين (المسلمين) الأكثرية الكبيرة والأرمن الأقلية القوية، وذلك عن طريق حصولهما على حقوق متساوية في البلد الذي يعيشون فيه. ومن أجل إقامة أساس لذلك التوافق، رأى (شريف باشا) ضرورة وجود لجنة في لندن، التي أوصى بتشكيلها فوراً، تحت رعاية الحكومة البريطانية، في ميزوبوتاميا في البدء ومن ثم في كرّدستان.³⁷⁷

وطالب قوميون كرّد آخرون، منهم السيد طه، بضمان بريطاني يَنص على عدم إخضاع كرّدستان لحكم أرمني أو آثوري.³⁷⁸ وواصل طه وحليفه سمكواتصالاتهما بالموظفين البريطانيين الميدانيين، مُعبرين من خلالها عن استعدادهما التام في التعاون المشترك بشأن المشكلة المسيحية، في حالة قيام بريطانيا بالتدخل سياسياً بغية تقريب وجهات نظر بين الأطراف المعنية المختلفة.

في البدء، لم يهتم الموظفون البريطانيون العاملون ميدانياً بشكل جدي بالمخاوف الكرديّة المتصاعدة أو بأي عامل يرتبط بالوضع الكردي لدى تعاملهم مع القضايا المتعلقة بالأرمن والآثوريين. ففي هذا الصدد، عبّر ويلسون عن شكوكه بإمكانيات شريف باشا ونفوذه، مُدعياً أنه لا يتمتع بدور يُذكر يُمكنه من أداء دور في تسوية المشكلة الكرديّة- الأرمنية.³⁷⁹ وكما بيّن الفصل الثاني، وقفت جملة دوافع سياسية ودينية وراء الإجراءات الصارمة التي اتخذها موظفون ميدانيون، منهم ليجمن، بحق

³⁷⁶ *Precis of Affairs-*, op. cit., pp.7-8.

³⁷⁷ *Ibid*, p.8.

³⁷⁸ War Office, No.0152/5146, 11 August 1919, F0371/4192, PRO.

³⁷⁹ Political, Baghdad, to SIS for India, 30 October 1918, AIR20/512, PRO.

الكرّد المسلمين بحجة حماية المسيحيين. فمن جانب، رأى هؤلاء الموظفون في دعم اللاجئين المسيحيين عن طريق تسليحهم وتوطينهم أرخص وسيلة لتعزيز السيطرة البريطانية على المناطق الكرّدية المضطربة. ولكن البعد الديني لهذه السياسة الخطيرة لم تُثمر عملياً عن أية نتائج ايجابية انتفع منها البريطانيون. فبدلاً من استتباب الأمن والنظام، تسببت تلك السياسة لا في ازدياد المشاعر المعادية لبريطانيا فحسب، بل أيضاً في اندلاع انتفاضات كرّدية عدّة سواءً في منطقة الموصل أو في خارجها، مثل العمادية والجزيرة ونصيبين. ولم يكن بمستطاع الموظفين البريطانيين السيطرة على الأوضاع الملتهبة من خلال الاعتماد على وحدات اللاجئين المسيحيين المسلحة، ولهذا قاموا باستخدام طائرات حربية في شن هجمات جويّة ضد أهداف مدنيّة (قرى وقصبات كرّدية)، حيث ألحقت بها خسائر بشرية ومادية كبيرة.^{٣٨٠}

لاغرابة في أن تُساهم وقوع تلك التطورات في مضاعفة الهواجس والشكوك الكرّدية بنوايا البريطانيين في كرّديستان. وقام الميجر نوثيل بتوجيه انتقادات ضد التوجه الديني المناصر للمسيحيين لدى الموظفين الميدانيين، حيث قال بهذا الشأن: ((ان تركّ أنفسنا نستخدم كوسيلة بيد التعصب وروح الانتقام الديني الأرمني هو (العامل) المسؤول بصورة كبيرة عن الحركة المعادية للمسيحية وللبريطانيين في كرّديستان)).^{٣٨١}

وكان نوثيل قد حذر قبل ذلك من خطورة استخدام سياسة انتقامية ضد المدنيين الكرّدي، لأنها ستؤدي الى قيام جبهة معادية للبريطانيين بين المسلمين، مما قد يورط حكومة لندن في ((مسؤوليات عسكرية جدّية)).^{٣٨٢} إن طموحات اللاجئين الآثوريين كانت تمثل بنظر الكرّدي تهديداً جديداً. فالآثوريون طالبوا البريطانيين، على غرار الأرمن، بدعم مساعيهم السياسية بتشكيل وطن قومي خاص بهم، في المناطق الممتدة من الموصل حتى أرمية، بضمنها جزيرة ابن عمر وحكاري وراوندوز وباشقلا (أنظر الخارطة رقم ١٥).^{٣٨٣}

وعادت الى الأذهان المواقف غير الوديّة، التي اتخذها الموظفون الميدانيون، والتوجهات القديمة في السياسة الخارجية البريطانية تجاه مستقبل الأرمن والآثوريين.

³⁸⁰ *Precis of Affairs...*, op. cit., p.14.

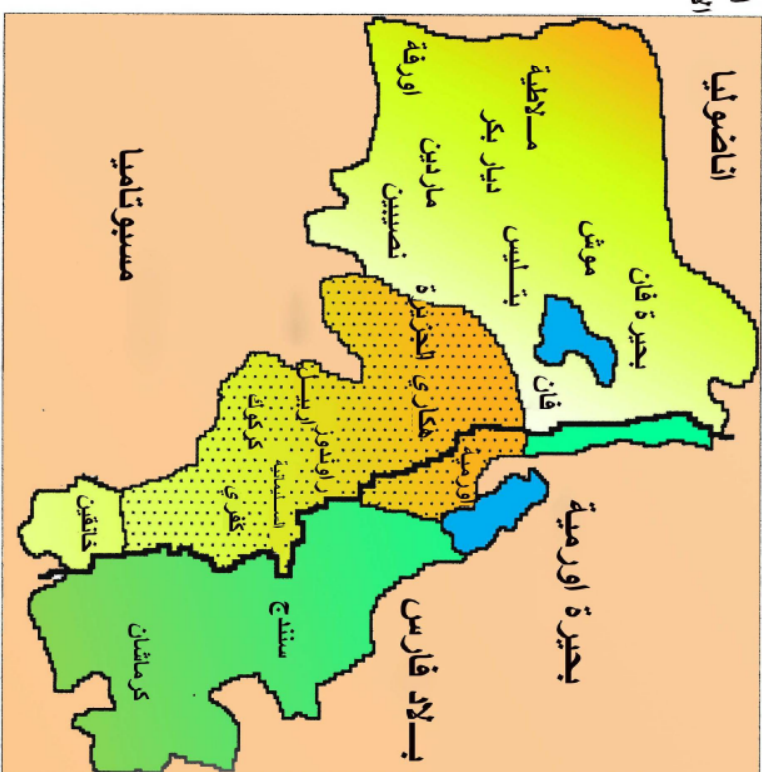
³⁸¹ Noel, Aleppo, to Political, Baghdad, 2 August 1919, AIR20/714, PRO.

³⁸² Political, Baghdad, to Egyptian, Cairo, 24 April 1919, AIR20/714, PRO.

³⁸³ Headquarter Jelus Refugee Camp, to Political, Baghdad, 21 February 1919, AIR20/512, PRO.

الخارطة (15): الوطن القومي الاثوري بحسب
 الاعاءات الاثورية بعد الحرب العالمية الاولى

- الحدود العثمانية الايرانية
- الاعاءات الاثورية في كردستان



ولدى التمعن ملياً في تلك المخططات، يُمكن القول بأن المخاوف والشكوك الكُردية كانت في محلها ولها ما يُبررها من الناحية التاريخية. حسبما أفصح عنه توينبي، كان مارك سايكس يفكر في إقامة كيان منفصل في مقاطعة حكاري في وسط كُردستان العثمانية خاص برعايا الدولة العثمانية من الآثوريين على شاكلة الكيان اللبناني. فضلاً عن ذلك، رأى سايكس بإمكانية حصول اتحاد بين الآثوريين العثمانيين والآثوريين القاجاريين القاطنين في مقاطعة أورمية الكُردية المحاذية لمقاطعة هكاري على الجانب الآخر من الحدود العثمانية- القاجارية.

وفيما يخص حل المسألة الأرمنية، اقترح سايكس إقامة كيانين أرمنيين مستقلين: الأول في قليقلا والثاني في الولايات الشرقية. وبحسب اعتقاد سايكس، سيقوم الكيان الأرمني الثاني وفق مبدأ المساواة بين جميع القوميات! وسيندمج الكيانان في وقت لاحق في دولة أرمنية واحدة، تضم معظم مناطق كُردستان العثمانية. وعلق توينبي على خطة سايكس بأنها «ستمح الأرمن حكومة ذاتية قومية بصورة مباشرة... ولكن قد يكون هذا سوء حظ بالنسبة الى العنصر التركي والكُردى الطاغى جداً على السكان هناك»^{٣٨٤}. وترجع هذه الخطة في جذورها الى العام ١٩١٥، حين اقترح سايكس قيام «دول حاجزة أرمنية»، وكذلك إنشاء كيان آثوري في آسيا الصغرى.^{٣٨٥} ويذكر أن خطة سايكس تلك قد وزعت بصيغة مذكرة لوزارة الخارجية، قامت بمناقشتها اللجنة الشرقية التابعة لحكومة الحرب المُصغرة.^{٣٨٦} وخلال العام ١٩١٩، مالت بريطانيا بقوة، على غرار الولايات المتحدة الأمريكية، الى إقامة دولة ارمينيا كبرى،^{٣٨٧} لكي تكون مانعاً أمام أي عدوان بلشفي ووسيلة لاحتواء النزعة الطورانية الجامحة، ومشروعاً له ما يبرره أخلاقياً ومتماشياً مع ضغوطات اللوبي الأرمني في دول الغربية (أنظر الخارطة رقم ١٦).^{٣٨٨}

³⁸⁴ A.J. Toynbee, Foreign office Minute No.174037, 25 November 1918, F0371/3407, PRO.

³⁸⁵ British Desiderata in Turkey in Asia, Appendix XV, Armenian Buffer States, Note by Lieut. Col. Mark Sykes, 15 March 1915, CAB27/1, PRO, pp.114-115.

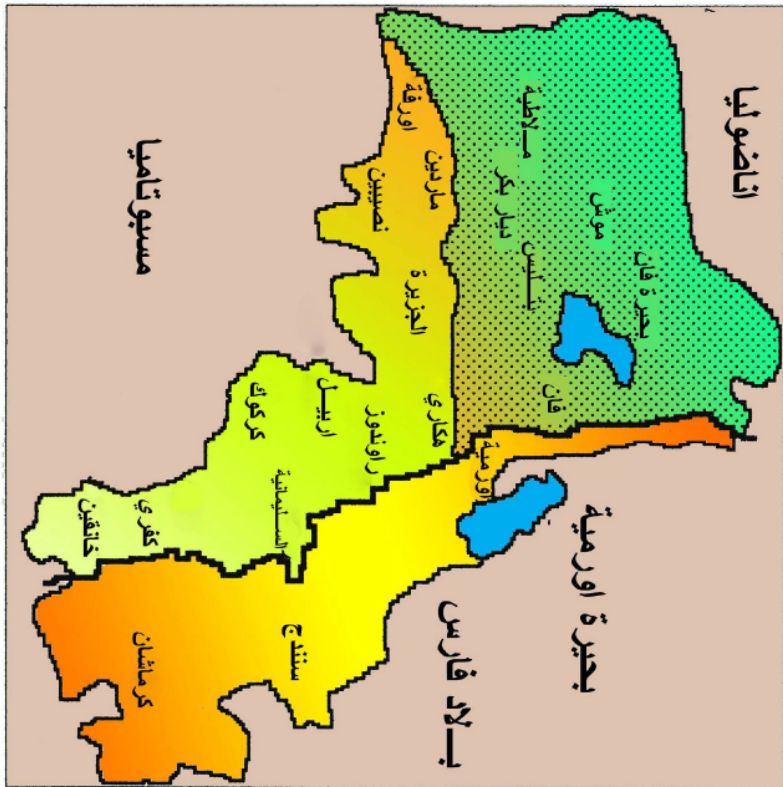
³⁸⁶ Eastern Committee, No.2525, November 1918, Cab 27/37, PRO.

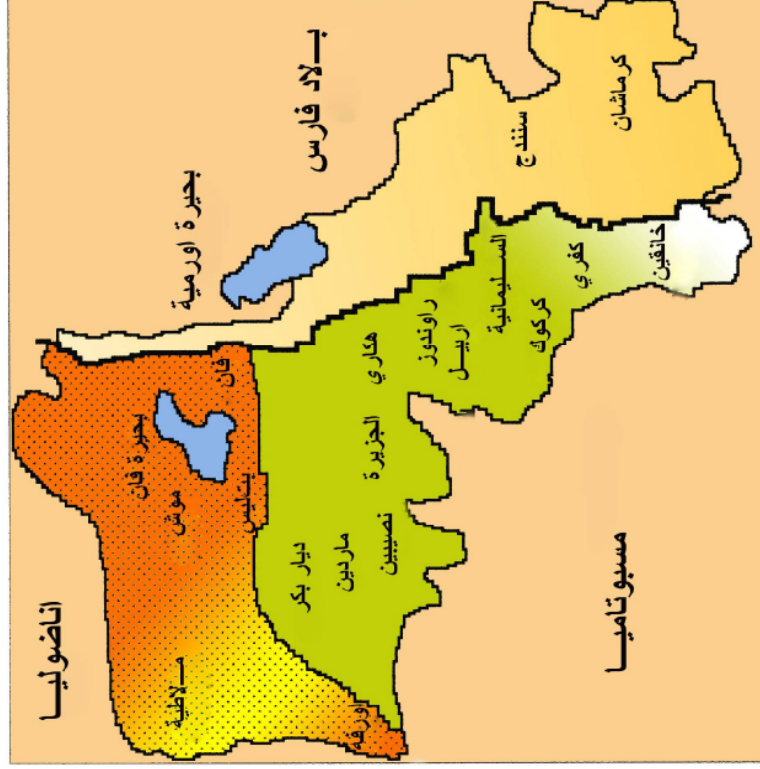
³⁸⁷ Richard G. Hovannisian, The Republic of Armenia: From Versailles to London, 1919-1920, Vol.II, (London & Los Angeles: University of California Press, 1996), pp. 265-266.

³⁸⁸ Eastern Committee, 40th & 43d Minutes 27/24, PRO.

الخارطة (16): المناطق الكردية التي تكون ضمن حدود ارمينيا بحسب المشروع البريطاني (1919)

- الحدود العثمانية-البريطانية
- المناطق الكردية التي ستلحق بآرمينيا





الخارطة (17): المناطق الكردية التي تكون ضمن حدود
 ارمينيا بحسب المشروع الامريكي (1919)

الحدود العثمانية الفارسية



المناطق الكردية التي ستلحق
 بآرمينيا



بالمقارنة مع حليفها حكومة لندن، أدعت حكومة واشنطن بأن دعمها لمشروع إنشاء دولة أرمينيا الكبرى عبّر عن دوافع أخلاقية بحتة، أي حماية الشعب الأرمني من وقوع مذابح جديدة قد يرتكبها المسلمون ضدهم.^{٣٨٩} وكانت تلك الحكومة قد وافقت من حيث المبدأ على أن تكون هي الدولة المُنتدبة على أرمينيا، وأن تُساهم في تعيين حدود الدولة الأرمينية المستقبلية. (أنظر الخارطة رقم ١٧).^{٣٩٠} ويتبين من دراسة موقفي لندن وواشنطن أن التوجهات الأمريكية والبريطانية الخارجية قد تلاقتا مع طموحات القوميين الأرمن، الذين لم يرضوا بأقل من إقامة دولة أرمينيا الكبرى، تمتد من قوقازيا، في الشرق، حتى البحر الأبيض المتوسط، في الغرب، شاملة معظم مناطق كردستان العثمانية.^{٣٩١}

على صعيد آخر، كانت وزارة الخارجية ووزارة الهند تفكران باستغلال طموحات الأثوريين السياسية المتمثلة بتشكيل كيان اثني-آثوري، بالصيغة التي اقترحها سايكس، أي توحيد مقاطعة باشقلا في كردستان العثمانية بمقاطعة أورمية المجاورة لها في كردستان القاجارية.^{٣٩٢} وكان من المؤمل أن يعود هذا الكيان بفوائد عدة على البريطانيين: أولاً، نظراً لعدم ملائمة كردستان الجنوبية كمكان يستوطن فيه اللاجئون الأثوريون بسبب مقاومة أهاليها من الكرد المسلمين، وجد مونتيجو الحل في إعادة تسفيرهم إلى مقاطعة أورمية. وثانياً، فضلاً عن إزالة عبء مالي ثقيل على الإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا، الذي أوجدته مشكلة اللاجئيين الأثوريين، كان مونتيجو يأمل في أنه:

لربما سترحب الحكومة الفارسية باستيطان مسيحي قوي في هذه المنطقة (أورمية) بوصفه حاجزاً بوجه العدوان الكردي، ولربما ستكون على استعداد في منح الأثوريين حكماً ذاتياً محلياً مقابل ضمان ما في مجال الخدمة العسكرية.^{٣٩٣}

ونال اقتراح مونتيجو دعم هيوبرت يونغ في وزارة الخارجية.^{٣٩٤} ومن جانبه، طرح الميجر روس، أحد الموظفين السياسيين، تصورات مخالفة تماماً لتصورات مونتيجو بشأن المشكلة الأثرورية. وتماثلت أطروحات روس حول

³⁸⁹ Hovannisian, The Republic of Armenia: From 1920, Vol.II, pp.261-264

³⁹⁰ Sachar, The Emergence of the Middle East, pp.265, 353-356 & 362.

³⁹¹ Hovannisian, The Republic of Armenia: 1920, Vol.II, pp.261-264.

³⁹² Foreign Office Comment on Telegram F0371/4192, PRO.

³⁹³ Hirtzel, India Office, 20 December 1919, F0371/4193, PRO.

³⁹⁴ Young, Memorandum No.16443, 10 January 1920, F0371/4193, PRO.

المشكلة الكردية- الأثرية الى حد بعيد مع أطروحات نظيره الميجر نوئيل بشأن المشكلة الكردية- الأرمنية، إذ حادَ كلاهما عن مسار التفكير الرسمي السائد. ورأى روس أنه من الضروري أن تستند بريطانيا في طريقة تعاملها مع المشكلة الكردية- الأثرية الى الوقائع الموجودة على الأرض، بمعزل عن اعتبارات دينية أخرى، ولهذا دعا الى توحيد تلك المقاطعتين (أي باشقلا وأورمية) تحت سلطة كردية، بالانسجام مع الحقائق الديمغرافية والجغرافية والاقتصادية والسياسية السائدة. وبيّن روس أن الأثوريين لا يشكلون سوى أقلية من السكان في تلك المقاطعتين، في حين سيؤدي تلبية تطلعات الأكثرية الكردية الى الاستقرار السياسي فيهما، وهو الهدف الذي سعت بريطانيا الى تحقيقه.³⁹⁵ ولم تنل تصورات روس تأييداً يُذكر في أوساط الموظفين البريطانيين العاملين في إيران أو في ميزوبوتاميا أو في لندن وذلك لأن حماية وحدة إيران القاجارية الإقليمية كانت مسألة في غاية الحيوية بالنسبة الى تأمين مصالح بريطانيا الإستراتيجية في الهند، وفي عاقبة الأمر، استقرت الحكومة البريطانية على خيار ثالث، بدلا من خيارى سايكس وروس، تمثل بتوحيد تلك المقاطعتين بغية إقامة كيان حكم ذاتي مسيحي خاضع للسيادة الإيرانية. وهذا ما سعت الى تحقيقه بنود معاهدة سيفر الخاصة بمصير الولايات الشرقية (المزيد من التفاصيل في الفصل القادم).

٣- حسم المسألة الأرمنية والموقف البريطاني الجديد من مستقبل كردستان

لم يستغرق أمداً طويلاً اصطدام الحكومة البريطانية بجدران الوقائع المحسوسة، إذ سرعان ما أدرك المسؤولون البريطانيون أن المعلومات المتوافرة لديهم لا تدعمها تقارير ميدانية رفعت لهم عن أوضاع كردستان المختلفة. أولاً، شكل الكرد الغالبية الساحقة من سكان الولايات والمقاطعات التي ادعى المسيحيون بأنها وطنهم التاريخي. ثانياً، والأكثر أهمية من ذلك، لم تكن إقامة دولة ارمينيا الكبرى بخيار سياسي قابل للحياة والديمومة، فضلاً عن انها مشروع محفوف بمخاطر جدية إذ كان بحكم المؤكد حدوث اضطرابات واسعة في كردستان. وإذا ما أراد الحلفاء التغلب على الحاجز الكردي، توجب عليهم إما ان يتدخلوا عسكرياً بصورة مباشرة لإقامة الدولة الأرمنية المقترحة أو أن يلبوا بعض تطلعات الشعب الكردي.

³⁹⁵ Maj. Ross, Note on Kurdish Claims to the Urmia District of Persia, Kurdish Bureau, 8/9 July 1919, AIR20/512, PRO.

ويدعي المؤرخ الأرمني ريتشارد هوفانيسيان ان العثمانيين الأتراك هم من أختلق «المسألة الكردية»، لكي يعرقلوا حل القضية الارمنية، وان بريطانيا سرعان ما تبنتها هي الأخرى بهدف التراجع عن وعود قدمتها للأرمن!³⁹⁶ واللافت للنظر ان هذه المزاعم الأرمنية تطابقت تماما مع إدعاءات الطورانيين الأتراك. فكلا الطرفين كان يخشى من النزعة القومية الكردية لأنها تتقاطع مع طموحاتهما التوسعية. كما ان مسار تطور الموقف البريطاني تجاه مصير الولايات العثمانية الشرقية يتناقض جملة وتفصيلا مع ادعاءات هوفانيسيان. فالبريطانيون ازداد اهتمامهم بالعامل الكردي خلال بحثهم عن الوسائل التي يمكن أن تُسهل عليهم تحقيق مشروع إقامة دولة أثنية أرمنية في الولايات الشرقية. وبالفعل، في الوقت الذي لم يُبدِ المسؤولون البريطانيون أي استعداد لقبول التزامات عسكرية يتطلبها مشروع إقامة الدولة الأرمنية، راقبوا عن كثب وبقلق شديد محاولات الأتراك الحثيثة لضم الكرد الى جبهة (الإسلام)، مُستغلين مخاوفهم من الخضوع لهيمنة مسيحية أرمنية مدعومة من الحلفاء.³⁹⁷ ان النجاح في إقامة جبهة تركية- كردية مشتركة كان من شأنه ان يضع القوميين الأتراك في موقع قوي، يُمكنهم من إفشال أية تسوية سياسية قد يُفرضها الحلفاء على الولايات الشرقية. والى حد ما، نجح الأتراك في استغلال مخاوف أربابها شريحة غير قليلة من الكرد تجاه فرض هيمنة أرمنية محتملة عليهم من خلال التأكيد على مشاعرهم الإسلامية (التي أججها الأتراك بعد أحداث الاحتلال المسيحي- اليوناني لأزمير)، وليس عن طريق تشجيعهم للنزعة القومية الكردية، كما يدعي المؤرخ هوفانيسيان.

ان التغيير الطارئ في طريقة تعامل حكومة لندن مع الوضع الكردي قد تأثر بمعلومات ميدانية وفرها موظفون بريطانيون، كانوا عملوا على تسليط الضوء على جوانب غير معروفة من الوضع القائم في كردستان العثمانية، كما أكدوا على ضرورة استيعاب الترابط والتشابك الخفي بين المسألتين الكردية والأرمنية في حالة وضع أي مخطط أو مشروع يُحدد مصير الولايات الشرقية. ففي جولته الى بعض المناطق الكردية، تحدث احد ضباط الاستخبارات العسكرية البريطانية، كابتن سي وولي، في

³⁹⁶ Richard G. Hovannisian, The Republic of Armenia: From Versailles to London, 1919-1920, Vol.II, pp.442-447 & The Republic of Armenia: From London to Sèvres, February-August 1920, Vol.III, op. cit., pp. 61-71.

³⁹⁷ Calthorpe, Constantinople, to Curzon, 30 July 1919, DBFP, pp-704-705.

تقرير له عن تصاعد مخاوف المحليين الكُرد من الوقوع تحت هيمنة متعصبين أرمنيين ومن إتباع الحلفاء لسياسة انتقامية ضدهم.^{٣٩٨} وحذر وكيل آخر من وكلاء الاستخبارات البريطانية، ناصر أفندي، الذي جاء من أصول مسيحية عثمانية، من قيام دولة أرمنية على حساب مصالح الكُرد، لأنها ستؤدي الى انتفاضة كُردية فور إعلانها.^{٣٩٩}

والأهم من كل تلك المعلومات الخاصة بالوضع الميداني هو ما وضعه الميجر نوئيل من معلومات وآراء أمام أنظار المسؤولين في لندن أهمها هو ان الكُرد كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة من سكان غالبية المناطق التي ادعى القوميون الأرمنيون بأنها جزء من وطنهم القومي - التاريخي المزعوم. يقول نوئيل بهذا الصدد:

ان المعضلة الرئيسية في المشكلة (الارمنية- الكُردية) تكمن في حقيقة ان الادعاءات الأرمنية نالت اهتمام أوروبا وسيطرت على الرأي العام فيها، خاصة في انكلترا وأمريكا، بطريقة أصبح من الصعب جدا الآن التوفيق بين الاعتراف العملي بتلك الادعاءات ومنطق الحقائق التي لا يُمكن دحضها. بتعبير آخر، ان البديل لغضب لورد برايس (Bryce) وصحافة الكوكوا (Cocoa) هو ان يحكم أرمني واحد عشرة من الكُرد.^{٤٠٠}

وعبرت علامات التغيير في المواقف البريطانية عن نفسها من خلال تبني خطوات إرضائية في مناطق كُردية كانت خاضعة للسيطرة البريطانية. واستهدفت تلك الخطوات احتواء نشاطات دعائية معادية لبريطانيا قام بها الطورانيون الكماليون والسلطات العثمانية على حدٍ سواء.^{٤٠١} وبالانسجام مع توصيات نوئيل، التي نالت موافقة المسؤولين في لندن، أصدر الميجر ويلسون عفواً عاماً عن جميع أولئك الكُرد الذين كانوا يخشون من العقاب بسبب جرائم حرب مزعومة. فضلاً عن ذلك، شجع البريطانيون قيام عدد من الزعماء الكُرد بزيارة المناطق الكُردية المضطربة من أجل طمأنة سكانها من النوايا البريطانية الحسنة.^{٤٠٢}

³⁹⁸ Woolley, the Kurdish National Movement, F0371/4192, PRO, pp.5-6.

³⁹⁹ Nasir Effendi, Notes on the Present Kurdish Situation, 5 August 1919, AIR20/513, PRO.

⁴⁰⁰ Noel, Note on the Kurdish Situation, July 1919, F0371/4192, PRO.

⁴⁰¹ Political, Baghdad, to SIS for India, London (No.5353) 12 May 1919, AIR20/714 & SIS to CCr, Baghdad, Priority, 5 June 1919, F0371/4192, PRO.

⁴⁰² Calthorpe, Constantinople, to Political, Baghdad, 1 May 1919 Political, Baghdad, to SIS for India, (No.5353) 12 May 1919, AIR20/714, PRO.

وفي توصياته، طالب الميجر نوئيل، إضافة الى تطبيق خطوات قصيرة الأمد، ((بإزالة آثار دعاية النزعة الإسلامية التركية))، وذلك من خلال طمأنة الحكومة البريطانية للزعماء الكُرد بأنه حيثما يكون العنصر الكُردى هو السائد، لا تكون هناك هيمنة أرمنية.^{٤٠٣} ان الجانب الجوهري في تقرير نوئيل هذا عن كُردستان الشمالية، الذي حاول من خلاله لفت أنظار الدوائر الرسمية اليه سواءً في لندن أو في الشرق الأوسط، قد تمثل بتأكيد على الترابط الداخلي الوثيق بين حل المسألتين الارمنية والكُردية. بعبارة أخرى، ان الاستجابة لتطلعات الكُرد القومية عامل مهم يسهم في نجاح مساعي الحلفاء من أجل تشكيل دولة قومية أرمنية. ففي حزيران العام ١٩١٩، ذُكر نوئيل في تقرير له من دياربكر:

هنا وفي المناطق المجاورة من كُردستان، يشعر الزعماء الكُرد بقوة بالدعاية الكاملة التي تُطلقها أوربا بشأن الإدعاءات القومية الارمنية، في حين ان قضيتهم بالمقارنة معها أشبه بملف مغلق. ان القلق يملكهم أيضاً، لان قرارات تُتخذ في باريس تؤثر بشكل مصيري في مستقبلهم، في الوقت الذي يرون أنفسهم هنا عاجزين عن عمل أي شيء. ان كل ذلك يؤدي الى خلق رغبة طبيعية في القيام بمظاهرات تهدف الى تسليط الضوء على مسألة كُردستان، ومواجهة مؤتمر السلام بالأمر الواقع.^{٤٠٤}

بهذا النحو وبحلول نهاية العام ١٩١٩، بدت تسوية المسألة الارمنية أكثر تعقيداً بكثير مما كانت تراه الحكومة البريطانية خلال زمن الحرب.

نظراً للاهتمام الذي أبدته بريطانيا تجاه إيجاد حل للمسألة الارمنية، اكتسبت تصورات نوئيل أهمية خاصة، حتى انها أصبحت محوراً لمناقشات مستفيضة بين الدوائر الحكومية المختلفة في لندن وبين الموظفين العاملين في منطقة الشرق الأوسط. وكان تضاعف الاهتمام الذي أبدته بريطانيا بالمسألة الكُردية أحدى أبرز نتائج تلك المناقشات. وأقر آرثر هيرتزل، احد كبار موظفي وزارة الهند، أن الدعم الأوربي لقيام دولة ارمنية مستقلة يتناقض، كما بينت الوقائع على الأرض، مع مبدأ حق تقرير المصير، الذي من المفترض أن تستند إليه تلك الدولة، وان التضحية بحق الكُرد في

⁴⁰³ Noel, Constantinople, to Political, Baghdad, 10 July 1919, F0371/4192, PRO.

⁴⁰⁴ Fivecav, Cairo, to Political. Baghdad, 14 June 1919, AIR20/512, PRO.

تقرير المصير الذاتي من أجل إقامة دولة ارمينيا الكبرى ستبرر حقهم في مقاومة الهيمنة الأرمنية.^{٤٠٥} وأقرّ وزير الهند، مونتيغيو، هو الآخر بأنه ((يجب ان يستند الحل النهائي للمشكلة الكردية الى عوامل متنوعة، ومنها تلك التي لم تُحسم بعد))، كتحديد مساحة الدولة الارمنية المقترحة وسماتها.^{٤٠٦} وذهب هيرتزل ابعده من كل ذلك في توضيح موقف وزارته من المشكلة الارمنية- الكردية، حين عدّ قيام دولتين، الأولى أرمنية والثانية كردية، خياراً غير مثالي، داعياً الى خيار آخر يستند الى التجربة البريطانية في الهند، وتتمثل بتبني طريقة مورلي- مينتو في التعامل مع المسلمين الهنود. بتعبير أدق، سيحصل الأرمن، على غرار المسلمين الهنود، على نفوذ سياسي اكبر من حجمهم السكاني الحقيقي.^{٤٠٧}

بالمقارنة مع أطروحات هيرتزل، استند نوثيل في معالجته للمسألتين الكردية والأرمنية الى قيام بريطانيا بمبادرة عملية تتضمن الاعتراف بشكل متساوٍ بالتطلعات القومية الكردية والطموحات السياسية الارمنية. ولأن تعيين حدود كردستان وارمينيا قد أثبتت صعوبته، بسبب (تبعثر السكان) و(وضع البلاد المدمر)، فانه ينبغي حسم العلاقة الجغرافية بين البلدين من قبل الطرفين المعنيين مباشرة بالأمر، بعد تطبيع الأوضاع على الأرض.^{٤٠٨} وكانت أطروحات نوثيل هذه قد نالت تأييد عدد من الموظفين البريطانيين في الشرق الأوسط. وأبدى الأدميرال ويب، الذي أعترض على خطة ويلسون القاضية بعودة السلطة التركية الى الولايات الشرقية تحت إشراف أوربي، مساندته لخطة نوثيل، حيث عدّها ((السبيل الوحيد للخروج من المعضلة)).^{٤٠٩} وأيدَ كولونيل فرنج، من قوة الاستكشاف المصرية، بتبني خطة نوثيل، لأنها تأخذ بنظر الاعتبار الوقائع الأثنية والسياسية على الأرض، ولهذا أوصى حكومته بالاعتراف بالقومية الكردية وأن تقوم بما في وسعها من أجل منع أي قرار يتخذه مؤتمر السلام من شأنه ان يعطي الأرمن هيمنة مطلقة على تلك المناطق التي يشكل الكرد فيها أغلبية السكان.^{٤١٠}

⁴⁰⁵ Hirtzel, Note, 7 August 1919, F0371/4192, PRO.

⁴⁰⁶ Shuckburgh, India Office, I August 1919, F0371/4192, PRO.

⁴⁰⁷ Hirtzel, Note, 7 August 1919, F0371/4192, PRO.

⁴⁰⁸ Noel, Note on the Kurdish Question, 18 July 1919, F0371/4192, PRO.

⁴⁰⁹ Webb, Constantinople, Very Urgent, 19 August 1919, F0371/4192, PRO.

⁴¹⁰ French, Egy.Ex.Force, Cairo, 2 October, F0371/4192, PRO.

٢. بنود معاهدة سيفر ومستقبل كردستان وارمينيا

لا يصعب على المرء، لدى التمعن في الظروف المحيطة بتبلور المواقف البريطانية في الحقبة الزمنية المؤدية الى صياغة بنود معاهدة سيفر، اكتشاف التفاوت الواضح في تعامل لندن مع تطلعات الشعب الكردي، بالمقارنة بالطموحات السياسية للأرمن. فالمصالح الكردية احتلت موقع أدنى من نظيرتها الأرمنية من حيث مستوى التحرر والخاص من الهيمنة التركية. ويُمكن إرجاع السبب جزئياً في ذلك الى ردود الفعل المتعاطفة التي أبدتها قوى الحلفاء المسيحية تجاه ما عدّوه مذابح الأرمن أقرتها حكم عثماني إسلامي وكذلك الى حقيقة ان الأرمن كانوا حلفاء لهم في الحرب ضد العثمانيين. وفي الوقت الذي مُنح الأرمن حق إنشاء دولة مستقلة بصورة فورية، لم يُمنح الكرد الشماليون سوى صيغة مبهمه من صيغ الحكم الذاتي الداخلي الى حين ان يتقرر مصيرهم النهائي بعد مرور سنة أخرى من قبل لجنة يُشكلها الحلفاء. وفوق ذلك، لو تم مقارنة حقوق الأرمن بحقوق الكرد من زاوية مساحة كيانهما السياسي المستقبلي لتبين أن الدولة الأرمنية المقترحة كان من شأنها ان تضم نحو نصف مناطق كردستان الشمالية، في حين لا تُشكل منطقة الحكم الذاتي الكردي سوى ٢٠٪ من مساحة كردستان العثمانية.

لقد أملت جملة تطورات سياسية، في مقدمتها الاتفاق الكردي- الأرمني في شهر كانون الأول من العام ١٩١٩، على البريطانيين اتخاذ مواقف أكثر إيجابية تجاه التطلعات القومية الكردية. وكان الاتفاق المذكور ثمرة للجهود الكبيرة التي بذلها الزعماء القوميون الكرد من أجل تحسين العلاقات الكردية- المسيحية على مختلف الأصعدة المحلية والدولية. وكان الجانب الكردي يأمل من وراء التوصل الى ذلك الاتفاق إزالة الانطباع السلبي المتراكم عن الكرد في العالم المسيحي، وكذلك كسب ود أوروبا بجعلها أكثر تحسناً وتعاطفاً مع التطلعات القومية الكردية. والأهم من كل ذلك، سعى الزعماء الكرد الى سد الطريق أمام محاولات الطورانيين الأتراك الدؤوبة في استخدام الدين وسيلة لتعبئة الكرد ضد الحلفاء والجماعات المسيحية المحلية على حد سواء. وكتب نوثيل من اسطنبول ان رؤساء الجماعات المسيحية في ديار بكر قد أكدوا صدق تصريحات الزعماء الكرد حول بذلهم المساعي من أجل خلق علاقة ودية معهم. وكذلك سعت الحلقات القومية الكردية في اسطنبول الى الاتصال بالسيد طه وحليفه سمكو شكاك بغية إيجاد علاقات ودية مماثلة بين المسلمين الكرد

والمسيحيين في كُردستان الشرقية، خاصة في منطقة أورمية.^{٤١١} وفي القاهرة، عبّرت اللجنة الكُردية عن أملها في ان يعيش الكُرد بسلام وانسجام مع أولئك الأرمن الذين سيعيشون في كُردستان المستقبلية المستقلة، وأبدوا استعدادهم لمنح المسيحيين حصة في الحكومة الكُردستانية تتناسب مع تعدادهم السكاني.^{٤١٢} وفيما يتعلق بمسألة المجازر الارمنية والكُردية المُعقدة، التي زُعم وقوعها خلال زمن الحرب، أبدى القوميون الكُرد عن ترحابهم بأي مقترح يُقدمه مؤتمر السلام يبحث في مصداقية الادعاءات الكُردية والادعاءات الارمنية حولها. وأكد الزعماء الكُرد انه حالما ينتهي الحكم التركي، فإنه سيكون بالإمكان الوصول الى صيغة التعايش السلمي بين الشعبين الكُردى والأرمني بدلاً من حالة الكراهية والتشكيك المتبادل، التي وقفت وراءها الأطراف الخارجية، خاصة الأتراك بمختلف توجهاتهم السياسية. ومن اجل تعزيز هذا التعايش، اقترح هؤلاء الزعماء فكرة تشكيل حكومة تستند الى رأي أغلبية أهالي الولايات العثمانية غير التركية.^{٤١٣}

مُثلّت مساعي القوميون الكُرد في الوصول الى اتفاق سياسي مع نظرائهم الأرمن يتعلق بالادعاءات الإقليمية للطرفين محطة بارزة في تطور العلاقات الكُردية- الارمنية في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. لقد سعى القوميون الكُرد بقدر الإمكان وحالما تسنح الفرصة الى إقناع قوى الحلفاء انه بإمكان الشعبين الكُردى والأرمني معالجة مشاكلهما الداخلية، لكي لاتصبح عائقاً أمام إعادة رسم مستقبل الولايات الشرقية غير التركية. ففي شهر كانون الأول من العام ١٩١٩، قدم القوميون الكُرد والأرمن مذكرة مشتركة الى مؤتمر السلام، وقّع عليها كل من بوغوس نوبار، مُمثلاً عن الأرمن العثمانيين، واهاندجانيان، مُمثلاً عن جمهورية ارمينيا وشريف باشا، مُمثلاً عن الشعب الكُردى. ففي الوقت الذي أكدا فيه على وجود «مصالح وتطلعات متشابهة» للشعبين الكُردى والأرمني، طالب الجانبان بالتححرر من الهيمنة التركية وبإقامة دولتين مستقلتين، كُردستان وارمينيا، خاضعة لانتداب احدي دول الحلفاء. كما اتفق الطرفان الكُردى والأرمني على احترام أي قرار يتخذه مؤتمر السلام بشأن رسم الحدود الكُردستانية- الأرمنية، وتعهدا، في الوقت نفسه، باحترام حقوق الاقليات

⁴¹¹ Noel, Constantinople, to Political, Baghdad, 10 July 1919f F0371/4192, PRO.

⁴¹² Policy, Cairo, to General, Baghdad, 6 August 1919, AIR20/714, PRO.

⁴¹³ Woolley, the Kurdish National Movement, F0371/4192, PRO, p-6.

ضمن الدولتين المستقبليتين.^{٤١٤} وتُدلّل أسلوب صياغة عبارات الاتفاق على وجود رغبة كردية- أرمنية مشتركة حقيقية في منع الطورانيين الأتراك من استغلال التمايز الديني لعرقلة عملية تسوية مصير الأقاليم غير التركية، وكذلك عبر الاتفاق عن رغبة الكرد والأرمن في تأمين مساندة قوية من الحلفاء لتطلعاتهما القومية على حد سواء.

٤- ردود الفعل البريطانية تجاه الاتفاق الكردي- الأرمني

ان ردود أفعال قوى الحلفاء، خاصة بريطانيا، كانت من أهم تداعيات الاتفاق الكردي- الأرمني. فعلى النقيض من فرنسا، أبدت بريطانيا بشكل أولي تشجيعها لأي تحسن يطرأ على العلاقات الكردية- الأرمنية في الولايات الشرقية. وكان لورد كورزون قد أصدر في وقت مبكر تعليمات للموظفين البريطانيين الميدانيين تؤكد ضرورة تشجيع أية خطوة تقود الى وفاق كردي- أرمني على الأرض،^{٤١٥} وهو الأمر الذي سيُسهل على بريطانيا حَسْمَ مصير تلك الولايات غير التركية. مع ذلك، لم تكن بريطانيا تفضل أن يكون للاتفاق الكردي- الأرمني مضامين سياسية طويلة الأمد ولأبعاد إقليمية. بتعبير أدق، لم ترد بريطانيا ان تفقد زمام المبادرة في عملية اعادة رسم الخارطة السياسية للمنطقة، وهو دور يتناسب مع كونها قوة عظمى ذات مصالح عالمية وإقليمية. وبالفعل، كان من شأن الاتفاق الكردي- الأرمني ان يؤدي الى تداعيات كبيرة بعيدة المدى بالنسبة الى مصالح البريطانيين الإستراتيجية والسياسية، ليس في ارمينيا وكردستان فحسب، بل أيضاً في منطقة الشرق الأوسط ككل. أولاً، سيعني تنفيذ بنود هذا الاتفاق ان ممثلي الشعبين الكردي والأرمني، وليس قوى الحلفاء، هم من قرروا الجغرافية السياسية لكردستان ورمينيا بحسب معيار التوزيع الأثني، والأهم من ذلك، وفق مبدأ حق تقرير المصير. هذا في الوقت الذي سعت فيه بريطانيا الى إقامة دويلات أو كيانات حائزة قوية في ارمينيا والأقاليم المتبقية الأخرى من تركيا الآسيوية قادرة على الصمود بوجه تهديدات روسيا البلشفية. كما ان من شأن تطبيق بنود الاتفاق الكردي- الأرمني الإخلال باستقرار إيران القاجارية إذ سيُشجع الكرد الشرقيين على الانضمام الى كيان كردستان المستقل. وكل هذا سيعني إضعاف الإستراتيجية البريطانية في حماية الممتلكات الهندية واستباق

⁴¹⁴ Political, to De Robeck, Constantinople, 10 December 1919, F0371/4193, PRO.

⁴¹⁵ Ibid.

محاولات روسيا البلشفية في التوسع إقليمياً في اتجاه الجنوب (أي نحو الحدود الهندية وميزوبوتاميا والخليج)، التي تتطلب حماية وحدة إيران الإقليمية.

ثانياً، سيؤدي ترجمة بنود الاتفاق الكردي- الأرمني الى واقع ملموس، على الأرجح، الى إنهاء سيطرة بريطانيا على كردستان الجنوبية، التي لا يجد أهلها ما يمنهم من الاتحاد مع أخوتهم في دولة كردستان الشمالية. ان أهمية هذا الجزء الجنوبي من كردستان العثمانية بالنسبة الى تعزيز الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا هو الذي جعل من إبقائها خاضعة للسيطرة البريطانية مسألة في غاية الأهمية. ثالثاً، يُمكن ان يُشكل الاتفاق الكردي- الأرمني نموذجاً أو مثلاً تقتدي به نُخب الجماعات الأثنية والدينية الخاضعة الأخرى حين تطالب الحلفاء بمنحها حقوقاً متساوية أو التعامل معها بطريقة مماثلة. والجدير بالإشارة ان أنصار الحركة الشريفيّة، ومن خلال ممارسة الضغط على الحلفاء لإرغامهم على الاعتراف بدولة عربية موحدة تحت قيادة الشريف حسين، قاموا بحملة سياسية واسعة لتعبئة السكان العرب في سوريا وشرق الأردن وميزوبوتاميا العربية دعماً لمشروعهم المذكور. وأخيراً، ستقوم فرنسا بمعارضة أية محاولات لإعادة ترتيب الولايات العثمانية إقليمياً وسياسياً بطريقة تتجاهل مصالحها السياسية والاقتصادية. وكانت فرنسا قد طالبت، على الخصوص، بمنحها امتيازات إقليمية واقتصادية تعوّضها خسارتها لحصتها في ولاية الموصل. ولم يُبدِ الفرنسيون أي استعداد في ان تخرج بلادهم خالية الوفاض من عملية التسوية السلمية للإمبراطورية العثمانية، خاصة بعد تدهور علاقاتهم الثنائية مع البريطانيين بسبب التسوية الأوربية.

لكل الأسباب آنفة الذكر، لم تكن بريطانيا على استعداد لدعم الاتفاق الكردي- الأرمني. وحالما أعلنت بنود ذلك الاتفاق، قامت وزارة الخارجية والدوائر الرسمية البريطانية الأخرى بالتشكيك بأهميتها، مدعيةً ان شريف باشا كان (قد نصّب نفسه ممثلاً) من دون أن يملك تخويلاً يجعله المُعبر عن الرأي العام الكردي.^{٤١٦} وأدعى دي روبيك لورد في برقية بعثها الى كورزون (وأخرى موجهة الى ويلسون) بعدم قدرة الاتفاق الكردي- الأرمني على جمع مصالح سكان الولايات الشرقية.^{٤١٧} والغريب ان دي

⁴¹⁶ Ibid.

⁴¹⁷ High Commissioner, Constantinople, to Curzon, 8 January 1920, F0371/4193f PRO.

روبيك قد ثَمَّن كثيراً، في وقت سابق، الاتفاق الكُردي- الأرمني وتداعياته،^{٤١٨} أي قبل ان يدعي لاحقاً ان شريف باشا لا يُمثل إلا نفسه.^{٤١٩} بهذا النحو، جعل البريطانيون من مسألة عدم شرعية الدور الذي أدّاه شريف باشا كُممثل للشعب الكُردي أمام القوميين الأرمن تبريراً لامتناعهم عن دعم بنود الاتفاق الكُردي- الأرمني. والأمر الأكثر غرابة في كل ذلك ان التقارير والمذكرات الرسمية البريطانية قد أكدت ان جميع الدوائر القومية الكُرديّة بمختلف توجهاتها التقليدية أو الحديثة قد اتفقت على ان شريف باشا يُمثّلها وان الاتفاق الذي توصل اليه مع القوميين الأرمن عبر عن نهجها. فالشيخ قادر، الذي كان أيدّ الاتفاق الكُردي- الأرمني دون تحفظ، اخبر دي روبيك ان شريف باشا هو الممثل الوحيد للكُردي.^{٤٢٠} كما اخبر وفد النادي الكُردي أدميرال وب، الذي شكك هو الآخر بشرعية شريف باشا كُممثل للكُردي، ان الأخير قد مثّل ((الكُردي في باريس نحو تسعة أو عشرة أشهر، ولم تجر أية محاولة لنزع تلك المسؤولية عنه من قبل أي مجموعة من الأمة الكُرديّة داخل الوطن)).^{٤٢١}

لقد كانت قضية تأمين مساندة القوى الكبرى، خاصة بريطانيا، حيوية للغاية بالنسبة الى نجاح عملية ترجمة الاتفاق الكُردي- الأرمني الى واقع ملموس. وأقرّ هيبورت يانغ بهذا الأمر حين أوضح ان تطبيق بنود الاتفاق يتطلب تدخل الحلفاء لمنع الأتراك من الدخول الى المناطق الكُرديّة والأرمنيّة، وكذلك تقديمهم الدعم المالي الضروري لها.^{٤٢٢} وبالرغم من المناشدات الكُرديّة المتكررة الداعية الى المساهمة الفعّالة في تنفيذ الاتفاق، أصرت بريطانيا على معارضة بنودها. والموقف البريطاني هذا جعل من بنود الاتفاق مجرد حبر على ورق. ويُمكن القول، في ضوء ما قيل آنفاً، لو كانت بريطانيا قد قدمت دعماً للاتفاق وجعلته محوراً لتسوية مشكلة الولايات الشرقيّة في مؤتمر السلام فإنه لأصبح بإمكان الكُردي والأرمن تشكيل دولتيهما القومية والدخول معاً في جبهة واحدة تتصدى للتهديدات الطورانية التركية. ولسوء حظ كلا الطرفين، الكُردي والأرمني، لم يكن لدى بريطانيا وحليفتها أية نوايا صادقة بشأن

⁴¹⁸ De Robeck to Curzon, Confidential, 9 December 1919, F0371/4193f PRO.

⁴¹⁹ High Commissioner, Constantinople, 15 March 1920, F0371/5068, PRO.

⁴²⁰ De Robeck, Constantinople, 11 December 1919, F0371/4193, PRO.

⁴²¹ De Robeck, Constantinople, 3 February 1920, F0371/5067, PRO.

⁴²² Young, Foreign Office Minute No.156272, 29 November 1919, F0371/4193f PRO.

تطبيق مبدأ حق تقرير المصير خارج حدود أقاليم أوربا، في الوقت الذي أزداد فيه التناقض بين التطلعات القومية الكردية والأرمنية مع مصالح الحلفاء الإستراتيجية والاقتصادية.

العامل الشريفي- الميزوبوتامي في السياسة البريطانية تجاه كردستان الجنوبية، ١٩١٨-١٩٢٠

١. الاحتلال البريطاني وقضية تحديد علاقة كردستان الجنوبية بميزوبوتاميا

على غرار جملة أمور رافقت مناقشة مستقبل ارمينيا، تداخلت المسائل الخاصة بتعيين رقعة كردستان العثمانية جغرافياً وديمغرافياً وتقرير مصيرها السياسي بمستقبل ميزوبوتاميا العربية. لقد جاء إدراك الموظفين البريطانيين، سواء الموجودون في لندن أم العاملون في الشرق الأوسط، للجانب التداخلي بين مستقبل ميزوبوتاميا والمسألة الكردية نتيجة لإدعاءات الشريفيين المتواصلة حول عائدة أجزاء كبيرة من كردستان العثمانية الى العرب، بهدف شرعنة ضمها الى الدولة العربية المستقبلية. وأستند أنصار الحركة الشريفية في ادعاءاتهم الإقليمية الى ذرائع عدة، وهي أن تلك المناطق كانت جزءاً من ميزوبوتاميا من النواحي الإدارية والجغرافية والتاريخية، ولهذا فانه ينبغي على البريطانيين الاعتراف بها على انها عربية وجزء من الدولة العربية المزمع إنشائها.^{٤٢٣} أما القوميون الكرد فلم يعطوا أهمية تذكر لتلك الادعاءات، ولربما يرجع السبب في ذلك الى اعتقادهم ان الشريفيين لا يمثلون عاملاً مؤثراً في قضية تحديد مستقبل كردستان السياسي. ان الطريقة الأمثل لمعرفة درجة شرعية الادعاءات العربية الشريفية تتمثل بتناول الطبيعة الفعلية للعلاقات الاقتصادية والسمات الثقافية والعوامل السياسية للولايات الثلاث: الموصل (شهرزور سابقاً) وبغداد والبصرة.

ان (ميزوبوتاميا) مصطلح يوناني قديم يعني حرفياً بلاد ما بين النهرين، أي دجلة والفرات. وهذا المصطلح كان ومازال ذا طبيعة عائمة، إذ أستخدمه المستشرقون والرحالة ورجال الإرساليات والدبلوماسيون الأوربيون بصورة اعتباطية ومُبهمه حينما كانوا يشيرون الى مناطق مختلفة تمتد من منابع نهري دجلة والفرات في الشمال وحتى مصبهما في الخليج في الجنوب ومن جبال زاكروس الكردية في الشرق حتى

⁴²³ يُمكن مراجعة تفاصيل هذا الموضوع في الفصل الأول.

حدود الصحراء العربية في الغرب. والملاحظ انه من الناحية الإدارية، لم يستخدم العثمانيون الأترك مصطلح (ميزوبوتاميا) أو مصطلح آخر لدى إشارتهم الى الولايات الثلاث: بغداد والموصل والبصرة. ففي الوقت الذي عدّ الأترك ولاية الموصل (شهرزور) إقليماً ضمن تركيا الأصلية، اعتبروا بغداد والبصرة مجرد أقاليم تابعة الى الإمبراطورية العثمانية.^{٤٢٤}

ولأنها عدتها ذات سمات أثنية وطبيعة جغرافية متميزة وكذلك لأنها عدت جبال حميرين وجبل سنجار حدوداً جنوبية وغربية لها استثنيت وزارة الهند في العام ١٩١٥ كُردستان العثمانية من مصطلح (ميزوبوتاميا).^{٤٢٥} مع ذلك، وفي أعقاب فرض سيطرتهم المباشرة وغير المباشرة على الولايات العثمانية الثلاث، بغداد والموصل والبصرة، أدرك البريطانيون عملياً ان (ميزوبوتاميا) مصطلح مُبهم للغاية، بحيث صعب عليهم الاتفاق حول تعيين حدودها الجغرافية، خاصة في اتجاه الشمال والشمال الغربي، فضلاً عن تحديد هويتها الثقافية وروابطها السياسية. وقدمت دائرة استخبارات الأركان البحرية، على سبيل المثال لا الحصر، دليلاً عن ميزوبوتاميا وخصائصها الجغرافية والاقتصادية والثقافية والإدارية. ففي هذا الدليل عرفت ميزوبوتاميا بشكل واسع ومفتوح، على إنها تشمل الأجزاء المركزية والغربية والجنوبية من كُردستان العثمانية.^{٤٢٦} كما عرفت ذلك الدليل (العراق) على انه يضم ولايتي بغداد والبصرة.^{٤٢٧} وكان آرثر بلفور قد عرف (ميزوبوتاميا) على انها «(أساساً المنطقة التي يرويها نهر دجلة والفرات)». ^{٤٢٨} لكن البريطانيون لم يتبنوا هذا التعريف

⁴²⁴ كانت غاربيت، من وزارة الهند، قد الفت الانتباه الى التمايز القائم بين الولايات الثلاث في القانون العثماني فيما يخص ملكية الأرض.

IDCM , Minute No.37, Secret, 13 April 1920, FO371/5068, PRO.

⁴²⁵ * British Desiderata in Turkey in Asia, Appendix VI, the Future of Settlement of Eastern Turkey in Asia and in Arabia, Note by the Secretary, Political and Secret Department, 14 March 1915, CAB27/1, PRO, pp.83 & 86.

⁴²⁶ Naval Staff Intelligence Department, A Handbook of Mesopotamia, No.1. London, November 1918, pp.9-30.

⁴²⁷ Ibid, pp.87-100.

وهذا المرادف تقريبا لمصطلح ميزوبوتاميا العربية التي تُستعمل في هذا الكتاب من أجل تمييزها عن كُردستان.

⁴²⁸ Memorandum on Syria, Palestine and Mesopotamia: Reflections of Foreign Secretary Arthur James Balfour, DBFP, vol.I, pp.340-349.

الواسع، الذي ضمَّ معظم كُردستان العثمانية فضلاً عن ميزوبوتاميا العربية، وذلك لأسباب براغماتية تتعلق بالتزامات مالية وعسكرية وسياسية إضافية، كانوا غير قادرين على تحمّلها في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

في نهاية المطاف، استقرّ البريطانيون في محاولة تعريف ميزوبوتاميا على معيار واحد، تمثّل بالحدود الجغرافية لمساحة مصالحهم الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية. بتعبير أدق، لتبرير ضمهم كُردستان الجنوبية قسراً الى العراق العربي في العام ١٩٢٣، وسّع البريطانيون حدود ميزوبوتاميا الجيوسياسي بطريقة اعتباطية، مناقضة بذلك الوقائع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية القائمة آنذاك في الولايات الثلاث. ولدى سعيهم الى تقديم توصيات بشأن مستقبل الولايات العثمانية غير التركية، أستثنى الأمريكيون المناطق الكُردية تماماً من مصطلح (ميزوبوتاميا).^{٤٢٩} أما بالنسبة الى الأتراك العثمانيين^{٤٣٠} والكُرد، فقد ارتبط مصطلح (العراق) أو (العراق العربي) بميزوبوتاميا، حيث شكل العرب غالبية السكان. وفي أعقاب قيامها في ١٩٢٠-١٩٢١، وسّع الحكم العربي وبدعم كبار الموظفين البريطانيين الميدانيين مصطلح (العراق) الجديد ليشمل كُردستان الجنوبية.^{٤٣١} والجدير بالإشارة أن الشكل الطبيعي الجيوسياسي النهائي للدولة العراقية، كما هي قائمة الآن، لم يتم حسمه حتى العام ١٩٢٦، أي حين وقعت تركيا والعراق على اتفاقية حدودية، أقرت رسمياً بسيطرة الثانية على كُردستان الجنوبية من خلال قبول الأولى بحدودها الشمالية والشمالية الشرقية.

ان دراسة تعريف ميزوبوتاميا من الزاوية الجيوسياسية أو تحليل العلائق المختلفة القائمة أو غير القائمة بين الولايات الثلاث، بغداد والبصرة والموصل، مسألة

⁴²⁹ انظر، على سبيل مثال، الى:

(1) the recommendations of the American delegation at the peace conference, D.H. Miller My Diary at the Paris Peace Conference, 1918-1919, Vol.III, (New York: 1928) & (2) the King-Crane Commission's report on Mesopotamia, Papers Relating to the Foreign Relations of the United States: Paris Peace Conference, 1919, Vol.IV, (Washington: US government Printing Office, 1948). pp.800-802.

مع هذا، أراد الأمريكيون ان يضعوا مناطق كُردية مجاورة تحت الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا لأسباب تتعلق بالري والزراعة.

⁴³⁰ راجع، مثلاً، المذكرة العثمانية الموجه الى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام في باريس:

D.H. Miller, 16:479-84, op. cit.

⁴³¹ حل العراق محل ميزوبوتاميا كمصطلح في المراسلات الرسمية البريطانية في أعقاب قيام الدولة العراقية وتنصيب الأمير فيصل ملكاً على عرش العراق.

وثيقة الصلة بفهم تطور الموقف البريطاني تجاه مستقبل كُردستان الجنوبية. ففي العهد العثماني، تميّزت تلك الولايات الواحدة عن الأخرى من ناحية تركيبها الأثنية والدينية، علاوة على توجهاتها السياسية والاقتصادية والثقافية. على الصعيد الاقتصادي، كان لكُردستان الجنوبية علاقة وثيقة بالمناطق الداخلية من الإمبراطورية العثمانية وسوريا وكُردستان الشرقية وحتى بأذربيجان الإيرانية.^{٤٣٢} وبحسب المطبوعة (دليل ميزوبوتاميا)، كانت الموصل ((المركز الرئيس لتجمع التجارة وتوزيعها مع كُردستان المركزية)) التي كانت تستورد منها المواد الخام.^{٤٣٣} أما بغداد والمدن الشيعية المقدسة في النجف وكربلاء فكان لها صلات اقتصادية وثيقة مع الأقاليم الإيرانية الى الشرق منها. وبالمقارنة مع المناطق آنفة الذكر، احتفظت البصرة بعلاقات تجارية قوية مع الهند والمناطق الواقعة وراء البحر، أكثر بكثير من المناطق الواقعة الى الشمال منها. ان التنوع الاقتصادي والتجاري، الذي تميّزت به الولايات الثلاث، قد أكدته بشكل أوضح تداول العملات التركية والإيرانية والهندية في آن واحد. فضلاً عن ذلك، كانت للعملة التركية قيمة في ولاية الموصل تختلف عن قيمتها في ولاية بغداد أو في ولاية البصرة. وحتى الأوزان والمقاييس قد اختلفت من ولاية لأخرى بشكل لافت للنظر.^{٤٣٤}

على صعيد الطوائف الدينية، شكل المسلمون من أتباع المذهب السنّي الغالبية الساحقة من سكان ولاية الموصل، في حين شكل المسلمون الشيعة الغالبية الساحقة من سكان ولاية البصرة. أما سكان ولاية بغداد فشكّلوا خليطاً من السنّة والشيعة. وتميّن السنّة الكُرد عن السنّة العرب في مدارسهم الفقهية وممارساتهم الدينية وتوجهاتهم الصوفية. وفي الوقت الذي التزم فيه غالبية السنّة الكُرد بالشافعية، تبنت غالبية السنّة العرب الحنفية. ومن وجهة النظر الثقافية، وقع السنّة العرب تحت تأثير الثقافة التركية، في حين وقع الشيعة العرب تحت تأثير القيم الثقافية والتقاليد الفارسية. وبالمقارنة مع الجماعتين العربية السنية والعربية الشيعية، وقع الكُرد بشكل محدود تحت تأثير الثقافتين التركية والفارسية، وذلك بسبب سمات مناطقهم الجغرافية، التي جعلتهم منعزلين بشكل طبيعي والى حد ما، عن جيرانهم. ومن حيث

⁴³² Naval Staff Intelligence Department, A Handbook of Mesopotamia...op. cit. p.93.

⁴³³ Ibid.

⁴³⁴ Ibid, p.143.

الترتيبات الإدارية، قامت اسطنبول بتسيير شؤون الولايات الثلاث بصورة منفردة عن طريق ولاة، عينهم السلطان العثماني بوصفهم ممثلين سياسيين له. واستمر هذا الحال حتى الفترات المتأخرة من الحكم العثماني، أي حين أستطاع بعض ولاة بغداد إجبار السلطان بقبول أمر واقع جديد وهو الاعتراف بهم كحكام على الولايات الثلاث معاً.

لربما تُمثّل الميول السياسية للنخب المحلية المعيار الأهم والأبرز في تشخيص الروابط الحقيقية بين الولايات الثلاث. والملاحظ أنّه لم تكن للحركة القومية الكرديّة يوماً اتصال أو علاقة ما بأي شكل من الأشكال مع القوميّين العرب، بما فيهم المنضمون الى حركة الشريف حسين، أو بالشخصيات العراقية ذات التوجهات العروبية. فمن الناحية التاريخية، ظهرت بوادر الحركة القومية الكرديّة قبل نظيرتها العربية وبمعزل تام عنها ولتحقيق أهداف خاصة بها. وبقدر ما يتعلق باقليم كردستان الجنوبية فإنه كان لأهاليها الكرد تطلعات سياسية مختلفة عن تلك التي كانت للعرب. وبدورهم أنقسم عرب العراق في تطلعاتهم السياسية الى معسكرين وذلك بحسب انتمائهم الطائفي. فالعرب السنّة سارعوا الى اعتناق الفكر القومي العروبي بصورة مبكرة جداً (أي قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها وفي أعقابها) مقارنة بنظرائهم العرب الشيعة. كما ان الفكر العروبي الوحدوي كان أكثر شيوعاً في المناطق العربية السنية (أي شمال العراق العربي وغربه). ففي الوقت الذي كانت فيه توجهات السنّة قومية متشدّدة، أظهر الشيعة تمسكاً واضحاً بالولاء الديني. ولربما يُفسر ذلك لماذا رفض الكثير من الشيعة ان يصبحوا من رعايا الدولة العثمانية السنيّة، حتى وصل الأمر بالكثير من رموزهم الى رفض المشاركة في عملية إقامة الدولة العراقية لأسباب مذهبية.

أما الجماعة التركمانية الصغيرة، فقد كانت منقسمة بين أكثرية سنيّة تمتعت بامتيازات خاصة خلال العهد العثماني وأقلية شيعية محرومة وخاضعة. فالأولى ارتبطت ومصحتها بالدولة العثمانية لأسباب عرقية ومذهبية. فالأقلية التركمانية الشيعة كانت غالبيتها من أصول أذربيجانية إيرانية، في حين كانت الأكثرية التركمانية السنية من أصول تُركية أناضولية. وفي أعقاب الاحتلال البريطاني وإنشاء الدولة العراقية ظلت الأكثرية التركمانية السنيّة تتمنى عودة الحكم التركي الى المناطق التي تواجدت فيها، خاصة في كردستان الجنوبية. وتركزت الجماعات الدينية الأخرى خاصة المسيحية واليهودية في شمال العراق العربي وكردستان الجنوبية (خاصة في محافظات الموصل ودهوك واربيل)، فضلاً عن بغداد. ومالت الجماعات المسيحية

واليهودية بقوة الى خيار الحماية الأوربية لأسباب دينية (خاصة بالنسبة الى المسيحيين) ولأسباب تجارية (خاصة بالنسبة الى اليهود). ومن هذا المسح السريع يُمكن القول أن المناطق التي تشكل منها ما عُرف لاحقاً بالعراق الحديث (أي ميزوبوتاميا العربية وإقليم كُردستان الجنوبية) افتقدت الى توجه سياسي وحدوي أو هوية ثقافية مشتركة أو توجهات اقتصادية متماثلة، التي يُمكن في حال توفرها ان تُشكل أساساً قوياً لقيام دولة-أمة أو ظهور حركة قومية شاملة وحاضنة للجميع بغض النظر عن الانتماءات الأثنية والدينية والمناطقية وعلى مستوى الولايات الثلاث.

ان مسألة تشخيص العلاقات المتنوعة بين المناطق التي عاش فيها الكُرد والمناطق الأخرى التي يتواجد فيها العرب مهمة على الصعيد السياسي، كما تُبين الوثائق التاريخية البريطانية الخاصة في المدة التي تغطي أعوام ١٩١٦-١٩٢٦. ففي الأعوام الممتدة من ١٩١٦ وحتى ١٩٢٠، استخدمت الدوائر الرسمية البريطانية مصطلح (ميزوبوتاميا) بطريقة قصدت بها مناطق عاش فيها العرب، مُستثنية بذلك أهالي كُردستان الجنوبية. وكان لهذا التعريف مضمون سياسي واضح وهو ان مستقبل ذلك الإقليم وشؤونه سيُقرر بشكل مستقل عن ميزوبوتاميا العربية. وفي الوقت نفسه، ومن خلال استخدام مسوغات اقتصادية وإدعاءات سياسية وحاجات إستراتيجية سعى الموظفون البريطانيون الميدانيون، في مقدمتهم الميجر ويلسون، الى إقناع حكومتهم بضرورة توسيع مصطلح (ميزوبوتاميا-العراق) ليشمل كُردستان الجنوبية. وفي المدة التي أعقبت العام ١٩٢٠، خاصة إثناء انعقاد مؤتمر القاهرة (١٩٢١)، أصر برسي كوكس على كون كُردستان الجنوبية جزءاً من العراق الجديد.^{٤٣٥} وإصرار كوكس على موقفه مضمون سياسي واضح تماماً، وهو ان مستقبل كُردستان الجنوبية مرهون بمصير ميزوبوتاميا العربية السياسي. وفي أعقاب فرض الانتداب البريطاني، خاصة في المدة ١٩٢٠-١٩٢٣، بدأ أولئك الموظفون في فرض تفسيرهم البراغماتي الواسع لمصطلح ميزوبوتاميا ليشمل كُردستان الجنوبية من خلال مراسلاتهم الرسمية. والسبب في كل ذلك يعود الى سياسات الاحتلال التي انتهجتها السلطات البريطانية الميدانية، سواء في عهد ويلسون أو عهد كوكس، التي ركزت على خلق أكبر قدر من الوشائج السياسية والارتباطات الاقتصادية بين الولايات الثلاث، سواء كانت تلك الوشائج والروابط حقيقية أو مُتخلقة أو مُتخيلة.

⁴³⁵ Report on Middle East Conference Held in Cairo and Jerusalem, 12-30 March 1921, F0371/6343, PRO.

٢. مساعي الشريفين في تحقيق ادعاءاتهم الإقليمية في كردستان الجنوبية في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب

إضافة طابع شرعي على ادعاءاتهم في كردستان الجنوبية وفي مقاطعات كردية أخرى خلال الأعوام ١٩١٥-١٩٢٠، ادعى الشريفيون بضرورة ان تبقى الولايات الثلاث معاً ضمن كيان سياسي وتاريخي واحد. فضلاً عن إثارتها لردود فعل قومية الطابع في أوساط الكرد الجنوبيين، أسهم الشريفيون ومن خلال مواصلة إدعاءاتهم الإقليمية في تسليط الضوء على مصير الولايات العثمانية لتي تشكلت منها كردستان. وأصبحت الحركة الشريفيّة وتطلعاتها المتمثلة في إنشاء دولة عربية كبرى منذ العام ١٩١٨ واحدة من تلك العوامل التي أثّرت في الموقف البريطاني سواء على الصعيد الميداني أو على الصعيد الدبلوماسي- الدولي. وفي أعقاب انتهاء الحرب العالمية الأولى، سمح النبي، بوصفه قائد قوة الاستكشاف المصرية، للأمير فيصل في أن يُدير حكومة عربية مؤقتة في مدينة دمشق، لحين اتخاذ مؤتمر السلام القادم قراره الخاص بمستقبل جميع الولايات العثمانية غير التركية. وفي الوقت الذي سعى البريطانيون من وراء اتخاذ تلك المبادرة التصدي مبكراً للجهود التي كان يبذلها الفرنسيون من أجل إقامة مجال نفوذ لهم (وهذه المبادرة لا تتنافى مع وعود قدمها البريطانيون الى الشريف حسين خلال الحرب)، عملَ الأمير فيصل بقدر الإمكان على بسط الحكم الشريفي على مناطق عربية وغير عربية على حد سواء، منها الهلال الخصيب وكردستان الغربية وكردستان الجنوبية، مُسوغاً ذلك بالوعود التي أُعطيت لوالده في أثناء الحرب. وبالرغم من استمرار فيصل ووالده حسين في محاولاتهم وإدعاءاتهم الإقليمية، لم ترغب حكومة لندن ولا السلطات البريطانية الميدانية في ميزوبوتاميا في حدوث أية تدخلات شريفيّة في الشؤون الكردية، خاصة في الأوضاع القائمة في كردستان الجنوبية. وعلى اثر إبلاغه بالموقف البريطاني الصريح بضرورة الكف عن نشاطاته، وعدّ الشريف حسين في اتصالاته مع مارك سايكس بأن لا يتدخل في الخطط البريطانية المتعلقة بمستقبل كردستان الجنوبية.^{٤٣٦}

بالرغم من تقديم تعهداته تلك، واصل الشريف حسين وأنصاره العمل من اجل تحقيق ادعاءاتهم الإقليمية في المناطق الكردية، ولهذا الغرض ركزوا في نشاطاتهم

⁴³⁶ Toynbee, Foreign Office Minute No.174037, 22 November 1918, FO371/3407F PRO.

الخارجية على التأثير في مواقف الحلفاء تجاه مستقبل كُردستان داخل مؤتمر السلام وخارجه. ففي شهر كانون الأول من العام ١٩١٩، صرّح الأمير فيصل في مناشدته لقوى الحلفاء بأن الحدود الشمالية للبلاد العربية هي خط الإسكندرونه- بلاد فارس والمنسجم مع مضمون اتفاق والده مع مكماهون في زمن الحرب.^{٤٣٧} وكان يعني هذا عملياً ان الدولة العربية المقترحة، التي دعا الشريفيون الى قيامها، ستشمل مناطق واسعة تقع في جنوب كُردستان العثمانية وغربها. وبعد توليه حكم سوريا مباشرة، سارع الأمير فيصل الى الطلب من مؤتمر السلام ان تُلحق تلك المناطق الكُردية الى كيانه العربي الجديد.

وفي الوقت الذي كان الشريفيون يناشدون فيه مؤتمر السلام الموافقة على إدعاءاتهم الإقليمية، لجأوا الى أساليب مختلفة أخرى من أجل تحقيقها ميدانياً. ومن تلك الأساليب محاولة فاشلة سعى الشريفيون من خلالها الى عقد اتفاق ثنائي مع البريطانيين، يُنص على ضم المناطق الكُردية الى الدولة العربية تحت رعاية حكومة لندن. وواصل الأمير فيصل مساعيه خلال المدّة الممتدة من العام ١٩١٨ وحتى بداية العام التالي (أي حينما كان حاكماً على سوريا) في إقناع بريطانيا بضرورة عقد اتفاق معه يحسم عن طريقه مصير الولايات الثلاث، بغداد والموصل والبصرة، أي قبل ان يتخذ مؤتمر السلام قراره النهائي الخاص بمستقبلها. وبتعبير آخر، في الوقت الذي استخدم فيصل مؤتمر السلام وسيلة للحصول على اعتراف قوى الحلفاء بالإدعاءات العربية الإقليمية في كُردستان العثمانية، سعى من وراء الستار الى عقد صفقة تجارية مع البريطانيين مُربحة للطرفين بحيث يجعل ذلك المؤتمر يقبل بالأمر الواقع، أي إلحاق المناطق الكُردية بالدولة العربية. ولم يتردد فيصل في مساعيه الحثيثة لتأسيس دولة عربية كبرى، في ان يستخدم الفرنسيين ضد البريطانيين وبالعكس. ففي نيسان العام ١٩٢١، أخبر المسؤولين الفرنسيون نظرائهم البريطانيين بمساعي فيصل للحصول على مساعدتهم بهدف إخراجهم من ولاية الموصل.^{٤٣٨}

وفي سبيل تحقيق ادعاءاتهم الإقليمية في كُردستان العثمانية، لم يتردد الشريفيون حتى في القيام بنشاطات سرّية بين صفوف الكُرد، تهدف الى خلق هوة بينهم وبين

⁴³⁷ Amir Faisal's Memorandum to the Supreme Council at the Paris Peace Conference, 1 January. Miller, My Diary, Vol. IV, 297-9.

⁴³⁸ Lawrence to Colonial Office, 13 April 1921, C0730/18, PRO.

الموظفين البريطانيين الميدانيين. وهذا الأمر في حالة تحقيقه سيُعرقل الجهود السياسية الجارية التي تهدف الى قيام كُردستان مستقلة تحت رعاية بريطانية. ويبدو ان قيام الحكومة الكُردية الأولى في السليمانية كان عاملاً مُحفزاً للشريفيين لكي يُكتفوا من نشاطاتهم في كُردستان. وحالما وصلت الحرب العالمية الأولى الى نهايتها، سارع الشريف حسين الى إرسال رُسل الى بعض مناطق كُردستان، أملاً في إبعاد الكُرد عن البريطانيين من خلال استغلال مشاعرهم الإسلامية. وكان ليجمعن قد لفت الأنظار الى نشاطات سرية شريفية كانت تجري في مناطق كُردية خاضعة لسلطته، التي أكدت ازدياد اهتمام الشريف حسين بالوضع الكُردى.^{٤٣٩} ومن جانبه، أبلغ نوثيل السلطات البريطانية في بغداد عن وجود نشاطات كان يقوم بها عملاء تابعون للشريف حسين والأمير فيصل بين الكُرد الشماليين بغية توليد مشاعر العداء عندهم ضد البريطانيين.^{٤٤٠} واتسعت دائرة التدخلات الشريفية في الشؤون الكُردية لتشمل كُردستان الشرقية، حيث أشار القنصل البريطاني في مدينة أورمية الى وصول ((رُسل من دمشق)) الى منطقته يهدفون الى تأليب أهاليها من الكُرد ضد البريطانيين. وتضاعفت النشاطات الشريفية السرية التي وقف ورائها حسين و فيصل حتى وصلت الى درجة إقامة اتصالات مع القوميين الأتراك، أعداء العرب حتى فترة قريبة.

وقف الشريف حسين وابنه الأمير فيصل وراء برنامج سياسي دعا الى إقامة حكم شريفي في الولايات الثلاث. هذا البرنامج تبنته مجموعة من الشخصيات السنّية من عرب ميزوبوتاميا خاصة في بغداد والموصل. ويُذكر أنه عن طريق المؤتمر السوري ولجنة حلب، قدم تلك الشخصيات السنّية مطالب لإنشاء دولة عربية واسعة، لا تشمل كُردستان الجنوبية فحسب بل أيضاً ولاية ديار بكر الكُردية.^{٤٤١} وانشغلت تلك الشخصيات أيضاً بنشاطات سياسية ودعائية مُنظمة تهدف الى إقناع البريطانيين والكُرد الجنوبيين، كل على انفراد، بالحل الشريفي لما عُرف بمشكلة ميزوبوتاميا. وهو الحل الذي تمحور حول إقامة دولة عربية يحكمها احد أبناء الشريف حسين. ففي حديثه مع هيوبرت يانغ، حاول نوري السعيد، الشخصية السنّية العربية المعروفة

⁴³⁹ Memorandum from SSO, Mosul, to GHQ, 26 April 1919, AIR 20/512f PRO.

⁴⁴⁰ Political, Baghdad, to Egypt Force, Cairo, 29 April 1919, AIR 20/512, PRO.

⁴⁴¹ The American Section of the International Commission on Mandates in Turkey, the King-Crane Report, Papers Relating to Foreign Relations of the United States, pp.780 & 782.

الذي أصبح في مرحلة لاحقة رئيساً للوزراء، إقناع نظيره البريطاني بالحل الشريف
بإدعائه أنه:

ليس أهالي (ولايته) الموصل وبغداد فقط، إنما أيضا الكُرد في كُردستان
الجنوبية متلهفين بشأن ان يكون عبد الله (ابن الشريف حسين الأكبر) أميراً
عليهم، شريطة ان لا يتخلى البريطانيون عن تقديم النصيحة والمساعدة.

ولقاء إخضاع كُردستان الجنوبية للحكم العربي، أظهر نوري السعيد استعداد
"البغداديين" الموجودين في مدينة دمشق، وجميعهم من السنّة العرب ومن أنصار
الأمير فيصل، لإبقاء ولاية البصرة تحت ((إدارة واحتلال بريطاني خاص)).^{٤٤٢} وهذا
يعني ان نوري السعيد ورفاقه، الذين هيمنوا على حكم العراق ورفعوا لواء الوطنية
العراقية طيلة العهد الملكي (١٩٢١-١٩٥٨)، كانوا على استعداد في ان يتركوا البصرة،
وهي ولاية ذات أغلبية عربية ساحقة، تحت حكم استعماري بريطاني سافر، لقاء ان
تخضع كُردستان الجنوبية لحكومة عربية على الضد من رغبة سكانها الأصليين.

لقد كان نوري السعيد مُدركاً، حينما كان في لندن، شدة المأزق الذي واجهته
الحكومة البريطانية بعد الحرب، بسبب حاجتها الماسّة الى تعزيز نفوذها، من جانب،
وعجزها عن تحمل التزامات مالية وعسكرية إضافية، من جانب ثانٍ. ولهذا سارع
نوري السعيد الى اغتنام تلك الفرصة لي طرح حله أمام كونفرانس شؤون الشرق
الأوسط لما بين الوزارات (IDCM) والمتمثل بالحاق كُردستان الجنوبية بميزوبوتاميا،
الخاضعة لحكم أحد أمراء الأسرة الشريفية، بوصفه الطريق الأمثل لإنهاء جميع
((المشكلات))، التي كان البريطانيون يواجهونها. وفي محاولة منه لإقناع الحاضرين في
الجلسة، ادعى نوري السعيد ان الكُرد الجنوبيين سيكونون ((مستعدين تماماً))
للخضوع لحكم الأمير عبد الله، شقيق الأمير فيصل الأكبر، إذا ما نصّب البريطانيون
رئيساً لحكومة عربية في بغداد.^{٤٤٣} ويُذكر ان الشريفين تمتعوا بمساندة موظفين
بريطانيين معروفين، في مقدمتهم غريترود بل وتي إي لورنس، اللذان كانا من دعاة ما
عُرف بالحل الشريف لمستقبل ميزوبوتاميا. ومع ذلك، يُلاحظ أن هناك اختلاف
واضح في وجهات نظر هذين الموظفين حول الحل الشريف. فلورنس كان يُميز بين

⁴⁴² Young, Foreign Office Minute No. E2571, 3 April 1920, FO 371/5068, PRO. Curzon read the Minute and approved of its inclusion in the agenda of IDCM.

⁴⁴³ IDCM, Minute 37,13 April 1920, FO 371/5068, PRO.

ولاية الموصل ذات الأغلبية الكُردية الواضحة وولايتي بغداد والبصرة ذات الأغلبية العربية. فهو، على النقيض من غرتروود بل التي نادى بتوحيد الولايات الثلاث تحت حكم شريف،^{٤٤٤} دعا لفترة الى إنشاء دولتين شريفيتين في ميزوبوتاميا: الأولى العربية والثانية عربية- كُردية مختلطة.^{٤٤٥}

إن المخاوف المتصاعدة من قيام دولة كُردية عبر آليات مؤتمر السلام هي التي دفعت بالعرب السنّة في ميزوبوتاميا الى محاولة إحباط معنويات الكُرد الجنوبيين من أجل صرف نظرهم عن فكرة الاستقلال السياسي. ففي هذا الصدد، أخبر جعفر باشا (العسكري) وناجي بك (السويدي) الوفد الكُردى الجنوبي الذي أرسل من السليمانية الى باريس لغرض حضور جلسات مؤتمر السلام ان فكرة:

الاستقلال الكُردى لن تتلقى الترحيب مطلقاً في باريس، وانه على ضوء قرب السليمانية وكركوك من بغداد والموصل فانه كان من الأفضل للكُرد مساندة العرب الميزوبوتاميين، الذين سينالون استقلالهم بشكل مؤكد وقريباً جداً.^{٤٤٦}

وبعد أن فشلوا في إقناع الحكومة البريطانية بمشروعهم المتمثل بإنشاء دولة سورية- ميزوبوتاميا موحدة تحت حكم الأمير فيصل، بادر الضباط السنّة الى المناداة بالأمر عبد الله ملكاً على ميزوبوتاميا في آذار عام ١٩٢٠، أملاً في إثارة العرب المحليين ضد الإدارة البريطانية القائمة في بغداد. وبالرغم من كل المساعي التي بذلها، سواء جاءت بصورة علنية أو بصورة سرّية، فشل الشريفيون وأنصارهم من عرب السنّة في بغداد والموصل في إقناع الحكومة البريطانية بتبني الحل الشريفى لحسم مستقبل الولايات الثلاث ضمن إطار تسوية سلمية شاملة للإمبراطورية العثمانية. ويُمكن إرجاع هذا الفشل الى ثلاث عوامل مهمة. ففي المقام الأول، رأت وزارتا الخارجية والهند بأهمية كُردستان الجنوبية من الناحيتين الإستراتيجية والاقتصادية بالنسبة الى الوجود البريطاني في ميزوبوتاميا وإيران الى درجة لا يُمكن التخلي فيها عن هذا الإقليم لصالح الفرنسيين أو الشريفين. وفي المقام الثاني، أبدى الكولونيل ويلسون، بوصفه المسؤول ميدانياً عن إدارة السياسة البريطانية في ميزوبوتاميا، معارضة شديدة إزاء

⁴⁴⁴ Policy in Arabia, 20 November 1918, L.OoL/P. S/18/B297.

⁴⁴⁵ India Office, Political Department, Note on Kurdistan, 14 December 1918, FO 371/3386, PRO.

⁴⁴⁶ GSI, Mesopotamia, GHQ, 17 May 1919, AIR 20/512, PRO.

أية خطة تمنح حكماً ذاتياً للسكان، العرب منهم والكُرد. وأخيراً، لم يكن هناك أي دعم شعبي يُذكر للقضية الشريفة بين العرب الميزوبوتاميين، ناهيك عن الكُرد الجنوبيين. ولكن، اندلاع سلسلة انتفاضات محلية في أنحاء متفرقة من ميزوبوتاميا العربية خلال العام ١٩٢٠، وما ألحقته بالبريطانيين من خسائر كبيرة في الأرواح والأموال، برهنت عجز نظام الحكم البريطاني المباشر في تسيير شؤون تلك البلاد. وكانت واحدة من أهم تداعيات تلك الانتفاضات العفوية هي دفع الحل الشريفي الى الواجهة، بوصفه احد أفضل خيارات البريطانيين لوضع حدٍ لمتاعبهم العسكرية والمالية والسياسية في ميزوبوتاميا العربية. وعلى هذا النحو، فان القرار البريطاني الخاص بشأن إقامة حكومة عربية في بغداد وتشكيل كيان عربي جديد لكي تعوض من خلاله الأمير فيصل ما خسره في سوريا هو الذي جعل من الشريفيين عاملاً مهماً يؤثر بشكل متزايد في السياسة البريطانية تجاه كُردستان الجنوبية في السنوات اللاحقة. وحالما نصبه البريطانيون ملكاً على العراق العربي في العام ١٩٢١، أستاذف الأمير فيصل وبطانته من عرب السنّة وبحماسة منقطعة النظير حملتهم القديمة المتعلقة بالحاق كُردستان الجنوبية بالدولة العربية الجديدة.

خاتمة الفصل

ثلاث نقاط محورية يُمكن الخروج بها من دراسة السياسة الكُردية التي أتبعها البريطانيون خلال المدة ١٩١٨-١٩٢٠ على ضوء تطور الحركة القومية الكُردية والقضية الأرمنية والعامل الشريفي- الميزوبوتامي. أولاً، بالرغم من الأولوية الواضحة التي منحتها بريطانيا الى مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية، عكست سياستها الكُردية خلال مؤتمر السلام الى حد ما موقفها من التطلعات القومية للكُرد والطموحات السياسية للأرمن وللعرب. بمعنى آخر، لا يُمكن للمرء ان يُفصل السياسة البريطانية تجاه كُردستان عن إطارها الإقليمي. فالبحث عن حل عملي للقضية الأرمنية واستحالة تجاهل النزعة القومية الكُردية بوصفها قوة سياسية متنامية وطموحات الشريفيين الإقليمية ساعدت بمجموعها في تسليط الضوء على مستقبل الولايات التي تألفت منها كُردستان العثمانية. ولعبت هذه العوامل دوراً مهماً في الارتقاء بالمسألة الكُردية الى مصاف دولي، وذلك من خلال تحريرها من أطرها المحلية القديمة ومن ثم إدخالها ضمن عملية التسوية السلمية للإمبراطورية

العثمانية. ثانياً، لم تتعامل بريطانيا، من خلال المواقف التي اتخذتها، مع الإدعاءات الإقليمية والتطلعات السياسية للقوميات الجديدة بصورة متساوية، وذلك لدواعٍ إستراتيجية واقتصادية وسياسية والى حد ما دينية. وبالفعل، حين انتهت الحرب العالمية الأولى، كانت بريطانيا تفكر فقط في كيفية معالجة القضية الأرمنية، التي نالت دعم الرأي العام الأوربي والأمريكي الواضح، كُرد فعل على الادعاءات الخاصة بالمجازر التي ارتكبت ضدهم من قبل السلطات التركية خلال مراحل الحرب. وبالمقارنة مع القضية الأرمنية في تلك الفترة، لم تنل المسألة الكردية اهتماماً بريطانياً يُذكر سواء بصورة رسمية أو غير رسمية.

ان مسار الأحداث والتطورات اللاحقة في كُردستان هي التي جعلت صنّاع القرار في لندن يدركون بصورة متزايدة ان حل المسائل المتعلقة بالقوميات الجديدة في الإمبراطورية العثمانية كان أمراً في غاية التعقيد وأكثر غموضاً مما كانوا يعتقدونه في الماضي حول طبيعة الحركات القومية الجديدة وإدعاءاتها الإقليمية المتضاربة وتطلعاتها السياسية المتقاطعة. بهذا الشكل، صار من الواضح انه ليس بالإمكان حل مسألة قومية واحدة بمعزل عن مسألة قومية أخرى. ولقد تأثرت سياسة بريطانيا تجاه الأرمن بموقفها من مستقبل كُردستان الشمالية وبالعكس. وبنفس الطريقة أثرت سياسة بريطانيا تجاه المسألة الشريفة- الميزوبوتامية بموقفها من الوضع في كُردستان الجنوبية. وهذه المسائل المترابطة داخلياً عكستها بنود معاهدة سيفر لعام ١٩٢٠، كما سيوضح ذلك الفصل اللاحق. وأخيراً، على النقيض من العامل الشريفي- الميزوبوتامي، الذي أثّر بشكل محدود في السياسة البريطانية في كُردستان الجنوبية في المدة ١٩١٨-١٩٢٠، كان للعامل الأرمني تأثيرات قوية ومباشرة في سياسة بريطانيا تجاه المسألة الكردية خلال مؤتمر السلام، وهو الأمر الذي ساعد بصورة غير مباشرة على ارتفاع تلك المسألة الى مصاف المسائل الدولية بشكل غير مسبوق. مع ذلك، في الأعوام الثلاث التالية (١٩٢١-١٩٢٣)، خفّت تأثيرات القضية الأرمنية على سياسة بريطانيا تجاه المسألة الكردية بصورة كبيرة، في الوقت نفسه تضاعف تأثير العامل الشريفي- الميزوبوتامي بشكل متزايد على مستقبل كُردستان الجنوبية، خاصة بسبب تشكيل الدولة العراقية، التي ألحقَ قسراً بها ذلك الإقليم في نهاية المطاف.

الفصل الخامس

السياسة البريطانية تجاه مستقبل كُردستان في مؤتمر سان ريمو: بنود معاهدة سيفر (أب ١٩٢٠)

حين انتهت الجلسة الأخيرة لمؤتمر باريس للسلام في ٢١ كانون الثاني عام ١٩٢٠، لم يكن مصير الإمبراطورية العثمانية وممتلكاتها الإقليمية قد حُسم، وذلك بسبب تسخير قوى الحلفاء مساعيهم الدبلوماسية من أجل الوصول الى تسوية أوربية شاملة، من جانب، وعدم اتفاقها الواحدة مع الأخرى بشأن شكل النظام الإقليمي الجديد للشرق الأوسط. وكل ما توصلت إليه تلك القوى قد تلخّصَ بفرض نظام الانتداب على الأقاليم العثمانية غير التركية، بوصفه الآلية التي يُمكنها من تحقيق مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط. وبالرغم من هذا الاتفاق المبدئي حول تطبيق نظام الانتداب، عجز الحلفاء عن حسم أوجه حساسة من نظام الانتداب، في مقدمتها تسمية الأطراف التي ستتقاسم المناطق الخاضعة للانتداب وتعيين الحدود السياسية لتلك المناطق.^{٤٤٧} وهذا الفصل سيتناول جملة عوامل إستراتيجية واقتصادية أثرت في الطريقة التي شخّصت فيها بريطانيا مصالحها المباشرة وغير المباشرة في كُردستان على ضوء الانتداب الممنوح لها في ميزوبوتاميا، فضلاً عن قراءة دقيقة لموقف كل من وزارة الخارجية ووزارة الهند ووزارة الدفاع نحو تسوية المسألة الكُردية برمتها.

برز الى السطح التضاد بين المصالح البريطانية والمصالح الفرنسية في أثناء مناقشة قوى الحلفاء في باريس لقضايا أوربية وشرق أوسطية عدّة. وكانت تلك خلفية اتخذها الحلفاء تمثّل بتأجيل حسم قضية مستقبل منطقة الشرق الأوسط كلها، لحين إجراء مشاورات جديدة بين الأطراف المعنية بالأمر. ووفق ذلك القرار، عُقد كونفرانس سان ريمو في بيئة سادتها الخلافات بشأن العديد من المسائل، من ضمنها مستقبل اسطنبول والمضايق وكُردستان وسوريا الكبرى وارمينيا. ويدرس هذا الفصل تأثير المنافسة الامبريالية المُحتدّة بين بريطانيا وفرنسا في المسألة الكُردية، التي أفضت الى تقسيم كُردستان العثمانية. وبقدر ما يتعلق الأمر بكُردستان، سيتناول هذا الفصل

⁴⁴⁷ Klieman, Foundations of British Policy in the Arab World, p.2.

مضمون معاهدة سيفر (آب ١٩٢٠) على الصعيد الإقليمي من خلال إلقاء الضوء على عوامل جديدة تفاعلت على المسرح السياسي الشرق الأوسطي، كالتحديات التي جاءت من روسيا البلشفية وحالة المد في النزعتين القوميتين الشوفينيتين التركية والفارسية.

أهمية كردستان الجيوسياسية والاقتصادية وحدود اهتمامات بريطانيا المباشرة وغير المباشرة

بسبب كون كردستان منطقة جبلية تفصل بين دول ثلاث، الإمبراطورية العثمانية وإيران القاجارية وروسيا القيصرية، اتخذت أهمية جيوسياسية متميزة. وجعل من الممكن استخدام المناطق الكردية هذا الموقع الحساس كموانع إستراتيجية طبيعية تحمي الأقاليم الداخلية لتركيا العثمانية وإيران القاجارية أو كجسر يُمكن ان تستخدمه تلك القوات عسكرياً للوصول الى مناطق داخلية نائية تعود للطرف الآخر. ويُبين تاريخ الصراعات الدموية التركية- الإيرانية منذ القرن السادس عشر فلاحقاً كيف كانت الهيمنة على كردستان أو كسب ودّ حكامها المحليين من أبناء الأسر الأميرية الكردية أمورا حيوية بالنسبة لتعزيز أمن واستقرار الإمبراطورية العثمانية والممالك الإيرانية (كالصفوية والزندية والقاجارية). ان المواقف المتسامحة في ظاهرها التي تبنتها السلطات المركزية التركية والإيرانية تجاه الإمارات الكردية الواقعة في المناطق الفاصلة بين تلك الدولتين عكّسَ بشكل كبير حاجتهما الى تعزيز أمن الحدود وكذلك رغبتهما في بسط نفوذهما على مناطق كردية جديدة تقع في دائرة النفوذ العائدة للطرف الآخر.

أما بالنسبة الى روسيا، فقد لاحظت وزارة الهند في آذار ١٩١٥، ان كردستان مثّلت «الممر الوحيد»، الذي يُمكنها من الوصول الى شواطئ البحر الأبيض المتوسط. ويقدر ما يتعلق الأمر بأية قوة تسعى الى السيطرة على سهول ميزوبوتاميا، فإن كردستان ستُمثّل «تهديداً قائماً»، في حالة خضوعها الى نفوذ قوة معادية أخرى.^{٤٤٨} وازدادت أهمية كردستان الإستراتيجية بسبب الأوضاع السياسية غير المستقرة التي أنتجتها الحرب العالمية الأولى، في مقدمتها انبعثت نزعات قومية جديدة

⁴⁴⁸ British Desiderata in Turkey in Asia, Appendix VI, The Future of Settlement of Eastern Turkey in Asia and Arabia, Note by the Secretary, Political and Secret Department, India Office, 14 March, CAB27/1, PRO, p.86.

وهزيمة الإمبراطورية العثمانية ومشارفتها على الانهيار وضعف قوة المملكة القاجارية والتهديدات البلشفية المتزايدة القادمة من الشمال عبر حدود قوقازيا. وحالما انتهت تلك الحرب، بذل الفرنسيون والأترک والعرب والأرمن والإيرانيون مساعي كبيرة للاستحواذ على أكبر قدر ممكن من الأقاليم الكُردية. ولم يعجز البريطانيون هم أيضاً عن رؤية الأهمية المتنامية التي اتخذتها كُردستان بسبب موقعها الجيوسياسي. وبهذا الصدد، يقول المفوض السامي البريطاني في اسطنبول:

نالت المسألة الكُردية اهتماماً كبيراً من لدن حكومة صاحب الجلالة، وخضعت لدراسة دقيقة. كُنّا قد أبدينا الاهتمام بها، في الوقت الحاضر، بسبب ان الكُرد كانوا يشكلون عنصراً مهماً على جانبي حدودنا العسكرية في شمال بغداد وإنهم يشكلون واحداً من أهم (العوامل)، إذا لم يكونوا الأهم، في (المناطق) الواقعة مباشرة وراء الأراضي الخاضعة لاحتلالنا... كان ينبغي علينا أيضاً إبداء اهتمام دائم بالكُرد على صعيد المستقبل، وذلك لأنه مهما حدث، ظلّ لدينا مستقبل في ميزوبوتاميا.⁴⁴⁹

أصبحت بريطانيا العظمى مُهتمةً بشكل خاص بمصير كُردستان الجنوبية نتيجة لإيمانها بأهمية ذلك الإقليم الإستراتيجية بالنسبة الى ميزوبوتاميا، بالطريقة التي كان إقليم شمال- الغرب حيويًا بالنسبة الى أمن إمبراطوريتها في شبه القارة الهندية. بالإضافة الى ذلك، توافرت هناك احتمالات بوجود مصادر بترولية في كُردستان الجنوبية. ومصادر الطاقة الجديدة هذه أصبحت ذات أهمية خاصة بالنسبة الى مسألة تحديث قطع البحرية البريطانية. وفي أعقاب احتلالها لمدينة الموصل، ركّزت بريطانيا مساعيها الدبلوماسية المبكرة على تعديل بنود اتفاقية سايكس- بيكو، وذلك عن طريق تحويل السيطرة البريطانية المؤقتة القائمة على الأمر الواقع الى سيطرة سياسية دائمة مُعترف بها من قبل بقية القوى. ويفضل سيطرتها العسكرية على ولاية الموصل وكذلك حاجة فرنسا لدعم بريطانيا الدبلوماسي في مواجهة المانيا في أوربا، أصبحت حكومة لندن في موقف قوي جداً، وهو الذي مكّنها من ممارسة الضغوط على باريس لكي توافق على إعادة النظر في رسم حدود مناطق النفوذ ومناطق السيطرة

⁴⁴⁹ De Robeck to Curzon, Confidential, 20 December 1919, Enclosure No.1, Ryan, Memorandum, 27 November 1919, F0371/4193, PRO .

المباشرة، التي اتفق عليها الجانبان بحسب بنود اتفاقية سايكس- بيكو. ففي بداية كانون الأول من العام ١٩١٨، أستطاع لويد جورج، رئيس وزراء بريطانيا، إقناع نظيره الفرنسي، جورج كليمنصو بأن تتنازل فرنسا عن حصتها الإقليمية في ولاية الموصل لقاء حصولها على امتياز بترولي. وهذا الاتفاق الشفهي أدخل الى اتفاقية لونغ-بيرينغر الذي منح فرنسا حصة قدرها ٥٠٪ من شركة البترول التركية. ومع ذلك، ألغى لويد جورج هذا الاتفاق بسبب نشوء خلاف مع الفرنسيين يتعلق بمساحة سوريا الجغرافية. ففي هذا المقطع التاريخي صار لويد جورج يطالب، وكما نادى بذلك اللورد كورزون منذ البداية، من خلال مؤتمر السلام بتعيين حدود للمناطق الخاضعة لبريطانيا وتلك التي كانت خاضعة لفرنسا، وكذلك إخضاع ولاية الموصل للانتداب البريطاني قبل مناقشة أية قضايا متعلقة بالامتيازات البترولية. وفي نهاية المطاف، عدلت بنود اتفاقية لونغ- بيرينغر لتحصل فرنسا بموجبها على حصة قدرها ٢٥٪ من شركة البترول التركية.^{٤٥٠}

فضلاً عن أهميتها الإستراتيجية واحتمالات وجود ثروات بترولية ومعدنية، احتوت كردستان منابع نهرين تاريخيين عظيمين، ألا وهما دجلة والفرات. وكان لهذين النهرين أهمية قصوى بالنسبة الى إحياء الزراعة في سهول ميزوبوتاميا العربية. وكان تحقيق ذلك المشروع الزراعي الكبير أحد العوامل التي دفعت وزارة الهند وحكومة الهند البريطانية الى مساندة فكرة استعمار ميزوبوتاميا العربية أثناء الحرب. كما تُفسر أهمية المياه، ولو بمقدار جزئي، لماذا أظهر بلفور حرصه بشأن تعيين حدود جغرافية للانتداب البريطاني بطريقة تُجذب حكومته تعقيدات سياسية غير ضرورية تتعلق بقضايا المياه وتوزيعها، وبخلاف ذلك سيتحتم على حكومته لاحقاً التدخل اضطراراً في تلك المناطق الواقعة خارج حدود السيطرة البريطانية. وبهذا الشكل، في أعقاب احتلال بريطانيا لميزوبوتاميا العربية وسيطرتها على كردستان الجنوبية، تبلور توجهان في السياسة البريطانية بصورة مبكرة: تمثل الأول في ضرورة تجنب وضع يكون فيه النهر حدوداً سياسية للمناطق الخاضعة للسيطرة البريطانية وأما الثاني فتجسد في ضرورة منع أي من القوى المنافسة الأخرى من بسط سيطرتها على مصادر المياه:

⁴⁵⁰ Joshua C. Baylson, *Territorial Allocations by Imperial Rivalry: The Humane Legacy in the Near East*, [University of Chicago, Department of Geography, Research Paper No. 22, 1987], p.93.

(في المناطق المحتلة) تتناسب الخصوبة مع الري. ولذلك، إذا اتخذ نهر في اي مكان حدوداً لأسباب أخرى، فإنه سيستوجب الإسهاب في تفاصيل بنود الاتفاقية المتعلقة بتقسيم المياه بين المزارعين على ضفتي النهر، الذين سيخضعون (على سبيل الافتراض) لانتداب دولتين مختلفتين.^{٤٥١}

وعن طريق توسيع الرقعة الجغرافية الخاضعة لسيطرة بريطانيا لتشمل ولاية الموصل كلها، استطاعت بريطانيا أن تُحقق، ولو بشكل جزئي، هدفها المتمثل بتجنب وضع تكون فيه الأنهر حدوداً سياسية تفصل المناطق الخاضعة لها عن تلك الخاضعة لدول أخرى. وبدلاً من الأنهر، سعى البريطانيون الى استخدام الحدود العثمانية القديمة لولاية الموصل كحدود واضحة للمناطق الخاضعة لسيطرتهم. وأما الهدف الثاني المتمثل بالسيطرة على مصادر المياه، فلم يكن في متناول بريطانيا، وذلك بسبب جملة قيود عسكرية وضغوط مالية نشأت عن الحرب العالمية الأولى. تلك كانت الطريقة التي شخّصت بواسطتها بريطانيا المناطق الكُردية (أي كُردستان الجنوبية)، التي ستخضع لسيطرتها لدواعٍ إستراتيجية واقتصادية.

وفي أعقاب تعيين حدود المناطق الخاضعة أو التي ستخضع لسيطرتها، تابعت بريطانيا تحديد موقفها من المستقبل السياسي لبقية المناطق الكُردية الخارجة عن سيطرتها (أي كُردستان الشمالية وكُردستان الشرقية) وكذلك تشخيص مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية في كُردستان، على ضوء التطلعات السياسية والادعاءات الإقليمية للأرمن والإيرانيين والعرب (من جانب)، وتنامي الخطر البلشفي واشتداد المنافسة الامبريالية مع فرنسا في منطقة الشرق الأوسط (من جانب آخر). في البدء، كان أمام بريطانيا خياران، وهما أما تنفيذ ترتيباتها السياسية الخاصة التي وضعتها فيما يتعلق بمستقبل كُردستان من أجل فرضه كأمر واقع على مؤتمر باريس للسلام أو الانتظار لحين قيام المؤتمر المذكور بمناقشة مصير ذلك البلد. مع ذلك، فإن غياب سياسة كُردية واضحة المعالم، سواء خلال مؤتمر باريس للسلام أو في أعقابها مباشرة، لم تمنع الموظفين البريطانيين الميدانيين من تبني سلسلة إجراءات سياسية وإدارية في كُردستان الجنوبية الخاضعة للهيمنة البريطانية. وبالرغم من ان تلك

⁴⁵¹ Memorandum on Syria, Palestine and Mesopotamia: Reflections of Foreign Secretary Arthur James Balfour, 11 August 1919, DBFP, Vol.I, pp.340-349.

الإجراءات قد تم تنفيذها بصفة مؤقتة، وجدت التغييرات التي أحدثتها طريقها الى بنود معاهدة سيفر المتعلقة بمستقبل كردستان، وكذلك الى بنود الانتداب البريطاني على منطقة ميزوبوتاميا.

تطور الأهداف البريطانية في كردستان

كانت اللجنة الشرقية الجهة الرسمية المسؤولة عن تحديد معالم السياسة البريطانية تجاه قضايا الشرق الأوسط. وأنهت هذه اللجنة آخر جلساتها في شهر كانون الأول من العام ١٩١٨. وأشرف لويد جورج، الذي كان يقود حكومة ائتلافية من الحزبين الليبرالي والمحافظ، على المفاوضات البريطانية-الفرنسية المبكرة حول قضايا الشرق الأوسط، واتفقت آراؤه بشكل عام مع توصيات اللجنة الشرقية ومع ميول وزارة الخارجية،^{٤٥٢} التي كانت من نتائجها استحواد بريطانيا على حصة فرنسا في ولاية الموصل. ومنذ العام ١٩١٩، بدأت تُناقش مستقبل كردستان وميزوبوتاميا بصورة مستفيضة خلال جلسات الـ (IDCM)، التي يرأسها عادة اللورد كورزون. وحضر تلك الجلسات ممثلون عن وزارات الخارجية والهند والحرب والقوة الجوية، والخزانة، فضلا عن هيئة التجارة. وبين حين وآخر تستدعى الحاجة الى مشاركة موظفين بريطانيين بارزين يعملون في منطقة الشرق الأوسط في جلسات الـ (IDCM)، منهم جنرال ألبي وكولونيل ويلسون والميجر نوئيل، الذين عرضوا تصوراتهم وتوصياتهم بشأن القضايا المطروحة على بساط البحث.

وحيث انتهت الحرب بين قوى الحلفاء والإمبراطورية العثمانية في شهر تشرين الأول (١٩١٨)، لم تعط وزارة الخارجية أو وزارة الهند اهتماماً يُذكر بالعامل الكردي. ولكن، انبعاث النشاطات القومية الكردية واشتدادها وقيام تقارير ميدانية رفعها موظفون بريطانيون، كالميجر نوئيل والكابتن وولي، بتسليط الضوء على الوضع الكردي وشرح ارتباطه بالوضع السياسي العام قد تضاعفت كلها لتؤكد لصناع القرار البريطاني الحاجة الى معالجة المسألة الكردية بصورة عاجلة ضمن إطار التسوية السلمية الشاملة للإمبراطورية العثمانية. ولهذا صار من الضروري أن تضع الحكومة

⁴⁵² Christopher M. Andrew, 'France, Britain and the Peace Settlement: A Reconsideration', -in- The Great Powers in the Middle east, 1919-1939, (Ed) Uriel Dann, (London & New York: Holmes & Meir, 1988), pp.158-159.

البريطانية سياسة واضحة المعالم والأهداف تجاه مستقبل المناطق الكُردية. وقامت وزارت الخارجية والهند، المهتمتان بصورة مباشرة بالشؤون الكُردية، بدراسة جميع الآراء والمقترحات والتوصيات التي جاءت من الدوائر الرسمية البريطانية في الشرق الأوسط، كالمفوضية السامية في اسطنبول والمفوضية السامية في القاهرة والمفوضية المدنية في بغداد والسفارة البريطانية في طهران، تمهيداً لتحديد الحكومة البريطانية لموقفها الرسمي والنهائي نحو المسألة الكُردية.

وفي الوقت الذي تقاربت فيه وجهات نظر وزارتي الخارجية والهند بشأن إبقاء كُردستان الشرقية ضمن الوحدة الإقليمية الإيرانية في مرحلة ما بعد الحرب، فإن مواقفهما تجاه المسألة الكُردية قد تميّزت بطابعٍ مُنغبر. ويتبين لدى مطالعة سجل جلسات الـ (IDCM)، أن تلك المواقف قد تغيّرت بمرور الوقت على ضوء الحصول على المزيد من المعلومات وكذلك رداً على تطورات سياسية حدثت في تركيا وإيران ومنطقة قوقازيا. وكان اللورد كورزون قد أكد خلال جلسات الـ (IDCM) صعوبة الوصول الى موقف بريطاني مُحدد بشأن المسألة الكُردية، وذكّر الحاضرين ان الـ (IDCM) قد توصل الى «استنتاجات متضاربة تماماً» في كل جلسة من جلساتها، ومنها (١) قيام دول كُردية تتمتع بحكم ذاتي في أطراف ولاية الموصل و(٢) تقسيم كُردستان العثمانية بين بريطانيا وفرنسا و(٣) ترك الكُرد وشأنهم ليقرروا مصيرهم بمفردهم.^{٤٥٣}

ومن حيث الدوافع، اهتمت وزارة الهند أساساً بأمن المستعمرات الهندية، التي تطلبت حماية وحدة إيران الإقليمية وتعزيز الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا العربية. أما وزارة الخارجية فنظرت الى مستقبل كُردستان من زاوية أوسع، ويشمل هذا مستقبل ارمينيا السياسي، وتصاعد الخطر البلشفي وطموحات فرنسا الإقليمية وانبعثت الحركات القومية في أقاليم الدولتين التركية والإيرانية. وجميع هذه الاهتمامات المتنوعة بين الدوائر الرسمية البريطانية والسمة غير الثابتة للوضع السياسي في منطقة الشرق الأوسط أصبحت مسؤولة جزئياً عن تردد لندن في تحديد أهداف سياستها الكُردية حتى شهر نيسان من العام ١٩٢٠.

ومن حيث تعيين الحدود القصوى للنفوذ السياسي البريطاني، اقتصر اهتمامات وزارة الهند في البداية على كُردستان الجنوبية بشكل أساس، وذلك بسبب

⁴⁵³ Ibid.

أهمية هذا الإقليم الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية بالنسبة الى وجود إدارة ميزوبوتامية ناجحة وإستمراريتها. فقد جاء في مذكرة رفعتها الدائرة السياسية في وزارة الهند ما يأتي:

تكمُن أهمية كُردستان بالنسبة الى بريطانيا العظمى في حقيقة ان القوة السائدة في هذه البلاد ستسيطر على الطرق الإستراتيجية المؤدية الى ميزوبوتاميا وعلى المياه التي تزود (الجانب) الشرقي الغني من دجلة، التي يعتمد عليها بصورة رئيسة رَيّ ميزوبوتاميا. علاوة على ذلك، ان (وجود) كُردستان مستقرة وصديقة أمر جوهري بالنسبة الى السلام في ميزوبوتاميا العليا، في حين ستكون البلاد قاعدة تجنيد ثمينة للأغراض العسكرية. ان المناطق المنخفضة، التي تُحدُ ميزوبوتاميا، تضم حقول بترول ومصادر طبيعية أخرى. وهناك تقارير تشير الى ان مقاطعتي السليمانية وحبجة قابلة لتطور (اقتصادي) هائل، وتشمل منتجاتهما البترول والفحم الحجري والتبغ. ان النفط وجد أيضاً في المقربة من طوزخورماتو على الطريق بين كفري وكركوك وفي جيا سورخه في أقصى الزاوية الجنوبية- الشرقية من المنطقة.^{٤٥٤}

وخلال عهد الحكومة الكُردية الأولى، التي تزعمها الشيخ محمود، أبدت وزارة الهند رغبتها في قيام كُردستان جنوبية تتمتع بحكم ذاتي تضم سلسلة من دويلات كُردية صغيرة تخضع لحماية بريطانية،^{٤٥٥} بوصفه الإجراء الأمثل إذا ما بدت بريطانيا عاجزة عن تحمل المزيد من الالتزامات العسكرية. وكان آرثر هيرتزل في وزارة الهند، وهو الذي اقترح إقامة ((كُردستان جنوبية مستقلة)) ذات إدارة ودخل منفصلين، قد خشى من ان عودة الحكم التركي الى الأجزاء المتبقية من كُردستان العثمانية يجعلها (جاراً غير مريح) لكلا الكيانين المزمع إنشاؤهما، أي الدولة العراقية الجديدة والمملكة الأرمنية.^{٤٥٦} ولربما يُفسر هذا لماذا أبدت وزارة الهند بعض الاهتمام بفكرة توسيع الانتداب البريطاني لكي يشمل مناطق كُردية كانت تقع في جنوب ارمينيا،^{٤٥٧} في حالة خضوع الأخيرة للانتداب الأمريكي.

⁴⁵⁴ Political Department, India Office, Note on Kurdistan, 14 December 1918, F0371/3386, PRO.

⁴⁵⁵ Briton Cooper Busch, *Mudros to Lausanne: Britain's Frontier in West Asia, 1918-1923*, (New York: State University of New York Press, 1976), p.370.

⁴⁵⁶ Shuckburgh, 1 August 1919, F0371/4192

⁴⁵⁷ British Delegation, Paris, 12 October 1919, F0371/4193, PRO.

لكن الحكومة الأمريكية اعتذرت، بسبب ضغط الكونغرس عليها، عن قبول مهمة الانتداب على دولة أرمينيا الجديدة. وهذا التطور المفاجئ قد أجبر صناع القرار البريطاني على إعادة خلط الأوراق وتعديل الموقف نحو التسوية السلمية للإمبراطورية العثمانية. وفي هذا المقطع الزمني، قام مونتيغيو بتعديل موقفه وبدأ يدعم، بالرغم من وجود بعض التحفظات، مقترحات ويلسون بشأن تقسيم كردستان العثمانية بين تركيا الجديدة وميزوبوتاميا العربية. ولكن، مونتيغيو رأى من الضروري إقامة دولة كردية صغيرة في بوتان (جزيرة ابن عمر) تخضع لحماية بريطانيا من أجل تعزيز دفاعات الموصل الإستراتيجية.^{٤٥٨} كما أبدى مونتيغيو معارضته لأي انسحاب بريطاني من المناطق المهمة استراتيجياً واقتصادياً في كردستان الجنوبية، مثل خانقين وكركوك وزاخو.^{٤٥٩} مع ذلك، ما لبث أن تراجع مونتيغيو خلال إحدى جلسات الـ (IDCM) في شهر نيسان (١٩٢٠) عن أطروحاته الجديدة إذ نادى بتبني مشروع تحويل كردستان الجنوبية الى منطقة حدودية مستقلة على غرار إقليم الشمال الغربي في الهند،^{٤٦٠} حتى وصل به الأمر الى تأييد فكرة السماح لكردستان الجنوبية بالانضمام الى كردستان الشمالية في المستقبل إذا ما رغب سكانها الكرد بذلك.

وعلى غرار وزارة الهند، قيّمت وزارة الخارجية أهمية كردستان من زاوية رغبتها في تدعيم موقف بريطانيا الاستراتيجي والاقتصادي في منطقة ميزوبوتاميا العربية، وكما إنها فكرت في إقامة كردستان جنوبية منفصلة عن الكيانات المحيطة بها. ولكنها، على النقيض من وزارة الهند، أظهرت رغبة في التقليل الى الحد الممكن من درجة التورط البريطاني في شؤون المناطق الكردية، ولهذا رأت ضرورة الانسحاب منها. وكان من شأن كردستان الجنوبية، في حالة انفصالها، أن تضم جميع المناطق الواقعة الى الشرق من نهر دجلة، في حين سنضم المناطق الأخرى الواقعة الى الغرب من ذلك النهر (التي مثلت جزءاً صغيراً من ولاية الموصل) الى الدولة العربية المستقبلية.^{٤٦١} وعلى ضوء الميول التي أبدتها وزارتا الخارجية والهند، أرسلت تعليمات الى السلطات البريطانية في بغداد تُفيد بضرورة معاملة كردستان الجنوبية

⁴⁵⁸ A. Hirtzel, India office Recommendations on Kurdistan, 8 April 1920, F0371/5068, PRO

⁴⁵⁹ Ibid.

⁴⁶⁰ IDCM, Minute No.37 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

⁴⁶¹ Toynbee, Foreign office Minute No.174037, 22 November 1918, F0371/3407 & No.146, 7 January 1919, F0371/4147, PRO.

بوصفها بلداً تتمتع بحكم ذاتي ومنفصلة عن ميزوبوتاميا العربية. وعكست فكرة كردستان جنوبية ذات حكومة أهلية خاضعة لسيطرة بريطانية مخففة قلق وزارة الخارجية من زيادة عبء التزامات بريطانيا المالية والعسكرية. وكان هيوبرت يانغ من وزارة الخارجية قد اقترح اقتصار التدخل البريطاني على إقامة خط من المواقع في مناطق كردية معينة لغرض حماية الطريق البري الاستراتيجي الى شمال إيران، أي خط الاتصال بين بغداد وهمدان عبر كردستان الجنوبية وكردستان الشرقية. وشمل مقترح يانغ تعيين ضباط اتصال سياسيين خاضعين لمسائلة السلطات البريطانية في بغداد.^{٤٦٢} ومثلت خطة يانغ خيار الوسط ما بين انسحاب بريطاني كامل من كردستان الجنوبية أو التعهد بتحمل المسؤولية السياسية الكاملة عنها. وهذا الخيار سيمكن بريطانيا من مساعدة إيران عند الضرورة وكذلك حماية حدود ميزوبوتاميا الشمالية من أية تهديدات محتملة قد تنطلق من روسيا البلشفية.

في أواخر العام ١٩١٩، سارت وزارة الخارجية في عهد وزيرها الجديد اللورد كورزون في اتجاه معارض لفكرة قيام كردستان جنوبية وفق نظام الحكم الذاتي قبل ان يتخذ مؤتمر السلام قراره النهائي بشأن مستقبل كردستان العثمانية. فكورزون عدّ المحافظة على السيطرة البريطانية في كردستان الجنوبية، بما في ذلك ضمها الى الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا، أمراً ضرورياً لدواعٍ إستراتيجية واقتصادية. وبالفعل، في نهاية العام ١٩١٩، ظهر الى العيان توافق عام بين دوائر بريطانية معنية، سواءً في لندن أو في الشرق الأوسط، بشأن ضرورة خضوع كردستان الجنوبية الى سيطرة بريطانية مباشرة. وكانت الخطوة الأولى في ذلك الاتجاه قد تمتلّت بنجاح مساعي لندن في الحصول على موافقة الفرنسيين على التخلي عن منطقة نفوذهم في ولاية الموصل. وشكلت هذه الخطوة، فضلاً عن استيلاء الفرنسيين على جزيرة ابن عمر وحوض نهر الخابور في العام التالي، البداية الفعلية لتقسيم كردستان العثمانية في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. وأدخل هذا التقسيم الى صيغة نظام الانتداب الخاص بإدارة الولايات العثمانية السابقة الواقعة ضمن منطقة الشرق الأوسط. وألقي على عاتق عصبة الأمم وضع الأجزاء الجنوبية من كردستان العثمانية تحت الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا، ووضع أجزائها الغربية تحت الانتداب الفرنسي في سوريا. ويعني كل هذا ان قرار تجزئة كردستان العثمانية قد أُتخذ مُسبقاً،

⁴⁶² Young, Foreign Office Memorandum No. 164430, 10 January 1920, F0371/4193, PRO.

وليصبح حجر الأساس لبنود معاهدة سيفر المتعلقة بمستقبل تلك البلاد. مع هذا، لم يكن قد تقرر بعد شكل الروابط السياسية والإدارية والاقتصادية بين كردستان الجنوبية وميزوبوتاميا العربية على المدى الطويل، إذ ظلت بريطانيا مترددة إزاء خيار إقامة كردستان جنوبية منفصلة، بوصفه الخيار العملي والأمثل لتحقيق مصالحها. ولهذا فضل صناع القرار البريطانيون الانتظار لحين تهيؤ ظروف مؤاتية تُساعد على اتخاذ مبادرة جديدة.

ويقدر ما يتعلق الأمر بمصير بقية أجزاء كردستان العثمانية، درست وزارة الخارجية في البدء فكرة تشكيل دولة كردية أو كونفدرالية من الدول الكردية. وبسبب احتداد المعضلات المالية واشتداد المعارضة الداخلية لأي تورط عسكري جديد، قرر الـ (IDCM) في تشرين الثاني (١٩١٩) في ان ترفض بريطانيا فكرة منحها انتداباً منفصلاً على كردستان أو اتخاذ إجراءات عسكرية في مناطق تقع خارج حدود نفوذها في ميزوبوتاميا وكردستان الجنوبية. وازدادت أهمية عدم جعل شؤون كردستان الشمالية ضمن مسؤوليات بريطانيا في أعقاب رفض حكومة واشنطن، تحت ضغط الكونغرس، التورط بشكل مباشر في التسوية السلمية لأقاليم الإمبراطورية العثمانية، بما في ذلك التخلي عن فكرة وضع أرمينيا تحت الانتداب الأمريكي.

ان مبدأ عدم الرغبة في قبول المزيد من الالتزامات العسكرية أو السياسية في كردستان الشمالية هو الذي ترك تأثيراً قوياً وملموساً على المواقف البريطانية تجاه المسألة الكردية خلال جلسات كونفرانس سان ريمو القادم. ومع ذلك، لم تكن وزارة الخارجية توافق على ترك سكان كردستان الشمالية يتدبرون شؤونهم لوحدهم من دون وجود دور بريطاني ما، على النقيض مما اقترحه دي روبيك.^{٤٦٣} وكان جورج جي كيدستون، من وزارة الخارجية، قد أكد حاجة بريطانيا الى كسب صداقة الكرد على ضوء المستجدات المتعلقة بتزايد تهديدات روسيا البلشفية.^{٤٦٤} ولضمان وقوف الكرد مع البريطانيين، دعا آير كرو حكومته الى الاعتراف بأمتهم وباستقلالهم.^{٤٦٥} وبالرغم من الموافقة، من حيث المبدأ، على فكرة ان يتدبر الكرد الشماليون مصيرهم، لم يكن بمقدور البريطانيين ان يكتفوا بمشاهدة انتشار القلاقل في المناطق الكردية الواقعة

⁴⁶³ Busch, Mudros to Lausanne , p.371.

⁴⁶⁴ Letter From Kidston to Crowe, Paris, 28 November 1919, DBFP, Vol. IV, P.909.

⁴⁶⁵ Letter From Crowe, Paris, to Kidston, 1 December 1919, DBFP, Vol.IV, p.913.

خارج نطاق سيطرتهم، وذلك بسبب تأثيراتها السلبية على موقفهم السياسي والعسكري في ميزوبوتاميا، خصوصاً إذا ما اخذوا بنظر الاعتبار استمرار التهديد الكمالي - التركي والروسي البلشفي من الجهة الشمالية. ولذلك، أصبح من الضروري أن تقوم بريطانيا بالتأثير في الوضع الكردي في المستقبل المنظور، على أقل تقدير، وهو الأمر الذي لا يُمكن تحقيقه دون تلبية الحدود الدنيا من التطلعات الكردية في الحكم الذاتي.

حين بدأ كونفرانس سان ريمو جلساته، لم يكن للحكومة البريطانية بعدُ موقف حاسم نحو مستقبل كردستان الشمالية، باستثناء رفض فكرة الانتداب عليها تحت أي حال من الأحوال. وبين شهري شباط ونيسان عام ١٩٢٠، طرأت سلسلة من التغييرات اللافتة للنظر على الموقف البريطاني نحو مستقبل كردستان الشمالية. ففي ٢٠ شباط، صرح كورزون، الذي كان يترأس الوفد البريطاني في الكونفرانس المذكور، ان بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا على استقلال كردستان الشمالية، سواء كدولة واحدة أو فدرالية من دول الحكم الذاتي. كما أظهر كورزون رفضه لأي «تصريح مؤقت ينص على إبقاء كردستان تحت سيادة تركيا».^{٤٦٦} وفي ٢٦ شباط، أشار لويد جورج الى كردستان الشمالية بوصفها ضمن الأقاليم غير التركية التي ستنفصل عن الإمبراطورية العثمانية، وهو الأمر الذي عدّه واحدة من المبادئ التي تسترشد بها المفاوضات داخل مجلس الحلفاء. وفي ٦ آذار، أبلغ كورزون دي روبيك انه يُفكر في فصل كردستان الشمالية عن الإمبراطورية العثمانية، وضمان استقلالها. مع ذلك، رأى كورزون الحاجة الى دراسة شاملة للوسائل التي يتم بواسطتها تحقيق ذلك الهدف.^{٤٦٧} وبعد مرور عشرين يوماً على ذلك، تحدث كورزون مرة أخرى عن كردستان منفصلة تتمتع بحكم ذاتي:

ان السياسة التي نروم اتخاذها في معاهدة السلام (مع الإمبراطورية العثمانية) ... بشأن كردستان هي ان لا تكون محمية واحدة تعود لإنكلترا أو لفرنسا، ولا أن تكون محمية منقسمة أو مجموعة من الدول تحت حماية أوروبية، وإنما كردستان ذات حكم ذاتي ومفصولة عن تركيا، لدرجة إنها غير خاضعة للسيادة التركية.^{٤٦٨}

⁴⁶⁶ British Secretary's Note Of Allied conference, London, 20 February 1920, DBFP, Vol. VII, p-159.

⁴⁶⁷ Foreign Office Telegram to De Robeck, Constantinople, Very Urgent, 6 March 1920, F0371/5067, PRO.

⁴⁶⁸ Curzon to de Robeck, Constantinople, Confidential, 26 March 1920, F0371/5067, PRO.

على الرغم من كل ما قيل في تلك التقارير المتبادلة، قررت الحكومة البريطانية في نهاية المطاف ان لا تعطي كُردستان الشمالية استقلالها بشكل فوري وإنما تُمنح حكماً ذاتياً داخلياً مؤقتاً ضمن إطار الدولة التركية.

ان التغير المفاجئ الطارئ في موقف صنّاع القرار البريطاني خلال مدة قصيرة (آذار- نيسان ١٩٢٠) قد عكس مخاوف حقيقية من أن تتورط بريطانيا عسكرياً وسياسياً في كُردستان الشمالية بصورة تتنافى مع رغباتها، أو حتى من خسارة كُردستان الجنوبية . فضلاً عن ذلك، لاحظ كورزون أن إبقاء الكُرد الشماليين تحت الحماية العثمانية قد يُمثل خياراً مثالياً، إذا ما أُخذ بنظر الاعتبار رغبة بريطانيا في التصدي لمحاولات الفرنسيين الرامية الى توسيع سيطرتهم السياسية داخل كُردستان الشمالية.^{٤٦٩} ولاحظ يانغ سرعة التغير الطارئ على الموقف البريطاني وكيف ان معاهدة السلام التركية قد اقتضت على فصل ((المناطق المُحررة))، التي كانت قد خضعت الى الاحتلال البريطاني والفرنسي، وتعاملت مع ما تبقى من المناطق بوصفها جزءاً من تركيا.^{٤٧٠} في احدى لقاءات الـ(ICDM) المنعقد في ١٣ نيسان، وهو اللقاء الأخير قبل التوصل الى معاهدة سيفر،^{٤٧١} وكان كورزون قد أشار هو الآخر الى ان الكونفرانس قد مال الى فكرة ترك الكُرد الشماليين تحت الحكم التركي، وليصرح بعد ذلك في ١٩ نيسان، انه لم يعد من المرغوب، على النقيض من الاعتقاد السائد، فصل ما تبقى من كُردستان عن تركيا، وإنما جعلها تتمتع بحكم ذاتي داخلي. وعزا كورزون هذا التغير الى عدم وحدة الكُرد، وعجزهم عن التمسك بما سيحصلون عليه من مكاسب من كونفرانس السلام في ظل غياب دعم إحدى القوى الكبرى. وبهذا النحو، رست بريطانيا على موقف نهائي، خير ما عبر عنه بنود معاهدة سيفر المتعلقة بمصير كُردستان، التي صيغت في نيسان ١٩٢٠. وفي ضوء كل تلك التغييرات والتطورات، ينبغي التمييز لدى قراءة بنود تلك المعاهدة المتعلقة بمصير الشعب

⁴⁶⁹ British Secretary's Note Of Allied Conference, San Remo, 19 April 1920, DBFP, Vol. VIII, p.43.

⁴⁷⁰ Young, Foreign Office Minute No.2432, 30 March 1920, F0371/5068, PRO.

⁴⁷¹ لربما كان هذا اللقاء الأهم في تحديد الموقف البريطاني النهائي من المسألة الكُردية. ترأس كورزون هذا اللقاء، بوصفه وزيراً للخارجية، وحضره، فضلاً عن مونتيغيو، وزير الهند، ممثلين على مستوى عالٍ عن جميع الدوائر الرسمية ذات العلاقة، مثل وزارة الخارجية والهند والحرب والخزانة والطيران.

IDCM , Minute No.37 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

الكُردي بين نوايا قوى الحلفاء، في مقدمتها بريطانيا، ومضامينها الحقيقية، كما ستوضح الصفحات التالية.

مضامين بنود سيفر على ضوء الأهداف البريطانية

لم ترَ النور بنود محددة من معاهدة سيفر، خاصة تلك التي تعلق بكردستان وارمينيا، بعد الإمضاء عليها، وذلك بسبب تنامي قوة الحركة القومية الطورانية، التي قادها مصطفى كمال، احد كبار الضباط العثمانيين السابقين. ومع هذا، يُمكن الخروج باستنتاجين رئيسيين عند دراسة بنود المعاهدة المذكورة والمتعلقة بمستقبل المسألة الكُردية. أولاً، كان البريطانيون مسؤولين بصورة رئيسة عن وضع هذه البنود، ولا غرابة إذن في أن تُعبّر تلك البنود عن أهداف البريطانيين في كُردستان على المديين الطويل والقصير. أما الدور الفرنسي فأقتصر على نيل تنازلات اقتصادية وإقليمية بقدر ما تسمح به الظروف وموازن القوى على الأرض. ثانياً، تضمنت معاهدة سيفر بنوداً لم يكن في نيّة البريطانيين أو الفرنسيين تطبيقها، خصوصاً البندين ٦٢ و٦٤، وهما اللذان منحا حكماً ذاتياً الى جزء من الشعب الكُردى والموجود في ولاية دياربكر وجزء من ولايتي بتليس ووان. وهذا الحكم الذاتي ذا الطابع الداخلي كان بإمكانه ان يرتقي الى مستوى الاستقلال السياسي الكامل، شريطة ان تتأكد لجنة من الحلفاء من قدرة الكُرد على إدارة دولة خاصة بهم. كما أشار تلكما البندان الى إمكانية إعادة توحيد كُردستان العثمانية جزئياً، اي عن طريق توحيد كُردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية مع كيان الحكم الذاتي الكُردى المستقبلي. ويتبين من سير المناقشات الدائرة في اللقاءات المشتركة بين الوزارات المختلفة في لندن، من جانب، والمفاوضات الثنائية الجارية بين صنّاع القرار البريطاني والفرنسي، من جانب ثانٍ، ان الحكومة البريطانية لم تكن حقاً تؤمن بإمكانية تطبيق البندين ٦٢ و٦٤. فمونتيجيو كان أول من شككَ بقدرة دولته على إنشاء حزام كُردى غير خاضع لحكم الأتراك في المناطق الواقعة الى الشمال من كُردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية، وذلك بسبب عدم إبداء لندن أية رغبة في ان تُلزم نفسها عسكرياً في تلك الأطراف من اجل تعزيز أمن ميزوبوتاميا.^{٤٧٢} كما شككَ لورد كورزون، من جانبه، بإمكانية نجاح مشروع قيام كُردستان تتمتع بحكم ذاتي، على ضوء القرار البريطاني القاضي بعدم التدخل أو تحمّل مسؤولية مباشرة تجاه عملية تطبيق بنود معاهدة

⁴⁷² IDCM , Minute No.37 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

سيفر الخاصة بكردستان. وكان كورزون قد ادعى أمام الفرنسيين ان الكرد أنفسهم يشعرون ان ((ليس بمقدورهم تعزيز وجودهم من دون مساندة قوى عظمى))، وإنهم، في غياب حماية دولية توفرها بريطانيا وفرنسا، يرغبون في خيار تركهم (تحت حماية الأتراك).^{٤٧٣} ويرى المؤرخ روبرت أولسون انه كان من غير المحتمل جداً ان يضغط البريطانيون في اتجاه تطبيق البند ٦٢ في العام ١٩٢٠، نظراً لتنامي قدرة القوى القومية الكمالية.^{٤٧٤} بتعبير آخر، لم يكن البريطانيون يتوقعون رؤية ظهور دولة كردية في كردستان الشمالية. ولهذا لم يكن من الصدفة ان يعترض البريطانيون على منح المنظمة الدولية الجديدة (عصبة الأمم) دوراً في الشؤون الكردية، حتى انهم تأكدوا من غلق الأبواب أمام أية شخصية كردية تحاول ان تتحدث باسم الشعب الكردي أو بالنيابة عنه في كونفرانس سان ريمو، وهذا الموقف يتناقض مع الموقف الذي اتخذوه تجاه ممثلي القوميات الجديدة الأخرى، كالأرمن.

ومع ان المقطع الأخير من البند ٦٤ قد أشار صراحة الى إمكانية توحيد الدولة الكردية المستقبلية مع إقليم كردستان الجنوبية. فإن الدلائل تشير، ودون أدنى التباس، الى ان البريطانيين لم يكونوا على استعداد في أن يتركوا لسكان ذلك الإقليم أو لممثليهم أمر اتخاذ قرار كان من شأنه توحيدهم مع أي جزء من أجزاء كردستان الأخرى. وكان كورزون قد أكد بقوة، خلال مفاوضاته مع ممثلي القوى الحليفة الأخرى، أن الكرد الجنوبيين لا يرغبون في الانفصال عن ولاية الموصل.^{٤٧٥} ولم تكن كلمات كورزون تلك سوى تعبير عن موقف لندن النهائي المتمثل بعدم التخلي عن الانتداب البريطاني على تلك الولاية. وكما أكد قاسملو، سعت بريطانيا، عن طريق معاهدة سيفر، الى جعل كردستان الجنوبية منطقة بريطانية خاصة.^{٤٧٦} لقد أصبح للإقليم المذكور أهمية إستراتيجية متزايدة بالنسبة الى أمن ميزوبوتاميا واستقرارها، الى الدرجة التي لم يعد بإمكان البريطانيين التخلي عنه أو تركه وشأنه، وإلا كيف يُمكن تفسير جهودهم الدبلوماسية المضنية التي بذلوها قبل انعقاد مؤتمر السلام لحسم الموقف من المسألة الكردية وعقد صفقات سياسية واقتصادية مع

⁴⁷³ British Secretary Note..., San Remo, 19 April 1920, DBFP, Vol. VIII, p.43.

⁴⁷⁴ Olson, **The Emergence of Kurdish Nationalism**, p.54.

⁴⁷⁵ British Secretary's Note..., San Remo, 19 & 23 April 1920, DBFP, Vol. VIII, pp.44 & 133.

⁴⁷⁶ Ghassemloo, **Kurdistan and the Kurds**, p.48.

الفرنسيين، ترمي الى إقناعهم بالتخلي عن مجال نفوذهم في ولاية الموصل بغية ضمها الى منطقة الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا، وهو الأمر الذي وجد طريقه لاحقاً الى القسم الأول والقسم السابع من معاهدة سيفر.

والسؤال الملح الذي يطرح نفسه هو لماذا أدخل البريطانيون ذلك المقطع الى البند ٦٤، إذا لم يكن في نيتهم تنفيذها؟ ان التفسير المرجح لذلك هو ان البريطانيين كانوا يسعون الى إعطاء انطباع زائف بأن سيطرتهم على كردستان الجنوبية ذات طبيعة مؤقتة، وهذا يُمكنهم من تبرير الموقف المعارض الذي اتخذوه من مشروع تقسيم كردستان العثمانية إقليمياً واقتصادياً وسياسياً بين الحلفاء، كما كان الفرنسيون يطالبون بإلحاح. وتشير إحدى وقائع جلسات الـ (IDCM) كيف ان كورزون:

كان يفعل ما في وسعه لإبعاد تركيز السيد بيرثلو (ممثل الحكومة الفرنسية) عن هذه المنطقة (كردستان الغربية)، مستخدماً الرأي القائل بأننا نحن (البريطانيين) كنا على وشك الانسحاب من كردستان الجنوبية. وكان (كورزون) يخشى من إننا قد يُقطننا معارضة، إذا ما ذهبنا الآن الى سان ريمو وقلنا بأننا تخلينا عن نوأيانا.^{٤٧٧}

بتعبير آخر، سعى البريطانيون، من وراء تظاهُهم وإدعائهم بإمكانية انضمام كردستان الجنوبية الى الدولة الكردية (في حالة إنشاء الأخيرة)، الى التصدي للمحاولات التي كان يقوم بها الفرنسيون في سبيل توسيع الرقعة الجغرافية لنفوذها السياسي في أعماق المناطق الكردية الداخلية، اي تلك التي وقعت بين ارمينيا وإيران وكردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية. وفي تحليله للمنافسة الامبريالية البريطانية-الفرنسية، يسلط الباحث كريستوفر أم أندرو الضوء على كيفية قيام بريطانيا بإخفاء طموحاتها الامبريالية في الشرق الأوسط تحت غطاء مفهوم تقرير المصير القومي، الذي كان الموضة الجديدة الرائجة آنذاك.^{٤٧٨} وبالفعل، في مُذكرة كُتبت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أكد بلفور ان اتفاقية سايكس-بيكو قد أهملت ((المفاهيم الحديثة عن القومية)) وكيفية التعامل مع القوميات الجديدة، كالکرد والعرب واليهود.^{٤٧٩}

⁴⁷⁷ IDCM , Minute No-37 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

⁴⁷⁸ Andrew, 'France, Britain and the Peace Settlement', p.159.

⁴⁷⁹ Memorandum On Syria, Palestine And Mesopotamia: Reflections Of Foreign Secretary A. J. Balfour, 11 August 1919, DBFP, Vol.IV, pp.340-349.

فضلاً عن كل ذلك، كانت بريطانيا تأمل، من وراء الأسلوب الذي وضعت فيه البنود، في ان تتجنب حصول ردود فعل سلبية في كردستان الشمالية، وهو الأمر الذي قد يؤدي الى ابتعاد القوميين الكرد منها، في وقت كان فيه الوضع السياسي يمر في حالة من التقلب والانعطاف المتواصل. لقد شكل ظهور الحركات القومية التركية والإيرانية ذات التوجهات الشوفينية، من طرف، وتقدم البلشفيين الروس جنوباً في اتجاه منطقة قوقازيا وشمال إيران، من طرف ثانٍ، تهديداً جدياً لموقف بريطانيا الاستراتيجي على طول الخط الممتد من الهند الى سواحل البحر الأبيض المتوسط. ففي ظل تلك الظروف غير المؤاتية، كان من الطبيعي أن لا يرغب البريطانيون في مواجهة حالة من عدم الاستقرار الأمني والفوضى السياسية في كردستان الجنوبية، خاصة وان القوى الكمالية كانت مُصممة على استرجاع أكبر قدر ممكن من الأقاليم العثمانية السابقة خصوصاً في كردستان وارمينيا. ولهذا تأكد البريطانيون من ان يفهم الكرد الجنوبيون بان الخضوع الى الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا لا يتعارض بتاتاً مع مصالحهم وأحاسيسهم القومية. ان دراسة دقيقة لفقرات الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا تُدلّ على أن البريطانيين لم يحسموا بعد مستقبل إقليم كردستان الجنوبية على المدى الطويل، سواء أتحوّلت الى دولة (أم الى عدة دويلات) كردية تتمتع بحكومة أهلية أو تبقى جزءاً من ميزوبوتاميا البريطانية بشكل دائم. مع ذلك، يُمكن التأكيد أنه لم يكن في نية البريطانيين السماح لكردستان الجنوبية بأن تنضم الى دولة كردية شمالية في حالة إنشائها.

كما تُبين قراءة دقيقة للبندين ٦٢ و٦٤ بأنهما يحويان بين طياتهما مضامين لافتة للنظر. فكردستان التي تشير اليها معاهدة سيفر لا تشكل سوى ٢٠٪ من رقعة كردستان العثمانية الجغرافية، أو نحو ١٥٪ في حالة إضافة كردستان الشرقية (انظر الخارطة رقم ١٨). وهذا يعني ان تلكما البندين المتعلقين بالحكم الذاتي والاستقلال الكردي لا يؤثران، في حالة تطبيقهما، في وضع غالبية المناطق الكردية. ولذلك فإن معاهدة سيفر، في الجانب الأبرز منها، تُمثّل عملياً رمزاً لأول تقسيم لكردستان على نطاق واسع ومتعدد الأبعاد بين تركيا العثمانية وسوريا الفرنسية وميزوبوتاميا البريطانية وإيران القاجارية والدولة الارمنية المقترحة لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى. ولا غرابة في ان لا تُثير بنود معاهدة سيفر المتعلقة بالمسألة الكردية والمعلنة

في آب عام ١٩٢٠ ترحيباً يُذكر من قبل الجماعات القومية الكردية، سواء داخل كردستان أو في المنايا. وبدأت مشاعر التفاؤل تزول لتحل محلها مشاعر التشاؤم في أوساط تلك الجماعات، حالما أعلنت بنود معاهدة سيفر، التي جعلت المسألة الكردية أكثر تعقيداً وتأزماً، بسبب اتخاذ معيار استعماري واضح في عملية تقسيم كردستان العثمانية على نطاق واسع.

ويبدو ان الحكومة البريطانية قد فضّلت إنشاء كيان حكم ذاتي كردي صغير ضمن تركيا عثمانية جديدة ذات توجه بريطاني. وبخصوص هذا البديل، أشار المؤرخ بوش الى إنه استند الى حسابات مشتركة بين الوزارات البريطانية المعنية بأمر الولايات الشرقية.^{٤٨٠} إن وجود تركيا جديدة بحسب الصورة التي تخيلها البريطانيون وارمينيا جديدة يُمكن لهما أن يخرجا مصالح بريطانيا، وذلك بوصفهما حاجزاً طبيعياً يقف بوجه أية محاولات توسعية إقليمية قد تقوم بها روسيا البلشفية في أعقاب انسحاب القوات البريطانية من منطقة قوقازيا. وكان دي روبيك قد حذر، في عشية انعقاد كونفرانس سان ريمو، من زحف عسكري يقوم به البلشفيون في اتجاه شمال إيران وقوقازيا، كما حذر من قيام تحالف مُعادٍ لبريطانيا يضم الأتراك الكماليين والروس البلشفيين.^{٤٨١} وشارك تشرشل دي روبيك تلك المخاوف، ولذلك عارض فرض قوى الحلفاء تسوية سلمية قاسية الشروط على تركيا العثمانية.^{٤٨٢} فهو، ومعه لورد كورزون، قد أوصيا بعدم فصل الولايات غير التركية عن الإمبراطورية العثمانية، باستثناء الأقاليم العربية، كما لفتا الانتباه الى حقيقة ان القوى الكبرى الأخرى، خاصة فرنسا وأمريكا، ستجني فوائد سياسية واقتصادية من أية مقاومة تركية محتملة ضد فرض تسوية سلمية قاسية الشروط على اسطنبول. كما عارض مونتيجيو، هو الآخر، أي معاملة قاسية للأتراك المنهزمين في الحرب، خوفاً من أن تؤثر سلباً في مواقف المسلمين الهنود تجاه بريطانيا.^{٤٨٣} ولهذا أوصى مونتيجيو بمعاملة تركيا بطريقة ليننة، من خلال تبني شروط تسوية سلمية شبيهة بتلك التي فرضت على بلغاريا.

⁴⁸⁰ Busch, *Mudros to Lausanne*, p.371.

⁴⁸¹ J. De Robeck to the Secretary of State of Admiralty, 18 March 1920, F0371/5046, PRO.

⁴⁸² Kent, *Moguls and Mandarins*, p.101.

⁴⁸³ Busch, *Mudros to Lausanne*, pp.79 & 84.

المصالح الامبريالية الفرنسية وسياسة بريطانيا الكردية

قامت بريطانيا بالاشتراك مع حليفها فرنسا بالإشراف على الطور الأول من الجهود الدبلوماسية الدولية المنصبة في تحديد مصير الإمبراطورية العثمانية بعد هزيمتها في الحرب.^{٤٨٤} وطبقاً لما يقوله الباحث اندرو، كانت إستراتيجية فرنسا الأولية في عهد جورج كليمنصو تقوم على فكرة منح بريطانيا تنازلات خارج القارة الأوربية أملاً في حصولها على (ركيزة)، حين يتناول مؤتمر السلام مستقبل الراين- لاند الحيوية جداً بالنسبة الى أمن حدودها المشتركة مع غريمته المانيا.^{٤٨٥} بتعبير آخر، أبدى كليمنصو استعداداه في ان يُضحى بمنطقة الشرق الأوسط لقاء تعزيز أمن فرنسا أمام المانيا. وهذا يُفسر، مثلاً، تنازل فرنسا عن حصتها الإقليمية في ولاية الموصل والقبول بالسيطرة البريطانية على أرض فلسطين. وبالمقارنة مع نظرائهم الفرنسيين، أتفق صنّاع القرار البريطاني فيما بينهم، كما يُبين المؤرخ آل سي بي سيمان، على إن تحل بريطانيا لمسؤولياتها تجاه إمبراطوريتها والكيانات ذات المصالح المشتركة (Commonwealth)، التي ازدادت بسبب الحرب العالمية الأولى، قد جعل من الصعب جداً عليها أن تتورط عسكرياً في أوروبا.^{٤٨٦} وأصبحت في مقدمة أولويات حكومة لندن مسألنا تدعيم الموقف البريطاني في منطقة الشرق الأوسط واحتواء التهديد الذي شكلته روسيا البلشفية.^{٤٨٧}

علاوة على ذلك، لم تكن بريطانيا تثق بنوايا فرنسا في أوروبا، ولهذا فضّلت وجود شكل من أشكال توازن القوى في تلك القارة، بحيث لا يكون بمقدور أية قوة، بما في ذلك فرنسا، الهيمنة عليها.^{٤٨٨} وبمساندة الدبلوماسية الأمريكية، ضمن صنّاع القرار في لندن عدم تمزيق أوصال المانيا المهزومة بالشكل الذي أراده رجال الدولة الفرنسية. وعلى سبيل المثال، أُبقيت الراين لاند الإستراتيجية، بالرغم من تحولها الى منطقة منزوعة السلاح، تحت السيادة الألمانية، على النقيض من رغبات الفرنسيين. بهذا

⁴⁸⁴ Kent, *Moguls and Mandarins*, p.100.

⁴⁸⁵ Andrew, 'France, Britain and the Peace Settlement', p.159.

⁴⁸⁶ L.C.B. Seaman, *Post-Victorian Britain, 1902-1951*, (London: University Paperbacks, 1967), pp.127-129.

⁴⁸⁷ Ibid .

⁴⁸⁸ Sally Marks, *The Illusion of Peace: International Relations in Europe, 1918-1933*, (London: MacMillan,1976), p2.

النحو، لَبَدَت التسوية الأوربية في مؤتمر باريس للسلام أجواء العلاقات الثنائية بين بريطانيا وفرنسا، ليترك هذا الأمر تأثيراً سلبياً فيما بعد في تسوية مستقبل الإمبراطورية العثمانية في كونفرانس سانريمو القادم.

كانت الإمبراطورية العثمانية، حين اندلعت الحرب العالمية الأولى في العام ١٩١٤، كما جاء في الفصل الأول، قد قُسمت على مناطق نفوذ اقتصادية للقوى الأوربية المختلفة. ومنحت هذه الحرب فرنسا فرصة لا تفوت لتوطيد مصالحها وبسط نفوذها في الأقاليم العثمانية. وبالفعل، أصبحت فرنسا طرفاً رئيساً في اتفاقيات الحرب السرية، التي كان اثنان منها يؤثران بصورة مباشرة بمستقبل كردستان العثمانية، أي اتفاقية اسطنبول واتفاقية سايكس-بيكو. ومع اختفاء روسيا القيصرية من المسرح الدولي مؤقتاً وبوصفها كانت طرفاً أساسياً في تقرير مصير الإمبراطورية العثمانية، صعدت فرنسا من ضغوطها على بريطانيا من أجل الشروع بتقسيم كردستان العثمانية على نطاق واسع بالاستناد الى مضامين اتفاقيات الحرب. وبطريقة مُماثلة، عدت بريطانيا فرنسا، خاصة بعد اختفاء المانيا كمنافسة امبريالية قوية لها، العامل الرئيس المُعوق لمساعدتها الرامية الى إعادة رسم النظام الإقليمي في الشرق الأوسط بالطريقة التي تراها مناسبة. ففي اللجنة الشرقية، قام كورزون بتشخيص فرنسا على إنها القوة التي تحشاها بريطانيا مستقبلاً أكثر من القوى الأخرى.^{٤٨٩} تلك كانت خلفية التضاد في السياستين البريطانية والفرنسية تجاه مستقبل كردستان في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب.

جاء المقترح الذي قدمه مارك سايكس حول إنشاء إمارة كردية تضم الموصل ضمن إحدى المساعي البريطانية المبكرة التي استهدفت كبح طموحات فرنسا الإقليمية في كردستان. وهذا يُفسر لماذا رفض جورج بيكو، ممثل الحكومة الفرنسية، ذلك المقترح لأنه «يتناقض مع المصالح الفرنسية» ويُضحي بمصالح الكلدان والنساطرة، الذين «حماهم الفرنسيون بصورة تقليدية».^{٤٩٠} وكذلك أكد بيكو رغبة الحكومة الفرنسية في أن تكون الموصل ضمن منطقة نفوذها بحسب بنود اتفاقية سايكس-بيكو.^{٤٩١} ومن مناورات بريطانيا الأولى لمنع ظهور فراغ سياسي في

⁴⁸⁹ Eastern Committee Minute 40, 2 December 1918, CAB27/14.

⁴⁹⁰ IDCM, Secretary Note: Situation in Kurdistan, 6 September 1919, F0371/4193, PRO.

⁴⁹¹ G.L. Bell, Northern Kurdistan. 8 March 1920, AIR 20/513, PRO.

كردستان وارمينيا، وهو الأمر الذي قد تستغله فرنسا لتثبيت موطئ قدم لها، هي محاولة إقناع صنّاع القرار في واشنطن بقبول انتداب أمريكي على ارمينيا.^{٤٩٢} فعلى النقيض من فرنسا، لم تكن أمريكا منافساً استعمارياً لبريطانيا، ولهذا لم تشكل تهديداً جدياً لمصالح بريطانيا الامبريالية، خاصة في منطقة الشرق الأوسط. بتعبير أدق، سعت بريطانيا الى استبدال فرنسا بأمريكا كشريك ((ثانوي)) لها في عملية إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط لمرحلة ما بعد الحرب.^{٤٩٣}

لقد أصبح اللجوء الى القوة الأمريكية أمراً ضرورياً بالنسبة الى بريطانيا، نظراً لتضخم مسؤولياتها الامبريالية وتزايد الخطر القادم من روسيا البلشفية. وكان صنّاع القرار البريطاني يأملون في انه إذا ما وافقت واشنطن على وضع ارمينيا تحت الانتداب الأمريكي وسيطر البريطانيون على مناطق كردية أخرى تقع بين ارمينيا وميزوبوتاميا العربية الى انتدابهم، فإنه لن يصبح بمقدور الفرنسيين بسط سيطرتهم السياسية والاقتصادية على مناطق كردستان الداخلية.^{٤٩٤} وبالفعل، أكد الوفد البريطاني في مؤتمر باريس للسلام وجود نوايا لدى الفرنسيين بشأن إخضاع مناطق كردية تقع بين ارمينيا وميزوبوتاميا الى الانتداب الفرنسي.^{٤٩٥} ولكن، رفض واشنطن لميثاق عصبة الأمم ومن ثم سحب رغبتها في فرض انتداب أمريكي على ارمينيا في نهاية العام ١٩١٩ بسبب معارضة غالبية رجال الكونغرس،^{٤٩٦} غير الموقف السياسي رأساً على عقب. فهذه التطورات دفعت بفرنسا مرة أخرى الى المقدمة، على النقيض من رغبة بريطانيا، بوصفها طرفاً رئيساً في عملية تسوية القضايا المتعلقة بمصير الولايات العثمانية غير التركية.

وبعد أن أصبحت بريطانيا غير قادرة على توسيع انتدابها على ميزوبوتاميا ليشمل مناطق من كردستان الشمالية، لم تعد في موقف يُمكنها من مقاومة ضغوط

⁴⁹² War Cabinet Minutes No.457 & 459, 13 & 15 August 1918, CAB23/43, PRO.

⁴⁹³ Barry Rubin, 'America as Junior Partner: Anglo-American Relations in the Middle East, 1919-1939, -in- The Great Powers in the Middle east, 1919-1939, op. cit., pp.241-242.

⁴⁹⁴ Ibid & William Stivers, **Supremacy and Oil: Iraq, Turkey and the Anglo-American World Order, 1918-1930**, (London& Ithaca: Cornell University Press, 1982), p.30.

⁴⁹⁵ Crowe, British Delegation, Paris, to Curzon, 12 October 1919, F0371/4193, PRO.

⁴⁹⁶ Stivers, **Supremacy and Oil: Iraq, Turkey and the Anglo-American World Order, 1918-1930**, pp.44-45

فرنسا بشأن إيجاد ترتيبات إقليمية جديدة في كردستان تُغيّر الواقع القائم على أوسع نطاق. ففي هذا السياق، أخبر ستيفان بيكون، وزير خارجية فرنسا، لورد كورزون انه بعد اختفاء أمريكا من الساحة بوصفها عاملاً في تسوية الشرق (الأوسط) وانتهاء جميع فرص فرض انتداب أمريكي على أي جزء من أجزاء الإمبراطورية التركية، يبقى هناك طرفان (بريطانيا وفرنسا)، لا بد ان تُدرس مصالحهما ^{٤٩٧} بجدية وان يتوافقا.

ولم يُخف بيكون حقيقة أن حكومته قد أعطته صلاحية للدخول في محادثات مع نظرائه البريطانيين بأسرع وقت ممكن من أجل حَسْم مصير الولايات العثمانية غير التركية. ^{٤٩٨} أما البريطانيون فكانت لديهم خيارات ثلاثة بالنسبة الى تقرير مصير المناطق الكردية الواقعة خارج سيطرتها المباشرة في كردستان الجنوبية. تمثل الخيار الأول في تقسيم تلك المناطق بين بريطانيا وفرنسا. وهذا الخيار كان غير مقبول تماماً من وجهة النظر البريطانية، لأنها تنطوي على التزامات عسكرية ومالية إضافية. وتضمن الخيار الثاني على إعلان تلك المناطق دولة مستقلة فوراً. ولكن، هذا الخيار سيلقى بدوره معارضة فرنسية قوية، كما كان الحال في الماضي. لقد كان الفرنسيون يشككون دوماً بقيام دولة كردية، لاعتقادهم بأن البريطانيين سينتفعون سياسياً واقتصادياً من هذا المشروع وكذلك بسبب التوجه البريطاني الذي أظهره القوميون الكرد في تطلعاتهم السياسية. أما الخيار الأخير فتمثل بعودة الحكم التركي الى تلك المناطق الكردية، التي ستمنح حكماً ذاتياً داخلياً من أجل تلبية الحد الأدنى من الطموحات الكردية السياسية والثقافية.

بالمقارنة مع الموقف البريطاني، تميز الموقف الفرنسي تجاه مصير كردستان العثمانية بوضوحه الشديد، إذ تمحور حول فكرة واحدة، وهي تقسيمها بين القوتين البريطانية والفرنسية. ولربما يعود السبب في ثبات الموقف الفرنسي مقارنة بالموقف البريطاني الى إدراك الفرنسيين أنهم سيجنون فوائد اقتصادية وسياسية من وراء مشروع تقسيم كردستان العثمانية. وبالفعل، كان الفرنسيون، منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، يضغطون في اتجاه إعادة ترتيب وضع كردستان العثمانية إقليمياً

⁴⁹⁷ Curzon, Memorandum, 12 November 1919, F0406/41, PRO.

⁴⁹⁸ Curzon's Record of a Conversation with the French Foreign Minister, 12 November 1919, DBFP, Vol. IV, pp.879-81.

بالاستناد الى بنود اتفاقية سايكس- بيكو السرية. ومع استمرار المعارضة البريطانية لتنفيذ بنود تلك الاتفاقية بحذافيرها، قدمت باريس خطة تقسيم جديدة في نهاية العام ١٩١٩. وشرح فيليب برثلو، السكرتير الأول للشؤون السياسية والتجارية في وزارة الخارجية الفرنسية، الخطة المذكورة بالنحو الآتي: لأن الكُرد كانوا «منقسمين الى قبائل وطوائف» ولأنهم، على غرار العرب، «لم يكونوا متحدين من قبل في دولة قومية»، فإنه يستوجب على بريطانيا وفرنسا تقسيم كُردستان فيما بينهما. وهذا التقسيم، بحسب إهداء برثلو، سيكون ذا طابع مؤقت، تُمليه ضرورات «الوضع الجغرافي» و«الثروة الطبيعية» للبلاد، حتى يحين الوقت الذي سيتخذ مؤتمر السلام فيه قراره النهائي بشأن المسألة الكُردية. ونصّت خطة برثلو على إقامة هيكلية فدرالية في كُردستان تقع تحت سيطرة بريطانية-فرنسية مشتركة، على ان تكون سلطة السلطان العثماني اسمية، في حين ستُشكّل مجالس محلية منتخبة تحت إشراف فرنسي-بريطاني. والجدير بالإشارة، ان الخطة الفرنسية قد حددت مساحة كُردستان بولاية ديار بكر وجزء من ولايتي بتليس ووان. أما البريطانيون فأوا في الخطة الفرنسية مشروعاً دائماً لتقسيم كُردستان، على عكس ما ادعاه برثلو، إذ يهدف الى منح فرنسا مناطق سيطرة اقتصادية وسياسية واسعة. ولهذا السبب، رفض لورد كورزون الخطة الفرنسية، بحجة عدم إمكانية تنفيذها لدواعٍ سياسية وفنية، من ضمنها معارضة الكُرد لها وصعوبة تعيين حدود لما يتبقى من مناطق كُردستان، باستثناء حدود كُردستان الجنوبية.^{٤٩٩}

على صعيد آخر، كانت فرنسا قلقة جداً من حجم طموحات بريطانيا الإقليمية والسياسية في كُردستان. ونظراً لإحساسها بوجود ميول قوية في أوساط القوميين الكُرد تجاه بريطانيا، شككت فرنسا بأي مشروع ينص على تشكيل كُردستان منفصلة، أي مرتبطة بتركيا أو بالقوى الكبرى. وأصبحت تلك المخاوف الفرنسية واضحة للعيان، حين دعا كورزون الى وضع ما أسماه بـ«خطوط سياسة عامة»، التي تُفترض أن تُرشد كيفية تعامل البريطانيين والفرنسيين مع الشؤون الكُردية لحين يتخذ مؤتمر السلام القادم قراره النهائي الخاص بمصير كُردستان. وتمثلت أهم خطوط تلك السياسة العامة بـ: أولاً، أن لا يكون هناك انتداب بريطاني أو انتداب فرنسي أو انتداب

499 Ibid.

بريطاني - فرنسي مشترك على مستوى كردستان كلها، باستثناء تلك الأجزاء التي وقعت تحت الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا وتحت الانتداب الفرنسي في سوريا. ثانياً، لا ينبغي أن يستمر الحكم التركي في كردستان ((حتى بصيغة اسمية)). ثالثاً، لا يمكن دراسة المسألة الكردية بمعزل عن القضية الأرمنية، وذلك لأن الكرد قادرون لوحدهم على وضع ((ترتيب عملي)) مع الأرمن والآشوريين. رابعاً، ينبغي أن يُترك للكرد قرار إنشاء ((دولة واحدة أو مجموعة من المناطق الصغيرة المرنة في ارتباطها)). خامساً، يُفضل أن لا يكون هناك مستشارون بريطانيون أو فرنسيون في كردستان، على الرغم من منح الكرد ضمانات ضد اي ((عدوان تركي)). وأخيراً، يُستحسن عدم خلق ((مشكلة حدودية)) لميزوبوتاميا في كردستان، تكون شبيهة بتلك التي واجهتها بريطانيا في الهند.⁵⁰⁰

لقد عكست تلك الخطوط العامة جزئياً القيود العسكرية والمالية التي كانت تمنع صناع القرار البريطاني من القبول بانتداب منفصل على كردستان أو تقاسمها مع فرنسا. بتعبير آخر، سعى البريطانيون من وراء هذه الخطوط الى سد الطريق أمام محاولات الفرنسيين في توسيع المناطق الخاضعة لانتدابهم في كردستان. يبدو ان البريطانيين أثاروا مسألة كردستان مستقلة لكي يجبروا الفرنسيين على التخلي عن فكرة إجراء تقسيم واسع النطاق في كردستان بينهم. بالفعل، بسبب تشككهم بدوافع البريطانيين الخفية وراء إقامة كردستان منفصلة، غير الفرنسيين من موقفهم حين أصر بيرثلو على تعديل نص اتفاقية السلام التركية لكي يجعل المتبقي من مناطق كردستان تحت السيادة التركية.⁵⁰¹

في نهاية الأمر، أصبح ترك الشعب الكردي وشأنه ليتدبر مصيره، سواء أراد الانفصال أم البقاء ضمن تركيا الجديدة، الخيار الأمثل بالنسبة الى الحلفاء، خاصة بريطانيا، في ظل الأوضاع الإقليمية والدولية السائدة آنذاك. قام الفرنسيون بفيديو خيار كردستان منفصلة، من جهة، ومن جهة مقابلة، قام البريطانيون بفيديو تجزئة كردستان بينهم وبين فرنسا على نطاق واسع. لقد أصبح ضرورياً أيضاً ان تتراجع بريطانيا عن فكرة تشكيل دولة الحكم الذاتي في كردستان الجنوبية تحت إشرافها لكي

⁵⁰⁰ IDCM, Second Additional Note on the Situation in Kurdistan, 10 January 1920, F0371/4193, PRO.

⁵⁰¹ British Secretary's Note..., London, 20 February 1920, DBFP, Vol. VII, p.159.

لا تطالب فرنسا بإنشاء دولة كُردية مماثلة في كُردستان الشمالية تحت سيطرتها غير المباشرة. وكان كورزون قد أكد هذه النقطة في لقاء لـ (IDCM) المنعقد في ١٣ نيسان (١٩٢٠) حين أشار الى الارتباط الداخلي بين التطورات السياسية في كُردستان الجنوبية وتلك التي كانت تقع في كُردستان الشمالية.^{٥٠٢}

بعد ان فشل الفرنسيون في إقناع البريطانيين بتبني مشروع تقسيم كُردستان بين الطرفين، أصرّوا من اجل حصولهم على تعويضات اقتصادية واقليمية في تلك البلاد. وأوضح برثلو للبريطانيين كيف ان المنطقة الخاضعة لهم في كُردستان ضمت «مصادر معدنية ذات قيمة عظيمة»، أكثر بكثير من تلك التي كانت موجودة في المنطقة الفرنسية في قليقلا.^{٥٠٣} كما سعى الفرنسيون الى الحصول على ضمانات بريطانية تضمن مصالحهم الاقتصادية بعد تسوية المسألة الكُردية. وأصبح هذا المطلب لاحقاً شرط الفرنسيين الرئيس لقبول مسودة البنود المتعلقة بتلك التسوية.^{٥٠٤}

شكل تطور العلاقات البريطانية- الفرنسية المذكورة وما طرأ عليها من حالة مد وجزر خلفية لبنود معاهدة سيفر، التي أرضت طموحات الفرنسيين الاقتصادية، وذلك من خلال الاعتراف بمصالحهم الخاصة في تلك المناطق الكُردية الممتدة من أناضوليا حتى كُردستان الجنوبية، ومن ارمينيا حتى سوريا (أنظر الخارطة رقم ١٨). كما سعى الفرنسيون أيضاً الى إخضاع مناطق كُردية جديدة لسيطرتهم، علاوة على جزيرة ابن عمر. وكان برثلو قد أثار بصورة متأخرة قضية حدود كُردستان أثناء التسوية السلمية للإمبراطورية العثمانية، حين إنتقد قرار البريطانيين في تثبيتها الى الشرق من نهر الفرات.^{٥٠٥} ومثلت تلك إشارة واضحة أطلقها برثلو حول رغبة فرنسا في توسيع سيطرتها لتشمل بعض المناطق الكُردية الواقعة في الاتجاه المذكور. وفي نهاية المطاف، أرضت اتفاقية بريطانية- فرنسية ثنائية عُقدت في أثناء كونفرانس سان ريمو الحد الأدنى من طموحات فرنسا الإقليمية. كما إن معاهدة سيفر وخلال وضعها اللمسات الأخيرة على مشروع تجزئة كُردستان العثمانية، منحت فرنسا أورفا وماردين ونصيبين.

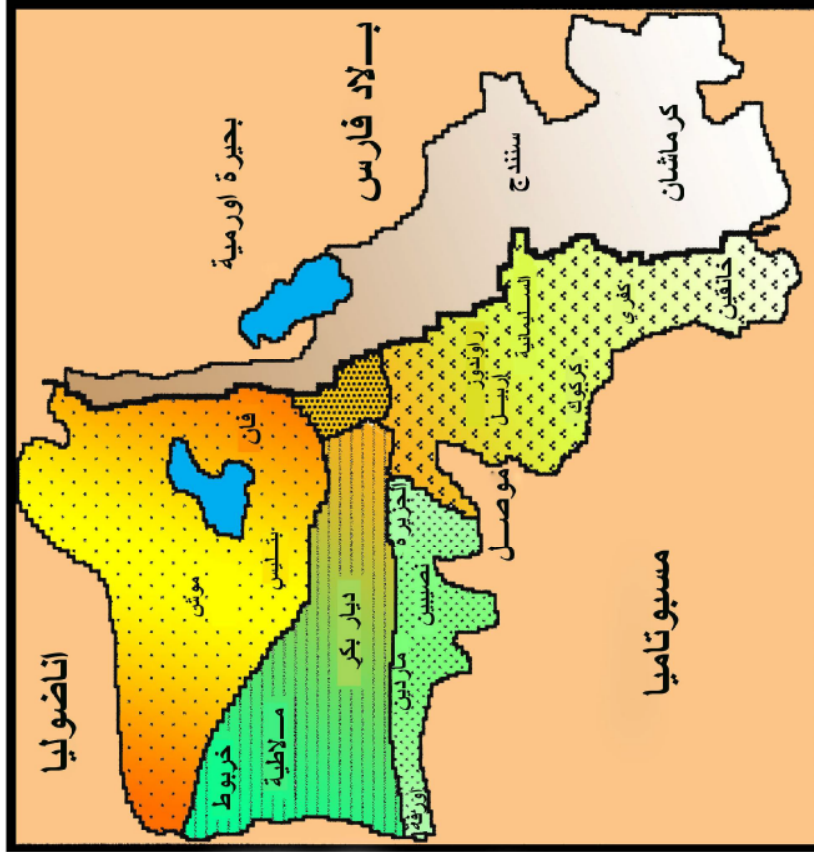
⁵⁰² IDCM, Minute No.37 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

⁵⁰³ British Secretary Note..., London, 26 February 1920, DBFP, Vol. VII, p.258.






⁵⁰⁴ British Secretary's Note..., San Remo, 21 & 23 April 1920, DBFP, Vol. VIII, pp.77 & 133.

⁵⁰⁵ British Secretary's Note..., San Remo, 21 April 1920, DBFP, Vol. VIII: No. 8, p.77.

مسيوتاميا



الخارطة (18): تقسيم كردسان العثمانية بحسب بنود معاهدة سيفر (1920)

-  المناطق الداخلة ضمن مشروع الرئيس ويلسون حول دولة ارمينيا
-  المناطق الكردية ذات الحكم الذاتي التي اقرت ضمن منظمة المصالح الفرنسية الخاصة
-  المناطق الكردية الخاضعة لانتداب الفرنسي في سوريا
-  المناطق الكردية الخاضعة لانتداب البريطاني في مسيوتاميا
-  مناطق كردية من المتوقع الحاقها بالبرن

Source: Treaty Of Peace With Turkey, No.s 11 & 12, 10 August 1920, Treaty Series, Cmd 963 & 964 (HMSO)

وفي سبيل تجنب وقوع حالة تنافس داخلية بين حلفاء الأُمس حول كُردستان، سواءً أكانت تلك المنافسة ذات طبيعة اقتصادية أم طبيعة سياسية، توصلت الأطراف المعنية (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا) في ٢٣ نيسان (١٩٢٠) الى اتفاقية ثلاثية، نصّت على الآتي:^{٥٠٦}

في حالة وجود حكومة إمبراطورية عثمانية أو في وجود ظروف نص عليها المقطع ٣ من المقدمة، وفي حالة ان تكون الحكومة الكُردية راغبة في الحصول على مساعدة خارجية في الإدارة المحلية أو حماية مناطق تم الاعتراف بوجود مصالح خاصة فيها تعود لبريطانيا وفرنسا وإيطاليا، فان القوى المتعاقدة لن تتنازع حول دعوة التفضيل لقوة ما، حيث تم الاعتراف بمصالحها الخاصة في تلك المناطق، في تقديم مثل تلك المساعدة. وهذه المساعدة ستوجه بشكل خاص نحو تعزيز الحماية المُقدمة الى الاقليات العرقية أو الدينية أو اللغوية في مثل تلك المناطق.^{٥٠٧}

ويتبين من دراسة كيفية تطور العلاقات بين الحلفاء في حقبة ما بعد معاهدة سيفر انه على الرغم من عقد اتفاقيات تهدف الى التوفيق بين مصالحهما الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية المتنوعة، لم يتوقف الحليفان السابقان، فرنسا وبريطانيا، عن بذل مساعي حثيثة من أجل إضعاف موقف الطرف الآخر في كُردستان. واشتدّ وطيس تلك المنافسة، حين أجبرت القوى القومية الكمالية الفرنسيين على التخلي عن نحو نصف غنائمهم الإقليمية في كُردستان لصالح تركيا الجديدة. وهذا التطور فسّرهُ العديد من الموظفين المدنيين والمسؤولين العسكريين البريطانيين في بغداد على انه محاولة فرنسية مُتعمدة ستحث الكماليين الأتراك على شن حملة عسكرية لغزو كُردستان الجنوبية.

المطامح الإقليمية الإيرانية وسياسة بريطانيا الكُردية

لقد وضعت ثورة أكتوبر في العام ١٩١٧ نهاية لعقدٍ من التفاهم والوفاق بين روسيا وبريطانيا حول شؤون إيران الداخلية، وأشعلت، في الوقت نفسه، نيران المنافسة

⁵⁰⁶ هذه الاتفاقية معاهدة سيفر تم التوقيع عليها معاً من قبل تركيا والحلفاء في مدينة باريس في ١٠ آب (١٩٢٠).

⁵⁰⁷ DBFP, Vol. VIII: Appendix A, to No.13, Draft of Tripartite Agreement, 23 April ١٩٢٠, DBFP, Vol. VIII, pp.141.

القديمة بينهما. واتخذت تلك المنافسة الجديدة- القديمة بُعداً أيديولوجياً إضافياً تمثل بالصراع بين الشيوعية والرأسمالية. ومنذ العام ١٩١٩ فلاحقاً، بدأت سياسة بريطانيا تجاه إيران تُصاب بنكسات جديّة عدّة. ففي شهر أيار من العام ١٩٢٠، قام الجيش الأحمر الروسي باحتلال شمال إيران، وبمساعدة كوادره البلشفية، أسس القوميون الإيرانيون جمهورية كيلان السوفيتية. وجنباً الى جنب الانتفاضة الكرديّة المستعرة في كردستان الشرقية، ظهرت حركات قومية جديدة أخرى، شكلت تهديداً جدياً لوحدة إيران الإقليمية. وظهرت واحدة من تلك الحركات القومية في إقليم أذربايجان الإيرانية، التي تميّزت بمعاداتها للمصالح البريطانية، بالقدر نفسه الذي كانت تعادي فيه السلطات المركزيّة القاجارية.^{٥٠٨} ومثلت تلك المخاطر الخارجية والتهديدات الداخلية ناقوس خطر بالنسبة للبريطانيين، الذين ارتبطت مصالحهم الامبريالية الإستراتيجية بقوة بوحدة إيران الإقليمية. ووصف كورزون، في إحدى المرّات، مهمة بريطانيا في إيران بدور المساعد على تعزيز وحدتها الإقليمية لكي ((لا تُترك لوحدها وتتفسخ بفعل التآكل)).^{٥٠٩} بتعبير آخر، كان احتواء التهديدات الداخلية والتصدي للمخاطر الخارجية وتوطيد وحدة إيران الإقليمية وتعزيز سلطة الحكومة المركزيّة فيها السبيل الوحيد لأجل تعزيز أمن الموقف البريطاني في الهند وفي منطقة الخليج وميزوبوتاميا.^{٥١٠} وما كانت معارضة بريطانيا لانفصال كردستان الشرقية سوى تعبير عن مخاوفها من انحلال المملكة القاجارية.

ان التعقيدات التي تخللت قضايا منطقة الشرق الأوسط في تلك الحقبة التاريخية لم تُسببها التناقضات والتقاطعات في مصالح القوى الكبرى الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية فحسب، بل أيضاً الإدعاءات الإقليمية التي قدمها ممثلو القوميات الجديدة، فضلاً عن الحكومات المركزيّة ذات النزعة التوسعية في تلك المنطقة، في مقدمتها الحكومة القاجارية في إيران، بالرغم من انها واجهت خطر الانحلال سياسياً وإقليمياً. وتضمنت ادعاءات الحكومة القاجارية الإقليمية إلحاق مناطق شاسعة بإيران تعود أغلبها الى الإمبراطورية العثمانية وروسيا القيصرية، بحجة تعويضها عن

⁵⁰⁸ Nasrollah Saifpour Fatemi, *Diplomatic History of Persia, 1917-1523: Anglo-Russia Politics in Iran* (New York: Russell F. Moore, 1952-), pp-144-254.

⁵⁰⁹ Ibid.

⁵¹⁰ Curzon, Memorandum on'the Persian agreement, 9 August 1919, DBFP, Vol. IV: No.710, p.1121.

الأضرار التي تكبدها الإيرانيون نتيجة العمليات العسكرية التي قامت بها الجيوش الروسية والعثمانية خلال الحرب العالمية الأولى.^{٥١١} ورغبت الحكومة القاجارية، من وراء تقديم المساعدة الى بريطانيا وحليفها أمريكا، في الحصول على مقعد أساس في مؤتمر باريس للسلام، لكي تستغله من أجل إقناع قوى الحلفاء بإجراء تعديلات إقليمية جذرية لصالح إيران على حدودها الغربية والشمالية والشرقية المشتركة مع تركيا وروسيا.^{٥١٢} وبقدر ما يتعلق الأمر بكُردستان، طالب شاه إيران توحيد جزئها العثماني مع جزئها القاجاري تحت حكمه المباشر.^{٥١٣} ومن اللافت للنظر ان يُقدم القوميون الإيرانيون المعارضون لحكم الشاه ادعاءات إقليمية مشابهة لتلك التي تقدمت بها الحكومة المركزية القاجارية. وفي حين أظهر البريطانيون رفضهم لمشاركة إيران رسمياً في جلسات مؤتمر باريس للسلام أو دعم ادعاءات حُكامها الإقليمية ((السخيفة))، على حد تعبير لورد كورزون، فانهم أبدوا الاستعداد لإجراء تعديل لحدود إيران الغربية المشتركة مع الدولة العثمانية في كُردستان.^{٥١٤}

لقد كانت مشكلة تعيين الحدود الإيرانية- العثمانية في المناطق الكُردية قديمة في جذورها، إذ ترجع الى ١٥١٤-١٥١٥، أي حين ألحقت القوات العثمانية هزيمة ساحقة بنظيرتها الصفوية في معركة جالديران الشهيرة (١٥١٤- ١٥١٥)، وهو الأمر الذي مكن السلطان العثماني من بسط نفوذه على الجزء الأعظم من كُردستان. وفي عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى، كانت تلك المشكلة الحدودية قد خضعت لدراسة لجنة دولية، ضمت ممثلين عن بريطانيا وروسيا القيصرية. ومنع اندلاع الحرب المذكورة تطبيق توصيات تلك اللجنة الدولية الخاصة بإجراء تعديلات طفيفة على الحدود العثمانية- الإيرانية المشتركة. وفي أعقاب انتهاء الحرب، وبسبب حرصهم على أمن موقفهم في كُردستان الجنوبية وإيران، أبدى البريطانيون الاهتمام بوضعية تلك الحدود لعدم استقرارها، والخارجة عملياً عن سيطرة كلتا الدولتين العثمانية والقاجارية. وفي سعيه لوضع حلٍ جذري لحالة عدم الاستقرار القائمة في أورمية في كُردستان الشرقية، حيث

⁵¹¹ Ishtiaq Ahmad, *Anglo-Iranian Relations, 1905-1919*, (Bombay: Asia Publishing House, 1974), pp.314-318.

⁵¹² Curzon to Cox, Tehran, 28 November 1919, DBFP, Vol. IV, pp.1245-9.

⁵¹³ Curzon to Earl of Derby, Paris, 25 October 1919, DBFP, Vol. IV, p.1214.

⁵¹⁴ Curzon to the Persian Minister for Foreign Affairs, 19 December 1919 & 5 January 1920, DBFP, Vol. IV, pp.1273-4.

تواجدت جماعات مسيحية موالية لقوى الحلفاء، دعا مارك سايكس الى عدم فصل تلك المنطقة عن إيران، وأشار الى ضرورة:

تحويل كُردستان التركية الى السيادة الفارسية، شريطة ان تتوحد مقاطعة اورمية معها إدارياً وان تصبح جميعها ولاية تتمتع إدارياً بحكم ذاتي بمساعدة خارجية. وهذا (الحل) سيضمن أ- إعادة بناء اورمية بشكل مؤثر ب- توحيد النساطرة على جانبي الحدود ج- تلبية الادعاءات الفارسية القديمة حول الحدود التركية-الفارسية... د- حماية موقفنا الاستراتيجي في ميزوبوتاميا.^{٥٥}

ولكن هذا الحل الجذري لم يكن مُمكناً من الناحية العملية، وذلك بسبب قوة النشاطات المُسلحة الكُردية على جانبي الحدود العثمانية- القاجارية القديمة وكذلك عدم إبداء الحكومة البريطانية استعداداً يُذكر لأن تُلزم نفسها بهذا الأمر، سواءً أكان بصيغة سياسية أم بصيغة عسكرية. ولكن الحكومة البريطانية أبدت اهتمامها بأحد جوانب أسلوب تعامل سايكس مع الوضع القائم آنذاك المتمثل بمسألة ربط قضية الأتوريين والأقليات المسيحية الأخرى مع تعديل الحدود العثمانية- القاجارية في كُردستان.

وفي أعقاب ترك العديد من الأتوريين وبقية المسيحيين الأراضي الإيرانية خلال الحرب العالمية الأولى ودخولهم الى ميزوبوتاميا، أقدمت السلطات العسكرية البريطانية على طرح مقترح ينص على إعادة توطين اللاجئيين في قرى كُردستان الجنوبية بعد أن يُزال منها سكانها الكُرد المسلمون، بذريعة قيامهم بنشاطات معادية للوجود البريطاني. ولم ينل المقترح المذكور قبولاً لدى المسؤولين البريطانيين بسبب تكاليفه المالية وإمكانية تعقيده للوضع المتأزم أصلاً في المناطق الكُردية. وفي أوائل العام ١٩٢٠، اقترح ويلسون حلاً آخرًا لمشكلة اللاجئيين المسيحيين القادمين من إيران، الذين بدءوا يشكلون عبئاً مالياً ثقيلاً على إدارته في ميزوبوتاميا، على حد إبداءاته، الذي نصّ على إعادة تسفيرهم الى منطقة تقع في كُردستان العثمانية وقريبة من الحدود الإيرانية، ومن ثمّ قيام الحكومة القاجارية بتعديل الحدود لصالح الدولة الإيرانية من أجل بسط سيطرتها السياسية والإدارية على تلك المنطقة. فبهذه الطريقة، رأى ويلسون أنّ اللاجئيين المسيحيين لن يقفوا تحت رحمة الحكام الأتراك، وكذلك سيكفون عن أن يكونوا عبئاً مالياً على الإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا.^{٥٦}

⁵¹⁵ Toynbee, Foreign office Minute No. 174037, 22 November 1918, F0371/3407, PRO.

⁵¹⁶ IDCM , Minute No.37 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

ونالت تصورات ويلسون تلك مساندة وزارة الهند ووزارة الخارجية البريطانية، إذ صرح لورد كورزون ان البريطانيين كانوا ((قلقين)) بشأن خطة إعادة تسفير اللاجئين المسيحيين، ولهذا كانوا يبحثون عن وسيلة ملائمة لتنفيذها بحيث لا تخلق تعقيدات سياسية جديدة. ولكن كورزون رأى ضرورة توصل الحكومة القاجارية الى تفاهم مع الكُرد بشأن تعديل الحدود في كُردستان، ولربما لأنه رأى، بأنهم معنيون أكثر من غيرهم بهذا الأمر ولربما عكست أيضاً رغبته في تجاهل الأتراك ومعارضتهم لفكرة تعديل تلك الحدود لصالح إيران. تلك كانت خلفية إحدى بنود معاهدة سيفر، التي اشترطت على السلطات القاجارية القيام بمفاوضات مباشرة مع الكُرد، وليس مع الأتراك، بهدف ضمان تعديل الحدود الإيرانية- العثمانية لصالحها. والأمر اللافت للنظر في بنود سيفر المتعلقة بتعيين الحدود الجنوبية لدولة أرمينيا الجديدة في إنها نصّت على دخول الأرمن في مفاوضات مع الأتراك، لا مع الكُرد، بالرغم من ان تلك الحدود ستكون مشتركة مع كيان الحكم الذاتي الكُردى، التي أكدت تلك المعاهدة على قيامه. وفي الوقت نفسه، منحت ادعاءات إيران الإقليمية في كُردستان العثمانية البريطانيين فرصة لتحقيق أهداف عدّة. فطبقاً للبند ٦٢ من معاهدة سيفر:

ستضمن خطة (الحكم الذاتي) تحصينات كاملة لحماية الكلدو- آثوريين والأقليات العرقية والدينية الأخرى ضمن تلك المنطقة، ولهذا الغرض ستزورها لجنة مؤلفة من ممثلين بريطانيين وفرنسيين وإيطاليين وفرنس وكُرد لدراسة أية تعديلات ضرورية وإقرارها، التي يُمكن تنفيذها بحسب فقرات المعاهدة الحالية في الحدود التركية الموازية لحدود بلاد فارس.

كان للبند ٦٢، في حالة تطبيقه، تداعيات عميقة التأثير سياسياً واستراتيجياً بقدر ما يتعلق الأمر ببريطانيا وإيران. أولاً، فهي ستُطيل الخلافات حول الحدود التركية- الإيرانية، والذي يعني إمكانية التصدي لأي مسعى قد يقوم به الكماليون الأتراك لتشكيل حركة ذات نزعة إسلامية معادية لبريطانيا. والجدير بالإشارة، أنه بالرغم من قوة نزعتهم الطورانية الشوفينية، واصل الأتراك الكماليون، وعلى غرار الأتراك العثمانيين، استغلال المشاعر الإسلامية وبطرق ملتوية في تعبئة الجماعات المسلمة من أصول أثنية ولغوية متنوعة ضد الهيمنة الغربية. فوق ذلك، تلاقحت مساعي الكماليين وتزامنت مع تلك التي كان يقوم بها البلشفيون الروس، الذين شنوا حملة

دعائية كبيرة ضد البريطانيين بين قوميات الشرق المسلمة. وقد أثارت الدعاية ذات النزعة الإسلامية والمعادية لبريطانيا في إيران القلق الشديد في صفوف المسؤولين البريطانيين في لندن والموظفين البريطانيين العاملين ميدانياً.^{٥١٧} ثانياً، ان تعديل الحدود لصالح إيران، التي رغبت بريطانيا في إجرائه، كان من شأنه أن يحث الحكومة القاجارية على بسط سلطتها بطريقة مؤثرة على تلك المناطق التي كانت مسرحاً لنشاطات المتمردين الكرد. تلك النشاطات التي شكلت تهديداً لوحدة إيران الإقليمية.^{٥١٨}

ثالثاً، من الناحية الأخلاقية، وجدت بريطانيا نفسها غير قادرة على التهرب من مسؤولياتها تجاه الجماعات المسيحية المحلية التي ساندتها وحلفائها في الحرب ضد الدولة العثمانية. مع ذلك، أراد البريطانيون حل المشكلة الأثرورية بأقل التكاليف الممكنة،^{٥١٩} أي من دون تقديم التزامات سياسية. رأى كورزون، وعلى غرار السلطات البريطانية في بغداد، في تعديل الحدود العثمانية-القاجارية حلاً عملياً. ويُذكر انه أشار مراراً الى الأتوريين بوصفهم عبئاً مالياً ثقيلاً على الإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا. وأخيراً، ان بناء مستوطنة أثرورية وتوسيع سلطة القاجاريين بحيث تضم مناطق كردية متمردة كان من شأنه ان يخلق حزاماً إقليمياً مستقراً قرب الحدود الشمالية لمناطق خاضعة للسيطرة البريطانية في كردستان الجنوبية. بتعبير أدق، سيؤدي تعديل تلك الحدود الدولية الى تقوية خطوط الدفاعات الإستراتيجية البريطانية، واختزالها في مواجهة الهجمات التركية أو البلشفية المستقبلية، التي قد تُشن عبر كردستان. ويتبين من النقاط المشار إليها آنفاً، ان استعداد بريطانيا لدعم ادعاءات إيران الإقليمية في كردستان، لم يكن أمراً عرضياً، وإنما جاء ضمن حسابات مدروسة.

خاتمة الفصل

ان الدبلوماسية البريطانية في المحافل الدولية وسياستها الميدانية قد أثرتا بشكل واسع في تطور المسألة الكردية وأسلوب تسويتها سياسياً في كونفرانس سان ريمو (١٩٢٠). فحين انتهت الحرب العالمية الأولى، فرض البريطانيون سيطرتهم على

⁵¹⁷ Commander Luke to Admiral Webb, 25 December 1919, Enclosure 1, DBFP, Vol. IV, pp-1001-1003. & Ryan, Memorandum, Constantinople, 29 December 1919, Enclosure 2 in No.647, DBFP, Vol. IV, pp.1003-1005

⁵¹⁸ Curzon to the Persian Minister for Foreign Affairs, 5 January 1920, DBFP, Vol. IV, p.1248.

⁵¹⁹ British Secretary's Note..., San Remo, 19 April 1920, DBFP, Vol. VIII, p.44.

مناطق تركية حيوية عدة، منها البوسفور واسطنبول. كما كانت القوات البريطانية ونظيراتها الفرنسية والايطالية واليونانية قد فرضت سيطرتها المباشرة وغير المباشرة على أغلب الأقاليم العثمانية، التركية منها وغير التركية. فضلاً عن ذلك، تمركزت قوات بريطانية في جنوب إيران وشمالها. وفي إثناء تلك التطورات، كان الجيش العثماني يمر في مرحلة الانحلال السريع، والأمر نفسه يسري على الجيش القاجاري، بالرغم من عدم اشتراكه في الحرب. ان الوهن الذي أصاب سلطة الحكومتين المركزيتين في اسطنبول وطهران كان كبيراً الى الحد الذي خرجت فيه الأقاليم البعيدة عن سيطرة المركز، خاصة في كردستان. ففي أجزاء كردستان المختلفة، انشغل القوميون الكرد، الذين ظهروا في الميدان لملئ الفراغ السياسي الناشئ، في نشاطات سياسية وعسكرية مختلفة بهدف تحقيق تطلعاتهم القومية. هكذا كانت طبيعة الأوضاع، حين أصبحت بريطانيا في موقف قوي يُمكنها من إقامة دولة كردية، إذا ما رغبت في ذلك. ولسوء حظ القوميون الكرد، لم يتطلب تأمين المصالح البريطانية الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية إقامة مثل تلك الدولة - القومية خلال الأعوام ١٩١٨-١٩٢٠. وعدم تلاقي المصالح البريطانية مع التطلعات القومية الكردية هو الذي يُمكن ان يُفسر الى حد كبير لماذا لم يحصل الكرد على دولة خاصة بهم في أعقاب انهيار الإمبراطورية العثمانية، ولماذا أيضاً تعرضت كردستان العثمانية الى تقسيم استعماري اعتباطي لا يراعي العوامل الأثنية والجغرافية والتاريخية. وكما يؤكد قاسم، فإن الجانب الايجابي الوحيد في معاهدة سيفر، قد تمثل، من وجهة النظر الكردية، في إشارتها الى حقوق الشعب الكردي، الذي جاء ضمن وثيقة دولية لأول مرة.^{٥٢٠}

ان المسح المذكور آنفاً لتطور سياسة بريطانيا تجاه المسألة الكردية وتبلور أهدافها المتنوعة في كردستان في أعقاب الحرب العالمية الأولى يبرز نقطتين أساسيتين: أولاً، كانت دفعت الحاجة الملحة ببريطانيا الى تشخيص شكل مصالحها وتعيين حدود نفوذها وطرق سيطرتها السياسية في كردستان. وخضعت كل تلك الأمور، فضلاً عن الوضع السياسي الداخلي، الى شروط ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإمكانات بريطانيا العسكرية والمالية، التي تقلصت الى حد كبير، نتيجة لإطالة زمن الحرب وتكاليفها الباهظة. وكانت من إفرزات تلك الأوضاع أن يمنح صنّاع القرار في لندن أولوية خاصة

⁵²⁰ Ghassemloo, Kurdistan and the Kurds, p.42.

الى مسألة تعزيز موقف بريطانيا الاستراتيجي في ميزوبوتاميا، الذي كان الأقرب جغرافياً الى منطقة الخليج ذات الأهمية البالغة. وهذا الأمر أثر بشكل كبير في طريقة تعامل بريطانيا مع أوضاع كردستان الجنوبية إذ كان إخضاع هذا الإقليم الى الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا واحدة من تداعياتها المهمة. ان سلخ الجزء الجنوبي عنها كان بمثابة تقسيم الأمر الواقع لكردستان العثمانية، حتى قبل ان يسري مفعول قرارات مؤتمر السلام بشأن التسوية السلمية للمسألة الكردية. ثانياً، تعاملت بريطانيا مع تسوية المسألة الكردية على صعيدين مختلفين، الأول إقليمي، والثاني دولي. فتجدد منافستها الامبريالية مع فرنسا وتزايد التهديد البلشفي لمصالحها والغموض المحيط بمستقبل تركيا وارمينيا، واهتمامها بوحدة إيران الإقليمية قد أثرت و بدرجات متفاوتة في موقف بريطانيا تجاه المسألة الكردية، ومن ثم في طريقة صياغة بنود معاهدة سيفر المتعلقة بمستقبل كردستان.

الفصل السادس

كردستان الجنوبية تمت الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا: من الانفصال الى الاندماج، خريف ١٩٢٠-خريف ١٩٢٣

في نهاية العام ١٩٢٠، تولدت قناعة بضرورة تفكيك نظام الإشراف المتداخل على قضايا منطقة الشرق الأوسط، الذي كان مُوزعاً ما بين عدة دوائر رسمية رئيسية، في مقدمتها وزارة الخارجية ووزارة الهند ووزارة الحرب. وعكس هذا التوجه الجديد والحاجة الملحة الى التغيير (١) فشل نظام السيطرة من الناحيتين السياسية والإدارية في مناطق خضعت تَوّاً للانتداب البريطاني، كميزوبوتاميا، التي شهدت في منتصف العام ١٩٢٠ اندلاع سلسلة انتفاضات محلية دموية، و(٢) التكاليف المالية الباهظة لإدارة تلك المناطق والدفاع عنها. وركّزت الصحف البريطانية على هذين العاملين في الانتقادات التي وجهتها الى السياسة البريطانية السارية. وسرعان ما أخذت تلك الانتقادات طريقها الى مناقشات البرلمان البريطاني، حيث قام عدد من النواب بتوجيه انتقادات الى السياسة البريطانية المتبعة في ميزوبوتاميا. وهذه المناقشات البرلمانية مثّلت، بحسب تعبير كليمان، ((المحفز الأخير)) للتغيير في عملية صنع القرار وفي وجهة السياسة البريطانية.^{٥٢١} وفي نهاية الأمر، قررت الحكومة البريطانية المُصعّرة ان تعهد الى وزارة المستعمرات، عبر دائرة الشرق الأوسط المُشكّلة حديثاً، المسؤوليات المتعلقة بصنع القرار والإدارة والإنفاق المدني والعسكري.^{٥٢٢} وكان محور تلك التغييرات الجديدة تثبيت دعائم نظام السيطرة غير المباشرة القائم على تشكيل إدارة أهلية في ميزوبوتاميا بإشراف بريطاني لتحل محل الإدارة الاستعمارية السافرة، بهدف وضع حد للأعباء المالية الهائلة على الخزينة البريطانية.

ان التغيير الحاصل في عملية صنع القرار ووجهة السياسة البريطانية، بقدر ما يتعلق الأمر بمنطقة الشرق الأوسط، صاحبه تأثيرات عميقة ومباشرة في مستقبل كردستان الجنوبية. يُركز هذا الفصل أساساً وفي تحليلاته على دور برسي كوكس،

⁵²¹ Klieman, *Foundations of British Policy in the Arab World*, pp.84-85 & 87.

⁵²² Recommendations of the Prime Minister's Interdepartmental Committee, C.P.2545, 7 February 1921, CAB21/186, PRO.

بوصفه المفوض السامي الجديد لميزوبوتاميا، ووينستون تشرشل، بوصفه وزير المستعمرات الجديد، اللذين ارتبط بهما وبشكل مباشر وصريح خياران متناقضان، وهما خيار الاندماج وخيار الانفصال بحسب الترتيب، المتعلقان بطبيعة العلاقة المثلى والعملية بين كُردستان الجنوبية والدولة العربية الجديدة المُزمع إنشاؤها في ميزوبوتاميا العربية. ان الجانب الجوهري في أسلوب تعامل تلك الشخصيتين البارزتين والمؤثرتين الى أبعد الحدود هو الوصول الى معادلة سياسية جديدة يتم من خلالها تحقيق هدفين مهمين: تمثّل الهدف الأول بدعم الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا العربية وكُردستان الجنوبية على المدى الطويل، وتجسد الهدف الثاني في احتواء تهديدات القوى الكمالية ضد أمن ميزوبوتاميا، في وقت كانت حكومة لندن تميل بقوة الى خيار سحب الحماية الامبريالية منها.

ظهور بديلين في السياسة البريطانية خلال كونفرانس القاهرة: كيانان منفصلان في مواجهة دولة أحادية

أفتتح كونفرانس القاهرة في ١٢ آذار من العام ١٩٢١ واستمرت جلساته حتى نهاية الشهر نفسه. وحضر تلك الجلسات نحو ٤٠ خبيراً مدنياً وعسكرياً في شؤون الشرق الأوسط. وتم تقسيم المشاركين الى مجموعتين من أجل إدارة أجندة الكونفرانس: الأولى كانت للجنة السياسية والثانية للجنة العسكرية والمالية. وناقشت اللجنة السياسية، التي ترأسها وينستون تشرشل، ثلاث قضايا مترابطة، وهي (١) مستقبل ميزوبوتاميا السياسي و(٢) خفض مباشر وسريع للالتزامات العسكرية البريطانية و(٣) مستقبل علاقة بريطانيا بميزوبوتاميا في ظل نظام الانتداب الجديد.

وفي خضم المناقشات الدائرة حول تلك القضايا الحساسة طرحت مسألة مستقبل كُردستان الجنوبية السياسي نفسها على بساط البحث خلال الجلسة الأخيرة للجنة السياسية. ومنذ البدء، انقسم أعضاء تلك اللجنة الى فريقين متميزين، قدام خيارين متضادين تماماً بشأن كيفية حسم مستقبل كُردستان الجنوبية. فمن جانب، تعامل كوكس، وبدعم من سكرتيرته الشرقية، غرتروود بيل، مع مسألة مستقبل كُردستان الجنوبية من وجهة نظر عربية. ففي معرض تأييده للإدعاءات الإقليمية التي أطلقها أعضاء الأسرة الشريفة وأتباعهم من سنة عرب ميزوبوتاميا، أدعى كوكس ان كُردستان الجنوبية مثلت جزءاً لا يتجزأ من العراق وإن الكرد الجنوبيين على علم

بارتباطهم اقتصادياً بالعراق. فضلاً عن السليمانية، أدعى كوكس ومس بيل أن جميع الكُرد الجنوبيين راغبون في الانضمام الى العراق في حالة قيامه كدولة حديثة. ولتعزيز وجهة نظره بهذا الشأن، زعم كوكس ان الدخّل المتأتي من المناطق الكُردية ليس بالمستوى الكافي لتغطية نفقات إدارتها.⁵²³ والجدير بالإشارة انه قبل انعقاد كونفرانس القاهرة كان كوكس قد أبدى معارضته الصريحة لفكرة قيام حكومة أهلية كُردية حين اقترح منتيجيو تعيين حاكم كُردى على كُردستان الجنوبية.⁵²⁴

إن ادعاء كوكس ومس بيل بقبول الكُرد الجنوبيين بالخضوع الى حُكم عربي، وإن كُردستان الجنوبية لا يُمكن لها ان تُدعم أو تُعيل نفسها اقتصادياً تناقض بشكل صارخ مع المعلومات، التي كان وفرها الكولونيل ويلسون والميجر نوئيل. فبالرغم من الاختلاف الواضح في وجهات نظر تلك الشخصيتين بشأن كيفية إدارة الشؤون الكُردية، كان ويلسون ونوئيل متفقين من حيث المبدأ على أن الكُرد الجنوبيين يرفضون جميعاً فكرة الخضوع الى حكم عربي غريب عنهم. فضلاً عن ذلك، كان ويلسون يُشير دوماً، في مَعْرَضُ تبرير المساعي التي كان يبذلها من أجل دمج المناطق الكُردية في الإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا العربية، الى ثراء كُردستان الجنوبية الاقتصادي، بالمقارنة مع المناطق العربية الى الجنوب منها. وأعتاد ويلسون في أن يؤكد ثراء المناطق الكُردية من خلال إشارته المتكررة الى وجود فائض في إنتاج القمح والخشب والفاكهة والتبغ، والأهم من كل ذلك، وجود ثروة نفطية كاملة. وفي حقيقة الأمر، وكما تُبين التقارير الإدارية البريطانية للمقاطعات الكُردية، أن كُردستان الجنوبية، وعلى النقيض من ميزوبوتاميا العربية، لم تُشكل عبئاً مالياً ثقيلًا على الخزينة البريطانية. والجدير بالذكر أن معظم النفقات البريطانية قد تركّزت في بناء سلك حديدية وطرق برية وسدود وجسور وتسهيلات أخرى داخل المناطق العربية، وليس داخل المناطق الكُردية.

بالمقارنة مع تصوّرات كوكس ومس بيل، دعا هيوبرت يونغ، بوصفه الآن السكرتير المُساعد في دائرة الشرق الأوسط الحديثة التشكيل، الى جعل كُردستان الجنوبية فوراً دولة منفصلة، وذلك لكي تؤدي مُهمّة الحاجز الإستراتيجي بوجه أية

523 Report on Middle East Conference Held in Cairo and Jerusalem, 12-30 March 1921, F0371/6343, PRO.

524 S/S for India to High Commissioner, Baghdad, 27 October 1920 & High Commissioner, Mesopotamia, 17 November 1920, F0371/5069, PRO.

تهديدات كمالية مُحتملة ضد دولة العراق الجديدة. ولم تنل تصورات يانغ تأييد الميجر نوئيل، الذي حضر الى الكونغرانس بوصفه الخبير الوحيد في الشؤون الكُردية، فحسب، بل أيضاً مساندة تشرتشل القوية. فالأخير لم يُخفِ خشيته من تجاهل المشاعر الكُردية واضطهاد الأقلية الكُردية من حاكم شريفى مدعوم بجيش عربي.^{٥٢٥} وعلى غرار نوئيل، لم يرغب تشرتشل في رؤية دولة عربية قوية قد تُشجع الأمير فيصل على إضعاف السيطرة البريطانية على ميزوبوتاميا.

وحين أنهى الكونغرانس أعماله، أصبح واضحاً أن أربعة من أصل سبعة من المسؤولين البريطانيين، الذين شاركوا في مناقشات اللجنة السياسية، قاموا بتأييد خيار إقامة كُردستان جنوبية منفصلة غير خاضعة لحكم عربي. وتألقت تلك الشخصيات الأربعة من تشرتشل ويانغ ونوئيل وتي إي لورنس. ويُذكر أن الأخير قد شارك في الكونغرانس بوصفه المستشار السياسي لدائرة الشرق الأوسط في وزارة المستعمرات. وبالمقارنة مع الشخصيات الأربعة الأنفة الذكر، دافع اثنان فقط، هما كوكس ومس بيل، عن خيار إلحاق كُردستان الجنوبية فوراً بالكيان العربي تحت زعامة أحد أمراء الأسرة الشرفية. وكان الميجر آر دي بابكوك، سكرتير اللجنة السياسية، العضو الوحيد الذي لم يصوت لصالح اي من الخيارين أو يعبر عن رأيه بخصوص مستقبل كُردستان الجنوبية. وبهذه الطريقة، حين أنهى كونفرانس القاهرة أعماله، لم يتخلّ البريطانيون عن فكرة قيام كُردستان جنوبية منفصلة. فعلى النقيض من استنتاج مكحول،^{٥٢٦} رفض الكونغرانس المذكور تماماً فكرة إلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي، إلا في حالة مطالبة سُكانها الكُرد بذلك.

وضع كونفرانس القاهرة مبدأً صريحاً لا لبس فيه نصّ على عدم إجبار إقليم كُردستان الجنوبية على الانضمام الى الدولة العراقية المزمع إنشائها في ميزوبوتاميا العربية (ولايتي بغداد والبصرة). والأهم من ذلك، قرر الكونغرانس الإبقاء على كُردستان الجنوبية كبلدٍ منفصل، لكي يؤدي دور الحاجز الإستراتيجي لحماية الدولة العراقية لحين أن يُقرر الكُرد الجنوبيون أو ممثلوهم مستقبله السياسي. وعلى ضوء مقررات كونفرانس القاهرة، أثار تشرتشل سؤالاً مهماً يتعلق بوجود الحاجة أو عدمها

⁵²⁵ Report on Middle East Conference Held in Cairo and Jerusalem, 12-30 March 1921, F0371/6343, PRO.

⁵²⁶ McDowall, A Modern History of the Kurds, p.151.

لإدخال فقرة خاصة الى مسودة الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا. وعلى إثر ذلك دخل المستشار القانوني لوزارة المستعمرات في مشاورات قانونية مع مساعد المستشار القانوني في وزارة الخارجية تمخضت عن رفع توصية نهائية تتعلق بتعديل فقرات انتداب ميزوبوتاميا، على الرغم من معارضة كوكس له:

سُقرا من الآن فقرة ١٦ من انتداب ميزوبوتاميا:

لا شيء في هذا الانتداب سيمنع المُنتدب من إقامة نظام حكم ذاتي في إدارة المناطق ذات الغالبية الكُردية في القسم الشمالي من ميزوبوتاميا بما تراه مناسباً.^{٥٢٧}

ان موقف وزارة المستعمرات هذا أملته مخاوف جدية من ان فرض حكم عربي على الكُرد الجنوبيين على الضد من إرادتهم قد يُصعّد من حالة عدم الاستقرار السياسي واتساع الفراغ الأمني في كُردستان الجنوبية. وهو الأمر الذي سيُجبر بريطانيا على تقديم المزيد من الالتزامات العسكرية والمالية لتأمين أمن الدولة العراقية المُزمع إنشاؤها. وتضاعفت المخاوف تلك باستمرار بسبب ما بدا لبريطانيا من تبلور توجه توسعي تركي- كمالى نحو الجنوب مستهدفة ميزوبوتاميا عبر المناطق الكُردية. ففي ظل أوضاع، كالتى كانت سائدة في كُردستان الجنوبية، فإن أية مقاومة أهلية لمشروع إلحاق ذلك الإقليم بالدولة العربية ستتطور على الأرجح بحيث تؤدي الى نشوء تحالف كُردى- تركي معاد لبريطانيا وللدولة العربية الوليدة. وستكون عاقبة كل ذلك إجبار حكومة لندن على سحب الحامية الامبريالية التى تحمي العراق العربي.

وبالمقارنة مع خيار الإلحاق، وكما يتبين من قراءة وثائق كونفرانس القاهرة، فإن خيار إبقاء إقليم كُردستان الجنوبية خارج الدولة العربية سيُسهل على بريطانيا تنفيذ خطتها المتعلقة بسحب قواتها العسكرية وإنهاء مسؤولياتها المالية الثقيلة في ميزوبوتاميا. وتشرتشل كان نفسه يأمل في ان يشرف الضباط البريطانيون على تشكيل وحدات عسكرية كُردية غير مُكلفة لإحلالها محل الحامية البريطانية الموجودة، لكي تتصدى لمسؤولية الدفاع عن ميزوبوتاميا.^{٥٢٨} ولم يكن تشرتشل

⁵²⁷ Klieman, *Foundations of British Policy in the Arab World*, p.123.

⁵²⁸ Report on Middle East Conference Held in Cairo and Jerusalem, 12-30 March 1921, F0371/6343, PRO.

مؤمناً بقدرات الجيش العربي على حماية الدولة الجديدة من هجمات الأتراك الكماليين، ولهذا كرّر على مَسْمَعٍ من كوكس القيمة العسكرية للوحدات الكُردية المسلحة في الدفاع عن تلك الدولة.⁵²⁹ فضلاً عن ذلك، سيساعد تعزيز الإحساس بالقومية الكُردية عن طريق قيام كيان حكم ذاتي كُردِي، بحسب اعتقاد تشرتشل، على عودة الاستقرار والأمن الى كُردستان الجنوبية.

وعلى ضوء جميع تلك الحسابات السياسية والعسكرية والمالية، أبلغ تشرتشل رئيس الوزراء البريطاني، لويد جورج، بشأن النهج العام الذي ستسترشد به بصورة مؤقتة وزارة المستعمرات في تعاملها مع إقليم كُردستان الجنوبية. ولحين انتهاء فترة العام الذي نص عليه البند ٥ من معاهدة سيفر، سيبقى المفوض السامي البريطاني، وليس الحكومة المؤقتة العربية في بغداد، المسؤول المباشر عن إدارة شؤون الإقليم. ومن جانبه أبدى لويد جورج، الذي كان قد أظهر قلقه الشديد من النشاطات الكمالية المتزايدة والمؤثرة في كُردستان الجنوبية، على نهج وزارة المستعمرات المتطابق مع توصيات كونفرانس القاهرة.⁵³⁰ بهذا النحو، أصبحت الصورة واضحة تماماً عند المعنيين بالشأن العراقي والكُردِي وهي أن الحكومة البريطانية فضّلت خيار جعل كُردستان الجنوبية دولة حائزة على خيار دمجها بالدولة العربية، وتوقع المسؤولون ان يكون هذا محور السياسة البريطانية نحو الإقليم في مرحلة ما بعد كونفرانس القاهرة.⁵³¹

سياسة كوكس الكُردية بعد انتهاء كونفرانس القاهرة

ومع إن كونفرانس القاهرة قد أوصى بإقامة كُردستان جنوبية منفصلة على شكل حزام أرضي حاجز لحماية العراق العربي، لم تُبادر وزارة المستعمرات الى إرسال توجيهات معينة أو تفاصيل محددة أخرى الى السلطات البريطانية الميدانية في بغداد بشأن كيفية تطبيق تلك التوصية أو تحديد سقف زمني لها، كما كان هو الحال، مثلاً، مع تشكيل الدولة العربية في العراق. ويُمكن إرجاع السبب في وضع تعليمات جديدة وإضافية الى تركيز وزارة المستعمرات جُلّ طاقتها وتسخير وقتها من أجل إيجاد الشروط المؤاتية لإنجاح عملية سياسية بالغة الحساسية وذات شقين، الأول بناء

⁵²⁹ Churchill to Cox, 18 June 1921, C0730/2, PRO.

⁵³⁰ Message from Prime Minister to Churchill, 22 March 1921, F0371/6342, PRO.

⁵³¹ Young, Colonial Office Minute of 20 June 1923 & H. Read, Colonial Office Minute of 21 June 1923, C0730/40, PRO.

الدولة العربية والثاني ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق. ووجود مثل هذا الوضع هو الذي مكن كوكس من تجاهل توصيات كونفرانس القاهرة وعدم اتخاذ أية خطوة تصب في اتجاه إنشاء كيان كُردي للحكم الذاتي بحيث يتزامن نسبياً مع الخطوات التي ستتخذ لإنشاء دولة في العراق العربي.

ومن أجل الالتفاف على توصيات كونفرانس القاهرة، قَدَمَ كوكس مخططات مختلفة تهدف جميعها الى إلحاق الإقليم الكُردي بالدولة العراقية الجديدة، مُتوسلاً بشتى التبريرات السياسية والاقتصادية والمالية. فحالما أنهى كونفرانس القاهرة جلساته، سارع كوكس الى انتقاد التداعيات الاقتصادية لخيار قيام كُردستان جنوبية منفصلة بالنسبة الى المصالح البريطانية في ميزوبوتاميا. وزعم كوكس ومرووسوه، ومن ضمنهم مس بيل، أن الروابط الاقتصادية بين المقاطعات الكُردية في لواء الموصل ومدينة الموصل نفسها كانت وثيقة جداً بحيث لن يرحب أهاليها الكُرد بأي فصل إداري يؤدي الى ظهور (مانع جمركي) بين الطرفين. وبدلاً من خيار الانفصال، طالب كوكس ومن شاطره الرأي من الموظفين الميدانيين بتحويل تلك المقاطعات الى أفضية، تكون خاضعة سياسياً ومالياً وقانونياً الى بغداد.^{٥٣٢} وأسهب كوكس في شرح البُعد الاقتصادي من أطروحته ليشمل مناطق كُردية أخرى بحجة ان ((قادة الرأي الكُردي)) كانوا مدركين تماماً مدى ارتباط كُردستان الجنوبية الاقتصادي والصناعي بالعراق العربي وكذلك بالمتاعب التي سيحدثها بقاء ذلك الإقليم منفصلاً عن العراق العربي.^{٥٣٣} بالرغم من تقديمها لكل تلك الإدعاءات، وجدت السلطات البريطانية في بغداد نفسها غير قادرة على إنكار التطلعات السياسية لأهالي السليمانية، الذين أكدوا عدم رغبتهم في وجود أي شكل من أشكال الارتباط مع الحكم العربي، مهما كانت عواقبه الاقتصادية.^{٥٣٤}

فضلاً عن تأكيداته المتعلقة بالتداعيات الاقتصادية التي ستنشأ عن خيار الانفصال، بينَ كوكس أن تعزيز النزعة القومية العربية في العراق، والمتمثل بتبني الإدعاءات الإقليمية العربية في كُردستان الجنوبية، هو النهج الأمثل في التصدي

⁵³² Mesopotamian Intelligence Report (MIR), No.12, 1 May 1921, C0730/2, PRO.

⁵³³ MIR, No.13, 15 May 1921, C0730/2, PRO.

⁵³⁴ High Commissioner's Communique No.13 to the Provisional Majlis of the Mosul Wilayat -in- MIR, No.14, 1 June 1921, F0371/6352, PRO.

للتهديدات الكمالية والبلشفية الموجهة ضد المصالح البريطانية في ميزوبوتاميا.^{٥٣٥} وترجع أطروحات كوكس في جذورها الى الفترات الأولى من الحرب العالمية الأولى حين نجح البريطانيون في دق اسفين الفرقة بين عرب المشرق والعثمانيين الأتراك، من خلال دعم التطلعات السياسية للحركة الشريفيية. تمكن البريطانيون، وبالتعاون وبالتنسيق مع النخبة العربية، من إحاق هزيمة كبيرة بالقوات التركية في الأقاليم العربية الشرق أوسطية خلال الحرب. ولابد ان أثرت مس بيل، المعروف عنها في الأوساط البريطانية الرسمية بأنها من ابرز المدافعين عن التحالف البريطاني- الشريفي، في طريقة طرح كوكس لتصوراته المناصرة لوجهة النظر العربية، التي كانت تتناقض كلياً مع ماضيه وتوجهاته الاستعمارية التقليدية .

وللبرهنة على صحة أطروحة إحاق كُردستان الجنوبية بالدولة العربية الجديدة من الناحيتين الإدارية والسياسية، اقترح كوكس على وزارة المستعمرات خطة معقدة في شهر أيار من العام ١٩٢١، تتضمن قيام كيان حكم ذاتي كُردى ضمن إطار الدولة العربية، وهذه خطوة تضاربت تماماً وبشكل ملموس وصريح مع النهج الذي وضع كونفرانس القاهرة أسسه. وطبقاً لهذه الخطة، تتحول المقاطعات الكُردية في لواء الموصل الى أفضية، يُديرها مساعد مُتصرف بريطاني، ويستبدل القائم مقام البريطاني الحالي بشخصية كُردية أو عربية قادرة على التحدث بالكُردية. ويخضع اللواء المذكور من الناحيتين المالية والقضائية الى الحكومة الوطنية في بغداد، كما يُرسل ممثليه الى الجمعية الوطنية. كما منحت الخطة المفوض السامي البريطاني حق تعيين الإداريين في اللواء المذكور، بعد استشارة السلطات المحلية. وهذه التغييرات ستعني في حالة تطبيقها، خضوع المقاطعات الكُردية، دهوك وزاخو وعقرة وزيبار والعمادية الى سيطرة بريطانية- عربية مشتركة، لتصبح بهذا الشكل جزءاً رسمياً من العراق.

وبقدر ما يتعلق الأمر بمقاطعات اربيل وراوندوز وكويسنجق، نصّت الخطة على سيطرة الموظفين البريطانيين على الإدارة المحلية فيها، في حين يثم تعيين الموظفين الصغار وفق رغبات أهاليها الكُرد. بهذا النحو، وبالرغم من كونها جزءاً من دولة العراق المُفترضة، تبقى تلك المناطق الكُردية تحت السيطرة البريطانية، كما كان الأمر في السابق. والجدير بالإشارة أن كوكس أسقط من خطته مناطق كُردية مهمة أخرى في لواء

⁵³⁵ Cox to Churchill, 21 June 1921, C0730/2, PRO .

كركوك، وذلك لجعلها تخضع مباشرة الى الحكومة العربية في بغداد. أما المتبقي من مقاطعات كُردستان الجنوبية، وفي مقدمته السليمانية والمناطق المحيطة بها، فتخضع الى سيطرة إدارية كُردية- بريطانية مشتركة. ويعين المفوض السامي متصرفاً لها، يستطيع مناشدته بصورة مباشرة، وكما سيُعين كُردياً لمنصب القائم مقام.⁵³⁶

ان الطابع الظاهري والاسمي للضمانات المتعلقة بحماية الكُرد من حدوث اضطهاد عربي لهم، كمشاركة موظفين بريطانيين في الإدارة المحلية في كُردستان الجنوبية، فشل في أن يُخفف من مخاوف الكُرد من مستقبل غير بعيد سيخضعون فيه الى حكم عربي غريب. وبعض التقارير الرسمية البريطانية أدعت نشوء ردود أفعال إيجابية محدودة النطاق تجاه خطة كوكس حتى بين أعضاء المجالس المحلية التي أنشأها البريطانيون في قضاء عقرة وقضاء زاخو. أما في المناطق الكُردية الأخرى، التي مُنح المحليون الكُرد فيها فرصة التعبير عن رأيهم بحرية، فقد عارضت أغلبية كبيرة تلك الخطة بوصفها شكلاً من أشكال الخضوع الى الحكم العربي. وكان أهالي مقاطعة السليمانية قد رفضوا بأغلبية ساحقة فرض اي حكم عربي عليهم من خلال الاستفتاء المحدود الذي أُجري لمعرفة آراء الأهالي تجاه خطة كوكس. وفي مدينة السليمانية، اقتصر حق إبداء الرأي على من كان في حيازته ملكية، وهو الأمر الذي يُفسر نطاقه المحدود، إذ صوّت ٣٢ فقط من أصل ١٩٠ لصالح الاندماج بالعراق. وفي مناطق أخرى، حيث لم تُفرض قيود على إبداء الرأي، عارضت الغالبية العظمى من الأهالي مشروع الاندماج.

وعلى نطاق قضاء السليمانية، صوّت ٣٢ فقط من أصل ٦٠٠٠ شخص لصالح الاندماج. وفي شهربازار، صوّت الأهالي بالإجماع ضد الخضوع لحكم عربي، في الوقت الذي رحب أحد فروع كونفدرالية الجاف القبلية بمشروع الاندماج.⁵³⁷ وسعى كوكس الى توظيف تلك النتائج لصالحه، إذ أشار في تقرير أرسله الى وزارة المستعمرات الى الطابع الإيجابي لردود فعل قادة الجماعات الكُردية تجاه ما اقترحه، وأستثنى من ذلك السليمانية. لكن سرعان ما تناقضت نتائج عملية الاستفتاء على تولى الأمير فيصل عرش المملكة العراقية الجديدة مع إدعاءات كوكس الخاصة بالموقف الكُرد الحقيقي، حين رفضت غالبية الكُرد بسط سيطرة الحكومة العربية المستقبلية على كُردستان الجنوبية (كما سيوضح ذلك الفصل اللاحق وبالتفصيل).

⁵³⁶ MIR, No.13, 15 May 1921, C0730/2, PRO.

⁵³⁷ MIR, No.14, 1 June 1921, F0371/6352, PRO.

بالرغم من تلك الأمور التي جرت، ظلّ كوكس يتمسك بموقفه، مُدعيًا أن نجاح النهج البريطاني الجديد، وبالأخص العملية السياسية الجارية، يعتمد بالدرجة الأولى على كسب الرأي العام العربي. وبحسب تصورات كوكس، لم يكن الكُرد يتمتعون بشعور قومي، على النقيض من العرب، وكما لا يُمكن الوثوق بهم من الناحية السياسية. وحينما لم يُقدم الأشراف الكُرد مساندة ملحوظة لمشروعه الاندماجي، قام كوكس باستبعادهم من أية مناقشات تتعلق بمستقبل إقليم كُردستان الجنوبية، منتهكاً بذلك توصيات كونفرانس القاهرة وكذلك تناقض ذلك تماماً مع أسلوب تعامله مع العرب حول أمور مُشابهة. فبدلاً عن الكُرد الجنوبيين، الذين كان مصيرهم هو موضع النقاش والمداوات الرئيسية، قام كوكس بمحاورة مجلس الدولة العربي المُشكل في بغداد حول أسلوب التغلب على العقبة الكُردية، حتى انه قام بإبلاغ فيصل باختلاف تصوراته عن تلك التي تبناها تشرشل وكذلك بدعته المطلق لمشروع اندماج كُردستان الجنوبية بمملكته العربية الجديدة في العراق.⁵³⁸ وهذه الخطوة توضح بجلاء المدى الذي وصل إليه كوكس في إصراره على استخدام كافة الوسائل والإمكانات السياسية التي أتاحها العملية السياسية المتعلقة بتشكيل حكم عربي في تعزيز موقفه أمام وزارة المستعمرات في لندن.

ويُذكر أن كوكس كان قد اتخذ قبل ذلك خطوة مهمة في اتجاه المشروع الاندماجي حين أخلى الجهاز الإداري في المناطق الكُردية من أولئك الموظفين الذين عارضوا ذلك المشروع، في مقدمتهم الميجر سون، الذين أصبح الآن من أشد دعاة إبقاء كُردستان الجنوبية منفصلة سياسياً عن ميزوبوتاميا العربية. وبعد استبداله بگولد سميث في الحقبة التي تلت كونفرانس القاهرة مباشرة، استمر سون في التمسك بموقفه عن طريق تزويد وزارة المستعمرات بآرائه عن مواقف الكُرد وردود أفعالهم خاصة تجاه فرض حكم عربي بطريقة تتناقض مع ما كان يدعيه كوكس. واستطاع كوكس، عن طريق إعادة ترتيب الجهاز الإداري في المناطق الكُردية، ان يخلق دعماً واسعاً لموقفه تجاه مستقبل العلاقة بين إقليم كُردستان الجنوبية والعراق العربي. ولهذا بدأ كوكس يؤكد باستمرار وجود إجماع بين أوساط المختصين الميدانيين بالشؤون الكُردية حول

⁵³⁸ High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 20 September 1921 C0730/5, PRO.

ضرورة إلحاق جميع المناطق الكُردية، بما في ذلك السليمانية، سياسياً واقتصادياً بالدولة العربية في العراق.⁵³⁹

ان الجانب الأكثر إثارة للانتباه في خطة كوكس أنفة الذكر هو تمزيق أوصال كُردستان الجنوبية سياسياً وإدارياً بطريقة تعسفية لا تستند الى أية ضرورات اقتصادية أو اجتماعية أو أثنية أو تاريخية. فعلى غرار سلفه، الكولونيل ويلسون، لم يُبدِ كوكس استعداداً أو رغبة تُذكر في وصف المناطق الكُردية كوحدة إدارية أو أثنية أو جغرافية مشخصة المعالم حتى لو جاء الأمر ضمن إطار الدولة العربية العراقية. فترك السليمانية وشأنها لكي تتمتع بحالة من الانفصال القائم على الحكم الذاتي سيكون، بحسب تصورات كوكس، مصدر قلق سياسي جدّي، إذ إنها ستُشجّع مناطق كُردية أخرى على رفض الاندماج المباشر بالدولة العربية في بغداد، مما سيؤدي الى انهيار مشروع إلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي برمته. وكان كوكس يخشى بشكل خاص من أن الكُرد سينقلبون، أو في اقل تقدير، سيبتعدون عن سلطة بغداد حال ظهور قائد قومي أوحد ونشوء معقل قومي قوي. وهذه الاحتمالات كانت واردة إذ إنها تحققت في خريف العام ١٩٢٢ حين رجع الشيخ محمود من منفاه ليُشكل حكومته الثانية (كما سيأتي ذكر ذلك لاحقاً ضمن هذا الفصل).

ولتلك الأسباب الأنفة الذكر، حاول كوكس في برقية بعثها الى تشرتشل أن يُبرّر رغبته في إخضاع السليمانية للحكم العربي في بغداد، بالرغم من المعارضة القوية والملموسة التي أبدتها أهاليها تجاه هذا المنحى القسري، وذلك من خلال تأكيده على المخاطر التي ستنتج عنها بالنسبة الى وحدة ميزوبوتاميا كلها:

سَتَدْرُكُ بأن الصورة ستكون مُشوّهة، بطريقة أو بأخرى، حين تبقى السليمانية خارج (الدولة العربية) بمفردها. ان العوائق الجمركية المرتبطة بهذا الحل ستكون مصدراً دائماً للمصاعب. ففي حالة السماح للسليمانية بالانفصال، فإن البصرة والجماعات الأخرى ستقتدي بها، وسيكون من الصعب (علينا) مُجادلتها.⁵⁴⁰

⁵³⁹ High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 5 June 1921 & MIR, No.13, 15 May 1921, C0730/2, PRO.

⁵⁴⁰ High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 5 June 1921, C0730/2, PRO.

وفي محاولة منه لطمأنة تشرتشل حول نجاح مشروعه الاندماجي، طرح كوكس فكرة منح السليمانية ضمانات بريطانية بصيغة قيام إدارة بريطانية- كُردية مشتركة فيها لمدة ثلاثة سنوات بهدف إقناع أهاليها بالتخلي عن موقفهم الراض للخضوع لحكم الدولة العربية العراقية.⁵⁴¹

وبعد تبليغه بعدم انسجام نهجه الخاص في التعامل مع مستقبل كُردستان الجنوبية مع النهج العام الذي أقره كونفرانس القاهرة، أدعى كوكس انه خرج من ذلك الكونفرانس بانطباع مُغاير وهو ان وزارة المستعمرات وقفت مع مشروعه الاندماجي، الذي كان قد طرحه على المُشاركين⁵⁴² ولكن، محاضر جلسات الكونفرانس المذكور تُبين ومن دون أي لبس ان موازين الآراء كانت لصالح خيار إبقاء كُردستان الجنوبية منفصلة عن العراق العربي، وإن توصياتها لم تكن غامضة في صياغتها بحيث يُمكن تفسيرها بطرق مختلفة أو متضاربة. فمن جانب، تضمّنت التوصيات قيام دولة عربية تتشكل من ولايتي بغداد والبصرة يحكمها أمير من أبناء الشريف حسين، ومن جانب ثانٍ، أكدت على ضرورة بقاء كُردستان الجنوبية منفصلة، لكي تؤدي دور الكيان الحاجز القادر على حماية العراق من تهديدات القوى الكمالية التركية.

من الصعب جداً التخيل ان موقف كوكس نجم عن سوء فهم لتوصيات كونفرانس القاهرة، خاصة لأنه كان الشخص المعني الذي أوكلت إليه مهمة تطبيق السياسة البريطانية ميدانياً. فضلاً عن ذلك، فإن ملاحظات هيوبرت يانغ المصادفة ليومي ٢٠ و٢١ حزيران ١٩٢٣ توضح بجلاء ان كوكس ((رفض)) بوعي وعن دراية توصيات الكونفرانس المذكور المتعلقة بإنشاء دولة كُردية بوصفها الكيان الحاجز.⁵⁴³ إن خطوات كوكس، التي أعقبت الكونفرانس، تُدلّ بجلاء انه كان مُصمماً على إتباع مختلف السبل من أجل تعبيد الطريق أمام عملية دمج كُردستان الجنوبية بالدولة العربية المُزمع إنشاؤها في العراق، بغض النظر عن موافقة أهاليها أو رفضهم. وبالفعل، ولدى إبلاغه بعدم تطابق مقترحاته مع موقف وزارة المستعمرات تجاه الوضع الكُردى، ظلّ كوكس يتمسك بموقفه القديم وذلك عن طريق طرح مشروع اندماجي معقد آخر

⁵⁴¹ Ibid.

⁵⁴² High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 21 June 1921, F0371/6346, PRO.

⁵⁴³ Young, Colonial office Minute of 20 June 1923 & H. Read, Colonial Office Minute of 21 June 1923, C0730/40, PRO.

يتعلق بمستقبل كردستان الجنوبية. ولم يكن المشروع الجديد سوى خطة لتمزيق أوصال المناطق الكردية سياسياً وإدارياً تمهيداً لإخضاع القسم الأعظم الى الحكم العربي في بغداد. وبموجب فقرات المشروع الجديد ستضم جميع المناطق الكردية الى الشمال من الرافدين الزاب الكبير والزاب الصغير (خاصة الاقضية الكردية الخمسة: عمادية وعقرة ودهوك وزاخو وسنجار) مؤقتاً الى الدولة العراقية، ولكنها ستحتفظ بحق تقرير مصيرها في المستقبل. ثانياً، ستكون المناطق الكردية شبه الجبلية الواقعة بين الرافدين الزاب الكبير والزاب الصغير، ومنها اربيل، ضمن الدولة العراقية. ثالثاً، ستخضع لسيطرة كوكس المباشرة الاقضية الكردية الجبلية الواقعة بين الرافدين المذكورين، مثل راوندوز ورانيه، التي ربما يمكن توحيدها مع مقاطعة السليمانية بهدف تشكيل إقليم منفصل خارج العراق. وأخيراً، يمكن لبقية المناطق الكردية الانضمام الى الإقليم الكردي بعد مرور ثلاث سنوات على إلحاقها المؤقت بالدولة العراقية.⁵⁴⁴

أسلوب تعامل تشرتشل مع مسألة مستقبل كردستان الجنوبية

ان تصريح تشرتشل في مجلس العموم البريطاني، حين قام بتسليط الضوء على علاقات بريطانيا المستقبلية مع كل من العراق العربي وكردستان الجنوبية، يعدُّ أهم دليل على ان توصيات كونفرانس القاهرة أصبحت مُرشداً لسياسة حكومته تجاه شؤون كردستان الجنوبية ومستقبلها على المدى المنظور. فيما ان الكرد لا «يستحسنون مستقبلاً يخضعون فيه لسلطة حكومة عربية»، بحسب تأكيدات تشرتشل، فإنه ينبغي على كوكس أن يُدير شخصياً شؤون كردستان الجنوبية وبشكل مباشر. فيوصفه المفوض السامي لميزوبوتاميا، سيؤدي كوكس «وظيفتين مزدوجتين» نحو كردستان الجنوبية والعراق معاً.⁵⁴⁵ ولم يُخف تشرتشل تفاؤله من ان الكرد الجنوبيين سيقبلون بالإتحاد مع العراق العربي مستقبلاً تحت إشراف بريطانيا وتدخلاتها. ولكن، ما قصده تشرتشل بكلمة «الإتحاد» في ذلك التصريح هو شكل من

⁵⁴⁴ High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 21 June 1921, F0371/6346, PRO.

⁵⁴⁵ Middle East, Government Policy, 14 June 1921, House of Commons. Robert Rhodes James, **Winston S. Churchill, His Complete Speeches, 1897-1963**, Vol.III, 1914-22. (Chelsea House Publishers, London & New York 1974), pp.3104-3105.

أشكال العلاقة الكونفدرالية بين المنطقتين الكرديّة والعربيّة، ولهذا لا ينبغي مساواة تلك الكلمة بمفاهيم أخرى كالاندماجية أو دولة أحادية المركز. يقول تشرتشل بهذا الصدد: **أريد ان أوضح بصورة جليّة اننا نطور، كما كان جارياً، مبدأ الحكم الذاتي لكردستان الجنوبية ضمن إطار منطقة ميزوبوتاميا العامة، في نفس الوقت الذي نطور فيه حكومة ذاتية عامة في ميزوبوتاميا.**^{٥٤٦}

بتعبير آخر، سيكون هناك كيانان، حسب رؤية تشرتشل الرسمية، يختلف الواحد عن الآخر في مستوى التطور السياسي والمكانة. ففي الوقت الذي سيكون فيه الكيانان متحدان من حيث مصالحهما الاقتصادية والإستراتيجية، فأنهما سيبقيان منفصلين إدارياً وسياسياً. وفي خطبه وتصريحاته واتصالاته، استخدم تشرتشل بصورة متكررة كلمة (البلد) من اجل التأكيد على سمة كردستان الجنوبية بوصفها كياناً منفصلاً. وكان تشرتشل يأمل في ان الإرشادات التي سيمنحها الموظفون البريطانيون الميدانيون وقيام المفوض السامي البريطاني بدور الإشراف المباشر ستمساعد الكرد الجنوبيين على إدارة شؤونهم السياسية والإدارية والدفاعية والأمنية من دون الحاجة الى إخضاعهم لحكم الملك فيصل. وكما أكد تشرتشل في برقية بعثها الى كوكس بعد أربعة أيام فقط من الإدلاء بذلك التصريح ان الهدف هو المحافظة على كردستان الجنوبية ((متميزة عن البلدان العربيّة، كما هي النيبال متميزة عن الهند)).^{٥٤٧}

ولغاية شهر تشرين الأول من العام ١٩٢٢، وهو التاريخ الذي فقد فيه منصبه كوزير للمستعمرات في أعقاب انهيار حكومة لويد جورج الائتلافية، استمر تشرتشل في موقفه وتأكيدده مراراً على التزام لندن بمبدأ عدم إرغام الكرد الجنوبيين على الانضمام الى الدولة العربيّة العراقيّة على الضد من رغباتهم وتوجهاتهم. وفي نفس الوقت، لم تلقَ أي من مقترحات كوكس المتعلقة بالاندماج الجزئي والمؤقت أو الكلي والدائم لكردستان الجنوبية في دولة العراق قبولاً من لدن رئيسه تشرتشل، الذي أصرّ على ضرورة وجود تمايز سياسي وإداري واضح المعالم بين المنطقتين الكرديّة والعربيّة،^{٥٤٨} بحيث تخضع الأولى لإشراف المفوض السامي بصورة مباشرة لحين إقرار مصيرها بواسطة أهاليها، في حين تخضع الثانية لسلطة عربيّة.^{٥٤٩} فضلاً عن كل ذلك،

⁵⁴⁶ Ibid.

⁵⁴⁷ Churchill to Cox, 18 June 1921, C0730/2, PRO.

⁵⁴⁸ Colonial Office Minute No.31558, 23 June 1921, C0730/2, PRO.

⁵⁴⁹ S/S for the Colonies to High Commissioner for Mesopotamia, 24 June 1921, F0371/6346, PRO.

قام تشرتشل بالتشكيك في المسوغات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية التي قام كوكس باستخدامها في دعم مشروعه الاندماجي.

فمن حيث التوزيع الأثني، الذي كان قد أستخدمه كوكس بوصفه بُرهاناً على عدم إمكانية تطبيق خيار الانفصال من الناحية الفنية والعملية، كان تشرتشل قادراً بفضل مساعدة نوئيل وسون ويانغ على التأكيد في أنه لا توجد مصاعب جدية في حالة القيام برسم الحدود الفاصلة بين كُردستان الجنوبية، من جانب، وميزوبوتاميا العربية، من جانب ثانٍ. فضلاً عن ذلك، أدخل تشرتشل جميع المناطق الكردية، التي ادعى كوكس بعدم غلبة الطابع الكردي عليها، مثل كركوك وكفري وارييل، الى الإقليم الكردي الحاجز. لقد توسّل تشرتشل بآراء وتوصيات موظفين بريطانيين كانوا يعملون ميدانياً، في مقدمتهم الميجر نوئيل والميجر سون والكابتن لونغريك، لدى محاولة رسم الحدود الأثنية لكُردستان الجنوبية مع ميزوبوتاميا العربية.⁵⁵⁰ لقد كان للعامل الأثني منزلة محورية في أطروحة تشرتشل الإستراتيجية المتمثلة في تشكيل كيان كردي منفصل بوصفه أفضل الطرق للتصدي للتهديدات التركية- الكمالية المستمرة. أما بالنسبة الى كوكس فإن الفصل الأثني سيمنح العراق العربي موقعاً استراتيجياً ضعيفاً وحدوداً شمالية لا يُمكن الدفاع عنها.⁵⁵¹ كما ان العامل الأثني سيفقد أهميته، بحسب إدعاء كوكس، حينما تبقى كُردستان الجنوبية والعراق العربي تحت انتداب بريطاني واحد.

في شهر تشرين الأول شدّ هيوبرت يانغ رحاله الى بغداد في مُهمّة يبلغ من خلالها الملك فيصل بشكل خاص موقف وزارة المستعمرات البريطانية تجاه مستقبل كُردستان الجنوبية. وفي اللقاء، بيّن يانغ بشكل واضح وصريح أنّ السياسة البريطانية كانت مبنية على عدم تشجيع «الامبريالية العربية» في صيغة فرض حكم عربي اعتباطي على الكُرد الجنوبيين غير الراغبين في ذلك، وإنه إذا ما ساندت بريطانيا الإدعاءات العربية وألحقت كُردستان الجنوبية في العراق على الضد من رغبات أهلها، فإن الكماليين سيتمكنون من سوء استغلال ردود الأفعال الكردية المعادية للعرب، بما

⁵⁵⁰ S/S for the Colonies to High Commissioner for Mesopotamia, 25 may 1921, C0730/2, PRO.

⁵⁵¹ High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, Part One: 24 June & Part Two: 5 July 1921, F0371/6346, PRO.

في ذلك كسب مؤيدين لهم من الكُرد ضد العراق العربي وبريطانيا. وإذا ما حاولت بريطانيا تحويل كُردستان الجنوبية الى مجرد (محمية بريطانية مباشرة)، فإن الكماليين سيلجئون الى الدعاية الإسلامية المُغالبة بهدف تأليب الكُرد ضد البريطانيين. ففي كلتا الحالتين فإن مصالح بريطانيا والعراق ستتعرض الى مخاطر جدية.

لقد سعى يانغ عن طريق طرح مثل تلك الاحتمالات وصيغ مختلفة للعلاقات بين الأطراف الثلاثة المعنية وهي بريطانيا والعراق العربي وكُردستان الجنوبية، ان يقود الملك فيصل الى خيار ثالث يمنع وقوع أية تطورات غير مرغوب فيها، يتمثل بتقوية نزعة القومية الكُردية من خلال تشكيل دولة جنوبية تحت إشراف بريطانيا ورعايتها المباشرة. فمن وجهة النظر الإستراتيجية، بحسب اعتقاد يانغ، ستؤدي كُردستان جنوبية صديقة دور الدرع الصلد، الذي سيحمي حدود ميزوبوتاميا الشمالية، في حين ان الكُرد الجنوبيين بدورهم سينتفعون اقتصاديا من منافذ العراق العربي الى البحر وأسواقه.⁵⁵² ولتلك الأسباب، أوضح يانغ أن مصلحة العراق العربي تكمن في أن تبقى كُردستان الجنوبية منفصلة.

أن حديث يانغ آنف الذكر يسلط الضوء على حدة التناقض بين أطروحتين رئيسيتين تتعلقان بتوفير أفضل السبل السياسية لحماية المصالح البريطانية على المدين المنظور والبعيد. فمن جانب استندت أطروحة تشرشل الى تعزيز النزعة القومية الكُردية في كُردستان الجنوبية بوصفها عاملاً يُمكن استغلاله لاحتواء التهديدات الخارجية. وهذه الأطروحة تختلف تماماً في الشكل والمحتوى عن تلك التي دافع كوكس عنها والقائمة على مساندة النزعة القومية العربية خارج المناطق العربية والتمثلة بفرض سيطرة عربية سياسية وإدارية على المناطق الكُردية حتى لو جاء على الضد من رغبات أهاليها.

فيما يتعلق بالمسوغ الاقتصادي الذي استندت إليه أطروحة كوكس المتعلقة بضرورة ضم كُردستان الجنوبية الى العراق العربي، لم يعد بقاء حالة الانفصال السياسي والإداري، بحسب الأسلوب الذي اقترحه تشرشل، يُشكل حاجزاً يمنع إقامة وحدة اقتصادية وثيقة بين عرب ميزوبوتاميا والكُرد الجنوبيين بذات الطريقة التي ستجمعهما مصالح إستراتيجية مشتركة. فعلى النقيض من كوكس، الذي عدَّ الانفصال

⁵⁵² Cox to Churchill, 25 October 1921, C0730/6, PRO.

خياراً سلبياً وضاراً على النفوذ البريطاني في العراق العربي بحجة أن فكرة وجود كُردستان جنوبية منفصلة ستثير سخط العرب وغضبهم، اعتقد تشرتشل ان إخضاع ذلك الإقليم الى بغداد سيقوي موقف العرب كثيراً على حساب البريطانيين. لهذا فإن إبقاء كُردستان جنوبية منفصلة خيار سياسي مفيد، من وجهة نظر تشرتشل، خصوصاً إذا ما سعت بريطانيا الى تقوية نفوذها في العراق العربي. فلكل تلك الأسباب الإستراتيجية والسياسية، أصرّ تشرتشل على ان يكون النهج البريطاني قائماً على وجود كُردستان جنوبية منفصلة، بحيث لا يمكن ((الانحياد عنه سواء تحت ضغوط العرب أو أية أسباب أخرى)).⁵⁵³

أن موقف تشرتشل القائم على أطروحة إبقاء شؤون كُردستان الجنوبية السياسية والإدارية منفصلة عن العراق العربي قد تبلور، كما تم الإشارة إليه، قبل وصول الأمير فيصل الى بغداد. وكان بمقدور الموظفين البريطانيين أن يؤديوا دور حلقة الوصل والمنسق بين البلدين الكردي والعربي على مختلف الأصعدة. وهذا الأمر، بحسب اعتقاد تشرتشل، سيمنع العرب من التدخل في الشؤون الكُردية.⁵⁵⁴ وبالرغم من كل ذلك، تغيّر الموقف مع وصول الأمير فيصل الى بغداد واتخاذ الاستعدادات لإجراء استفتاء عام يُضفي شرعية سياسية على قرار بريطانيا بتنصيب ملكٍ غريب على عرش العراق العربي. وسرعان ما توقف تبادل وجهات النظر والأطروحات المختلفة الخاصة بمستقبل كُردستان الجنوبية بين وزارة المستعمرات والسلطات البريطانية الميدانية في ميزوبوتاميا. ولمنع المسألة الكُردية من ان تصبح عائقاً بوجه الترتيبات المتعلقة بتنصيب الأمير فيصل ملكاً على العراق العربي، لم تقم وزارة المستعمرات بتأجيل موضوع رسم الحدود الأثنية بين كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا العربية فحسب، بل أيضاً موضوع المستقبل السياسي للإقليم الكُردية.⁵⁵⁵ علاوة على هذا، خفّ تشرتشل من موقفه الحازم السابق حين قبل باشتراك الكُرد الجنوبيين في الاستفتاء المزمع إجراؤه لمبايعة فيصل ملكاً على عرش العراق العربي، لكنه، مع

⁵⁵³ S/S for the Colonies to High Commissioner for Mesopotamia, 13 June 1921, C0730/2, PRO.

⁵⁵⁴ S/S for the Colonies to High Commissioner for Mesopotamia, 9 June 1921, C0730/2, PRO.

⁵⁵⁵ Colonial Office Minute No.31558, 23 June 1921, C0730/2 & S/S for the Colonies to High Commissioner, Priority, 9 July 1921, F0371/6552, PRO.

ذلك، أكد مُجدداً التزامه ((بمبدأ عدم سيطرة العرب على الكُرد))،^{٥٥٦} وان يتم إعلام الآخرين بأنهم أحرار في مسألة المشاركة أو عدم المشاركة في الاستفتاء المذكور، من دون ان يهدد ذلك مصالحهم. وهذا الأمر يكشف عن تناقض جلي بين التزام وزارة المستعمرات بمبدأ عدم إخضاع الكُرد الجنوبيين الى حكم عربي، من جانب، وفكرة السماح لهم بالمشاركة في العملية السياسية الجارية في ميزوبوتاميا العربية، من جانب ثانٍ. وربما يُفسر وجود هذا التناقض الضمني رغبة تشرتشل في ان يُشكل الاستفتاء مناسبة تُمكن البريطانيين من معرفة الموقف الحقيقي للكُرد تجاه الأمير فيصل والحكم العربي.

أما بالنسبة الى كوكس فإن مشاركة الكُرد الجنوبيين في الاستفتاء مَثلت فرصة لا يمكن تفويتها بأن أهالي كُردستان الجنوبية يميلون بشكل قاطع وأكيد الى خيار الاندماج، وهو الأمر الذي سيُقرر تلقائياً وبطريقة حاسمة ونهائية مستقبل ذلك الإقليم وعلاقته بالعراق العربي وبريطانيا. لقد كان كوكس وفيصل متفائلين بقدرتهم على إقناع سكان المقاطعات الكُردية بالتصويت لصالح خيار الإلحاق بالدولة العربية في بغداد والبصرة. ومن جانبه، عدّ رفيق حلمي قضية اختيار فيصل ملكاً على الدولة الجديدة محاولة بريطانية لتسوية المسألة الكُردية عن طريق إخضاع كُردستان الجنوبية الى الحكم العربي.^{٥٥٧}

وبالرغم من الجهود الحثيثة التي بذلها كوكس ومساعدوه في المقاطعات الكُردية، رفضت الغالبية العظمى من الكُرد الجنوبيين مبايعة فيصل ملكاً عليهم، وهذا الأمر يعني ضمناً رفض الانضمام الى دولة العراق العربي (أنظر الفصل السابع لمزيد من التفاصيل حول موضوع الاستفتاء). وأدى عجز كوكس في إقناع أهالي كُردستان الجنوبية بالاندماج بالعراق العربي، من جانب، وتصاعد عدم الاستقرار السياسي والأمني في ذلك الإقليم، من جانب ثانٍ، الى دفع خيار الانفصال الى الواجهة بقوة بوصفه الحل الوحيد للخروج من المأزق السياسي والأمني. وتمثلت إحدى إفرازات الاستفتاء بقيام وزارة المستعمرات بالتدخل مباشرة في السياسة الكُردية الميدانية

⁵⁵⁶ Churchill to Cox, 9 July 1921 -in- Martin Gilbert, **Winston S Churchill**, Vol.IV: Companion Part 3, Documents, April 1921-November 1922, (London: Heinman, 1977), p-1548.

⁵⁵⁷ حلمي، **ياداشت**، ج٢، ص٣٤٥-٣٤٦.

ولتقييم علاقة إيجابية جديدة مع القوميين الكُرد حيث سمحت لهم بإقامة حكومة أهلية للمرة الثانية. وبالرغم من معارضة كوكس القوية، سمحت وزارة المستعمرات برجوع الشيخ محمود من منفاه في الهند، حتى إنها بعثت بالميجر نوثيل لمرافقته في طريقه الى السليمانية، وللإشراف على تطبيق الإجراءات الجديدة الخاصة بتشكيل حكومة كُردية.

تشكيل الحكومة الكُردية الثانية في خريف العام ١٩٢٢:

الملايسات والغايات

لم يساعد إعلان بنود معاهدة سيفر ولا السياسة البريطانية الميدانية في إعادة الاستقرار للوضع السياسي في كُردستان الجنوبية. وشكّلت المناطق الجبلية، خاصة في راوندوز والسليمانية وبارزان وعقرة، مسرحاً لاختلال الأمن والنظام. وانشغلت السلطات البريطانية في ميزوبوتاميا بصورة مستمرة في تنفيذ عمليات عسكرية جوية وبرية لوضع حد للتمردات المحلية بين الكُرد، ومنهم السورجيين والزيباريين والبارزانيين والخوشناويين.⁵⁵⁸ وفي محاولة منهم لاسترجاع مناطق كانت خاضعة في الماضي للحكم العثماني، قام الكماليون الأتراك باستغلال الوضع القائم غير المستقر عن طريق إرسال بعض الأسلحة والضباط الى المنتفضين الكُرد، وكذلك من خلال تنظيم جمعيات سياسية بهدف شن حملة دعائية معادية للوجود البريطاني في مناطق كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا العربية.

وفي الوقت ذاته، بدأت تتضح معالم حركة سياسية واسعة في السليمانية، سرعان ما توسعت لتشمل مناطق أخرى، كحلبجة وكفري وكركوك. وهذه الحركة التي امتزجت فيها عناصر التنسيق المسبق والعفوية والارتجالية، بدأت بالضغط على السلطات البريطانية الميدانية من أجل إطلاق سراح الشيخ محمود من أسرهِ وعودته من منفاه الى كُردستان الجنوبية.⁵⁵⁹ وفي الوقت نفسه، واصل بعض من أنصار الشيخ محمود نشاطاتهم المسلحة ضد الوجود البريطاني في منطقة السليمانية وضواحيها. ويتضح من الوصف الذي يقدمه احد المعاصرين عن تلك الحقبة وعن الموقف البريطاني في كُردستان الجنوبية ان الوضع كان أسوأ بكثير مما كشفت عنه السلطات

⁵⁵⁸ MIR, No.16, 1 July 1921 F0371/6352 & NO.20, 1 September 1921 F0371/6353 & No.9, 1 May 1922 & No.11, 1 June 1922, F0371/7771, PRO.

⁵⁵⁹ MIR, No.23, 15 October 1921, F0371/6353 & No.8, 15 April 1922, F0371/7771, PRO.

البريطانية في بغداد في تقاريرها عن الوضع السياسي العام.^{٥٦٠} وجميع تلك الأمور تُدلل على ان التحول في السياسة الميدانية البريطانية تجاه الكُرد كان أمراً لا بُد منه. ومن جانبه حاول كوكس ان يُرجع المشكلات التي كانت إدارته تواجهها في كُردستان الجنوبية في المدة التي أعقبت كونفرانس القاهرة الى نشاطات دعائية واسعة قام بها الكماليون الأتراك،^{٥٦١} بدلاً من سياسته الميدانية، التي أثارت إستياء الكُرد ومعارضتهم لها. واشتد القلق الكُردى والتمردات المحلية بشكل خاص مع انطلاقة بناء الدولة العربية في ولايتي بغداد والبصرة، كما يتضح من كلام احد الأشراف الكُرد مع مساعد الموظف السياسي البريطاني في منطقة چمچمال، الذي كان يُطالب بعودة الشيخ محمود بصورة عاجلة الى كُردستان:

ان سياسة الحكومة البريطانية غير متجانسة بشكل خطير. فالبريطانيون كانوا قد انكروا على الكُرد طموحاتهم العرقية. وفي الوقت الذي يحمل فيه (البريطانيون) على اكتافهم فيصل والحكومة العراقية، فإنه لم يُبدوا أية رغبة مشابهة تجاه الشيخ محمود وكُردستان. وفي حالة عدم قيام حكومة صاحب الجلالة البريطانية بالدور المنتظر منها، فإن الكُرد سيمارسون ضغوطهم بصورة سلمية، وإلا فإنه لن يكون هناك بديل آخر سوى الفوضى التي ترعاها الدعاية التركية.^{٥٦٢}

عموماً، جاء الفراغ السياسي وعدم الاستقرار الأمني في مختلف مناطق كُردستان الجنوبية نتيجة لتضافر هواجس مختلفة عكست رغبات وألويات متباينة. ففي المقام الأول، كان هناك فريق من الكُرد من الذين كانوا يخشون من فرض حكم عربي على كُردستان الجنوبية، ولمنع وقوع مثل هذا التطور سعوا حثيثاً الى الحصول على ضمانات بريطانية مشخصة بشأن عدم تغيير الوضع القائم، أي استمرار الإدارة البريطانية. وثانياً، كان هناك فريق آخر من الكُرد من الذين كانوا يشككون بنوايا البريطانيين السياسية في كُردستان الجنوبية، ولهذا سعوا الى إبقاء مناطقهم بعيدة عن سيطرة البريطانيين والعرب على حد سواء. وعدَّ هؤلاء تعاونهم مع الكماليين الأتراك

⁵⁶⁰ حلمي، ياداشت، ج٢، ص٥٦٥-٥٨٠.

⁵⁶¹ High Commissioner for Iraq to S/S for the Colonies, 1 February 1922, F0371/7780, PRO.

⁵⁶² Iraq Intelligence Report (IIR), No.12, 15 June 1922, F0371/7771, PRO.

مجرد وسيلة لتحقيق تلك الغاية. وفضل هذا الفريق الكردي، كأخر خيار له، عودة الحكم التركي على الخضوع لحكم عربي، ذلك لاعتقادهم وحسب القول الدارج ان الشيطان الذي تعرفه أفضل من الشيطان الذي لا تعرفه. وأخيراً، الموقف الأكثر أهمية الذي اتخذته فريق القوميين الكرد، الذين لم يرغبوا شيئاً سوى إقامة إدارة أهلية كردية بمساعدة بريطانية أو حتى بدونها.

ان الفراغ السياسي وعدم الاستقرار الأمني القائمين واحتمالات تطورها الى انتفاضة عامة معادية للبريطانيين تشمل جميع أنحاء كردستان الجنوبية قد أثارت مخاوف حقيقية لدى وزارة المستعمرات، التي أبدت اهتماماً ملحوظاً خاصة وان الحكومة البريطانية قد عازمت على سحب حاميتها الامبريالية من ميزوبوتاميا بأسرع وقت ممكن. ان الأمر الذي ضاعف من المخاوف البريطانية هو إصرار الكماليين الأتراك على مقاومة تطبيق بنود معاهدة سيفر، خاصة فيما يتعلق بكردستان العثمانية وارمينيا. فبعد تحقيقها انتصارات لافتة للنظر على اليونانيين والأرمن، أصبح الكماليون الأتراك في موقف أفضل بحيث أتاح الفرصة لهم لتركيز مساعيهم السياسية والعسكرية على جبهة كردستان الجنوبية الواقعة ضمن الانتداب البريطاني، وهو الإقليم الذي كانوا قد تدخلوا في شؤونه الداخلية عن طريق تزويد بعض المنتفضين الكرد بالأسلحة والضباط.^{٥٦٣} ومكنت مثل هذه التدخلات الكماليين الأتراك من التواجد والتغلغل في عمق المناطق الكردية الى الحد الذي شوهد فيه ضباط أترك يُرافقون المنتفضين الكرد في مقاطعات كردية مهمة، مثل راوندوز ورائيه وكويسنجق. فضلاً عن ذلك، وفي ظاهر الأمر، كان الموقف السياسي التركي - الكمالي أقوى من الموقف البريطاني بقدر ما تعلق الأمر بنيل ود الكرد الجنوبيين وتأييدهم، خاصة وان الميثاق الوطني الذي نادى به مصطفى كمال قد أعترف بحكومة ذاتية للكرد الشماليين. كما تعهد المجلس الوطني للكماليين بإقامة إدارة ذاتية (لأشراف الأمة الكردية) بالتوافق مع عاداتهم القومية. وتضمنت التعهدات الكمالية إعطاء الكرد الشماليين حق اختيار حاكم عام ومساعد له، ومفتش، فضلاً عن انتخاب مجلس وطني كردي بطريقة حرة في الولايات الشرقية.^{٥٦٤}

⁵⁶³ High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 26 August 1921, F0371/6346f PRO.

⁵⁶⁴ Rumbold to Curzon, 29 March 1922, F0371/7781, PRO.

من الطبيعي ان يثير النهج الذي اتخذه الكماليون تجاه الوضع الكردي مخاوف البريطانيين لما له من آثار سياسية سلبية مباشرة على الكرد الجنوبيين. والأمر اللافت للنظر ان رئيس وزراء البريطاني، لويد جورج، كان قد أدرك خطورة الموقف حين أثارَ انتباه تشرتشل الى ضرورة ان يأخذ البريطانيون في الحسبان لدى صياغة مستقبل كُردستان الجنوبية المحاولات الكمالية ((إغراء الكرد الجنوبيين بالتعاون مع إخوتهم الشماليين بهدف ضمهم الى دولة أناضوليا)).^{٥٦٥} وكانت التقارير البريطانية المتعلقة بالنشاطات الكمالية- التركية في كُردستان الجنوبية قد تزايدت فيها أخبار غير سارة بشكل ملحوظ:

ان الوضع الكردي حساس بشدة. من الممكن، في اقل تقدير، إذا لم تكن فرضية مُحتملة، ان الأتراك، وهم مازالوا عازمين على مهاجمة العراق في الربيع، يعملون بشكل مقصود لدق اسفين بين الكرد وبيننا. نحن نعلم ان تركيا مستعدة لمنح كُردستان (الشمالية) حكماً ذاتياً محلياً واسعاً. ونحن نعلم ان الكرد أنفسهم يعملون من اجل تحقيق شكل من أشكال الاستقلال تحت حماية قوة ما.^{٥٦٦}

وتلك كانت خلفية إرسال وزارة المستعمرات تعليمات بصورة متكررة الى كوكس بشأن الحاجة الى طمأنة الكرد الجنوبيين بأن لندن لن تجعلهم خاضعين لحكم عربي على الضد من إرادتهم، وان يقوم كوكس هو نفسه بمهمة إدارة الشؤون الكردية بالانسجام مع رغبات المحليين. وكل هذا يُفسر لماذا بقيت إدارة إقليم كُردستان الجنوبية منفصلة وغير متأثرة بالتطورات السياسية المتسارعة الحاصلة في ميزوبوتاميا العربية. علاوة على ذلك، أقام الكرد الجنوبيون أجهزة خاصة لتسيير شؤونهم المحلية، كالمجالس التي شكّلت في كفري وكويسنجق بهدف إدارة شؤونها المحلية.^{٥٦٧} وفي كانون الثاني من العام ١٩٢١، أقامت مقاطعة السليمانية مجلساً محلياً مُنتخباً لها، ترأسه الميجر گولد سميث، وضمّ ممثلين كُرداً جاءوا من أربعة أفضية كُردية، وهي حلبجة وشهربازار وچمچمال ورانيه. وتمثلت مسؤولية المجلس بتسيير الشؤون المحلية المالية والاقتصادية والتعليمية وغيرها.^{٥٦٨}

⁵⁶⁵ Message from Prime Minister to Mr. Churchill, No.193, 22 March 1921, F0371/6342f PRO.

⁵⁶⁶ Baghdad, News Summary for Period Ended 21 December 1921, C0730/8, PRO.

⁵⁶⁷ MIR, No.23 15 October 1921, F0371/6353, PRO.

⁵⁶⁸ Residency, Baghdad, 7 December 1921, C0730/8, PRO.

على الرغم من اتخاذ تلك الخطوات، ظلَّ البريطانيون في حاجة الى تبني إجراءات أوسع وأعمق في كُردستان الجنوبية لكي يستطيعوا تغيير الوضع القائم لصالحهم. وفي أثناء ذلك، واصل أنصار الشيخ محمود نشاطاتهم غير مكترثين بالتغييرات الإدارية المعتدلة في السليمانية، حيث ركزوا جهودهم على جبهتين: سياسية وعسكرية. فمن جانب، قام هؤلاء بتحريك سياسي واسع النطاق مدعوماً بحملة دعائية بهدف التعجيل بعودة الشيخ محمود الى كُردستان الجنوبية. وكانت السلطات البريطانية الميدانية قد تسلمت ثلاث عرائض وقعها الكثير من الوجوه الكُردية المحلية في مقاطعة السليمانية.^{٥٦٩} ورُفعت عرائض مماثلة وقعت عليها وجوه كُردية معروفة في كركوك وكفرى وتضمنت إشارات واضحة الى السلطات البريطانية في ان بإمكانهم نيل مساندة الكُرد وثقتهم إذا ما أطلقوا سراح الشيخ محمود وأرجعوه الى موطنه وسمحوا بإقامة حكومة ذاتية كُردية. ومن جانب ثانٍ، كَتَّفَ أنصار الشيخ محمود من نشاطاتهم المسلحة حيث قام الهماونديون الكُرد بقتل الكابتن أس أس بوند، مساعد الموظف السياسي في چمچمال، والكابتن آر كي مكانت.^{٥٧٠} وكانت الهجمات التي شنها محمود دزلي في منطقة حلبجة قد أدت الى قتل كابتن فيتزغيبون، فضلاً عن قتل أو اختفاء ما يقارب ٢٠ آخرين.^{٥٧١}

وهذه التطورات عملت بصورة غير مباشرة على تعزيز الأهمية السياسية لبعض القوميين الكُرد، من الذين كانت توجهاتهم القومية معادية بشكل صريح للكمالية-التركية. وبسبب تدهور الوضعين السياسي والعسكري بوتيرة متسارعة، لم يكن بإمكان البريطانيين ان يتجاهلوا أولئك القوميين الكُرد، خاصة وإنهم كانوا يُعدون وسيلة تصدي للتهديدات الكمالية-التركية المتزايدة. وأنشأ هؤلاء القوميون، وتحت زعامة الجنرال كُرد مصطفى باشا، تنظيمًا خاصاً بهم سُمِّيَ بـ(جمعية استقلال كُردستان)، كما قاموا بنشر صحيفة باسم ((دهوة كُردستان)) تهدف الى تعبئة الكُرد من اجل قضية إقامة كُردستان جنوبية مستقلة. وفي الوقت نفسه، عمل هؤلاء القوميون على إقناع البريطانيين بضرورة مساندة مساعيهم السياسية بوصفها الوسيلة المثلى للتصدي للنفوذ السياسي الكمالي-التركي المتنامي ومنع اندلاع انتفاضة كُردية واسعة ضدهم.^{٥٧٢}

⁵⁶⁹ High Commissioner to S/S for the Colonies, 5 July 1922, F0371/7781, PRO.

⁵⁷⁰ High Commissioner of Iraq to Colonial Office, 22 June 1922, F0371/7781, PRO.

⁵⁷¹ High Commissioner to S/S for the Colonies, 14 January 1922, F0371/7780, PRO.

⁵⁷² حلمي، ياداشت، ج٢، ص ٣٣١-٣٣٢ و ٢٥١-٣٥٢ و ٥٠٦.

بحلول منتصف العام ١٩٢٢، أدركت وزارة المستعمرات انه من الصعب تجاهل المطالب المتزايدة المتعلقة بعودة الشيخ محمود، خصوصاً في غياب اتفاقية سلام جديدة مع تركيا الكمالية وفشل كوكس في إقناع الكُرد الجنوبيين بالانضمام الى الدولة العربية في العراق. ففي ظل تلك الظروف، ظهر الشيخ محمود مرةً أخرى بوصفه الشخصية الوحيدة القادرة على تعبئة الكُرد الجنوبيين تحت لواء القومية ضد الكماليين الأتراك وعلى إعادة الاستقرار الأمني، كما فعل في الماضي في الفترة ما بين خريف العام ١٩١٨ وحتى ربيع العام ١٩١٩. وفي مجلس العموم البريطاني، حاول تشرتشلطمأنة أعضائه، الذين عبروا عن معارضتهم لأية التزامات عسكرية جديدة في كردستان الجنوبية، بأنه ليس للحكومة البريطانية أية نية مهما كانت صغيرة في ان تتورط بشكل جدي في ذلك البلد. وفي الوقت نفسه، كرر تشرتشل تأكيداته بشأن عدم إجبار الكُرد الجنوبيين على الخضوع لحكم فيصل، حتى إنه عبّر عن حماسه الشديد إزاء دراسة رغبات الكُرد و«تطوير شكل من أشكال الحكم الذاتي المحلي، الذي مُنح الى العراق، بحيث يمكن تطبيقه عليهم».^{٥٧٣}

وفي البداية، ساند كورزون فكرة تشجيع القومية الكُردية في كردستان الجنوبية بوصفها حاجزاً أمام المؤامرات الكمالية-التركية.^{٥٧٤} وكانت لشهادة نوثيل أهمية خاصة حيث انها أكدت على نجاح تجربة الحكم الذاتي الكُردى السابقة في عهد الشيخ محمود في توفير الاستقرار السياسي من دون التورط في التزامات عسكرية أو مالية.^{٥٧٥} كما أقر الميجر سون وموظفون بريطانيون سابقون عدم رغبة الكُرد الجنوبيين في الخضوع الى حكم عربي، وإن فصلهم من العرب هو خيار منطقي. وفي نهاية المطاف، تجاهلت وزارة المستعمرات معارضة كوكس الشديدة إذ سمحت بعودة الشيخ محمود الى السليمانية من أجل تأليف حكومة كُردية جديدة. بهذا النحو، بحلول منتصف العام ١٩٢٢، عملت الهواجس البريطانية المتزايدة الخاصة بتدهور الوضع الكُردى على قلب الموازين لصالح خيار الإبقاء على حالة انفصال كردستان الجنوبية، الذي نادى تشرتشل إليه.

⁵⁷³ British Policy In Iraq, 11 July 1922, House of Commons -in- Robert Rhodes James, **Winston S. Churchill, His Complete Speeches.**

⁵⁷⁴ Shuckburgh to Foreign Office, Mo.55849, 11 September 1922, F0371/7781, PRO.

⁵⁷⁵ E.W.L. Noel, Note -in- Colonial office Minute No.4958, 22 July 1922, PRO.

كوكس وتشكيل الحكومة الكُردية الثانية

لم تعن عودة الشيخ محمود الى السليمانية ان حكومة لندن قد تبنت بشكل نهائي خيار انفصال كُردستان الجنوبية سياسياً وإدارياً، وذلك لأن حسم مستقبل هذا الإقليم على المدى الطويل كان لا يزال يتوقف على نجاح أو فشل فكرة إرضاء التطلعات القومية الكُردية المتمثلة بإقامة حكومة أهلية بوصفه السبيل الأنجع لاحتواء التهديدات الكمالية- التركية المتزايدة وتثبيت الاستقرار وتسهيل عملية انسحاب الحامية الامبريالية. من الناحية العملية، كما أتضح لاحقاً، اعتمد الوضع الكُردى بشكل رئيس على موقف كوكس ومرووسيه ممن شاركوه توجهاته الاندماجية ومعارضته لقيام حكومة أهلية في أي جزء من اجزاء الإقليم. ورغم أن كوكس قد أقرّ، بحسب شهادة يانغ، بأن «نهج القاهرة كان الأفضل على عكس التوقعات»⁵⁷⁶ فيما يتعلق بتشكيل إدارات أهلية، فان الدلائل تُشير الى تناقض جلي بين ما أقره كوكس في أقواله وما انتهجه عملياً. ففي عشية عودة الشيخ محمود الى موطنه، بذل كوكس مساعي حثيثة لإقناع وزارة المستعمرات بالتخلي عن فكرة إعادة تشكيل إدارة أهلية كُردية برئاسة الشيخ محمود، كالتى تم تشكيلها في أعقاب الحرب العالمية الأولى، حيث حذر من مغبة انتهاج مثل هذه السياسة، متوسلاً بكثير من الحجج:

مقارنة بالعراقيين (العرب)، الذين (كانت) أهدافهم وطنية ودستورية، تصرف الشيخ محمود بصورة رئيسة وفق حسابات شخصية وملكية. وعن هذا (التصرف) هناك وفرة من الدلائل. فبالرغم من مواعظه ذات النزعة الإسلامية عن الجهاد، فإن أنصاره ليسوا سوى قلة من المرتزقة الذين جذبهم بواسطة المال... أنا أرى انه من غير المعقول منح الشيخ محمود حريته قبل ان يحين الوقت الذي يُمكن فيه الاطمئنان على المستقبل السياسي بصورة أكثر. من المحتمل جداً انه لم يتم الإدراك تماماً في ان سياستنا هي في صالح النزعة القومية الكُردية بصورة اكبر من تلك التي يُمثلها الشيخ محمود. فبينما نحن نعمل من اجل دستور محققين بعض النجاح، بالرغم من انها أوليغاركية في المرحلة الراهنة، لكنها تتطور نحو الديمقراطية. ان الشيخ محمود مُقترن بسياسة النزعة المطلقة، وهو الذي يُخشى منه بوصفه باروناً إقطاعياً من أسوء

⁵⁷⁶ Maj. Young, Colonial Office Minute, 20 June 1923, CO730/40, PRO.

الأنواع. فحتى لو أطلق سراحه في الهند، فأنني أرى انه سيكون له تأثير مُقلق،
كما هو الحال الآن.^{٥٧٧}

في تحليلاته لموقف كوكس من الوضع الكُردي، يُبين روبرت أولسون كيف انه قام
بتأخير جوابه لتشرتشل لمدة شهرين، بعد أن أثار الأخير تساؤلات عن إمكانية عودة
الشيخ محمود الى كُردستان الجنوبية.^{٥٧٨}

ومن جملة الإدعاءات التي قدمها كوكس هي انه رغم وجود مشاعر كُردية قوية
معادية للاندماج بالدولة العراقية ووجود ((رغبة عامة لحاكم وطني)) في كُردستان
الجنوبية، فانه كان ((من المستحيل)) اختيار كُردي لهذا الموقع وذلك لان الكُرد لن
يعترفوا به جميعاً حاكماً عليهم، وانه في غياب حماية بريطانية قوية لهذا الحاكم، فان
كُردستان الجنوبية ستُمر في حالة من الفوضى.^{٥٧٩} وعدَّ كوكس مواقف الكُرد، من
الذين طالبوا بعودة الشيخ محمود، غير مُعبّرة عن رغبات الشعب الكُردي، لأن هذا
الشعب كان أما ((معارضاً للشيخ محمود بشكل مُؤكد أو... غير مبالي)).^{٥٨٠} بتعبير آخر،
بالرغم من ان نتائج الاستفتاء العام ١٩٢١ قد أُجبرت كوكس على الاعتراف بالرفض
الكُردي لفكرة الخضوع لحكم عربي، فانه ظلَّ يؤمن بخيار اندماج كُردستان الجنوبية
في العراق بوصفه الحل الوحيد، بحجة غياب قائد وطني كُردي ذي أهلية.

وفي أعقاب عودة الشيخ محمود الى موطنه، بدأ كوكس يُسخر جهوده من أجل
عرقلة المحاولات الرامية الى إقامة إدارة أهلية كُردية قابلة للحياة في السليمانية ومن ثم
قادرة على بسط سلطتها الى المقاطعات والاقضية الكُردية المجاورة، أملاً في ان يُقنع
وزارة المستعمرات بالتخلي عن موقفها القاضي بوجود إقليم كُردستاني منفصل
إدارياً وسياسياً عن ميزوبوتاميا العربية. وبوصفه المفوض السامي، احتل كوكس
موقعاً حيويًا يؤهله لاتخاذ قرارات عاجلة إذا ما رأى أن الوضع الكُردي يتطلب ذلك.
ولهذا السبب أُستمر كوكس في أن يكون العامل الأهم سواء في نجاح تجربة الحكم
الأهلي الثانية أو في فشلها. وهذا يعني أن تجربة الحكم الأهلي الجديدة قد جرت تحت

⁵⁷⁷ High Commissioner of Iraq to S/S the Colonies, 26 August 1921, C0730/4, PRO.

⁵⁷⁸ Olson, The Emergence of Kurdish Nationalism, p.61.

⁵⁷⁹ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 2 July 1922, F0371/7781, PRO.

⁵⁸⁰ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 5 July 1922, F0371/7781, PRO.

أنظار وإشراف أناس كانوا هم من ابرز وأقوى المعارضين لها. وتلك كانت واحدة من جملة الارتباكات التي شابت السياسة الكردية لبريطانيا في مرحلة ما بعد كونفرانس القاهرة. وشكلت الطريقة التي عارض فيها كوكس عودة الشيخ محمود ومستشاره السابق الميجر نوئيل وكذلك عزمه على دمج كردستان الجنوبية بالعراق العربي، بحسب تعبير روبرت أولسون، بداية لهيمنة سياسات ((الموظفين الميدانيين)) على تلك التي كانت عائدة لـ((عاصمة بعيدة)) (أي لندن).⁵⁸¹

ومثل ما عُرف بخطة "سيد طه" واحدة من الوسائل التي اتبعتها كوكس من أجل عرقلة عملية تشكيل إدارة أهلية كردية عامة أخرى. تضمنت الخطة الأنفة، التي وضعت قبل عودة الشيخ محمود، إنشاء كيان للحكم الذاتي في السليمانية وراوندوز خاضعة لرئاسة حاكم كردي.⁵⁸² وهاتان المنطقتان تم اختيارهما لأسباب أمنية، بوصفهما مسرحاً للنشاطات المعادية للبريطانيين ومصدراً للقلق السياسي الدائم بالنسبة الى عمل السلطات البريطانية في ميزوبوتاميا منذ حزيران العام 1919. ومن خلال تقديم خطة سيد طه المحدودة في أبعادها الجغرافية ومضامينها السياسية والإدارية لم يحاول كوكس التصدي للتهديدات الكمالية التركية المتزايدة بقدر ما سعى الى سد الطريق أمام عودة الشيخ محمود الى كردستان الجنوبية بوصفه رئيساً لمرة أخرى لإدارة أهلية كردية جديدة منفصلة عن الإدارة الأهلية العربية في بغداد.

ونتيجة لغياب دعم محلي لخطته التي تزامنت مع عودة الشيخ محمود من منفاه الى موطنه، اضطرت كوكس الى تعديلها وذلك من خلال إقصارها جغرافياً على راوندوز والمناطق القريبة المحيطة بها. ولهذا الغرض، طلب كوكس من وزارة المستعمرات الموافقة على تقديمه مساعدات على شكل أسلحة واعتده وأموال ومتطوعين كرد الى السيد طه بهدف مساعدته في التصدي للمخططات الكمالية التركية في تلك الأرجاء. وكان الأخير قد وصل بالفعل الى راوندوز في 6 تشرين الثاني من العام 1922. وكان من شأن تعزيز موقف السيد طه السياسي والعسكري منح كوكس فوائد كبيرة بقدر ما يتعلق الأمر بمساعيه الحثيثة التي كان يبذلها من أجل عرقلة الجهود الرامية الى إنشاء إدارة أهلية كردية حقيقية في السليمانية. ففي المقام الأول، كان من شأن إنهاء المشاكل

⁵⁸¹ Olson, The Emergence of Kurdish Nationalism, p.61.

⁵⁸² IIR, No-14, 15 July 1922, F0371/7771, PRO.

التي واجهها البريطانيون في راوندوز ونواحيها، أن تُمكن كوكس من تعزيز موقفه ومن ثم مقاومته لفكرة ما عدّه تنازلات سياسية كبيرة للقوميين الكُرد المتطرفين الذين قادهم الشيخ محمود. وفي المقام الثاني، سيكون بالإمكان إبراز أهمية السيد طه والتأكيد على دوره بوصفه شخصية قومية ودينية يُؤتمن بها قدرة على منافسة الشيخ محمود. لقد أراد كوكس من السيد طه أن يعمل، وبدون وعي منه، على إضعاف مكانة الشيخ محمود السياسية ونفوذه الاجتماعي والديني من خلال إحداث شقاق جديد في صفوف القوميين والزعامات المحلية المتواجدة في إقليم كُردستان الجنوبية. ويُذكر أن سي جي آدموندز، الذي كان يعمل موظفاً سياسياً في المناطق الكُردية، قد أخطأ اللثام عن الهدف الرئيس وراء تقديم خطة السيد طه المُتمثلة بإضعاف موقف الشيخ محمود.⁵⁸³ وإن كوكس نفسه قد أقرّ أيضاً بأن إحدى الدوافع الرئيسة الكامنة وراء تقديم خطته هو التصدي لما أسماه بـ«إدعاءات» الشيخ محمود،⁵⁸⁴ أي عدم قدرة البريطانيين على الاستغناء عنه كلاعب رئيس في الساحة السياسية الكُردية.

وأدرك الشيخ محمود من جانبه أنه هو المستهدف من وراء خطة السيد طه. ومع ذلك لم تصدر من الأول إشارات معادية للثاني. لقد تناقضت الخطة المذكورة بشكل واضح مع السياسة البريطانية المعتمدة التي أرجعت الشيخ محمود من منفاه. فمن جهة، بادر البريطانيون إلى إعادة الشيخ إلى موطنه، أملاً في تمكينه من تشكيل إدارة أهلية كُردية جديدة تُعيد الاستقرار السياسي والأمن لكُردستان الجنوبية التي تعكر صفوها نتيجة للنشاطات الدعائية والسياسية والعسكرية التي كان يقوم بها الكماليون الأتراك. ومن جهة ثانية، التجأت السلطات البريطانية الميدانية إلى خطة السيد طه لإضعاف موقف الشيخ ونفوذه بين الكُرد الجنوبيين. ولربما أحدث كل ذلك حالة من الإرباك الذهني لدى الشيخ محمود بما يُفسر حدة ردود أفعاله التالية. وليس من الغريب في ظل تلك الأجواء غير الصافية في أن يُصاب الشيخ محمود بخيبة أمل كبيرة، خصوصاً وأنه قد مرّ قبل ذلك في تجربة مريرة مع السلطات البريطانية الميدانية في عهد الكولونيل ويلسون، التي انتهت بتدمير إدارته الأهلية الأولى ونفيه إلى الهند.

⁵⁸³ C.J. Edmonds, Note on the Kurdish Situation, 4 January 1923, -in- Shuckburgh, Colonial Office, to Osborne, Foreign Office, 25 January 1923, F0371/9004, PRO.

⁵⁸⁴ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, December 1922, F0371/7782, PRO.

تميزت عملية إنشاء الحكومة الكُردية الثانية بطابعها التدريجي بالتوافق مع سير التطورات والأحداث آنذاك. فقبل رجوع الشيخ محمود، وجدت السلطات البريطانية في بغداد نفسها في وضع مرتبك للغاية بحيث أجبرها تدهور الوضع الكُردى المتزايد على سحب موظفيها العاملين في كثير من المناطق الكُردية، مثل السليمانية وراوندوز وكويسنجق. وفي محاولة منهم لملء الفراغ السياسي والإداري والأمني الناجم عن انسحاب المسؤولين البريطانيين، بادر القوميون الكُرد إلى إدارة الشؤون المحلية في مقاطعة السليمانية. ففي الوقت الذي أدعى كوكس ومرؤوسوه فيه أمام وزارة المستعمرات بأنهم كانوا وراء وضع تلك الترتيبات على الأرض، يُبين رفيق حلمي في مذكراته ان الكُرد هم الذين اتخذوا مبادرة تشكيل مجلس قومي كُردى.^{٥٨٥} ونظراً للطريقة المتعجلة والمرتبكة التي ترك فيها الموظفون البريطانيون السليمانية وسيطرة القوميون الكُرد على المجلس الجديد وكذلك قرار الشيخ محمود في وقت لاحق في تطوير هذا الجهاز إلى حكومة أهلية جديدة، تبدو رواية رفيق حلمي هي الأقرب إلى الواقع من الرواية البريطانية.

ولكونه مُمثلاً للشيخ محمود وشقيقاً له، اختارت الزعامات الكُردية المحلية الشيخ قادر رئيساً للمجلس القومي الكُردى. وانتخب أعضاء هذا المجلس أيضاً مدراء لإدارة شؤون الشرطة والمالية والكمارك وغيرها. وكان القوميون الكُرد قد عبروا، من خلال إقدامهم على اعتقال ثلاثة شخصيات كُردية معروفة بعلاقتها مع الأتراك، عن استعدادهم للتصدي للنفوذ الكمالي- التركي ولتوطيد العلاقات مع المفوضية السامية البريطانية في بغداد.^{٥٨٦} وعلى وفق التقارير البريطانية الميدانية، نجح المجلس الكُردى في تحقيق هدفه الرئيس المتمثل بتوفير الاستقرار في المناطق الخاضعة لها وكذلك في بعض المناطق الخارجة عن نطاق سيطرته، مثل پشدر وخوشناوتي.^{٥٨٧} وساعدت هذه التطورات على التخفيف من حدة نفوذ الكماليين- الأتراك، الذين صمموا بقوة على إرباك الوضع الكُردى وتأزم العلاقات الكُردية- البريطانية. وبهذا الصدد، سلطَ تقرير العراق الاستخباراتي بعض الضوء على المتغيرات الإيجابية التي طرأت على الوضع الكُردى:

⁵⁸⁵ حلمي، ياداشت، ج٢، ص٣٣١-٣٣٢ و٣٥١-٣٥٢.

⁵⁸⁶ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 9 September 1922, F0371/7781, PRO.

⁵⁸⁷ IIR, No.18, 15 September 1922, F0371/7772, PRO.

ان حكماً رسمياً تحت سيطرة الشيوخ أو الأغوات من شأنه أن يملك جاذبية اقوي من أي شيء يُمكن للكاملين منافسته به، إلا إذا كان في مقدورهم مساندة الدعاية بالقوة ... وفي مقاطعة كركوك، لم تُثر إحداهن السليمانية أية مظاهر عدائية تجاه الحكومة (البريطانية) بين القبائل الكُردية، والكثير منهم هم من انصار الشيوخ (أي أسرة الشيخ محمود) ومن المفروض ان ترضيهم عودة الشيخ محمود.⁵⁸⁸

وفي أعقاب عودته في بداية شهر تشرين الأول، قام الشيخ محمود باستغلال التطورات السياسية آنفة الذكر بسرعة لإنشاء كيان للحكم الذاتي قابل للتوسع الجغرافي والتطور السياسي. ان رفضه لتسليم منصب رئيس المجلس القومي الكُردى وتمسكه بلقبه السابق كحاكم لكُردستان،⁵⁸⁹ وتشكيله لقوة عسكرية كُردية بمساعدة بعض الضباط الكُرد واتخاذهم علماً قومياً كلها كانت دلالات واضحة وملموسة على تطلعات الشيخ وطموحه في ان يكون حاكماً وزعيماً وطنياً، بدلاً من ان يكون رئيساً محلياً لمنطقة أو لعدد من المناطق الكُردية.

ان خطوات الشيخ محمود الأنفة الذكر، التي لم تواجه معارضة بريطانية ميدانية تُذكر، قد أسهمت في خلق انطباع قوي بين القوميين الكُرد في ان بريطانيا وافقت أخيراً على فكرة بقاء كُردستان الجنوبية منفصلة سياسياً تحت إدارة أهلية كُردية. ووصف نونيل كيف ان عودة الشيخ محمود الى السليمانية قد أدى الى فوران قومي وكيف ان الدعم الكُردى لحكومته قد تعدت بسرعة حدود مقاطعة السليمانية لتشمل مناطق أخرى ومنها اربيل. كما جاء جميع قادة القبائل الكُردية في كبرى الى مدينة السليمانية مطالبين بتحديد تاريخ مبكر لإجراء انتخابات «لكي يعبروا علناً عن نواياهم في مبايعة الشيخ محمود»⁵⁹⁰. وأعلن الكُرد من الطالبانيين والزنگنه مساندة لحكومة الشيخ محمود الكُردية. ولم تكن سوى أيام قليلة حتى عبرت قبائل كُردية أخرى في كركوك واربيل عن مواقف مماثلة مؤيدة للشيخ محمود. ومن جانبه، أرسل الشيخ وفوداً الى كركوك واربيل بغية تعبئة أهاليها الكُرد من أجل قضية استقلال كُردستان الجنوبية.

⁵⁸⁸ Ibid.

⁵⁸⁹ حلمي، ياداشت، ج ٢، ص ٥٣٥.

⁵⁹⁰ IIR, No.1, I January 1923, F0371/7772, PRO.

لم تُسعد التطورات السريعة، التي شهدتها المناطق الكُردية على إثر عودة الشيخ محمود، السلطات البريطانية في ميزوبوتاميا حيث فسرت إعلان أهالي كفري، بما فيهم الطالبانيون، عن تقديم الولاء الى قيادة الشيخ محمود على إنه دلالة من دلالات الفوضى.⁵⁹¹ كما وجّهت انتقادات بريطانية ميدانية مماثلة ضد المساندة الكُردية في اربيل للإدارة الأهلية في السليمانية. وعبر آدمونز، الذي كان قد أشار الى كسب الشيخ محمود لأهالي كركوك من الكُرد الى جانبه، عن مخاوفه من الدزئيين الكُرد الذين سيطالبون بالوحدة مع الكيان الكُرد في السليمانية،⁵⁹² إذ حذر من (ازدياد) نفوذ الشيخ، الذي مثّل النزعة القومية المتطرفة.⁵⁹³ كما ازداد حجم المساندة الكُردية لإقامة إدارة أهلية كُردية بسرعة ملحوظة في رانيه وحلبجة وخوشناوتي ومناطق أخرى. وشجع الدعم الكُرد الكاسح لخيار كُردستان جنوبية مستقلة الشيخ محمود على مطالبة كوكس بإجراء استفتاء عام في المناطق الكُردية يكون مشابهة للاستفتاء الذي جرى في ميزوبوتاميا في العام ١٩٢١ حول مبايعة الأمير فيصل ملكاً على العراق. ويُمكن للمرء ان يستنتج من دون صعوبة ان ما طالب به الشيخ الإدارة البريطانية الميدانية لم يكن يتعارض مع نهج وزارة المستعمرات الحقيقي، المتمثل بترك حرية الاختيار للكُرد الجنوبيين في مسألة تحديد مصيرهم.

انقلاب السياسة البريطانية من الانفصال الى الاندماج

نظراً للتأييد الواسع الذي نالته الإدارة الأهلية الثانية بقيادة الشيخ محمود من وجهاء العديد من المقاطعات والاقضية الكُردية وكذلك إظهار قدرتها على إعادة الاستقرار الى عدة مناطق في فترة قياسية، فإن القرار البريطاني القاضي بإلحاق كُردستان الجنوبية قسراً بدولة العراق العربي بدأ متناقضاً تماماً مع رغبة لندن في تعزيز استقرار ذلك الإقليم. وهناك ثلاثة أسباب رئيسة تُفسر لماذا قررت الحكومة البريطانية في نهاية الأمر ان تخضع الكُرد الجنوبيين ومناطقهم الى حكم عربي على الضد من تطلعاتهم ورغباتهم. أولاً، منذ البداية الأولى، واجهت حكومة الشيخ محمود الثانية مواقف عدائية سافرة من جانب كوكس وهنري دوبر، المفوض السامي وكالة،

⁵⁹¹ Ibid.

⁵⁹² C.J. Edmonds, Note on the Kurdish Situation, 4 January 1923, -in- Shuckburgh, Colonial Office, to Osborne, Foreign Office, 25 January 1923, F0371/9004, PRO.

⁵⁹³ IIR, No.1, 1 January 1923, F0371/7772, PRO.

الذين كانا مُصرّين على إنهاء تجربة الحكم الأهلي في كُردستان الجنوبية. ثانياً، في تشرين الأول من العام ١٩٢٢، لم يُعد وينستون تشرشل وزيراً للمستعمرات، إذ فقد منصبه في أعقاب انهيار حكومة لويد جورج الائتلافية. أما وزير المستعمرات الجديد، ليو أمري، فلم يكن مُطلعاً على الشؤون الكُردية، ولهذا لم يكن يمتلك رؤية واضحة ومتميزة تجاه وضع كُردستان الجنوبية، على النقيض تماماً من سلفه، تشرشل. فالأخير ترك بصماته بشكل ملموس على السياسة المُنتَهجة بسبب الطابع المباشر والثابت لتدخلاته في الوضع الكُردية.

وأخيراً، جاء انعقاد كونفرانس لوزان في شهر تشرين الثاني (١٩٢٢) في ظروف لا تلائم القضية الكُردية بشكل عام ومسألة مصير إقليم كُردستان الجنوبية بشكل خاص، وذلك لأن الحكومة البريطانية المحافظة الجديدة برئاسة بونار لو كانت قد عَزمت على التوصل الى اتفاق ثنائي مع تركيا الكمالية من خلال تقديم بعض التنازلات. لقد تحتم على بريطانيا بسبب الخطر البلشفي المتزايد، بحسب رأي حكومتها الجديدة، أن لا تجعل تركيا الكمالية تشعر بأن كُردستان الجنوبية ستكون مصدراً لقلقها الدائم وتهديداً مستمراً لأمنها ولوحدتها الإقليمية. ففي ظل تلك الشروط الدولية والإقليمية المتغيرة، أصبح اندماج كُردستان الجنوبية في العراق العربي والتصدي للتطلعات القومية الجامحة للكُرد الخيار الأمثل في رأي السياسة البريطانية من أجل طمأنة الكماليين الأتراك بخصوص نوايا لندن السليمة تجاههم.

لم تكن النجاحات الأولية، التي حققها الشيخ محمود من خلال تعبئة الكُرد الجنوبيين من اجل قيام كُردستان جنوبية منفصلة ومستقلة تحت إدارة أهلية، أخباراً سارة بالنسبة الى كوكس ومرؤوسيه ممن شاركوه الرأي. ولم يرضَ كوكس بأن يتخذ موقف المتفرج تجاه ما كان يجري من تطورات في المناطق الكُردية، إذ ضاعف من مساعيه الرامية الى احتواء الحركة القومية الكُردية. ولتحقيق هذا الغرض، كتّف كوكس من نشاطه على جبهتين مختلفتين في آن واحد: إقليم كُردستان الجنوبية ولندن. فعلاوة على خطة السيد طه، ألقى كوكس ومرؤوسوه بظلال الشك على أسباب شعبية حكومة الشيخ محمود بين الكُرد الجنوبيين. على سبيل المثال، ادعى مستشار مقاطعة كركوك ان رغبة القبائل الكُردية في تجنب دفع الضرائب ومعاداة الكُرد لوجود حكومة حقيقية هي السبب الوحيد الذي يُفسر الشعبية التي تمتع بها الشيخ محمود

بعد عودته وتشكيله لإدارة جديدة.^{٥٩٤} وفي تقاريره الى حكومة لندن، أكد كوكس على وجود تعاون بين الشيخ محمود والكرد المناهضين للنفوذ البريطاني، وكذلك أدعى وجود اتصالات بينه وبين الكماليين الأتراك، الذين استطاعوا إخضاعه لإرادتهم.

والجدير بالإشارة أنه لا توجد أية دلائل واضحة تشير الى قيام الشيخ محمود باتصالات، ناهيك عن تعاون أو تحالف، مع الكماليين الأتراك قبل فترة تدهور علاقته مع المفوضية السامية البريطانية في بغداد. وجاءت اتصالات الشيخ محمود مع الأتراك، كما يُبين رفيق حلمي، في أعقاب رفض كوكس إجراء استفتاء عام يُقرر من خلاله أهالي إقليم كردستان الجنوبية مصيرهم على غرار الطريقة التي اتبعها البريطانيون لدى إقامة الحكم الأهلي في ميزوبوتاميا العربية. كما جاءت تلك الاتصالات بعد ان توضّح وبشكل ملموس عزم المسؤولين البريطانيين الميدانيين على تطبيق خيار الاندماج القسري وإخضاع الكرد الجنوبيين الى حكم عربي غريب على الضد من إرادتهم. وثُبين الوثائق البريطانية لتلك الحقبة ان كوكس كان قد وعدَ الشيخ محمود بإرسال أسلحة وأعدته و٢٠٠ من أفراد قوات الليفي ولربما تقديم مساندة جوية بريطانية، ولكن لا شيء من هذا القبيل قد تحقق. وليس هذا فحسب وإنما قام كوكس بإرسال أوامره الى الضباط الكرد يدعوهم فيها الى العودة، بعد ان كانوا قد رافقوا الشيخ محمود في طريق عودته الى السليمانية. وتمثلت مهمة هؤلاء الضباط بمساعدة الشيخ محمود في بناء جيش كردي. ويؤكد رفيق حلمي ان الشيخ كان يسعى الى مقاتلة الكماليين الأتراك. ولكنه، بسبب غياب مساندة جوية بريطانية، لم يكن قادراً على فعل ذلك.^{٥٩٥}

تضافرت جملة تطورات، وفق استنتاجات رفيق حلمي، في تدهور العلاقات بين الشيخ محمود والموظفين البريطانيين. ففي المقام الأول، لم يُقدّم البريطانيون على منح حكومة الشيخ محمود أية مساعدات عسكرية أو مالية ضرورية من أجل طرد العناصر الكمالية من كردستان الجنوبية. وثانياً، بعد ان تم تحرير كويسنجق من الوجود الكمالي التركي، رفض البريطانيون تسليمها الى الإدارة الكردية إلا في حالة قيام الشيخ محمود بإخراج الكماليين من راوندوز.^{٥٩٦} وأخيراً، فسّر الشيخ محمود

⁵⁹⁴ IIR, NO-20, 15 October 1922, F0371/7772, PRO.

⁵⁹⁵ حلمي، *ياداشت*، ج٢، ص٥٦٥.

⁵⁹⁶ المصدر السابق، ص٥٨٢-٥٨٣.

تجنب البريطانيون مسألة التورط مباشرة في القتال ضد الكماليين الأتراك على أنها إشارة تدل على رغبتهم في التخلي عن كردستان الجنوبية كلها، إذا ما تعرضوا الى ضغوط كمالية متزايدة.

وبالمقارنة مع خصومهم البريطانيين، سعى الكماليون الأتراك الى التصعيد من جهودهم العسكرية ونشاطاتهم الدعائية حتى إنهم ظهروا كما لو كانوا أكثر عزماً من البريطانيين في السيطرة على إقليم كردستان الجنوبية.^{٥٩٧} لتلك الأسباب، من جانب، ونظراً لوقوف الموظفين البريطانيين ضد فكرة كردستان جنوبية منفصلة ومستقلة، من جانب ثانٍ، أضطر الشيخ محمود الى الاتصال بالكماليين الأتراك، الذين كانوا يتعهدون بمنح الشعب الكردي حكماً ذاتياً واسعاً ضمن إطار الدولة التركية الجديدة. ولكن الكماليين، على غرار الموظفين البريطانيين، لم يكونوا يثقون بنوايا الشيخ محمود، وذلك بسبب توجهاته القومية. ويُذكر أن الكماليين قد قاموا بتنظيم حملة دعائية ضد الشيخ محمود حالما عاد من منفاه ليشكل حكومة كردية جديدة.^{٥٩٨} وحين اتصل الشيخ محمود بالعناصر الكمالية غير المنظمة الموجودة في المناطق الكردية، أبدى أوزدمير باشا، قائد تلك العناصر، عدم ثقته بدوافعه، ولهذا رفض دعم انتفاضته ضد البريطانيين.^{٥٩٩}

ان النقطة التي تبرز للعيان لدى قراءة تفسيرات رفيق حلمي حول سير الأحداث في تلك الفترة الحساسة تتمثل في سعي الشيخ محمود أن يجعل خياراته السياسية مفتوحة إلا في حالة إبداء البريطانيين استعداداً قوياً وأكيدا للقبول بفكرة كردستان جنوبية منفصلة تتمتع بإدارة أهلية وجمالية بريطانية. ففي ضوء تلك الحسابات، حاول الشيخ محمود أن يؤكد ويثبت بأنه هو العامل القادر على قلب الموازين لصالح هذا الطرف أو ذاك في كردستان الجنوبية. ففي هذا الصدد، يُقال ان الشيخ محمود قد صرّح ((في عبارات تكاد ان لا تكون مستترة بأنه بإمكانه إخراج الأتراك في أي وقت، متى ما شاء، لكنه امتنع عن ذلك بشكل مقصود)).^{٦٠٠} ولكن، في غياب أيّة ضمانات بريطانية حول قيام كردستان جنوبية مستقلة عن الحكم العربي في حالة إلحاق الهزيمة بالخطر

⁵⁹⁷ المصدر السابق.

⁵⁹⁸ المصدر السابق، ص ٥٢٢.

⁵⁹⁹ Foreign Office Minute No.3020, 11 April 1923, F0371/9004, PRO.

⁶⁰⁰ IIR, No.1, 1 January 1923, F0371/7772, PRO.

الكمالي - التركي، لم يرَ الشيخ محمود أية فائدة في ان يُقاتل العناصر الكمالية بالنيابة عن البريطانيين والعرب. وبدلاً عن ذلك، حاول الشيخ ان يستغل بقدر المستطاع متاعب البريطانيين في المناطق الكُردية لكي ينتزع منهم تنازلات في مقدمتها موافقتهم على قيام إقليم كُردستان جنوبي منفصل. وبدورهم كان المسؤولون البريطانيون الميدانيون واعين للتكتيكات التي كان يتبعها الشيخ لفرض خياره السياسي على جميع الأطراف. وألقى آدموندز الضوء على الطريقة التي استخدم فيها الشيخ محمود الوجود الكمالي في منطقة رانيه كأداة ((لانتزاع تنازلات)) من الجانب البريطاني.^{٦٠١}

من ناحية ثانية، ركز كوكس جهوده على خلق تأييد كُردي لحكم الملك فيصل. ولذلك اتخذت الإجراءات البريطانية الميدانية في المناطق الكُردية بالتنسيق مع الحكومة العربية. كان الهدف الرئيس من وراء تلك الإجراءات عزل السليمانية عن المقاطعات الكُردية الأخرى من خلال تسجيل ناخبين أوليين لانتخابات المجلس التشريعي العربي،^{٦٠٢} علاوة على تضيق الخناق على الحكومة الكُردية اقتصادياً من خلال إرغام سُكان المناطق الكُردية على دفع الضرائب الى الحكومة العربية في بغداد. وشمل التسجيل للانتخابات المقترحة مناطق كُردية عدّة منها كفري وكركوك. فالأخيرتان كانتا ضمن المناطق التي رفضت مبايعة فيصل ملكاً وحكمه العربي، في حين أبدى سكانهما الكُرد رغبتهم في الانضمام الى الحكم الأهلي الكُردي القائم في السليمانية. وكانت هذه الإجراءات المناصرة للحكم العربي والمطامح العربية في إخضاع المناطق الكُردية هي التي أثارت حفيظة الشيخ محمود ومن ثم أدت به الى اتخاذ مبادرات سياسية مستقلة دون استشارة السلطات البريطانية في بغداد. وعلى إثر سماعه بنياً شمول انتخابات المجلس العربي مناطق كُردية ورفض البريطانيين لفكرة إجراء استفتاء لمعرفة رأي أهالي تلك المناطق، أعلن الشيخ محمود نفسه ملكاً على كُردستان الجنوبية في أواخر شهر تشرين الأول:

من اليوم فصاعداً، وضعت في يدي دفة الدولة ومسؤولية حماية كُردستان مستقلة. انه املي في ان تعملوا جميعكم وتناضلوا من اجل استمرار هذا اليوم

⁶⁰¹ C.J. Edmonds, Note On Kurdish Situation, 4 January 1923 -in- Shuckburgh, Colonial Office, to Osborne, Foreign Office, 25 January 1923, F0371/9004, PRO.

⁶⁰² IIR, No.21, 1 November 1922, F0371/7772, PRO.

المجيد ولفاهية الأمة وتقدمها. أيها الكُرد، الآن هي فرصتكم للعمل متحدين
كأسرة واحدة من أجل تعزيز وصيانة الحقوق القومية التي كسبناها.^{٦٠٣}

ولربما حاول الشيخ محمود من وراء تلك الخطوة المفاجئة ان يُشدد من ضغوطه
على البريطانيين لكي يقبلوا بقيام كُردستان الجنوبية منفصلة ومستقلة عن العراق
العربي. وفي السياق ذاته، أرسل الشيخ محمود وفداً كُردياً الى مدينة بغداد حمل معه
مطلباً الى كوكس، بوصفه المفوض السامي، ينص على ضرورة إجراء انتخابات
لِلناخبين الثانويين في المناطق الكُردية بهدف خلق «نواة لجمعية وطنية كُردية وحسم
مسألة مستقبل الدولة الكُردية وشكل الحكومة المناسبة للكُرد». ^{٦٠٤} كما طلب الوفد
الكُردي اعترافاً بريطانياً رسمياً وعلنياً بالحكومة الكُردية وباستقلال كُردستان
الجنوبية. ^{٦٠٥} أما كوكس فرفض فكرة إجراء أية استفتاء منفصل في المناطق
الكُردية، ^{٦٠٦} وطالب القوميين الكُرد بتخفيف سقف مطالبهم، واعداء إياهم انه سيوصي
حكومته وحكومة العراق «بالاعتراف رسمياً بحق الكُرد في تشكيل حكومة وطنية
ضمن إطار العراق». ^{٦٠٧} لم تكن فكرة إجراء استفتاء منفصل في المناطق الكُردية
لتقرير مصيرها مقبولة لدى كوكس. فهو لم ينسَ بعدُ كيف رفض غالبية الكُرد
الجنوبيين مبايعة فيصل أو الاعتراف بحكومته العربية خلال استفتاء عام ١٩٢١.
فإجراء مثل ذلك الاستفتاء في الإقليم الكُردِي وتحت تلك الظروف ستكون نتائجه
لصالح حكومة الشيخ محمود. وكان موظفون بريطانيون من العاملين ميدانياً قد
نصحوا رئيسهم كوكس بعدم الأخذ بآراء المحليين في المناطق الكُردية، ومنها منطقة
كفري، فيما يتعلق بموقفهم من حكومة فيصل. ^{٦٠٨}

نظراً لوجود تضاد حاد بين التطلعات السياسية للقوميين الكُرد المتمثلة بقيام
كُردستان جنوبية منفصلة ومخططات السلطات البريطانية في بغداد القائمة على فكرة
دمج ذلك الإقليم بالعراق العربي، صار تصادم الطرفين أمراً لا مفر منه. فرداً على
رفض مطلبه في بسط الحكم الأهلي على رانيه وكويسنجق، اللتين كانتا إدارياً جزءاً

⁶⁰³ Ibid, Extract From Bang-i-Kurdistan, the official newspaper of the Kurdish government.

⁶⁰⁴ Ibid.

⁶⁰⁵ IIR, No-22, 15 November 1922, F0371/7772, PRO.

⁶⁰⁶ IIR, No.21, 1 November 1922, F0371/7772, PRO.

⁶⁰⁷ IIR, No.22, 15 November 1922, F0371/7772, PRO.

⁶⁰⁸ IIR, No.23, 1 December 1922, F0371/7772, PRO.

من السليمانية،^{٦٠٩} قام الشيخ محمود بتطهير إدارته من موظفين شكَّ بولائهم الى البريطانيين.^{٦١٠} وفي ٢٠ تشرين الثاني، طلبت الحكومة الكُردية من البريطانيين منع موظفي الحكومة العربية في بغداد من جباية الضرائب من المناطق الكُردية لحين رسم الحدود بين البلدين. وفي الوقت نفسه، بدأ موظفو الإدارة الكُردية بجباية الضرائب من المناطق الكُردية على الرغم من معارضة كوكس لهذا العمل.^{٦١١} وكانت الحكومة الكُردية قد قاومت بشكل خاص محاولات عربية ترمي الى فرض ضرائب، خاصة على التبغ الكُردية، الذي كان من أهم مصادر دخلها.

وجاءت نقطة الانعطاف في العلاقات بين القوميين الكُرد والموظفين البريطانيين في شهر تشرين الأول من العام ١٩٢٢ حين فُقدَ وينستون تشرشل منصبه وزيراً للمستعمرات إثر انهيار الحكومة الائتلافية التي ترأسها السياسي الليبرالي لويد جورج. أما كورزون، الذي احتفظ بمنصبه وزيراً للخارجية في حكومة المحافظين الجديدة، فعدَّ خطوة كوكس الاندماجية الوسيلة المثلى لبقاء المصادر البترولية الكامنة في كُردستان الجنوبية تحت السيطرة البريطانية. ففي كونفرانس لوزان، قام كورزون بتكرار حجج كوكس السياسية والاقتصادية والإستراتيجية لتبرير إلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي، محذراً في الوقت ذاته الكمالين الأتراك من مغبة إجراء استفتاء في ذلك الإقليم لأن «الكُرد سيصوتون بدون أدنى شك لصالح كُردستان مستقلة».^{٦١٢} وفضلاً عن هذا، على النقيض من سلفه تشرشل، لم يملك ليو أمري أي وجهات نظر خاصة بشأن الوضع الكُردية وهو الأمر الذي مَكَّنَ موظفي المفوضية السامية البريطانية في بغداد من أداء دور حاسم أكبر بكثير مما كانوا يتوقعونه. بهذا النحو، مع اختفاء تشرشل من ميدان صنع القرار المتعلق بكُردستان الجنوبية، قفز خيار الاندماج القسري الى الواجهة بوصفه الحل الأسهل والأمثل لمسألة تحديد العلاقة بين ذلك الإقليم والعراق العربي. وتمثلت الخطوة الأولى التي اتخذتها الحكومة المحافظة البريطانية الجديدة في الموافقة على خطة كوكس والقاضية بإنشاء كُردستان جنوبية تتمتع بحكومة ذاتية ضمن إطار دولة العراق.

⁶⁰⁹ Ibid.

⁶¹⁰ Ibid.

⁶¹¹ Ibid.

⁶¹² Curzon's Reply to Ismet Pasha, Respecting Mosul, No.1, 23 January 1923, 371/9058, PRO.

جاءت المواجهة بين السلطات الميدانية البريطانية والحكومة الكُردية في ظرف سياسي إقليمي ودولي غير ملائم بالنسبة الى القوميين الكُرد، إذ تزامنت مع انعقاد كونفرانس لوزان وتغيير الحكومة الوطنية في بريطانيا. ومن الضروري التذكير أن واحدة من الأسباب التي دعت الكماليين الى الإدعاء بوجود حقوق تركية تاريخية وامتدادات أثنية في كُردستان الجنوبية قد وضّحت في المقام الأول خشيتهم من ان البريطانيين سيقدمون على إنشاء كيان كُرد مستقل في ذلك الإقليم، وهو الأمر الذي سيشكل في حال تحقيقه تهديداً جدياً للوحدة الإقليمية لتركيا الجديدة، التي شكل فيها الكُرد الشماليون ثاني أكبر مجموعة أثنية تعيش غالبيتها في ربوع وطنها التاريخي. وكما أشار إرنست مَين، كان البريطانيون مدركين تمتع كُردستان الجنوبية بأهمية كبيرة بالنسبة الى أمن كلتا الدولتين: التركية الكمالية والعراق العربي.⁶¹³

بالنظر الى وجود المخاوف الكمالية تلك، كان كورزون مدركاً، على ما يبدو، في ان تبني خيار كوكس الاندماجي القسري هو بمثابة رسالة واضحة وصريحة موجّهة الى الأتراك تُثبت عدم وجود نوايا بريطانية لإنشاء إقليم كُردى جنوبي يُمكن أن يُشكل تهديداً مباشراً لأنهم القومي. بالاضافة الى ذلك، أصبح من الأسهل على البريطانيين الدفاع عن مشروع دمج كُردستان الجنوبية بالعراق وذلك من خلال اللجوء الى بنود الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا بوصفها دليلاً على تعامل بريطانيا والمجتمع الدولي مع الولايات الثلاث بغداد والبصرة والموصل كوحدة سياسية وإدارية وتاريخية واحدة. وحالما بدأ كونفرانس لوزان أعماله، أصبحت تسوية مستقبل كُردستان الجنوبية بصورة عاجلة مسألة حيوية بالنسبة الى حكومة لندن، التي لا بد أن فكرت في حرمان الكماليين الأتراك فرصة استغلال عدم حسم مصير ذلك الإقليم ليدعوا عجز البريطانيين عن إدارة شؤونه. ففي ضوء تلك الحسابات، أصدرت المفوضية السامية البريطانية والملك فيصل بياناً مشتركاً نصَّ على منح الكُرد القاطنين ضمن "حدود" العراق الحق في تشكيل حكومتهم المحلية بالطريقة التي يرغبون بها.⁶¹⁴

ومن السُخرية ان يطرح كوكس خطته آنفة الذكر بوصفها تعزيزاً للنزعة القومية الكُردية، على الرغم من اقتصارها على مقاطعة السليمانية. لقد كان كوكس يأمل في

⁶¹³ Ernest Main, Iraq from Mandate to Independence (London: George Allen & Unwin, 1935), p.133.

⁶¹⁴ IIR, No.1, 1 January 1923, F0371/7772, PRO.

أن يؤدي إعلان الحكومة- الذاتية المحلية الى تفريق صفوف القوميين الكُرد بين مجموعة معتدلة وأخرى متطرفة، حيث وصف أعضاء المجموعة الأولى بـ"الكُرد الأكثر تنوراً" والثانية الخاضعة لقيادة الشيخ محمود بـ«العناصر الأكثر جهلاً وتعصباً».^{٦١٥} وأصبح منح السليمانية صيغة الحكم الذاتي، كما أبلغ البريطانيون الشيخ محمود بذلك، الأساس الوحيد لأية مفاوضات مع القوميين الكُرد. وبخلاف ذلك، وكما صرح مسئولو المفوضية السامية البريطانية، لم يعد البريطانيون على استعداد في الدخول في مفاوضات مع الشيخ محمود. ويُذكر أن الأخير سارع الى رفض صيغة الحكم الذاتي المحدود سياسياً وجغرافياً. وإزاء تصميم كوكس ومرؤوسيه على فرض الاندماج القسري وامتناعهم عن التفاوض مع أعضاء وفد الحكومة الكُردية الموجودين في بغداد، اضطر الشيخ وأنصاره الى إعلان انتفاضة جديدة ضد البريطانيين، أملاً في تحقيق تطلعاتهم السياسية من خلال اللجوء الى عامل القوة. وهذه الانتفاضة كانت الثانية من نوعها في مدة لا تتجاوز الأربعة أعوام. ان وجود كُردستان جنوبية في حالة قلق غير مستقرة في وقت لم يستطع فيه البريطانيون والأتراك حسم مصيرها السياسي، لربما هو الأمر الذي يُفسرُ تردد ليو بشأن إقحام أهالي الإقليم في الانتخابات القادمة في العراق العربي، بالطريقة التي اقترحها هنري دوبرن، المفوض السامي البريطاني بالوكالة:

ان دعوة الحكومة (العراقية)، في حالة إحالة مسألة حدود (ولاية) الموصل الى التحكيم، قد تُضعف نوعاً ما في حال ان يكون التصويت الكُردى بالضد من المشاركة في الانتخابات. ان من الجوهرى ... بالنظر الى الاطمئنان الصريح الذي قدمه سلفي في البرلمان (البريطاني) في ١١ تموز من العام المنصرم (١٩٢٢) ... يوجب علينا منح الكُرد فرصة حقيقية لكي يقرروا بأنفسهم موقفهم (من انتخابات العراق).^{٦١٦}

أما دوبرن، الذي سار على خُطى سلفه كوكس بدقة، فأنكر وجود أية مخاطر قد تنشأ عن المشاركة الكُردية في الانتخابات القادمة، ليستمر في تنفيذ خطة الاندماج

⁶¹⁵ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 16 November 1922, F0371/7782, PRO.

⁶¹⁶ S/S to Acting High Commissioner, 7 June 1923, F0371/9014, PRO.

القسري.^{٦١٧} ورفض دوبرز كذلك مسألة التباحث مع القوميين الكُرد بقيادة الشيخ محمود بشأن جملة قضايا سياسية أساسية، في مقدمتها منح الكُرد الجنوبيين فرصة حقيقية لكي يقرروا بأنفسهم مصيرهم السياسي بحرية.^{٦١٨} لقد مَثَّلَ إقحام أهالي كُردستان الجنوبية في انتخابات المجلس التشريعي في صيف العام ١٩٢٣ تجسيدا لاندماج ذلك الإقليم قسراً بالعراق العربي.

خاتمة الفصل

كان الاستخدام المتعمد للقنابل الغازية والهجمات الجوية ضد أهداف مدنية في المدة ١٩٢٢-١٩٢٥ تجسيدا حياً وصارخاً لمديات القلق الواسعة، التي انتابت البريطانيين، بشأن تطبيع أوضاع كُردستان الجنوبية أمنياً وسياسياً في ظل أوضاع كان مصير الإقليم المذكور فيها ما زال مُعلقاً بين دمجها اعتبارياً بالعراق العربي وإرجاعه قسراً الى تركيا الكمالية. وجدَّ البريطانيون أنفسهم في حاجة ماسة الى خلق انطباع إيجابي، في أثناء جولات المفاوضات الثنائية مع الكماليين الأتراك المتعلقة بمصير ولاية الموصل، بأن الوضع كان هادئاً وطبيعياً في المناطق الكُردية وبأن سكانها الكُرد مقتنعون وقانعون بخضوعهم الى سلطة الحكومة العربية في بغداد.

كان اللجوء الى وسائل العنف الطريق الوحيد أمام البريطانيين إذا ما أرادوا إلحاق هزيمة ساحقة بالمنتفضين الكُرد بقيادة الشيخ محمود، وتعبيد الدرب أمام فرض حكم عربي مباشر على مقاطعات كُردستان الجنوبية. تدلل تجربة الإقليم في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ان الاستخدام الفاعل لطيران السلاح الجوي الملكي البريطاني لقمع المقاومة الكُردية المسلحة كان احدى العوامل الأساسية في قلب الموازين لصالح مشروع كوكس الاندماجي القسري، وكذلك حماية وحدة الدولة العراقية الواهنة في الأعوام الطويلة التي تلت العام ١٩٢٣.

لقد أصبح الوصول الى اتفاق سلام مع تركيا الكمالية وبأسرع وقت ممكن احد العوامل المهمة المؤثرة في موقف بريطانيا تجاه مستقبل كُردستان الجنوبية السياسي عُشية انعقاد كونفرانس لوزان. ومع اختفاء المخاوف من قيام القوات الكمالية بغزو مفاجئ لميزوبوتاميا العربية عبر المناطق الكُردية الشمالية، لم تُعد هناك أية حاجة أو

⁶¹⁷ Acting High Commissioner to S/S, 16 July 1923, F0371/9014, PRO.

⁶¹⁸ Acting High Commissioner to S/S, 15 June 1923, F0371/9014, PRO.

تبرير بالنسبة الى البريطانيين لإبقاء كردستان الجنوبية إقليمياً منفصلاً لكي يؤدي دور الحزام الأمني الإستراتيجي لحماية ميزوبوتاميا العربية من جاره الشمالي. ومع تزايد حالة الوهن الذي أصاب الحركات القومية الكردية في شمال كردستان وشرقها، أصبح وجود حكومة كردية في كردستان الجنوبية عائقاً كبيراً، منع البريطانيين من الوصول الى اتفاقية سلام ثنائي مع تركيا الكمالية، إذ ان الأخيرة لم تُخفِ معارضتها الشديدة لوجود إقليم كردي منفصل ييمتغ بحكم ذاتي واسع.

يُمكن إرجاع غلبة خيار كوكس الاندماجي القسري على خيار إبقاء كردستان الجنوبية كياناً منفصلاً ومستقلاً عن العراق العربي بين أواخر العام ١٩٢٢ ومنتصف العام ١٩٢٣ الى عوامل متضاربة عدّة. ففي المقام الأول، شكّل كوكس العنصر الأهم والأكثر تأثيراً في مسار الأحداث، التي رافقت رسم وإعادة رسم علاقة كردستان الجنوبية بلندن سياسياً وإدارياً. فبوصفه المفوض السامي البريطاني، كان كوكس القناة الذي تُمرّر من خلاله السياسة الكردية لوزارة المستعمرات، وعن طريقه تأتي الى تلك الوزارة المعلومات الخاصة بالوضع الكردي. وفوق ذلك، تمتع كوكس بخبرة سياسية وتجربة إدارية طويلة في الشؤون الامبريالية، حيث خدم المصالح البريطانية في الهند وفي بلاد فارس ومنطقة الخليج وميزوبوتاميا لأكثر من ربع قرن. كما طوّر كوكس ما ورثه من سلفه الكولونيل ويلسون من ترتيبات سياسية وإدارية قيّدت حركة كردستان الجنوبية نحو تحقيق المزيد من الاستقلالية والتميز. وتبنى كوكس تكتيكات كان ويلسون قد التجأ إليها، ومنها استثناء العناصر غير المرغوب بها من الجهاز الإداري البريطاني، التي تحمل وجهات نظر مخالفة لتلك التي يحملها. وأفاد كوكس كثيراً من تصورات ويلسون الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية حول الضرورة المتعددة الأبعاد لمسألة دمج كردستان الجنوبية قسراً بإدارة العراق العربي.

من المنطق الافتراض أنه لم يكن في مصلحة كوكس ومن هم على شاكلته ان يرسل تقارير دقيقة عن أية مسائل أو أمور تتعارض مع تصوراته الأساسية عن الشؤون الكردية أو ان يُنفذ دعاة الاندماج القسري بصدق وبجيادية توصيات الوزير وينستون تشرشل الخاصة بكردستان الجنوبية. لقد بالغ كوكس لدى وصفه ظاهرة النزعة القومية العربية في العراق، في الوقت الذي قلل فيه الى أبعد المديات من أهمية المشاعر القومية الكردية بوصفه عاملاً مؤثراً، سواء في رسم مستقبل كردستان

الجنوبية أو في تحديد علاقتها ببغداد. ويفضل منصبه، كمفوض سامي مسؤولاً بصورة ميدانية عن تطبيق سياسة السيطرة غير المباشرة التي تبنتها حكومة لندن، كان كوكس في موقف أقوى من أي مسؤول بريطاني آخر من حيث التأثير بوجهة التطورات السياسية في كردستان الجنوبية ومسار الأحداث فيها. وبالطريقة نفسها التي استطاع ولسون فيها تدمير الإدارة الكردية الأولى ومنع ظهور كردستان جنوبية منفصلة تتمتع بحكم ذاتي في المدة ١٩١٨-١٩٢٠، تمكّن كوكس من تدمير الإدارة الكردية الثانية بحيث أغلق الأبواب أمام قيام كردستان جنوبية منفصلة ومستقلة في المدة ١٩٢١-١٩٢٣. ولم يكن النفوذ الحاسم الذي مارسه كوكس في رسم مستقبل إقليم كردستان الجنوبية بظاهرة غريبة أو فريدة. فتاريخ الإمبراطورية البريطانية كان حافلاً بحالات مماثلة كشفت عن قدرة موظفين امبرياليين من العاملين ميدانياً على تحديد مسار التطورات السياسية في جنوب شرق آسيا والقارة الإفريقية من خلال تجاهل النهج الرسمي، مُستغلين بُعد المسافة وتأخر وسائل الاتصالات وقلة المعلومات لدى الحكومة المركزية.

الفصل السابع

قيام الدولة العربية في ميزوبوتاميا وتأثيراته في سياسة بريطانيا تجاه كردستان الجنوبية لمرحلة ما بعد سيفر

لم يكن استبدال الإدارة البريطانية المباشرة بمؤسسة أهلية عربية في ولايتي بغداد والبصرة عملية بسيطة، وذلك لأن البريطانيين لم يختبروا مثل هذه التجربة من قبل بحيث تمكنهم من تطبيقها في منطقة الشرق الأوسط في أقل تقدير. ففي المقام الأول، لم تكن للدولة الجديدة حدود دولية مشخصة، خاصة في اتجاه الشمال والشمال الغربي، بعد أن نصّب البريطانيون الأمير فيصل ملكاً على العراق في العام ١٩٢١. ولم يكن لرسم تلك الحدود بُعد سياسي بحت، بل أيضاً أبعاد مالية وإستراتيجية. بتعبير أدق، كان من الضروري رسم حدود العراق الشمالية بطريقة تضع بريطانيا في موقف يُمكنها من سحب قواتها الامبريالية بوصفها الوسيلة المباشرة التي ستمكنها من وضع حد لنفقاتها العسكرية في منطقة ميزوبوتاميا الخاضعة لانتدابها. ثانياً، ونظراً لأهمية إنهاء جميع التزاماتها المالية، سعت بريطانيا الى إنشاء دولة عراقية قادرة مُكتفية ذاتياً من النواحي الاقتصادية والمالية لدى شروعاتها في بناء مؤسسات مدنية وأجهزة عسكرية. وأخيراً، في الوقت الذي اعتمد فيه إنشاء نظام السيطرة غير المباشرة على العرب السنّة، فإن الآخرين لم يمثلوا سوى أقلية من حيث العدد بالمقارنة مع العرب الشيعة. ولهذا أصبح من الضروري على البريطانيين، من جانب، وفيصل وأنصاره، من جانب ثانٍ، البحث عن وسيلة تُخفف من حالة عدم التوازن الطائفي التي تؤثر سلباً في الواقع السياسي. ونظراً لوجود تلك الهواجس الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية لدى البريطانيين، فإن هذا الفصل سيُبين كيف اكتسبت كردستان الجنوبية أهمية جديدة بعد إقامة الدولة العربية، وكيف ان تلك العملية تركت تأثيرات حاسمة في القرار البريطاني القاضي بدمج ذلك الإقليم بتلك الدولة العربية على الضد من إرادة الأهالي. وكما سيُحلل الفصل كيف تلاقت فيه مصالح بريطانيا الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية مع طموحات النخبة السياسية الحاكمة الجديدة في الدولة العربية الحديثة التكوين، التي تشكّلت تحت رعايتها الخاصة.

المطامح العربية الإقليمية في مواجهة التطلعات القومية الكردية

١. فيصل وحدود دولة العراق ومنزلة كردستان الجنوبية السياسية

ان الادعاءات الإقليمية التي قدمها الشريفيون وأنصارهم من العرب السنة المبزوبوتاميين حول عائلية أجزاء واسعة من كردستان العثمانية للوطن العربي قد تزامنت مع تلك التي أطلقها القوميون الكماليون في تركيا والقوميون المتشددون في إيران. لقد احتلت مسألة الاستيلاء بصورة تعسفية على أكبر قدر ممكن من المناطق الكردية موقعا متقدما في برامج أصحاب النزعات الطورانية والإيرانية والعروبية. كما إن كل قوة من تلك القوى القومية سعت الى بسط سيطرتها على المناطق الكردية سواء على حساب القوى الأخرى أو على حساب التطلعات القومية لأهاليها من الكرد. وبعد أن شكل البريطانيون أول مجلس وزراء عربي في نهاية العام ١٩٢٠ بوصفه نواة لدولة وإدارة أهلية جديدة، كانت واحدة من أولى قرارات ذلك المجلس خضوع المقاطعات الكردية الخاضعة للإدارة البريطانية السابقة لقانون الانتخابات الخاصة بولاية بغداد والبصرة.^{٦١٩} وأخذ المجلس المذكور خطوة محسوبة تماما حين حاول إعادة العمل بالنظام الإداري العثماني السابق لكي يحل محل المقاطعات الأربعة عشر التي نظمتها الإدارة المدنية البريطانية، والقائمة على الفواصل الأثنية والقبلية.^{٦٢٠} وأدرك مجلس الوزراء العربي أهمية مقاطعة السليمانية بوصفها مركزا للنشاط القومي، ولهذا سعت الى احتواء نفوذها وتأثيرها إداريا عن طريق تحويلها الى قضاء صغير. واعتبر تقرير وزارة الدفاع العربية، الخاضعة لإمرة جعفر العسكري الذي أصبح واحدا من اشد المناصرين للحركة الشريفية بعد وقوعه في أسر القوات البريطانية خلال الحرب، كردستان الجنوبية ضمن «الحدود الطبيعية» للعراق، داعيا البريطانيين الى إعطاء ضمانات للدفاع عنها ضد أي عدوان خارجي.^{٦٢١} لقد حاول مجلس الوزراء المذكور التعامل مع كردستان الجنوبية كما لو كانت جزءا لا يتجزأ من الدولة العربية الجديدة، متجاهلة تماما رأي سكانها من الكرد أو بنود معاهدة سيفر الدولية لعام ١٩٢٠.

⁶¹⁹ MIR, No-4, 31 December 1920, F0371/6348, PRO.

⁶²⁰ Philip Ireland, Iraq: A Study in Political Development, (London: Jonathan Cape, 1937), p.296.

⁶²¹ MIR, No.9, 15 March 1921, F0371/6348, PRO.

ولأن مستقبل كُردستان الجنوبية لم يكن محسوماً بعد وفق المعاهدة الدولية، لم تكن الحكومة البريطانية على استعداد لدراسة القرار الفردي الذي أتخذه مجلس الوزراء العربي، ناهيك عن تبنيه. واستمرت حالة عدم التأكد من المستقبل النهائي للإقليم حتى بعد أن أجلس البريطانيون فيصل على عرش العراق العربي. وقبل أن يتوجه فيصل الى بغداد، أخبرته الحكومة البريطانية بصورة مباشرة وصريحة بأنها لم ترسم بعد حدود الدولة العربية المزمع إنشاؤها. ولم يُبدِ فيصل أي اعتراض أو تعليق على ذلك.^{٦٢٢} فمن وجهة النظر البريطانية، عدّ ترسيم حدود الدولة العربية في ميزوبوتاميا، خاصة في الاتجاهات الشمالية والغربية، مسألة سابقة لأوانها، إذ كان من الضروري الترقب حتى تستقر الأوضاع وتتضح الأمور، خاصة كيفية تطبيق بنود معاهدة سيفر المتعلقة بحدود سوريا الفرنسية وتركيا الجديدة. وأصبحت مسألة ترسيم حدود دولة العراق العربي الشمالية والجنوبية والغربية من المهمات الرئيسية لقسم الشرق الأوسط المُستحدث في وزارة المستعمرات.^{٦٢٣}

وحالما نُصِبَ فيصل ملكاً على العراق العربي، سارع الى إثارة مسألة حدود دولته الشمالية، مطالباً البريطانيين بإخضاع كُردستان الجنوبية لسلطته. ولم تتوقف مطالب فيصل عند تلك الحدود، إذ طالب بمناطق كُردية أخرى تقع في غرب كُردستان العثمانية. وهي مناطق عدّها عربية حين كان حاكماً على سوريا. ومن الضروري التأكيد مرة أخرى أن هذه المطالب تعود في جذورها الى المراسلات السرية التي دخل فيها والده، الشريف حسين، مع الحكومة البريطانية خلال زمن الحرب العالمية الأولى. وتلك المطالب تعدت في مضمونها ومداهما ما كان يطالب به مجلس الوزراء العربي في بغداد. وتتضح للعيان ادعاءات فيصل الإقليمية في كُردستان العثمانية حين حدّد الحدود الشمالية- الغربية لدولة العراق الجديدة:

أولاً، شمال الفرات: ينبغي ان تكون جزيرة ابن عمر ونصيبين معاً ... ضمن العراق، وان الحدود التي تتبع المسار المركزي لذلك النهر ونقطة تلاقيه بالفرات ينبغي ان يمتد من الجزيرة الى نصيبين ومنها نحو الجنوب الى ضفة (نهر) الخابور.^{٦٢٤}

⁶²² Minute of the Meeting of the Eastern Committee on November 3, Regarding Policy in Kurdistan, F0371/6347, PRO.

⁶²³ Klieman, *Foundations of British Policy in the Arab World*, p.93.

⁶²⁴ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 12 February 1922, F0371/7781, PRO.

ان النقطة الرئيسية التي أنطلق منها فيصل في التعامل مع مسألة تعيين الحدود تمثلت بطلبه من البريطانيين في ان ينظروا الى الوضع الكردي من زاوية تأمين متطلبات دولة العراق الجديدة على الأصعدة العسكرية والاقتصادية والسياسية، فضلاً عن ضرورة ديمومة الموقف المحلي العربي الودي تجاه لندن. إضافة الى ذلك، طرح فيصل المصالح البريطانية كما لو إنها كانت متماثلة ومتماشية مع طموحات العرب الإقليمية في كردستان العثمانية، خاصة حين اشتدت الخلافات البريطانية-التركية بشأن مستقبل كردستان الجنوبية بعد العام ١٩٢٠. بعد ان نالوا دعم كوكس وتشجيعه العلني وغير المنظور لإدعاءاتهم الإقليمية في كردستان الجنوبية،^{٦٢٥} غالى فيصل ويطانته السنّة في بغداد في إدعاءاتهم، حتى إنهم اقترحوا استدراج ((الكردي الشماليين لكي ينضموا الى كردستان ذات حكم ذاتي تقع تحت سيادة العراق)).^{٦٢٦} وفي الوقت ذاته، حذر فيصل البريطانيين من عواقب قيام كردستان موحدة بالنسبة الى مصالحهم في ميزوبوتاميا العربية. ولتجنب وقوع تلك العواقب، دعا فيصل البريطانيين الى حسم مصير كردستان الجنوبية فوراً وذلك عن طريق ضمّها الى الدولة العربية.^{٦٢٧} أما لندن، التي كانت تعاني من معضلات كبيرة ترتبط بقلّة المصادر المالية وكثرة الالتزامات العسكرية، فكانت ترفض أية خطوة بريطانية توسعية في كردستان، ناهيك عن إرضاء طموحات فيصل الجامحة فيها. وفي مرحلة لاحقة، واصلت وزارة المستعمرات معارضة مطالب فيصل وحاشيته السنّة القاضية بدمج الإقليم الكردي بالدولة العربية حتى العام ١٩٢٢، وذلك لأنها تراها تتناقض مع سياستها القائمة على تشجيع ((النزعة القومية العربية لا النزعة الامبريالية العربية)).^{٦٢٨}

٢. استفتاء ميزوبوتاميا لعام ١٩٢١

عدّ فيصل إجراء الاستفتاء الخاص بترشيحه لعرش المملكة العربية في ميزوبوتاميا في صيف العام ١٩٢١ فرصة لا تفوت لإخضاع كردستان الجنوبية

⁶²⁵ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 20 September 1921, C0730/5, PRO.

⁶²⁶ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 15 August 1922, F0371/7800, PRO.

⁶²⁷ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 23 September 1921, F0371/6347 ٢٣ & September 1921, C0730/5, PRO.

⁶²⁸ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 25 October 1921, F0371/6347, PRO.

لسلطة المباشرة. وكان المسؤولون الميدانيون البريطانيون في بغداد قد نجحوا في إقناع وزارة المستعمرات بإدخال الكُرد الجنوبيين الى ذلك الاستفتاء، كما طالب فيصل، أولاً بالحصول على نتائج يُمكن استخدامها كوسيلة تبرر إلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي. أما الاستفتاء نفسه فقد كان تجربة ديمقراطية مزيفة، إذ ان المستشارين البريطانيين والمتصرفين المحليين الموالين لهم سخروا جلَّ جهودهم في ضمان خروج فيصل منتصراً من تلك العملية السياسية. وغالباً ما أخذ هؤلاء الموظفون على عاتقهم مهمة التعبير عن رأي أهالي المقاطعات الإدارية، وهم من أقام اللقاءات وأدار الجلسات وأعلن نتائج الاستفتاء. وتميّزت قواعد الاستفتاء بطابع بالغ التبسيط، إذ اتخذت شكل عرائض (مَضْبُطَة):

نحن الموقعون ادناه، سكان ناحية محلة ...، في قضاء مدينة ...، في اللواء ...،
سمعنا وفهمنا وتدارسنا تماماً قرار مجلس الدولة اعلاه، وأفرزت عن ... اعلنا
عن الموافقة عليه وعبروا عن مبايعة الأمير فيصل، بينما عبر
المخالفون ...^{٦٢٩}

ونظراً لتصميم البريطانيين على تنصيب الأمير فيصل ملكاً على العراق العربي بغض النظر عن رغبات الأهالي ومقاطعة الشيعة وقيادتهم التقليدية للاستفتاء، فإنه لا يُمكن اعتبار نتائج تلك العملية تعبيراً حقيقياً عن رغبات السكان الأصليين، سواء في كُردستان الجنوبية أو في ميزوبوتاميا العربية. ويوضح فيليب آيرلند في تحليله لأسلوب إجراء الاستفتاء أنه في مقاطعة البصرة تم دعوة ممثلين تم انتقاؤهم على شكل مجموعات ليعلنوا نيابة عن السكان المحليين آراءهم بحضور لجنة انتخابية.^{٦٣٠} وغالباً ما جلب الأشراف المحليون عريضتين الى الموظفين البريطانيين نيابة عن سكان منطقة واحدة: عريضة ترفض تنصيب فيصل ملكاً على العرب العراقيين، والأخرى توافق على تنصيبه. وكان هذا يعني عملياً أنه وقع على عاتق الموظفين البريطانيين مسألة اختيار واحدة من العريضتين لكي يتم تقديمها بوصفها تعبيراً عن إرادة المحليين. جاء الاستفتاء ليحقق غايتين رئيسيتين بالنسبة الى حكومة لندن. أولاً، لم يكن الاستفتاء سوى محاولة سياسية لإضفاء صبغة شرعية على مسألة ترشيح الأمير فيصل لعرش المملكة العربية الجديدة. ثانياً، سعت الحكومة البريطانية من خلال الاستفتاء الى

⁶²⁹ MIR No.18, 1 August 1921, C0730/4, PRO.

⁶³⁰ Ireland, Iraq: A Study in Political Development, p.332.

إقناع أعضاء البرلمان البريطاني بان الوضع في ميزوبوتاميا ما زال تحت السيطرة، ولهذا فإنه لا توجد هناك حاجة تدعو بريطانيا الى إنهاء وجودها أو إعلانها السياسية مع ذلك البلد في أعقاب سلسلة الانتفاضات الدموية التي وقعت خلال العام ١٩٢٠.

أما فيصل فسعى، على غرار كوكس، الى استغلال الاستفتاء لغاية أخرى وهي استخدامها وسيلة لإخضاع كردستان الجنوبية للسيطرة العربية المباشرة. في البدء، كان الاستفتاء شأنًا خاصًا يتعلق بعرب ميزوبوتاميا، أي دون ان يشمل الكرد الجنوبيين. ومن خلال توسيع عملية المشاركة في الاستفتاء لتشمل كردستان الجنوبية، كان فيصل يأمل في الاستفادة من نتائجها بطريقة تمكنه من إلحاق ذلك الإقليم بالدولة العربية. وبهذا الشكل، لا يُجرد الاستفتاء سلاح القوميين الكرد من الناحية السياسية فحسب، بل سيمنع أي تطور في اتجاه قيام إقليم كردستاني منفصل ومستقل. وعلى الرغم من قرارها الأولي بالتعامل مع الشؤون الكردية بشكل منفصل عن شؤون ميزوبوتاميا العربية، وافقت وزارة المستعمرات على ترك المجال مفتوحاً أمام ثلاث مقاطعات إدارية ذات الأغلبية الكردية في السليمانية وكركوك والموصل أمر المشاركة في الاستفتاء، في حالة إبداء المحليين الكرد الرغبة في ذلك.

في مقاطعة السليمانية، حيث أدرك القوميون الكرد الأبعاد السياسية الحقيقية لأية مشاركة كردية في الاستفتاء، رفض سكانها بالإجماع تقريباً فكرة الاشتراك في تلك العملية السياسية. وهذا يعني ان ما يقارب ثلث الكرد قد رفضوا المشاركة مبدئياً في الاستفتاء، ناهيك عن التصويت لصالح الأمير فيصل وحكومته العربية. أما في المقاطعتين ذات الأغلبية الكردية، أي الموصل وكركوك، اللتين تميزتا بقلّة نشاطات القوميين الكرد، فقد أشارت التقارير البريطانية الى مشاركة الكرد في عملية الاستفتاء.

وبالرغم من شيوع حالات التلاعب وانعدام النزاهة وفقدان الشفافية التي تخللت عملية الاستفتاء بشكل عام، يُمكن للمرء الخروج من نتائجها بعدة نقاط مهمة تُسلط الضوء على المواقف الكردية تجاه مسألة فرض حكم عربي على إقليم كردستان الجنوبية. لقد أشارت التقارير الى ان المحليين الكرد القاطنين في أفضية مقاطعة الموصل، مثل سنجار والعمادية وعقرة ودهوك وزاخو، قد صوتوا لصالح فيصل والحكومة العربية. فالعرائض المقدمة في تلك المقاطعة، التي بلغ عددها ٦٨، بيّنت وبوضوح ان الكرد الموقعين عليها، أرادوا الاحتفاظ بحق الاتحاد مع إخوتهم من الكرد

الشماليين في حالة حصول الأخيرين على دولة مستقلة، وان قبولهم بفصل كان مشروطاً بحماية حقوقهم في الحكومة والتعليم والقضاء وغيرها من الميادين الحيوية. وهذا الأمر يكشف، في أقل تقدير، عدم إدراك هؤلاء الكرد للتداعيات السياسية الحقيقية الناجمة عن عملية مشاركتهم في الاستفتاء. فحالما قَبِلَ هؤلاء بسلطة فيصل وحكومته العربية، استحال عليهم أمر الانضمام الى أية دولة كُردية في حال تشكيلها في المستقبل القريب أو البعيد. ويبدو ان هؤلاء الكرد اعتبروا حكم فيصل إجراءً مؤقتاً، نظراً للتطورات التي من الممكن أن تحصل بالنسبة الى رسم مستقبل كردستان النهائي.

ومن الضروري ملاحظة ان غالبية الاقضية الكُردية الواقعة ضمن مقاطعة الموصل كانت مسرحاً لانتفاضات كُردية محلية في حينه. ولهذا لا يمكن للمرء سوى التشكيك بإدعاءات البريطانيين القاضية بمشاركة غالبية الكُرد في الاستفتاء عن طريق زعاماتها التقليدية. ان الفوضى الإدارية وعدم الاستقرار السياسي وانعدام الأمن وشيوع حالات التمرد المحلي المعادي للبريطانيين في تلك الاقضية لا يتفق تماماً مع إدعاءات التقارير البريطانية بأن أهالي مقاطعة الموصل من الكُرد قد صوتوا بالإجماع لصالح فيصل وحكومته العربية. ان الوضع المتردي العام في تلك الاقضية هو دليل بحد ذاته على ان سكانها الكُرد لم يقبلوا بحكم الموظفين البريطانيين، فكيف إذن ارتضوا بفرض حكم غريب آخر عليهم بحسب الادعاءات البريطانية ! ففي تعليقه على نتائج عملية الاستفتاء، أشار الموظف السياسي البريطاني في مقاطعة الموصل الى انه لو منحت حرية اتخاذ القرار للكُرد والإيزديين والمسيحيين والفلاحين العرب لعبروا عن رأيهم الحقيقي المعارض لفرض حكم عربي عليهم.⁶³¹ وهذه لم تكن المرة الأولى التي أشارت فيها تقارير بعض الموظفين الى رفض غالبية سكان مقاطعة الموصل فرض حكم شريفى - عربي عليها. ففي استفتاء أجراه كولونيل ويلسون في المدة ١٩١٨-١٩١٩، أبدى أهالي المقاطعة المذكورة معارضتهم لإقامة حكم عربي.⁶³²

أما التقارير الخاصة بمقاطعة كركوك فقد أشارت الى تصويت ممثلها ضد فيصل وضد الإلحاق بالدولة العربية، إذ رفضت ٢١ عريضة تنصيب فيصل ملكاً، في حين وافقت ٢٠ عريضة على ذلك، على الرغم من وجود عدد من العرائض الأخرى غير

⁶³¹ Mosul, Annual Administration Report for 1921, 371/7801, p.14, PRO.

⁶³² Ireland, Iraq: A Study in Political Development, p.168.

المُكتملة. وتشير تلك التقارير أيضاً ان غالبية العرائض المعارضة لفیصل كانت تحمل توقيع أناس (من غير العرب)، من الذين «فضلوا الانتظار لحين استقرار وضع كُردستان مستقلة».^{٦٣٣} وفي لقاءات غير رسمية، قرر مشاركون في الاستفتاء انه إذا ما صار فیصل ملكاً، فإنهم «سيطالبون بالوحدة مع كُردستان».^{٦٣٤} وأخبرت الزعامات الكُردية، حتى بعض الأشراف العرب، المستشار البريطاني عبّر محادثات خاصة «بأنهم لا يريدون فیصل أو أية حكومة عربية».^{٦٣٥} وفي حين أصرت الجماعة التركمانية على الانضمام فوراً الى تركيا، فإن أهالي جميع المناطق الكُردية، التي تشكلت منها مقاطعة كركوك، طالبوا بإقامة حكومة كُردية منفصلة.^{٦٣٦} وحقيقة أن قيام ٢٦١ شخصاً من أصل ٣١،٢٦٩ في تلك المقاطعة بالتصويت لصالح حكم فیصل والاندماج بالعراق العربي لهو دليل بحد ذاته على قدرة الموظفين البريطانيين الميدانيين في التلاعب بالنتائج، إذ إنهم أعلنوا ان الفارق العددي بين العرائض المعارضة لفیصل والعرائض المؤيدة له هو واحد فقط. ويذكر آيرلند لدى تحليله لنتائج عملية الاستفتاء، كيف استخدم الموظفون البريطانيون كلمة الإجماع بصورة اعتباطية، بدلاً من «الأكثرية» حين الإعلان عن نتائج الاستفتاء في مدينة أو في قضاء.^{٦٣٧} إن ما يُمكن استنتاجه من طريقة إجراء عملية الاستفتاء هو انه بالرغم مما بذله كوكس من مساعٍ سياسية حثيثة دعماً لفیصل، فان الغالبية العظمى من الكُرد الجنوبيين قد رفضت سلطة فیصل وحكومته العربية. ولا بد ان نتائج الاستفتاء قد أصابت فیصل بخيبة أمل، خاصة وانه كان يسعى الى استخدامها كدليل على وجود قبول كُردى بسلطته وبخيار الاندماج الفوري بالعراق العربي.

بعد إجراء عملية الاستفتاء لعام ١٩٢١ واستقرار الحكم الملكي للأسرة الهاشمية، أستمروا فیصل في جهوده الرامية الى إقناع حكومة لندن بالتخلي عن فكرة إجراء استفتاء منفصل خاص بإقليم كُردستان الجنوبية من أجل أن يُقرر أهاليه مصيرهم السياسي بصورة مباشرة وحاسمة. وبهذا الصدد، أدعى الملك فیصل بأن إجراء استفتاء آخر في المقاطعات الكُردية لا بد أن يُلقى بظلال الشك على «شرعية»

⁶³³ IIR, No.19, 15 August 1921, F0371/63531 PRO.

⁶³⁴ Ibid.

⁶³⁵ Ibid.

⁶³⁶ Ibid.

⁶³⁷ Ireland, Iraq: A Study in Political Development, p.332.

عملية الاستفتاء الأولى التي جرت في ميزوبوتاميا.^{٦٣٨} وقام فيصل بتنسيق مساعيه بصورة وثيقة مع المفوض السامي البريطاني حول شمول كردستان الجنوبية بقانون الانتخابات المتعلقة باختيار مجلس وطني عربي في بغداد.^{٦٣٩} وبالفعل أُتخذت تلك الخطوة في وقت كان التأزم السياسي والفلتان الأمني قد وصلا ذروتها في المناطق الكردية، وتقاطعت تماماً مع مطالب مستمرة كان يقدمها الكرد حول ضرورة رجوع الشيخ محمود من منفاه القسري وبناء حكومة كردية جديدة.

وحين قررت وزارة المستعمرات في نهاية المطاف السماح للشيخ محمود بالعودة من منفاه الى السليمانية أملاً في تهدئة الأوضاع الملتهبة، عارض فيصل هذا الإجراء، لأنه، على ما يبدو، كان يخشى من قدرة الشيخ محمود على ملئ الفراغ السياسي والأمني القائم بسبب الانسحاب البريطاني وذلك عن طريق إقامة إدارة أهلية كردية فاعلة. وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ محمود في طريقه الى مدينة السليمانية عائداً من منفاه، قام كوكس بترتيب لقاء خاص له مع الملك فيصل. وبالرغم من ان المصادر البريطانية لم تشر الى أسباب عقد اللقاء المذكور، فمن المعقول القول ان فيصل، وبدعم من كوكس، كان يأمل في إقناع الشيخ محمود بمبايعته وإعلان الولاء لحكمه ومن ثم شرعنة إلحاق كردستان الجنوبية بالدولة العربية. ويدل غياب أي تصريح أو تعليق رسمي حول الحوارات الدائرة على فشل اللقاء المذكور في الوصول الى نتيجة تُذكر. ولم يُبدِ الشيخ محمود استعداده أثناء أو بعد اللقاء على الاعتراف بسلطة فيصل وحكومته العربية، ولا موافقة فيصل هو الآخر على فكرة وجود كردستان جنوبية منفصلة ومستقلة عن سلطته.

وكما بيّن الفصل السابق، أدى تشكيل حكومة المحافظين في لندن في شهر تشرين الأول من عام ١٩٢٢ الى تقهقر خيار قيام كردستان جنوبية منفصلة الى الوراء وتصدر خيار الاندماج القسري والفوري في الواجهة بسبب انسجامه مع المصالح البريطانية الإستراتيجية في العراق. تلك كانت خلفية التنسيق الوثيق والعمل المشترك بين العرش والمفوضية السامية البريطانية في بغداد، الذي أثمرَ عما عُرف بالإعلان

⁶³⁸ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 5 January 1922, F0371/7780, PRO.

⁶³⁹ IIR, No.8, 15 April 1922, F0371/7771, PRO.

البريطاني- فيصل حول منح حكم ذاتي كُردي ضمن إطار العراق في شهر كانون الأول من العام ذاته:

تعترف حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة العراق بحقوق الكُرد القاطنين ضمن حدود العراق بإقامة حكومة كُردية ضمن تلك الحدود، وتأملاً بأن تتوصل العناصر الكُردية بأقرب وقت ممكن الى اتفاق فيما بينها حول الشكل الذي ستتخذه تلك الحكومة، وإرسال مندوبين مخولين عنها الى بغداد لمناقشة علاقاتهم الاقتصادية والسياسية مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة العراق.^{٦٤٠}

لقد سعى فيصل من وراء وضع هذا الإعلان لإضعاف موقف الشيخ محمود بين أوساط القوميين الكُرد من خلال تقسيمهم الى معتدلين من الذين سيقبلون بحكم ذاتي محدود ضمن العراق، ومتطرفين من الذين لا يريدون سوى إقامة كُردستان الجنوبية منفصلة. ان التخلي السريع عن الحكم الذاتي الكُرد بعد مرور أسابيع قليلة من طرحه على الملأ يكشف ان المشروع برمته لم يكن سوى مناورة سياسية وإعلامية من طرف فيصل، الذي لم تكن لديه أية نية صادقة في ترجمته الى واقع مادي ملموس، مقتدين بالنهج الذي كان يتبعه مصطفى كمال في كُردستان الشمالية.

إقامة الدولة العراقية وتدابيرها السياسية بالنسبة الى مستقبل كُردستان الجنوبية

١. متطلبات الانتقال الناجح من السيطرة

البريطانية المباشرة الى السيطرة غير المباشرة

أعتمد النهج الذي اتخذته بريطانيا في التحول الى السيطرة غير المباشرة على نجاح خطوتين سياسيتين. تمثلت الأولى بتأسيس مملكة عربية في ميزوبوتاميا والثانية بترشيح فيصل لإشغال عرشها. وبالنظر الى معاناتها من معضلات مالية حادة ووقوعها تحت ضغوط سياسية داخلية كبيرة من اجل التعجيل بخطة الانسحاب البريطاني من ميزوبوتاميا، لم تكن حكومة لندن قادرة على تحمّل أي تأخير في عملية تنفيذ النهج الجديد. فبحسب تعبير تشرشل، منح ترشيح فيصل لعرش العراق الحكومة

⁶⁴⁰ IIR, No.1, 1 January 1923, F0371/7772, PRO.

البريطانية ((أرخص حل)) للمشكلة الميزوبوتامية.^{٦٤١} أما بقية القضايا السياسية التي كان على حكومة لندن التعامل معها، فقد أُجِّلت بغية تسخير كافة الجهود والطاقات لعملية إقامة مملكة عربية في ميزوبوتاميا وتنصيب فيصل ملكاً عليها.

وكان حسم مستقبل كردستان الجنوبية واحدة من تلك القضايا المهمة التي أُجِّلت، بما في ذلك ترسيم حدودها الأثنية مع ميزوبوتاميا العربية، الذي كان البريطانيون على وشك الانتهاء منه. ويُلقى محضر وزارة المستعمرات الآتي الضوء على الارتباط الداخلي بين شؤون ميزوبوتاميا العربية وشؤون كردستان الجنوبية:

لا ينبغي اتخاذ أي قرار نهائي بشأن سياستنا الكردية (أي رسم الحدود الكردية- العربية)... حتى الوقت الذي يُتاح لكوكس فرصة مناقشة الموضوع مع فيصل... إن اتخاذ خطوة في الاتجاه الخاطئ قد يؤدي إلى نتائج كارثية، لا تقتصر على كردستان فقط. نحن منهمكون في عملية سياسية حساسة في ميزوبوتاميا، وليس بمقدورنا المخاطرة من دون أية دواعٍ، وإن الأمر الأكثر أهمية عند وصولنا إلى قرار بشأن سياستنا الكردية، أن تكون تلك السياسة صحيحة.^{٦٤٢}

هكذا كان الموقف حين أبلغ تشرشل كوكس بأن تعطى الأولوية لمسألة ((التأكد من الاختيار المبكر لفيصل)) بوصفه ملكاً على الدولة العربية الجديدة، ((وينبغي أن تأتي من بعدها المسائل الأخرى))،^{٦٤٣} ويشمل ذلك ضمناً الإجراءات المتعلقة بكردستان الجنوبية. وكانت واحدة من أهم الإفرازات المباشرة لقرار تأخير الإجراءات بشأن تأكيد الوضع السياسي والإداري للإقليم المذكور هي ظهور مصدر جديد للضغط في الاتجاه المعاكس، الذي سرعان ما بدأ يترك تأثيره الواضح والمباشر على اتجاه السياسة الكردية للبريطانيين. بتعبير آخر، إن حاجة بريطانيا الماسّة إلى تأمين سبيل الانتقال المُبسّط والسريع وغير المُكلف من نظام السيطرة المباشرة إلى نظام السيطرة غير المباشرة هي التي جعلت فيصل وحاشيته من عرب السنّة في موقف مكنهم فيه ولأول مرّة من أداء دور مؤثر في الوضع الكردي. ولم يكن خافياً على هؤلاء

⁶⁴¹ Report on the Middle East Conference Held in Cairo and Jerusalem, F0371/6342, PRO, p.36.

⁶⁴² Colonial Office Minute No.31558, 23 June .1921, C0730/2, PRO.

⁶⁴³ S/S for the Colonies to High Commissioner of Iraq, Priority, 9 July 1921, F0371/6552, PRO.

مدى حاجة البريطانيين الماسّة الى وضع حدٍ لأعبائهم المالية وخفض سقف التزاماتهم العسكرية والسياسية في منطقة الشرق الأوسط، ولذلك لم يترددوا وبقدر الإمكان في استغلال تلك الموضوعات الحسّاسة ذات الصلة الوثيقة بجملة مسائل أمنية واقتصادية وسياسية حيوية بالنسبة الى ديمومة الدولة العربية الجديدة، وذلك من خلال إقناعهم البريطانيين بأن الضرورات هي التي تُحتم دمج كُردستان الجنوبية بالعراق العربي. كما ان ظهور فيصل وحاشيته السنيّة بوصفهم قوة سياسية جديدة تدعو الى الاندماج القسري بين الإقليم والكيان السياسي الجديد قد قوّى من موقف كوكس أمام وزارة المستعمرات.

قام فيصل ومقربوه من العرب السنّة بإقحام تحديد مصير كُردستان الجنوبية ضمن الشؤون الداخلية للدولة العربية الجديدة. ولأنه كان حاكماً غريباً يفتقد الى شرعية سياسية واجتماعية لحكم العراق العربي أو الى تحويل من المحليين العرب، اتكأ فيصل على دعم قلة من العرب السنّة جلهم من الضباط السابقين في الجيش العثماني. وناهيك عن امتلاكه لطموحات إقليمية قديمة في كُردستان العثمانية تسبق نشوء الدولة العراقية، حاول فيصل ان يظهر بصورة القائد الوطني المبدئي الذي لا يرتضي انتزاع جزء من بلده، وهو الأمر الذي سيُرسخ من جذور تحالفه الذرائعي مع العرب السنّة، في نفس الوقت الذي سيخلق له شعبية بين السكان العرب. ان الموقف المشترك تجاه مستقبل كُردستان الجنوبية هو الذي عزز الصلة بين فيصل وفئة متميزة جديدة من كبار العسكريين والسياسيين السنّة المؤثرين في حياة الدولة الجديدة، ولجعل منهم عاملاً سياسياً مهماً لحد ما يؤثر في وجهة السياسة الكُردية للبريطانيين، حيث كان بإمكانهم وضع عراقيل أمام أي تقدم حقيقي في اتجاه قيام كُردستان جنوبية منفصلة ومستقلة.

وأستغل كوكس سياسياً العامل العربي الجديد (أي فيصل ومجموعة العرب السنّة)، حين سارع الى التحذير من مخاطر مسألة ترسيم الحدود الأثنية بين إقليم كُردستان الجنوبية المنفصلة والدولة العربية الجديدة، التي كانت وزارة المستعمرات تُفكر فيها بصورة جدية:

ان العناصر العربية الأكثر تطرفاً ستسخط كثيراً من فعلنا هذا، وانها (أي رسم الحدود الأثنية) ستلقى معارضة، وسيقبلها مجلس الدولة (العربي)

باحتجاج ... ان المملكة العربية، التي ستقف لوحدها على قدميها في يوم ما،
سُئِمَنَح، من وجهة النظر الإستراتيجية، حدوداً لا يُمكن الدفاع عنها. ان القوميين
العرب مُدركون تماماً هذه القضية.^{٦٤٤}

وبداً فيصل يُثير الشكوك بشأن قدرة بريطانيا على الوفاء بالتزاماتها على المدى
الطويل بشأن الدفاع عن كُردستان الجنوبية ضد عدوان تركي خارجي قد يُهدد أمن
العراق العربي عبر ذلك الإقليم، وكذلك تحمّل مسؤولية منع وقوع الفوضى فيه، التي
وصفها على انها تُشكل تهديداً للعراق.^{٦٤٥} بهذه الطريقة أراد فيصل ان يوحي بأن
خيار اندماج المناطق الكُردية القسري بمملكته هو الذي سيضع حداً لمخاوف
بريطانيا من ارتفاع تكاليف حماية مصالحها في ميزوبوتاميا. وسواءً أكان الأمر
حقيقياً أو مُختلفاً، لم يترك فيصل أي حدث سياسي أو تطور عسكري إلا وصوره على
انه تهديد جديّ مشترك ضد مملكته الوليدة، وضد المصالح البريطانية. وكان فيصل
قد ادعى ان الغاية الرئيسة من وراء عقد الاتفاق بين تركيا الكمالية وفرنسا في العام
١٩٢١ هي إفشال السياسات البريطانية وإجهاض الطموحات القومية العربية.^{٦٤٦}
وشدّد فيصل على التهديد الذي شكلته تلك الاتفاقية لأمن العراق لكونها أعطت
الكماليين الأتراك حافزاً قوياً جديداً للاندفاع نحو حياكة المزيد من المؤامرات ونشر
الدعاية المغرضة ضد العراق العربي. ومن أجل التصدي للتهديد الكمالي- التركي،
حثّ فيصل البريطانيين على إصدار «بيان نهائي» و«ردٍ صريح» بخصوص مسألة
أمن مملكته.^{٦٤٧} ففي حالة عدم إبداء بريطانيا استعداداً لتحمّل مسؤولية عسكرية
كاملة لحماية حدود العراق، فان فيصل أراد ان يكون صاحب «الصوت الحاسم في
القرار الخاص بتعيين حدود "مملكته"»،^{٦٤٨} اي تخوم ولاية الموصل الشمالية. وكان
كوكس والمسؤولون العسكريون البريطانيون في بغداد قد شاركوا فيصل هواجسه
بشأن التهديدات الكمالية التركية لأمن العراق عبر مناطق كُردستان الجنوبية.^{٦٤٩}

⁶⁴⁴ High Commissioner of Iraq to S/St for the Colonies, Part One, 24 June 1921, F0371/6346, PRO.

⁶⁴⁵ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 25 October 1921, F0371/6347, PRO.

⁶⁴⁶ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 18 November 1921, F0371/6347, PRO.

⁶⁴⁷ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 12 November 1921, F0371/6347, PRO.

⁶⁴⁸ News Summary for the Period Ended 11th November 1921, C0730/7, PRO.

⁶⁴⁹ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 21 November 1921, C0730/7, PRO.

وهناك حسابات سياسية أخرى استخدمها فيصل والبطانة العربية السنيّة في تبرير ادعاءاتهم الإقليمية في كردستان الجنوبية، منها ان ظهور إقليم كردي مستقل من شأنه أن يُشجع المناطق العربية، خاصة في البصرة، على رفع مطالب مُشابهة الى الحكومة البريطانية. وشاطر كوكس هواجس فيصل تلك، حيث حذر تشرتشل من فكرة إقامة كيان كردي منفصل لأنه سيكون نموذجاً تقتدي به جماعات أثنية أخرى، كالتركان والآثوريين والكلدان. فحسب إدعاء كوكس، ((إذا تركت السليمانية تنفصل، فإن البصرة والجماعات الأخرى ستريد الشيء نفسه، وسيكون من الصعب مجادلتهم)).⁶⁵⁰

ان ظهور مثل تلك الأطروحات التي تعكس الأوضاع الشائعة في ميزوبوتاميا تُبرز مدى هشاشة الأسس التي بني عليها البريطانيون الدولة الجديدة. وتُبين التقارير البريطانية الميدانية إنه حين طلب البريطانيون من أشراف البصرة التعبير عن رأيهم بشأن تشكيل دولة عربية عن طريق دمج ولايتي بغداد والبصرة، أبدى الاخيريون معارضتهم للمشروع في البدء، إذ لم تكن لديهم رغبة تُذكر في الخضوع الى حكم بغداد بواسطة فيصل و((ضباطه البغاددة)). حتى بعد أن أقنعهم البريطانيون بضرورة قبول مشروع اندماج البصرة مع بغداد، ظلّ أشراف البصرة يصرون على تمتع ولايتهم بـ((معاملة خاصة)) من خلال منحها حكماً ذاتياً، بما في ذلك تشكيل مجلس تشريعي خاص وجيش وقوة شرطة.⁶⁵¹

في حقبة مبكرة، تدارس تشرتشل فكرة منح البصرة حكماً ذاتياً ضمن الكيان العراقي. ولكن السلطات البريطانية في بغداد لم تُبدِ رغبة تُذكر في إقامة دولة ميزوبوتامية فدرالية، ولهذا السبب صُرف النظر تماماً عن تلك الفكرة. إن أهمية اللجوء الى وسائل القسر في إقامة الدولة العربية تجلّت بوضوح في إصرار المسؤولين البريطانيين الميدانيين على بقاء القوات الامبريالية في البلاد، إذ كانت الهواجس تنتابهم من ان أي انسحاب بريطاني سابق لأوانه قد لا يشجع الكماليين- الأتراك على غزو البلاد فحسب، بل أيضاً سيُفسر في طول ميزوبوتاميا وعرضها على انها ((دلالة ضعف وبرهان على تردد لندن))،⁶⁵² وهو الأمر الذي سيؤدي في نهاية المطاف الى تمزق أوصال ميزوبوتاميا، بدلاً من توحيدها سياسياً.

⁶⁵⁰ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 5 June 1921, C0730/2, PRO.

⁶⁵¹ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 29 June 1921, C0730/2, PRO.

⁶⁵² S/S for Air, Memorandum, 16 November 1922, F0371/7772, PRO.

ان حاجة البريطانيين الماسة للتوصل الى ترتيبات سياسية وعسكرية مشتركة مع فيصل بوصفه الآن رئيساً لدولة عربية من أجل وضع اللمسات الأخيرة على طابع العلاقة بين لندن وبغداد قد استغلها الأخير لممارسة بعض الضغوط على الحكومة البريطانية. فلقاء ان تقدم بريطانيا موافقتها على إلحاق كردستان الجنوبية في العراق العربي، أبدى فيصل استعداده للعمل نحو تحقيق اتفاقية مشتركة بصورة مرضيها. في الوقت نفسه حاول فيصل إقناع البريطانيين بأنه إذا ما أقرت تلك الاتفاقية اندماج كردستان الجنوبية في العراق العربي ومن ثم أرضت الرأي العام العربي فستكون لها تأثيرات رادعة بالنسبة الى مخططات تركيا الكمالية.^{٦٥٢} ونقل كوكس وجهة نظر فيصل الى تشرشل بالصيغة الآتية:

سترى تركيا فشل مقارنتها في العراق، حالما تدرك ان البلد أصبح مستقلاً وشعبه موحداً ومعادياً لتركيا، من خلال التوصل الى اتفاق معنا... إن فيصل يبحث على إتمام سريع للاتفاقية وفق الأسس المذكورة آنفاً.^{٦٥٤}

بهدف خلق رأي عام عربي وتعبئته من أجل تحقيق مطلبهم المتمثل بإلحاق كردستان الجنوبية في العراق العربي، أعد فيصل وأنصاره حملة دعائية خلال المحادثات بين قوى الحلفاء وتركيا الكمالية حول عقد اتفاقية سلام جديدة، مؤكداً ان لنتائج تلك المحادثات آثاراً مصيرية بالنسبة الى مستقبل العلاقات البريطانية-العراقية والموقف العربي العام تجاه بريطانيا. وبهذا الصدد كتبت جريدة العراق، المؤيدة لفيصل:

ان العرب علي قناعة انه لا توجد هناك أمة أخرى مثل بريطانيا العظمى تتعاطف كثيراً مع التطلعات العربية... لاشك ان فخامته (كوكس) سيناضل من اجل تعزيز العلاقات بين العراق وبريطانيا العظمى. ان العراق العربي هو، قبل كل شيء، صديق لبريطانيا، وانه أمة تتميز بحبها العميق للحرية، وتؤمن ان الفائدة المتبادلة هي الأساس لحماية علاقاتها مع العراق واحترام رأي الشعب العراقي وتشجيع الحس القومي داخل البلد.^{٦٥٥}

⁶⁵³ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 1 February 1922, F0371/7780, PRO.

⁶⁵⁴ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 4 February 1922, F0371/7780, PRO.

⁶⁵⁵ Al Iraq, No.89, 12 January 1923 -in- II R, No.3, 1 February 1923, F0371/7772, PRO.

وفي الوقت الذي رغبت فيه وزارة المستعمرات أن ترى كُردستان الجنوبية خارجة عن سيطرة حكم عربي، وان هدفها الرئيس في عدم تأخير وإعاقة عملية ترشيح فيصل للعرش الجديد والانتقال من نظام السيطرة المباشرة الى نظام السيطرة غير المباشرة في ميزوبوتاميا جعلها في موقف صعب جداً لا يُمكنها من تجاهل المعارضة العربية لوجود إقليم كُردستاني منفصل. ان وجود هذا الوضع وتزامنه مع انعقاد مؤتمر لوزان للسلام أدى في نهاية الأمر الى تغيير الموازين لصالح بديل الاندماج القسري الذي نادى إليه كوكس والملك الجديد.

٢. السياسة الطائفية واندماج كُردستان الجنوبية بدولة العراق العربي

لم تشترك الولايات العثمانية الثلاث، وهي الموصل وبغداد والبصرة، في قواسم سياسية واقتصادية وثقافية معينة تحت حكم العثمانيين الأتراك (كما أشار الفصل الرابع)، إذ تميّزت الواحدة عن الأخرى في تركيبها الأثنية- الدينية فضلاً عن توجهاتها السياسية والاقتصادية والثقافية. وكان للحرب العالمية الأولى تأثيراً مشهوداً في تعميق تلك الخصائص الاقتصادية والثقافية والأثنية بين الجماعات القاطنة في تلك الولايات، بدلاً من إضعافها، حيث تبلورت تطلعات سياسية متضاربة بطريقة ملموسة. ففي كُردستان الجنوبية (ولاية الموصل)، بذل القوميون الكُرد مساعي حثيثة لإنشاء كيان سياسي كُرد، وتميّزت تطلعاتهم السياسية بالرغبة في الوحدة والتعاون مع أقرانهم في كُردستان الشمالية وكُردستان الشرقية.

أما الوضع في ميزوبوتاميا العربية فكان مختلفاً تماماً عما كان قائماً في كُردستان الجنوبية. فمن ناحية، مثّل الانتماء الديني- الطائفي العامل المؤثر الأقوى بالنسبة الى العرب الشيعة، وقد يُفسر هذا عدم تعاطف قادتهم التقليديين مع ما سُمّي بالثورة العربية الكبرى، التي قادها الشريف حسين، على النقيض من الموقف المؤيد والمتحمس الذي أتخذه بعض أعضاء النخبة العربية السنية. وكما يُبين آيرلند، فان مفهوم «النزعة القومية» كان يعني لدى رجال الدين الشيعة إنشاء دولة إسلامية.⁶⁵⁶ بشكل عام، أبدى الشيعة العرب مقاومة أوسع وأشد للغزو البريطاني لميزوبوتاميا بالمقارنة مع العرب السنة. وفي حقبة الحكم البريطاني المباشر، التي تلتها، شهدت مناطق الشيعة تمردات محلية متفرقة معادية للبريطانيين، وصلت ذروتها خلال

⁶⁵⁶ Ireland, Iraq: A Study in Political Development, p.246.

الانتفاضات الدموية التي شهدها العام ١٩٢٠. أما الجماعات الأثنية والدينية الصغيرة فتبنت مواقف متباينة تجاه مستقبل الأقاليم التي تواجدوا فيها. فالجماعة اليهودية كانت تتوجس من قيام دولة عربية يحكمها الشريفيون، في حين عارض التركمان والآشوريون إقامة كيانات عربية وكردية. فالتركمان رغبوا بعودة الحكم التركي السابق، بينما نشد الآشوريون مساعدة البريطانيين لإقامة كيان أثني - ديني في كردستان.

ومن ناحية أخرى، خشي ممثلو العرب السنّة في ولاية بغداد من مجيء وضع سياسي جديد يجعل الأقلية العربية السنّية خاضعة لسلطة الأكثرية العربية الشيعية، ولهذا فضلوا أما استمرار الإدارة البريطانية المباشرة أو إقامة دولة عربية تحكمها شخصية سنّية، بغض النظر عن انتمائها الأثني، كالأمير التركي برهان الدين، ابن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني.^{٦٥٧} وكان نقيب بغداد وزعيم العرب السنّة فيها، عبد الرحمن الكيلاني، قد مثّل التوجه الأول، في حين مثّل السيد طالب، وهو من أشرف العرب السنّة في البصرة، التوجه الثاني. في بداية الأمر، أبدت هاتان الشخصيتان وغيرهما من الشخصيات العربية السنّية الخشية من فرض حكم شريفي، لافتراضهما خطأً في أن ذلك سيؤدي الى هيمنة شيعية على الدولة العربية حالة إنشائها.^{٦٥٨} وطبق شهادة غيرترود بيل، قال نقيب بغداد لها وبصريح العبارة:

سوف لن أوافق على تعيين الشريف (حسين) لابنه أميراً (على العراق). ان الحجاز شيء والعراق شيء آخر. لا يوجد هناك أي رابط (بينهما) سوى الدين ... أنا أفضل ولألف مرّة عودة الأتراك الى العراق على رؤية تنصيب الشريف أو أبنه هنا.^{٦٥٩}

لقد أدى قلة من الضباط السنّة العرب، وأغلبهم يرجعون الى أصول بغدادية، دوراً مهماً في صياغة تحالف سياسي ذرائعي الطابع يوفق بين رغبات النخبة العربية السنّية وتطلعات الأسرة الشريفيّة، من جانب، وبين الطموحات المشتركة للتحالف الشريفي - السنّي الجديد ومصالح السلطات البريطانية في بغداد، من جانب ثانٍ. والجدير بالإشارة الى تاريخ انضمام بعض العرب السنّة وجلبهم من العسكريين الى المعسكر

⁶⁵⁷ R.W. Bullard, Colonial office Minute No.14659, 4 April 1921, Notes on MIR, No.6, 31 January 1921, C0730/1, PRO.

⁶⁵⁸ Ibid.

⁶⁵⁹ Elizabeth Burgoyne, Gertrude Bell, From Her Personal Papers, 1914-1926, (London: Ernest Benn, 1958), p.10.

الشريفي قد جاء في الغالب أثناء الحرب العالمية الأولى أو بعد انتهائها. ومنهم من رافق فيصل حين نُصبه البريطانيون حاكماً على سوريا لحقبة وجيزة.⁶⁶⁰ ومنذ تلك المدّة ولاحقاً، أصبح هؤلاء من أقوى المنادين والمدافعين عن القضية الشريفيه، المتمثلة بإنشاء دولة عربية تحت سلطة أمير من الأسرة الشريفيه. فمن وجهة نظرهم، تمتع الشريفيون بخصلتين أساسيتين: الأصل العربي من الناحية الأثنية، والانتماء السني من الناحية المذهبية.، ولكل تلك الأسباب لن يحيد الشريفيون عن السياسة التقليدية التركية السابقة المتمثلة بدعم الهيمنة السنية سياسياً واجتماعياً وثقافياً على الكيان العربي الجديد. وبرهنت التطورات السياسية في ميزوبوتاميا بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٥٨ على صحة تلك التوقعات، إذ سيطرت أعضاء النخبة العربية السنية على جميع الحكومات العراقية والمؤسسة العسكرية وأجهزة الخدمة المدنية.

ان هذا المستقبل المرجو والمتمثل باستمرار سيطرتها وامتيازاتها السابقة كان هو الدافع الرئيس وراء قبول عدد من الزعامات العربية السنية التقليدية والجديدة في بغداد والبصرة والموصل للحل الشريفي، الذي تجسّد في تنصيب الأمير فيصل ملكاً على العراق العربي. تلك كانت الخلفية الحقيقية لقيام تحالف سياسي ثلاثي أستند الى حماية مصالح الأطراف الثلاثة: السلطات البريطانية والأسرة الهاشمية والنخبة العربية السنية. فمن جانب، وجد فيصل نفسه، بسبب عدم انتمائه الى أهالي ميزوبوتاميا الأصليين وعدم امتلاكه لشريعة تاريخية تُدعم موقفه السياسي، في حاجة ماسة لوجود قوة سياسية داخلية فاعلة، أي النخبة العربية السنية، تدعم سلطته وتشرعها، ولوجود قوة خارجية، أي بريطانيا، بوصفها قوة كبرى توفر له دعماً داخلياً ودولياً في آن واحد. وبسبب طموحاتها السياسية والاجتماعية، أرادت النخبة العربية السنية حاكماً لا يُبقي على امتيازاتها السابقة فحسب، بل ويفسح المجال أمامها لبسط هيمنتها على أجهزة الدولة الجديدة، خاصة الحساسة منها كالحكومة وجهاز الوظيفة المدنية والجيش. ان حماسة سنّة ميزوبوتاميا العربية سواء في الداخل أو في المهجر واندفاعهم الشديد نحو المشاركة المؤثرة في العملية السياسية

⁶⁶⁰ من سخرية الأقدار انه باستثناء نوري السعيد، حارب جميع الضباط البغداديين الى جانب الأتراك ضد الحلفاء في المراحل الأولى من الحرب. وكان جعفر العسكري، على سبيل المثال، قد انضم الى الجانب الشريفيين بعد أسره من قبل القوات البريطانية وسجنه في مصر.

الانتقالية من نظام السيطرة البريطانية المباشرة (مُجَسَّدةً بوجود إدارة بريطانية ووجود قوات امبريالية) الى نظام السيطرة غير المباشرة (مُجَسَّدةً بإنشاء دولة عربية خاضعة للانتداب البريطاني) قد عبّرت عن رغبة شديدة للتأثير في السياسة البريطانية تجاه ميزوبوتاميا من زاوية ملء المناصب السامية الشاغرة في الإدارة الأهلية الجديدة. وكان جعفر العسكري، أول وزير للدفاع بالوكالة في أول تشكيلة حكومية عربية، قد نَظَرَ الى مسألة ملئ تلك المناصب في الإدارة الأهلية الجيدة من زاوية طائفية، إذ دعا البريطانيون الى استثناء شيوخ العشائر (وغالبيتهم من العرب الشيعة) من تسنم مناصب إدارية سامية في مناطقهم، باستثناء مدينتي النجف وكربلاء، مُدعيًا عدم أهليتهم.^{٦٦١} والأكثر أهمية من ذلك هو مقاومة الشخصيات العربية السنية لفكرة إنشاء تمثيل منفصل للعشائر في المجلس الوطني المزمع إنشاؤه، لأنه سيمكن الشيعة من أن يكونوا قوة سياسية كبيرة ومؤثرة. ويكشف آيرلند كيف وجّهت شخصيات عربية شيعية انتقاداتها الى مجلس الدولة العربي لعدم ضمه عناصر شيعية، وهو الأمر الذي جعل كوكس يتدخل شخصياً ليمنح الشيعة وزارة التعليم.^{٦٦٢} والمثير للسخرية ان الموقف الطائفي لدى التعامل مع الحياة السياسية في الدولة الجديدة الذي اتخذته النخبة العربية السنية قد تناقض تماماً مع خطابها المُستند الى النزعة العراقية والنزعة العروبية، التي التجأت إليه لتبرير مطالبتها بعائدية كُردستان الجنوبية الى العراق العربي.

فضلاً عن تقديم عدد محدود من العسكريين والعناصر المدنية السنية العون لإنشائها، كانت الدولة العراقية مشروعاً بريطانياً جملة وتفصيلاً، وتم تنفيذه في غياب حركة سياسية على مستوى ميزوبوتاميا أو بنية تحتية صلبة.^{٦٦٣} فمساعدة العرب

⁶⁶¹ Note on Mesopotamia-, op. cit.

تلك كانت جذور خرافة ان الشيعة العرب غير مناسبين للدخول في الميادين الحساسة، مثل تبوء مناصب سامية في جهاز الوظيفة المدنية والحكومة والجيش، التي أصبحت نقطة انطلاق لبعض المتخصصين، مثل آيرلند وحنّا بطاطو.

Ireland, Iraq: A Study in Political Development, & Hanna Batatu, The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq, Vol.I, (New Jersey: Princeton University Press, 1978).

⁶⁶² Ireland, Iraq: A Study in Political Development, pp.297-298.

⁶⁶³ على سبيل المثال لا الحصر، راجع الكتاب التالي:

Liora Lukitz, Iraq, the Search for National Identity, (London: Frank Cass, 1995).

السنة، من جانب، والمقاومة الشيعية الأولية للوجود البريطاني، من جانب ثانٍ، أقنعت السلطات البريطانية في بغداد بأنه من مصلحتها إقامة دولة ذات طبيعة طائفية مخفية، بحيث تمنع الشيعة من تسنم مناصب حكومية ومدنية وعسكرية حساسة بطريقة تتوافق مع التقاليد العثمانية- التركية المتمحورة حول فرض هيمنة السنة على الشيعة سياسياً واجتماعياً وثقافياً. ونظراً للطبيعة الطائفية للدولة الوليدة، أصبح لإلحاق كردستان الجنوبية ذات الغالبية السنية الواضحة بالعراق العربي قيمة إضافية حيث سيكون بالإمكان تعديل الموازين بين الشيعة (الأكثرية الكاسحة) والسنة (الأقلية الواضحة) ليصبح الفارق العددي بين الطائفتين قليلاً نسبياً (راجع التوزيع الديني والطائفي للولايات الثلاث في الجدول أدناه).

سكان ميزوبوتاميا وبضمنها كردستان الجنوبية

بلغ سكان ميزوبوتاميا ٢,٨٤٩,٢٨٢ حسب إحصاء تقديري بريطاني جرى في العام ١٩٢٠، وكانت التركيبة الدينية والطائفية للولايات الثلاث بالشكل الآتي:

الولاية	سنة	شيعية	يهود	مسيحيون	ديانات أخرى	المجموع
البصرة	٤٢,٥٥٨	٧٢١,٤١٤	١٠,٠٨٨	٢,٥٥١	٨,٩٨٩	٧٨٥,٦٠٠
بغداد	٥٢٤,٤١٤	٧٥٠,٤٢١	٦٢,٥٦٥	٢٠,٧٧١	٢,١٣٣	١,٣٦٠,٣٠٤
الموصل	٥٧٩,٧١٣	٢٢,١٨٠	١٤,٨٣٥	٥٥,٤٧٠	٣١,١٨٠	٧٠٣,٣٧٨
المجموع	١,١٤٦,٦٨٥	١,٤٩٤,٠١٥	٨٧,٤٨٨	٧٨,٧٩٢	٤٢,٣٠٢	٢,٨٤٩,٢٨٢

تشمل الأرقام المتعلقة بالموصل سكان منطقة السليمانية التي قدرت بـ ١٥٥,٠٠٠ جميعهم من السنة، عدا ١,١٠٠.^{٦٦٤}

واستخدم فيصل الورقة الطائفية لمصلحته من أجل أن يعزز موقفه في بلد غريب لا يملك فيه دعماً شعبياً، خاصة بين الأكثرية العربية الشيعية، التي وقعت تحت تأثير قياداتها الدينية التقليدية. وهذه القيادات شكلت جزءاً مهماً من مؤسسة دينية شيعية أممية الطابع، التي كانت تعادي المشاريع البريطانية في إيران وفي العراق. ولجأ فيصل الى الطائفية بشكل مباشر وصريح لدى تقديمه مبررات تخص إلحاق كردستان

⁶⁶⁴ Colonial office List (London: Waterlow & Sons Limited, 1921).

الجنوبية بمملكته العربية. فهذا الصدد يشير كوكس الى ما قاله فيصل له في إحدى برقياتته:

لقد أكد ان مسألة كُردستان لها بُعد آخر بالنسبة إليه بوصفه ملكاً على العراق، وهو الذي لم يُدرس، على الأغلب، بصورة تامة من قبلنا. وتلك هي كثرة السنّة أو الشيعة فيما يتعلق بشكل خاص بمسألة الجمعية الدستورية التي ستجتمع في وقت قريب. وكما نحن نعلم، هناك كثرة فنية وعددية للشيعة، وان إخراج شريحة واسعة من الاقضية السنّية (الكُردية) في العراق من الدولة واستثناء ممثليهم من الجمعية الوطنية سيضع الشيعة في موقف قوي جداً، وهو الأمر الذي أصابه بالشكوك.⁶⁶⁵

وشاطر كوكس فيصل وجهة نظره تلك حول أهمية السياسة الطائفية بالنسبة الى المصالح البريطانية أيضاً، بحيث حتّ تشتت على دراسة التداعيات السياسية لأية مشاركة كُردية في الجمعية الوطنية، التي عدّها جوهريّة:

سيكون نهجاً معقولاً للعمل من اجل شمول الاقضية الكُردية (في مقاطعات الموصل وكركوك والسليمانية) ومشاركتها في الجمعية الوطنية، شريطة وجود موافقة محلية وإشراف خاص من الموظفين البريطانيين، ومن المفوض السامي، إن كان ذلك ضرورياً.⁶⁶⁶

تزامنت مسألة أهمية كُردستان الجنوبية بالنسبة الى التوازن الطائفي مع حصول احتقان شديد بين كتلة فيصل وحلفائه السنّة، من جانب، وقادة الشيعة التقليديين، من جانب ثانٍ.⁶⁶⁷ وانتهى الأمر بطرد الأخيرين من البلاد، بهدف إضعاف نفوذهم خلال فترة الانتخابات القادمة للجمعية الوطنية. لقد استخدمت السلطات البريطانية الميدانية والنخبة السنّية على حد سواء الورقة الطائفية بدقة في لعبة تعزيز مواقعها وبسط هيمنتها. فمن جانب، استخدم البريطانيون الطائفية أداة لحكم البلد من خلال الأقلية السنّية، التي ستبقى وفيّة لهم بحكم معرفتها بضعفها العددي أمام الأكثرية

⁶⁶⁵ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 23 September 1921, F0371/6347, PRO.

⁶⁶⁶ Ibid.

⁶⁶⁷ والجدير بالملاحظة ان قادة الشيعة أنفسهم كانوا يقومون بتعبئة الإيرانيين ضد تنامي النفوذ البريطاني السياسي والاقتصادي في إيران بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

الشيوعية، مما يُحتم عليها الاعتماد على الدعم البريطاني في سبيل مواصلة هيمنتها السياسية والاجتماعية. ومن جانب ثانٍ، سُنّ بقي النخبة السنيّة على هيمنتها على الدولة ومؤسساتها الحساسة بواسطة إشغال الشيعة بمشاكل الكرْد.

إلحاق كُردستان الجنوبية بالدولة العراقية: الحسابات الاقتصادية- البترولية

لدواعٍ إستراتيجية بصورة رئيسية، أقدم البريطانيون على بسط نفوذهم السياسي والاقتصادي على أقاليم عُرف عنها أو أُعتقد بأنها تحوي مصادر بترولية. وإذا ما أُتيحت لهم الفرصة سعى البريطانيون الى التصدي لنفوذ القوى المنافسة الأخرى سواء أكان اقتصادياً أم سياسياً. وكما أوضح الفصل الأول، دخلت بريطانيا بين عامي ١٩٠٠ و١٩١٤ في منافسة دولية شديدة مع القوى الكبيرة الأخرى من أجل الحصول على امتيازات بترولية في عدد من الأقاليم الآسيوية التابعة للإمبراطورية العثمانية. وبرز وقوع الحرب العالمية الأولى حاجة بريطانيا الى الوصول الى البترول عن طريق السيطرة على مصادره أو الجهات المُجهّزة له. ولكي تكون لها سيطرة رسمية على جميع مناطق ولاية الموصل، التي ساد الاعتقاد بوجود البترول فيها، أقدمت القوات البريطانية على احتلال مدينة الموصل بعد انتهاء الحرب مباشرة. ومن حينها، سحّرت الحكومة البريطانية عملها الدبلوماسي من أجل تهيئة مستلزمات تحويل تلك السيطرة القائمة على الأمر الواقع الى سيطرة قانونية مُعترف بها دولياً. وكانت الخطوة الأولى التي أُتخذت في هذا الاتجاه، كما أوضح الفصل الخامس، هي نجاح الساسة البريطانيين في تغيير بنود اتفاقية سايكس- بيكو لعام ١٩١٦، بحيث مكنت بريطانيا من الاستحواذ على مجال النفوذ الفرنسي في ولاية الموصل لقاء حصول فرنسا على حصة في شركة البترول التركية بنسبة ٢٥٪. وإحباط أي دعم أمريكي للإدعاءات التركية في الموصل، منحت بريطانيا الولايات المتحدة حصة مُماثلة لها في تلك الشركة. ومن خلال منحها الأمريكيين والفرنسيين حصصاً معينة في الشركة المذكورة سعت بريطانيا الى تمكين الحكومة العراقية من الحصول على دخل مستمر يأتيتها عن طريق استغلال حقول البترول المحتملة في ولاية الموصل في أقرب فرصة ممكنة من دون مواجهة أية تعقيدات إقليمية أو دولية.

واتخذت مسألة البترول في أهميتها بُعداً إضافياً آخر بعد العام ١٩١٨، نتيجة لظهور الحاجة الى إقامة إدارة بريطانية وفي وقت لاحق استبدالها بحكومة أهلية في ميزوبوتاميا تكون مكتفية ذاتياً من الناحية المالية. وكان كولونيل ويلسون أول من أثار مسألة أهمية البترول حين سعى الى إقناع حكومته بالتعامل مباشرة مع قضية الامتيازات البترولية في ولايتي بغداد والموصل، وأهتم بشكل خاص بمسألة تعزيز القدرة المالية للإدارة البريطانية القائمة حينذاك. ولأن المصادر البترولية كانت ثروة ميزوبوتاميا الأولى، نادى ويلسون الى التعامل معها بوصفها ضماناً للحصول على قروض ضرورية لتطوير ميزوبوتاميا مادياً.^{٦٦٨} ولهذا السبب أراد ويلسون ان تفرض إدارته، سيطرتها على تلك الثروة المهمة بدلاً عن الشركات التجارية.

ان تشييد بنية تحتية مادية صلبة في خضم المساعي المبذولة لإنشاء دولة عربية في ميزوبوتاميا كانت ومازالت ذات طابع حيوي بالنسبة الى الحكومة البريطانية. ففي غياب ثروات طبيعية أخرى، وبسبب مستوى التخلف الاقتصادي الكبير السائد في ميزوبوتاميا العربية، أصبح البترول مهما من الناحية السياسية والإستراتيجية بالنسبة الى عملية بناء الدولة العراقية الوليدة وديمومتها على المدى الطويل. وبهذا النحو، دفع قيام تلك الدولة الى الواجهة بشكل تلقائي مسألة تطوير المصادر البترولية الكامنة في ولايتي بغداد والموصل لمصلحة الإدارة الأهلية الجديدة.

وكانت قضية ضمان الأمن المادي للدولة العراقية قد أثارت اهتماماً خاصاً لدى المسؤولين البريطانيين العاملين في ميزوبوتاميا، في مقدمتهم كوكس، الذي ربط، على غرار سلفه ويلسون، قدرة الإدارة الأهلية على البقاء بالاستغلال العاجل لثروة البلد البترولية، حيث قال:

أُنشئت حكومة عراقية، ورغم انها مازالت غير قادرة على الوقوف على قدميها، فإن أركانها تتثبت بسرعة، وتتطلب تطويراً لمصادر البلد ... لقد وجد البترول في نبط خانة،^{٦٦٩} ورغم إنه ليس بكميات تُدر دخلاً، فإن مستقبلها زاهر. إذا ما استغل البترول لصالح الدولة العراقية، فإن تأثيره سيكون ممتازاً من الناحيتين السياسية والاقتصادية ... ان توفير وقود رخيص سيغير، من دون أدنى شك،

⁶⁶⁸ India Office Conference, No.56571 & 27792, 8 April 1919, F0371/11-095, PRO.

⁶⁶⁹ تقع نبط خانة في منطقة كردية كانت تابعة للدولة الإيرانية، قبل ان تحول الى الإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

مشكلة السكك الحديدية تماماً وسيكون حافزاً عظيماً للتطور الزراعي وشراء الماكينات.^{٦٧٠}

ان الحاجة لتعزيز القدرات المادية للدولة الجديدة بشكل سريع لكي تقف على قدميها قد اُضاف بعداً اقتصادياً آخر لوجهة نظر كوكس وأتباعه، وهي ان مسألة إلحاق كُردستان الجنوبية وبسبب ما لها من ثروات بترولية كامنة قد صارت ضرورة اقتصادية بالنسبة الى العراق. لقد شاركت وزارة المستعمرات الموظفين البريطانيين الميدانيين هواجسهم بشأن جعل العراق دولة مكتفية ذاتياً من حيث الإنفاق على مؤسساتها وخدماتها. لقد أصبح واضحاً بشكل لا يقبل الخطأ ان نجاح نظام السيطرة البريطانية غير المباشرة قد استند برمته على قدرة الدولة العربية الجديدة في إقامة بنية تحتية مادية قوية قابلة للحياة وللاستمرار. وقد أقر شوكر، على سبيل المثال، بأهمية عثور الدولة العراقية على مصادر جديدة للدخل، وهي المصادر ((الأقل احتمالاً في الوقوع تحت تأثير المتغيرات السياسية والفوضى)) مثل جباية الضرائب الجمركية والتبغ، بالمقارنة مع الضرائب العقارية.^{٦٧١}

ويجب التنويه ان عملية إقامة نظام السيطرة غير المباشرة بدلاً من نظام السيطرة المباشرة، التي تجسدت في إنشاء دولة عربية، لم تستهدف وضع حدٍ للالتزامات بريطانيا المالية فحسب، بل أيضاً استرجاع وبقدر الإمكان ما أنفقته تلك الدولة في تطوير البنية التحتية لميزوبوتاميا. بعبارة أخرى، رغبت بريطانيا في ان يقوم العراقيون بتسديد ما أنفقوه في بناء السكك الحديدية والموانئ والطرق والجسور وخطوط التلغراف وغيرها من المرافق الحديثة أثناء الحرب وبعد انتهائها. ونصّت بنود الاتفاقية المالية البريطانية- العراقية لعام ١٩٢٤ والقائمة على اتفاق سابق في تشرين الأول ١٩٢٢ على دفع الحكومة العراقية بشكل دفعات تكاليف مرافق عامة قامت سلطات الاحتلال البريطانية بتشبيدها خلال المدة ١٩١٤-١٩٢١، التي بلغت سبعة ملايين جنيه إسترليني. وكانت الحكومة البريطانية قد رفضت تحويل تلك المرافق العامة الى الحكومة العراقية قبل ان تدفع تكاليفها، على الرغم من انها تنازلت عن مبلغ ٩٤،٠٠٩،٥٤٠ روبية هندية أنفقته في مشاريع عامة أخرى.

⁶⁷⁰ High Commissioner of Iraq to sIs for the Colonies, 25 December 1921 C0730/101, PRO.

⁶⁷¹ Shuckburgh, Colonial Office, 15 July 1921, C0730/2, PRO.

وفي هذا المجال، سلط وليام ستايفرس الضوء على التناقض في السياسة البريطانية تجاه الشؤون المالية للدولة العراقية الوليدة.^{٦٧٢} فمن جانب، طالبت بريطانيا الحكومة العراقية بدفع ما أنفقته من أموال على مرافق عامة متنوعة، وهذا شكل عبئاً مالياً كبيراً على الدولة الجديدة لم تكن تتوقعه. ومن جانب ثانٍ، أرادت بريطانيا من العراق ان يكون كياناً مُكتفياً ذاتياً، بوصفه حجر الزاوية في سياستها الجديدة القائمة على السيطرة غير المباشرة. فطبقاً الى تلك الحسابات، فان اندماج كردستان الجنوبية في العراق العربي سيساعد الأخير على تعزيز قدراته الاقتصادية دون الاعتماد على المساعدات المالية البريطانية. ومن هذا المنطلق، قامت بريطانيا بمساعدة الحكومة العراقية في الوصول الى اتفاقيات مرضية تتعلق بالامتيازات البترولية في خريف العام ١٩٢٣. وأشار وزير المستعمرات البريطاني الجديد، ليو أمري، الى اهتمام حكومته المزدوج: تعزيز المصالح البترولية البريطانية الخاصة، أولاً، تمكين الدولة العراقية من الاستفادة بصورة مناسبة من الامتيازات البترولية، ثانياً.^{٦٧٣}

ان الحاجة الماسّة الى تسديد المبالغ المترتبة على تشييد مرافق عامة الى الجانب البريطاني وضرورات تمويل بناء الدولة العراقية ومؤسساتها دون الاتكال على المساعدات المالية البريطانية كانت من المهام الثقيلة التي واجهها فيصل وحكومته العربية بصورة مُبكرة. ونصّت اتفاقية العام ١٩٢٢ بين الحكومة البريطانية والملك فيصل على قبول الحكومة العراقية المسؤولية كاملة عن توطيد استقرار النظام والأمن الداخلي والدفاع عن البلد من اي عدوان خارجي.^{٦٧٤} وتطلب من الحكومة العراقية، بحسب الاتفاق المذكور، تخصيص نسبة ٢٥٪ من مورها المالي لأجل تعزيز قدرات جيش وطني واحتياطي. ومنذ البدء، وجد فيصل وحكومته العربية أنفسهم في حاجة مُلحة للعثور على مصادر مالية من أجل زيادة موارد الدولة لكي تستخدم لتطور مؤسساتها الرئيسية كالجيش والشرطة وغيرها. وفي مثل تلك الظروف، ليس من الغرابة ان يُصوب فيصل وحكومته أنظارهما في اتجاه استغلال الثروة

⁶⁷² Stivers, *Supremacy and oil: Iraq, Turkey and the Anglo-American World Order, 1918-1930*, p.88.

⁶⁷³ Colonial Office to High Commissioner, Baghdad, 4 August 1923 & Memorandum of Meeting Held at the Colonial Office 7 September 1923, in Stivers, *Supremacy and oil*, p.88.

⁶⁷⁴ Ernest Main, *Iraq from mandate to Independence*, p.60.

البترولية الكامنة في كُردستان الجنوبية. ففي بداية شهر كانون الأول ١٩٢٢، بدأ مجلس الوزراء العراقي مناقشة مسألة الحقوق البترولية في ميزوبوتاميا وتوزيع الحصص البترولية. وتمخض النقاش عن موافقة المجلس المذكور على تبني قرار يشير ضمناً الى بتول المناطق الكُردية: «ان الحكومة العراقية غير قادرة على الموافقة على أية مفاوضات قد تجري بالنيابة عنها بشأن مصادر البلاد الطبيعية او الاعتراف بأي قرار قد يُتخذ من دون موافقتها».^{٦٧٥} وابلغ فيصل وحكومته المسؤولين في لندن بنواياهم باغتنام أية فرصة تسنح من أجل تطوير حقول البترول المحتملة أملاً في حصول العراق على «مورد كبير».^{٦٧٦} وفي معرض رده على مسألة استغلال المصادر البترولية، أكد تشرنتشل بوضوح انه لا يعترض على ان تمنح الحكومة العراقية الامتيازات، باستثناء تلك التي استندت الى ادعاءات سبقت وقوع الحرب العالمية الأولى.^{٦٧٧} وهذا يعني ان العراق لا يستطيع التعويل على بتول ولاية الموصل. ان الحاجة المتزايدة للحصول على الأموال هي التي دفعت بوزارة المالية الى حث الحكومة العراقية على السماح لشركة النفط التركية بتطوير المناطق البترولية.^{٦٧٨} على إثر ذلك، حاول فيصل إقناع بريطانيا بضرورة فتح الحوار بشأن الامتيازات البترولية القديمة والجديدة في ولاية الموصل. لكن بريطانيا عدت الظرف القائم غير ملائم، نظراً لعدم التأكد بعد من مصير ولاية الموصل النهائي.^{٦٧٩} كانت بريطانيا تخشى من انه في حالة قيامها باستغلال بتول ولاية الموصل فأنها ستولد انطباعاً سلبياً لدى الولايات المتحدة وفرنسا وهو ان رفضها للإدعاءات التركية قد حرّكته حسابات بترولية.

ولم يكن خافياً على فيصل وحكومته العربية، من جهة، وكوكس وسائر الموظفين البريطانيين الميدانيين، من جهة ثانية، ان دمج كُردستان الجنوبية بالدولة العربية سيوجب على الأخيرة فوائد اقتصادية ملحوظة. وكان كوكس قد دعم موقف حكومة بغداد في فرض ضرائب على التبغ الكُردى، التي عدّها «المحصول الأهم» و«مصدراً

⁶⁷⁵ IIR, No.24, 13 December 1922, F0371/7772, PRO.

⁶⁷⁶ Weakley, Minute No.12708, 13 December 1921, F0371/6364, PRO.

⁶⁷⁷ S/S for the Colonies to High Commissioner for Iraq, 30 January 1922, F0371/7782, PRO.

⁶⁷⁸ IIR, No.3, 1 February 1923, F0371/7772, PRO.

⁶⁷⁹ Ibid.

مهماً للموارد والقابل للتوسيع)).^{٦٨٠} وطبقاً لذلك، طلب كوكس من لندن توفير الحماية للتبغ الكردي من خلال منع استيراد التبغ الأجنبي. وكان كوكس يأمل من وراء توفير تلك الحماية إنشاء صناعة تبغ محلية لتكون «مورداً كبيراً» للحكومة العراقية. أما خليفته، هنري دوبر، الذي وصفته الخاتون بيل على انه يمتلك «خبرة ناضجة في الشؤون المالية» بسبب مساهمته في إدارة الشؤون المالية للدولة الجديدة،^{٦٨١} فقد أكد مجدداً على أهمية تبغ كردستان الجنوبية لاقتصاد العراق.

ان الحاجة الماسة الى إيجاد مصادر مالية جديدة لملء خزانة الدولة العراقية الخاوية قد تجسدت خير تجسيد في المنافسة التي جرت بين حكومة الشيخ محمود الكردية في السليمانية وحكومة فيصل العربية في بغداد من اجل السيطرة على الموارد الزراعية في كردستان الجنوبية، وكذلك على جباية الضرائب المفروضة على التبغ الكردي. وكانت مناطق كردية عدة قد أعلنت امتناعها عن دفع الضرائب الى بغداد بسبب رفضها الخضوع سياسياً وإدارياً الى الحكم العربي. وأعطت مسألة استغلال البترول وجباية الضرائب وجهة النظر المؤيدة للاندماج القسري زحماً وبعداً مهماً آخر، بحيث صُوِّرَ إلحاق كردستان الجنوبية بالدولة العربية على انه ضرورة اقتصادية، إذا ما أرادت بريطانيا قيام دولة عراقية مستقرة اقتصادياً على المدى الطويل. وكما أتضح لاحقاً، منذ العام ١٩٢٧ تحديداً، اعتمد الاقتصاد العراقي بصورة متزايدة على بترول كردستان الجنوبية بوصفه المصدر الرئيس للدخل.

إلحاق كردستان الجنوبية بالدولة العراقية: الحسابات الإستراتيجية

عاملان استراتيجيان كانا الدافعين الرئيسيين وراء احتلال بريطانيا للولايات الميزوبوتامية الثلاث، البصرة وبغداد والموصل، في المدة ١٩١٤-١٩١٨. أولهما، لكي تضمن أمن الممر البحري الى الهند من تهديدات القوى المنافسة الأخرى، عملت بريطانيا على تعزيز موقفها في منطقة الخليج عن طريق السيطرة على ميزوبوتاميا. ثانياً، ستمكن بريطانيا من خلال فرض احتلالها للولايات الثلاث من السيطرة على الطريق البري الاستراتيجي المؤدي الى الهند: لندن- اسطنبول- الموصل- بغداد- قم

⁶⁸⁰ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 22 June 1921, C0730/2, PRO.

⁶⁸¹ Lady Gertrude, The Letters of Gertrude Bell, Vol.I, (London: Ernest Benn, 1927) pp.508-509.

أو أصفهان - كويته. وأكدت لجنة حكومية تشكلت في أعقاب انتهاء الحرب، أهمية الممر الجوي للإمبراطورية عبر ميزوبوتاميا:

من المفهوم ان بغداد تُعد نقطة حيوية على الممر الجوي الى الشرق. في الوقت الحالي، توجد خدمة جوية بين بغداد ومصر. ان البريد الجوي النصف شهري والموجود منذ أكثر من عام قد قلل المسافة بين بغداد ولندن الى ١٠ أو ١١ يوماً.^{٦٨٢}

لقد أصبحت القوة الجوية تدريجياً وسيلة مؤثرة جديدة في حماية المصالح البريطانية في الهند. وان الأهمية الإستراتيجية، بقدر ما يتعلق الأمر بميزوبوتاميا، قد أكدت عليها مراراً دوائر عسكرية ومدنية بريطانية سواء في لندن أو في بغداد بعد قيام الدولة العراقية. فالآن، أصبحت المصالح البريطانية الإستراتيجية مترابطة ومتداخلة بصورة لا مفر منه مع ديمومة الدولة العربية الجديدة على الصعيد العسكري. علاوة على ذلك، ظهرت عوامل أخرى لوضع المزيد من التأكيد على ذلك الترابط، خاصة وصول الحركة القومية الكمالية الى السلطة في تركيا، جار العراق الشمالي. ان تصاعد التهديدات الكمالية واشتداد الادعاءات التركية حول عائدة كردستان الجنوبية قد أثارت مراراً مسألة إعادة رسم الأهداف البريطانية في ميزوبوتاميا وتحديد الوسيلة المثلى لتحقيقها في ظل الظروف القائمة آنذاك. وأملت بريطانيا في أن تصل الى معادلة سياسية تُمكنها من تعزيز موقفها على المدى الطويل في ميزوبوتاميا، من دون ان ينطوي ذلك على التزامات مالية وعسكرية كبيرة. هذا لأن عملية إحلال نظام السيطرة غير المباشرة (إدارة أهلية عربية تحت الانتداب) مكان السيطرة البريطانية المباشرة (إدارة بريطانية) قد اعتمد اساساً على كيفية توفير بريطانيا إمكانيات توفر الضمان لأمن الدولة الدائرة في فلكها.

وفي ظل تلك الأوضاع، أدت الحاجة الى توطيد أمن العراق العربي أمام تركيا، وهي القوة المطالبة بالتغيير الجيوسياسي لصالحها، الى التأكيد على أهمية كردستان الجنوبية من الناحية الإستراتيجية. فالأخيرة شكلت حزاماً طبيعياً منيعاً يسهل الدفاع عنه وغير مُكلف بفضل جبالها الشاهقة ووديانها العميقة. وهذه السمات الجغرافية المتميزة ستساعد بريطانيا على خفض سقف التزاماتها العسكرية وتقليل كلفة الدفاع عن العراق العربي الى اقل مقدار ممكن. كما ان بإمكان كردستان الجنوبية توفير

⁶⁸² Cabinet Committee On Iraq, No. I.R.O. 3, 11 December 1922, F0371/7772, PRO.

تسهيلات أخرى، في مقدمتها إحلال مجندين محليين من الكُرد مكان القوات الامبريالية للدفاع عن شمال البلاد. ان البُعد الاستراتيجي من المعضلة البريطانية في ميزوبوتاميا، كما بيّن الفصل السادس، كان هو القوة الدافعة وراء فكرة تشتت بشأن جعل كُردستان الجنوبية حزاماً إقليمياً منفصلاً بغية تعزيز أمن الدولة العربية الجديدة. وكان هيوبرت يانغ قد عبّر في لقاءه مع فيصل عن وجهة نظر وزارة المستعمرات حول طريقة تعزيز أمن العراق العربي ومصالحه، من دون إخضاع كُردستان الجنوبية لحكم عربي غريب عن أهاليها:

بالنسبة الى العراق، وجود كُردستان صديقة أمر حيوي لكونها درعاً محتملاً ضد تركيا، وشريكاً للعراق في مصالح مشتركة أو بالعكس تهديد في حد ذاته ... وقناة لعدوان خارجي. بالنسبة الى كُردستان، صداقة العراق أمر حيوي لكونه السوق الخارجي الرئيس، إذا لم يكن السوق الوحيد، وكونه المنفذ الوحيد الى البحر. فمن دون الأخذ بنظر الاعتبار العامل الخارجي، ينبغي ان تقود مجموعة المصالح لوحدها الى تعاون وثيق وعلاقات صداقة بين المنطقتين، بحيث تكون المنطقة الواحدة تحت رحمة الأخرى.⁶⁸³

في الوقت الذي بدأ فيه مؤتمر لوزان جدول أعماله، صار من الواضح انه توجب على البريطانيين التخلي عن خيار كُردستان جنوبية منفصلة ليس بسبب معارضة فيصل له، بل، والاهم من ذلك، بسبب ما له من تأثيرات سياسية سلبية على علاقاتهم مع الأتراك والإيرانيين على المدى الطويل (راجع التفاصيل في الفصل الثامن). وأدت تلك الضرورة الى دفع خيارات أخرى الى الواجهة، منها منح كُردستان الجنوبية الى تركيا أو تقسيمها بين تركيا والعراق العربي أو إلحاقها ككل بالكيان الأخير. وينبغي التذكير ان قرارات كونفرانس القاهرة (١٩٢١) المتعلقة بالعملية الانتقالية من الإدارة البريطانية المباشرة الى حكم أهلي في ظل انتداب بريطاني قد استندت الى فرضية وهي ان لا تتعرض ميزوبوتاميا الى تهديد خارجي أثناء تلك الحقبة أو في أعقابها مباشرة. وساد اعتقاد بأنه لم يكن الطيران الملكي البريطاني (RAF) ولا الحامية الامبريالية البريطانية في ميزوبوتاميا في موقف يُمكنهما من التصدي بشكل مؤثر لأي

⁶⁸³ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 25 October 1921, F0371/6347, PRO.

هجوم خارجي.^{٦٨٤} ونظراً لحاجتها الماسة الى خفض نفقاتها العسكرية، لم تُبدِ لندن أية رغبة جامحة في ضمان أمن العراق العربي من أي عدوان خارجي قد تقوم به تركيا الكمالية كلما أثار الملك فيصل تلك المسألة معها. وتلخصت المهام المتبقية للحامية البريطانية بتعزيز النظام والأمن الداخلي في ميزوبوتاميا العربية، في حين أدت القوة الجوية الملكية البريطانية وبمساعدة قوات الليفي الأثرية، وأحياناً قوات ليفي كُردية، دوراً مماثلاً في المناطق الكُردية. وكان من المؤمل ان تحتل قوات الليفي المحلية مواقع القوات البريطانية حين إخلائها في كُردستان الجنوبية.

ان الحقبة التي أعقبت كونفرانس القاهرة لم تشهد أية إشارة تدلل على ان ميزوبوتاميا غير مهددة بعدوان خارجي، هذا لأن الكماليين الأتراك واصلوا وجماس كبير نشاطاتهم العسكرية والدعائية في المناطق الكُردية، مُستغلين مخاوف أهلها من فرض حكم عربي أجنبي عليهم. ولهذا سبب قرار لندن في الانسحاب من المناطق الكُردية، وقبل التوصل الى اتفاقية سلام مع تركيا الكمالية، قلقاً كبيراً في أوساط المسؤولين العسكريين والموظفين المدنيين البريطانيين في ميزوبوتاميا.^{٦٨٥} وبهذا الشأن، بيّن كوكس ان «الانسحاب من تلعفر وعقرة وزاخو سيجعل من المستحيل الاحتفاظ بالموصل وبقية الولاية».^{٦٨٦} وهذا يعني انه لا يُمكن معالجة ضعف العراق العسكري إلا عن طريق إلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي. بهذا الشكل، أضاف كوكس، وعلى غرار فيصل الذي طالب البريطانيين بوضع حدود إستراتيجية شمالية لدولته، بُعداً استراتيجياً لوجهة نظره المتعلقة بإلحاق ذلك الإقليم بالدولة العربية بوصفه أمراً مصيرياً.

ولأن بريطانيا لم تكن في موقف عسكري يُمكنها من إرغام تركيا الكمالية على قبول اتفاقية سيفر القديمة أو اتفاقية سلام جديدة، ولأنها افتقدت وسائل الضغط الدبلوماسي، على سبيل المثال مساندة قوى الحلفاء الآخرين لموقفها، طرح كورزون فكرة التوصل الى مساومة مع تلك الدولة أمام الدوائر العسكرية والمدنية البريطانية. وهذه المساومة انطوت على إجراء تعديل محدود لحدود ولاية الموصل لصالح تركيا

⁶⁸⁴ Colonial Office, Middle Eastern Committee, Fourth Minute by Shuckburgh, 4 November 1921, F0371/6347, PRO.

⁶⁸⁵ Colonial Office, Middle Eastern Committee, First Minute by Shuckburgh, 5 May 1921, F0371/6344, PRO.

⁶⁸⁶ Ibid.

الكمالية. وكان الأمل من وراء ذلك هو ان يصبح السلام مع تلك الدولة وسيلة رئيسة لتعزيز أمن العراق على المدى الطويل، والذي سيوفر بدوره للحامية البريطانية فرصة الانسحاب من تلك البلاد. ولكن هذا الخيار لم يكن سهلاً، وذلك لان تقديم تنازلات إقليمية في كردستان الجنوبية سيضع تركيا في موقف استراتيجي أقوى من ذي قبل في مواجهة العراق، ناهيك عن كونها بمثابة دعوة مفتوحة للكماليين لممارسة المزيد من الضغط للحصول على تنازلات أخرى. بتعبير آخر، إذا منحت بريطانيا قضاء زاخو وقضاء العمادية الى تركيا، سيزداد التهديد المباشر الذي يُشكله الكماليون لبقية مناطق كردستان الجنوبية حيث تقع حقول البترول. وإذا قررت بريطانيا تسليم الإقليم الكردي بكامله، الذي قدرت مساحته بأكثر من ٨٨ ألف كيلومتر مربع وتعداده بأكثر من ٧٠٠ ألف فرد، سيصبح الكماليون الأتراك على بعد ١٥٠ ميل فقط من مدينة بغداد.

وكان قائد الطيران البريطاني قد أشار من جانبه الى عواقب عسكرية وسياسية عدّة ربما تنتج عن قيام بريطانيا بالتنازل عن ولاية الموصل. أولاً، سيعتبر العرب تسليم الولاية المذكورة بمثابة ((هزيمة بريطانية))، ومن ثم سيضعف هذا من مصداقية بريطانيا السياسية في كل أنحاء ميزوبوتاميا. ثانياً، سيسهر فيصل ان البريطانيين قد أضعفوا موقفه بالقدر الذي أضعفوا فيه أمن دولته. ثالثاً، سيُجبر البريطانيون على تقوية حاميتهم في بغداد،^{٦٨٧} وذلك لأن بسط السيطرة التركية على كردستان الجنوبية والموصل سيعني حرمان العراق من ((قسم من حزامها الحاجز)).^{٦٨٨}

وعلى غرار قائد الطيران، أجمع قائد هيئة الأركان العامة ووزارة المستعمرات على معارضة الانسحاب من كردستان الجنوبية قبل التوصل الى اتفاق سلام مع تركيا الكمالية:

أجلاً أو عاجلاً، سيتحتم علينا القبول بالنفوذ التركي حتى أطراف السهول ومن ثم الانقطاع عن خط الاتصالات الوطني ما بين الموصل وبغداد، الذي يمر عبر كركوك والتون كوبري واربيل ... ان (خطوط) إتصالات بغداد- الموصل، وهي نحو ٢٠٠ ميل، ستكون محاطة من الجانبين ببلاد مرتفعة مضطربة. ومن الممكن ان تنقطع (خطوط) إتصالاتنا في أي وقت، وفي الحقيقة سيكون من

⁶⁸⁷ Cabinet Committee On Iraq, No. I.R.O. Ist, 8 December 1922, F0371/7772, PRO.

⁶⁸⁸ Annexure i, Lord Curzon's Tentative Proposals Regarding Cession of Portion of Kurdistan, Lausanne, 6 December 1922, F0371/7772, PRO.

المستحيل الاحتفاظ بالموصل من الناحية العسكرية ... ان التخلي عن البلاد الكُردية سيُعرض الى الخطر وبالطريقة نفسها خط الاتصال المهم بين بغداد وبلاد فارس عبر قزلباط وخانقين ... وسيكون أمراً ضرورياً إضافة تعزيزات كبيرة الى الحامية الموجودة، إذا ما أريد تعزيز الموقف ... وإذا ما نالت موافقة الأتراك، ستكون خطوة أولى نحو توسع (تركي) آخر، وهو الأمر الذي سيقود بصورة لا مفر منه الى تخلينا عن الموصل ككل والعواقب المترتبة عليه.^{٦٨٩}

لقد خَشِيَ البريطانيون من ان مجابهة عواقب أخرى تترتب على فشل سياستهم في ميزوبوتاميا، كإنهاء الوجود البريطاني في أعالي الخليج، الذي سيشكل بدوره تهديداً للهند وللتجارة الامبريالية،^{٦٩٠} فضلاً عن إثارة عداوة العرب وتقوية النفوذ البلشفي في بلاد فارس.^{٦٩١}

لقد أنهت اتفاقية السلام التركية الجديدة في لوزان (١٩٢٣) جميع المخاوف البريطانية من قيام غزو تركي لميزوبوتاميا في المستقبل المنظور في أقل تقدير. وظلت مسألة مهمة لم تُحسم بعد بالنسبة الى البريطانيين ألا وهي الطريقة التي يستطيعون فيها إبقاء كُردستان الجنوبية قانعة ومستقرة ضمن الدولة العراقية. ان الخبرات البريطانية المتراكمة في ذلك الإقليم كانت تُؤشر بوضوح ان اللجوء الى القوات البرية أمر مكلف من الناحيتين البشرية والمالية. وأتضح ان اللجوء الى سلاح الطيران الملكي البريطانية ضمن ما عُرف بـ«خطة السيطرة الجوية» هو الأسلوب الأكثر فاعلية في تهدئة كُردستان الجنوبية. ان سلاح الطيران، كما يُبين ارنست مين، قد مثَّل الوسيلة الأقل كلفة والأسرع لإعادة فرض السيطرة البريطانية أو البريطانية-العراقية على ذلك الإقليم.^{٦٩٢} هذا السلاح الذي يتلاءم مع حقائق المناطق الكُردية الجغرافية بوصفها بلاداً جبلية وسمات أهاليها الاجتماعية، الذين تعودوا على مقاومة الحكومة المركزية بوسائل الكر والفر. كما ان سلاح الطيران سيسمح لبريطانيا التخلي عن وجود حامية كبيرة في ميزوبوتاميا لحماية النظام والاستقرار الداخلي فيها. ان خطة

⁶⁸⁹ Annexure ii, Lord Curzon, Lausanne, 8 December, F0371/7772, PRO.

⁶⁹⁰ Cabinet Committee On Iraq, No. I.R.O. 2nd Conclusion, 12 December 1922f F0371/7772, PRO.

⁶⁹¹ Foreign Office Memorandum on the Political consequences of British Withdrawal from Iraq, 15 December 19220, F0371/7772, PRO.

⁶⁹² Ernest Main, *Iraq from Mandate to Independence*, 114.

السيطرة الجوية قد استندت الى خبرات بريطانية سابقة في المدة ١٩١٩-١٩٢٠، حين شنّ سلاح الطيران البريطاني غاراته ضد العديد من المناطق الكردية المنتفضة. وبحسب الخطة المذكورة، سيكون اللجوء عادة الى القصف الجوي المركز للأهداف المدنية، بما في ذلك القرى والمدن الصغيرة، بحيث تؤدي الى تقويض الحياة اليومية الاجتماعية والاقتصادية ومن ثم كسر المقاومة الكردية فيها. وكان ممثل وزارة الطيران قد أعاد الى أذهان مسؤولي وزارة المستعمرات في العام ١٩٢١ «ان قمع الفوضى بالتنسيق مع اللبيين كان واحدة من مهام سلاح الطيران في كردستان، كما هو في العراق الأصيل»^{٦٩٢}.

بعد العام ١٩٢٢، اتخذ دور القوة الجوية الملكية بُعداً سياسياً مهماً خلال عملية إلحاق كردستان الجنوبية بالعراق العربي على الضد من رغبات أهاليها.^{٦٩٤} وفي لحظة ما، عارض ونستون تشرشل قصف القوة الجوية الملكية لأهداف مدنية كردية. مع هذا، لم تتواصل مثل هذه الأفعال فحسب بل تصاعدت حين التجأ البريطانيون الى استخدام القنابل الغازية، وهي أسلحة لم تستخدمها من قبل أية قوة أخرى ضد انتفاضات محلية، ناهيك عن استخدامها ضد أهداف مدنية. ويتضح من تاريخ المسألة الكردية بين عامي ١٩٢٣ و١٩٤٢، من دون اللجوء الى القوة الجوية الملكية في قمع الانتفاضات الكردية، لم يكن بالمقدور إتمام عملية إلحاق كردستان الجنوبية بالعراق العربي أو ان يستمر ذلك الإلحاق لفترة طويلة، إذ ان بريطانيا كانت مصممة باستمرار على عدم استخدام قواتها البرية في حفظ النظام. وعلى الرغم من ان الاستخدام المؤثر لسلاح الطيران البريطاني ضد الانتفاضات الكردية قد منح الدولة العراقية الوقت الكافي لبناء قواتها البرية وسلاحها الجوي، ظلّت الحكومات العربية في بغداد عاجزة عن فرض سيطرتها بمفردها على كردستان الجنوبية. وبهذا الشكل، كان ظهور سيطرة عسكرية ثنائية بريطانية-عربية «بصيغة سلاح جوي بريطاني وقوات برية عربية» الترتيب الوحيد القادر على فرض الاستقرار من وقت لآخر على المناطق الكردية في المرحلة التي أعقبت مؤتمر لوزان.

⁶⁹³ Shuckburgh, Middle Eastern Committee, Fourth Minute, 4 November 1921, F0371/6347, PRO.

⁶⁹⁴ ان كتاب ديفيد أوميسي يُبين دور سلاح الطيران الملكي في إبقاء كردستان الجنوبية تحت السيطرة المشتركة البريطانية-العراقية عن طريق قمع انتفاضات كردية متعاقبة في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي: David E. Omissi, *Air Power and Colonial Control: the Royal Air Force, 1919-1939*, (Manchester: 1990).

خاتمة الفصل

حين قررت الحكومة البريطانية في نهاية الأمر إقامة دولة عربية في العام ١٩٢٠ لم يكن ضمن مخططاتها إلحاق كُردستان الجنوبية قسراً بتلك الدولة، التي ضمت ولايتي بغداد والبصرة. ان عملية تشكيل تلك الدولة، التي بدأت في نهاية العام ١٩٢٠ واستمرت في الأعوام الثلاثة التالية، لم تكن سهلة وانسيابية، على رأي بعض المسؤولين البريطانيين. فمنذ ساعة تشكيلها، أثارت الدولة العربية الجديدة قضايا عسكرية واقتصادية ومالية وسياسية تتعلق بقدرتها على البقاء والتطور على المدى الطويل. وأجبر تصاعد التهديدات الكمالية- التركية لموقفها ومصالحها في ميزوبوتاميا الحكومة البريطانية على الاهتمام بشكل جدي وسريع بمسألة تلبية حاجات تلك الدولة العربية من أجل جعلها مشروعاً قابلاً للتنفيذ والاستمرار. ومن خلال تأكيدات المسؤولين البريطانيين سواء في بغداد أو في لندن المتعلقة بمسألة أمن العراق العربي على المديين القصير والطويل من قبل، أصبحت التهديدات الكمالية- التركية العامل الأهم من حيث التأثير في قرار حكومة لندن النهائي القاضي بإخضاع كُردستان الجنوبية لحكم عربي مباشر، بدلاً من تحويلها الى كيان سياسي منفصل يتمتع بحكم ذاتي في ظل الانتداب البريطاني. بتعبير آخر، نظراً لقرار بريطانيا النهائي في سحب حاميتها الامبريالية وضعف الجيش العربي الحديث التأسيس، تحول إلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي الى ضرورة، وذلك لكونه حزاماً جبلياً دفاعياً طبيعياً يحمي السهول من اي غزو خارجي من ناحية الشمال.

كانت كُردستان الجنوبية مهمة بالنسبة الى بريطانيا، كما كانت مهمة بالنسبة الى مصالح الدولة العربية الموالية لها. فمن وجهة النظر الاقتصادية، تميز الإقليم بأهمية مزدوجة. فمن جانب، سعت بريطانيا الى فرض سيطرتها على حقول البترول في المناطق الكُردية من خلال إنشاء كيان موالي لها، وهو الأمر الذي سيُمكنها من التزود بالبترول الحيوي بالنسبة الى سلاح البحرية الامبريالي، خاصة في ظروف الحرب. ان كُردستان جنوبية منفصلة أو عودة السيطرة التركية اليها قد يعني فقدان بريطانيا لسيطرتها على حقول البترول على المدى الطويل. ومن جانب آخر، أدرك البريطانيون الأهمية القصوى لإنشاء دولة عربية موالية تقوم على مبدأ الاكتفاء الذاتي من الناحية المالية، إذا ما أرادوا تحقيق غايتهم الرئيسية في وضع حد لأعبائها المالية الثقيلة في

ميزوبوتاميا. كما كان فيصل وحكومته العربية مدركين قيمة البترول الكردي بوصفه مصدراً ثابتاً لإيرادات الدولة العربية التي يُمكن استخدامها في تطوير مؤسساتها العسكرية والمدنية. كان من الطبيعي إذن ان تتلاقى هواجس بريطانيا المالية مع هواجس فيصل وحكومته المادية لتجعل من إلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي ضرورة من الناحية الاقتصادية.

وتمثلت قيمة كُردستان الجنوبية السياسية بالنسبة الى الدولة العربية الجديدة، بحسب تصورات المسؤولين البريطانيين، برغبتهم في إدامة نهج قسّم وأحكم الامبريالي التقليدي. وهذه الرغبة كانت نتيجة مباشرة لتجارب بريطانية سابقة في ميزوبوتاميا بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٣، حين قاوم الشيعة العرب بزعامة رجال الدين التقليديين الحكم البريطاني المباشر وكذلك رفضهم اللاحق للمشاركة في عملية قيام دولة عربية تحت إشراف بريطانيا ورعايتها. لهذا لم يكن منسجماً مع المصالح البريطانية ان يُشكل العرب الشيعة الأغلبية الساحقة من سكان الدولة الجديدة، في حين شكل العرب السنة أقلية صغيرة مقارنة بهم. فمن وجهة النظر البريطانية، إخضاع الكُرد وغالبيتهم من السنة لحكم عربي سيساعد على تعديل الموازين الطائفية الحساسة في الحياة السياسية للدولة الجديدة. فضلاً عن ذلك، كان وجود التنوع الأثني والثقافي والديني وظهور مجتمع غير متجانس وهويات جماعية قوية يصب في مصلحة البريطانيين حيث ستمنع تشكيل حركة قومية سياسية كبرى على مستوى البلاد تكون قادرة على مقاومة النفوذ البريطاني. وفي نفس الوقت، كان فيصل، الذي افتقد الى دعم شعبي باستثناء مساندة عدد من العسكريين والزعامات المدنية من السنة العرب، هو الآخر قد أقر بأهمية الكُرد الجنوبيين في تعديل الموازين الطائفية في البلاد، إذ سيخفف من ضغط الغالبية الشيعية عليها. كان من الطبيعي إذن ان تتلاقى مخاوف فيصل والنخبة السنية العربية المتحالفة معه مع قلق المسؤولين البريطانيين الميدانيين في بغداد بشأن اختلال التوازن الطائفي بشكل كبير وملموس. في نهاية الأمر، تم إلحاق كُردستان الجنوبية بالدولة العربية على الضد من رغبات سكانها، الذين رفض غالبيتهم المشاركة في عملية تشكيل الدولة العراقية أو مباحة فيصل ملكاً عليهم. ولم تتوقف معارضة الكُرد لفرض حكم عربي عليهم حيث عبّرت عن نفسها في اندلاع سلسلة من الانتفاضات المسلحة خلال عشرينيات وثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي.

الفصل الثامن

سياسة بريطانيا الكُردية

مرحلة ما بعد معاهدة سيفر ومؤتمر لوزان

ولدت معاهدة سيفر ميّنة، إذ لم تترجم بنودها الى واقع ملموس، ويعود السبب الرئيس في ذلك الى ازدياد قوة القوميين الأتراك بزعامة مصطفى كمال، الذي عارض بشدة التسوية السلمية المفروضة على تركيا. ووفرت انتفاضة الكماليين المستمرة في أناضوليا ضد السيطرة والنفوذ الأجنبي فرصة لانتشار النفوذ البلشفي في منطقة الشرق الأوسط، خاصة بعد أن حوّل الجيش الأحمر ارمينيا الروسية الى جمهورية سوفيتية في شهر كانون الأول من العام ١٩٢٠. في اثناء ذلك، غيّر الايطاليون والفرنسيون، حلفاء البريطانيين السابقين، بشكل تدريجي من مواقفهم تجاه الحركة الكمالية، حيث بدءوا ينادون بسياسة التقارب من خلال عقد اتفاقيات ثنائية معها، بدلاً من مجابتهها.

وهذا الفصل يحلل مدى تأثير السياسة الكُردية لبريطانيا بالتطورات الإقليمية والدولية المهمة آنفة الذكر ما بين صيف العام ١٩٢٠ وصيف العام ١٩٢٣. وينبغي التذكير بهذا الصدد انه بدون التوصل الى اتفاقية مع تركيا الكمالية، سواء جاء عن طريق القوة أو عن طريق الدبلوماسية السلمية، عدّ صناع القرار السياسي البريطاني في وزارتي الخارجية والمستعمرات تطبيق نظام السيطرة غير المباشرة الجديدة أمراً غير واقعي وبعيد المنال. فكما سيوضح هذا الفصل، كان لمسألة لجوء البريطانيين الى وسائل سلمية أو قسرية تأثيرات مباشرة في طريقة تعاملهم مع الوضع الكُردى، وذلك بسبب حالة عدم الاستقرار السياسي السائدة في جنوب كردستان وشمالها. ويبيّن هذا الفصل أيضاً، كيف ان بريطانيا وتركيا الكمالية قد أخذتا بنظر الاعتبار وجود ذلك الوضع غير المستقر والمتغير في المناطق الكُردية، لدى بذلهما مساعي حثيثة من اجل تحقيق غاياتهما، أي السيطرة على كردستان الجنوبية. وفي غضون ذلك، اخفق القوميون الكُرد في مساعيهم لاستغلال الاختلافات بين البريطانيين والكماليين الأتراك في سبيل تحقيق تطلعاتهم السياسية القومية.

القوميون الكردي وبريطانيا والوضع الكردي بعد عقد معاهدة سيفر

١. نشاطات الحركات القومية الكردية لمرحلة ما بعد سيفر

أبدى القوميون الكردي ردود أفعال غير مؤيدة لمعاهدة سيفر، وذلك لأن بنودها الخاصة بمستقبل كردستان لم تكن مرضية أو قابلة للتنفيذ. وكان السيد طه واحداً من أولئك القوميين ((المشككين)) بإمكانية تطبيق بنود سيفر، خصوصاً ان لجنة الحلفاء المقترحة لم تكن مدعومة بالقوة لأداء مهمتها في كردستان.^{٦٩٥} وبدلاً من الانتظار حتى الزمن الذي سَنطبق فيه بنود معاهدة السلام، اتخذ القوميون الكردي مبادرات عدّة من أجل تحقيق تطلعاتهم السياسية. وباستثناء قلة منهم، وهم من الذين لم تكن لديهم أية ثقة بنوايا الحلفاء ورأوا ان أسلم الخيارات هو التعاون مع القوى الكمالية من اجل الحصول على حكم ذاتي لكردستان ضمن تركيا الجديدة، فان غالبية القوميون الكردي كانوا وما زالوا يعدّون مساندة بريطانيا، سواءً بصورة مادية أم معنوية، عاملاً مهماً في نجاح مساعيهم الرامية الى قيام كردستان مستقلة. وهذا الهدف لا يُمكن الوصول إليه، بحسب اعتقاد الأكثرية، إلا من خلال استغلال الخلافات بين بريطانيا وتركيا الكمالية.

ففي ديار بكر، انخرطت الوجوه المحلية الكردية وضباط سابقون وموظفون مدنيون في تنظيم حركة مسلحة من اجل ان تحصل كردستان على استقلالها من تركيا، وبدأوا بإقامة ارتباطات وصلات بين مختلف الدوائر القومية الكردية في اسطنبول وخاروت وبتليس، فضلاً عن ديار بكر. وكان منظمو هذه الحركة متحمسين للغاية بشأن إقامة اتصالات مباشرة مع السلطات البريطانية في ميزوبوتاميا.^{٦٩٦} وبغية التعامل مع حكومة لندن كجبهة موحدة، اتحدت الكتلتان القوميتان الكرديتان المعتدلة والمتشددة ليُنشئوا منظمة سياسية جديدة تسنم عبدالقادر نهري رئاستها، في حين صار أمين بك بدرخان نائباً للرئيس.^{٦٩٧} وفي الوقت ذاته، قرر السيد طه وحليفه سمو شكاك وقادة محليون آخرون في أعقاب سلسلة من اللقاءات إقامة كونفدرالية

⁶⁹⁵ Shuckburgh, India office, Urgent, 15 December 1920, F0371/5069, PRO.

⁶⁹⁶ High Commission, Mesopotamia, 17 November 1920, F0371/5069, PRO

⁶⁹⁷ Ryan, Memorandum, Constantinople, 23 December 1920, F0371/6346, PRO.

كردية على طول الحدود العثمانية- القاجارية، وكما ناشدوا بريطانيا لمساندة مشروعهم السياسي.^{٦٩٨} لقد أعتقد هؤلاء أن فكرة إقامة كونفدرالية كردية ستروق للحكومة البريطانية، نظراً لمخاوفها المتزايدة من شن الكماليين والبلشفيين هجمات ضد ميزوبوتاميا عبر مناطق كردستان.^{٦٩٩} وكانت شخصيات كردية أخرى، كحمدي باشا، وزير البحرية العثماني السابق، قد طرحوا فكرة مشابهة أمام البريطانيين.^{٧٠٠} ويبدو ان التطور الذي صعد من تلك الآمال بين أوساط بعض القوميين الكرد هو احتلال البلاشفة لباكو، عاصمة أذربيجان، وتقدمهم جنوباً نحو الحدود القاجارية- العثمانية- الروسية القديمة. تلك كانت خلفية قيام سمو بمبادرته للاتصال بالسلطات البريطانية في ميزوبوتاميا، موضحاً انه بسبب ضعف السلطة الفارسية في كردستان الشرقية فإن مساندة البريطانيين لحركته ستساعد على التصدي لزحف البلشفيين واحتواء تهديدات الكماليين الأتراك ضد كردستان الجنوبية.^{٧٠١}

يُعرف في الأدب التاريخي اليَسير عن مواقف البلشفية تجاه المسألة الكردية في الحقبة ١٩٢٠-١٩٢٣. مع ذلك، يُمكن القول بأن قادة الكرملين الجدد قد ابدوا بعض الاهتمام نحو الشؤون الكردية بالانسجام مع إستراتيجيتهم الشرق الأوسطية القائمة على التأثير في توجهات الحركات السياسية القومية للأمم الجديدة بهدف استخدامها ضد المصالح الإمبريالية البريطانية في تلك المنطقة. وبالرغم من ان المصادر البريطانية قد أشارت بشكل مباشر الى الدعاية البلشفية المتواصلة ضد بريطانيا في كردستان، لم تظهر أية مجموعة بلشفية أو ذات ميول بلشفية بين أوساط القوميين الكرد. ويُمكن عزو السبب في ذلك الى الموقف البلشفي المعادي للدين التي روجته الماكنة الدعائية البريطانية في بلاد فارس وفي الولايات الشرقية العثمانية السابقة. ومن المعروف أنه شارك ثمانية من الممثلين الكرد في الكونغرانس الأول لشعوب

⁶⁹⁸ كانت القبائل المنظمة الى مشروع الكونفدرالية قد جاءت من شرق كردستان وشمالها، كالشكاك والهكاريين والحيدرانيين والبكزاده والهركية والارتوشية.

Memorandum from Civil Commission, Baghdad, to Under SIS for India, 8 October 1920, F0371/5069, PRO.

⁶⁹⁹ Shuckburgh, 10 (No.8580, Urgent) 15 December 1920, F0371/5069, PRO.

⁷⁰⁰ Ryan, Memorandum, Constantinople, 23 December 1920, F0371/6346f PRO.

⁷⁰¹ Memorandum from Assistant Political officer, Rania, to Political Officer, 20 July 1921, F0371/6347, PRO.

الشرق، الذي نظمته البلشفيون في باكو في ١ أيلول ١٩٢٠.^{٧٠٢} مع هذا، لا توجد معلومات موثقة عن الميول السياسية لهؤلاء الممثلين الكُرد. فهل كان هؤلاء من أصحاب التوجهات القومية أم من أصحاب الميول البلشفية؟ ونظراً لوجود جماعات كُردية ملحوظة في ارمينيا الروسية وجورجيا وأذربيجان، فإن من المحتمل جداً أنه جاء هؤلاء الكُرد من تلك البلدان للمشاركة في الكونغرانس المذكور. ولربما سعى البلشفيون الى تنظيم الممثلين الكُرد في حزب قومي موالٍ لهم، إذا ما تطلبت التطورات ذلك، كما فعلوا ذلك في بلاد فارس وتركيا.

وفي أعقاب معاهدة سيفر، شكّل كيان كُردى تمتع بحكم ذاتي في قوقازيا بالانسجام مع توجهات لنين زعيم البلشفيين الروس. عُرف كيان الحكم الذاتي هذا بـ(كُردستان الحمراء). وكانت إحدى أهم الوسائل التي لجأ اليها البلشفيون في التأثير في الوضع الكُردى قد تمثّلت بحث القوى القومية الكمالية على منح حق تقرير المصير للقوميات غير التركية، مثل العرب والكُرد، أملاً في التصدي لمسامي البريطانيين في استغلال المسألة القومية كأداة في تعزيز موقفهم في البلدان المحيطة بحدود روسيا الجنوبية. ولكن، السياسة القومية للبلشفية الروسية قد طرأ عليها تحول جذري تجاه الحركات القومية الكُردية في أعقاب توطيد ستالين لموقعه في قيادة الدولة والحزب البلشفي. وكانت أولى إشارات ذلك التحول قد تمثّلت بإلغاء كيان الحكم الذاتي الكُردى، التي تبعتها إجراءات معادية أخرى وصلت ذروتها حين قدمت روسيا الستالينية المساندة الى تركيا الكمالية في قمع انتفاضتي العام ١٩٢٥ والعام ١٩٣٠. وبحسب لوي فيشر، رأت روسيا الستالينية ان بريطانيا كانت تستخدم الكُرد لمصالحها الخاصة في الشرق الأوسط سواء عن طريق إنشاء دولة كُردية مستقلة أو كيان يتمتع بحكم ذاتي داخلي.^{٧٠٣} ولمنع البريطانيين من استخدام الكُرد كورقة سياسية، سعت روسيا الى تقريب وجهات النظر بين الدولتين التركية والإيرانية، لكي يتعاونوا ويُنسقا الجهود من اجل فرض الاستقرار على المناطق الكُردية الحدودية.^{٧٠٤} ولربما يُفسر الموقف المعادي الذي اتخذته روسيا الستالينية جزئياً لماذا ظلت

⁷⁰² Edward H. Carr, *The Bolshevik Revolution*, Vol. III [London: Penguin Books, 1971], p.262.

⁷⁰³ Louis Fischer, *The Soviets in World Affairs. A History of the Relations between the Soviet Union and the Rest of the World, 1917-1927*, [ed.] Vol.II, [New Jersey & Princeton: Princeton University Press, 1951], p.732.

⁷⁰⁴ Ibid, pp.732-733.

الحركات القومية الكُردية غير منجذبة سياسياً وإيديولوجياً نحو البلشفية حتى بدايات أربعينيات القرن الماضي.

عدَّ القوميون الكُرد المساندة الغربية، خاصة البريطانية، المادية منها أو المعنوية، أمراً جوهرياً في نجاح مساعيهم لتعبئة الكُرد من أجل فكرة نيل الاستقلال وإحاق الهزيمة بخصومهم الأقوياء، اي الأتراك والإيرانيين. وبالرغم من الجهود الحثيثة التي بذلها القوميون الكُرد من أجل التقرب من الحلفاء، لم تنل أي من الانتفاضات الكُردية، التي تباينت من حيث شدتها واتساعها، على دعم خارجي مادياً أو معنوياً. ففي المناطق الكُردية الى الشرق من سيواس، وقعت انتفاضة كُردية معادية للقوى الكمالية.^{٧٠٥} وفي درسيم، كان أهاليها الكُرد في حالة تمرد مستمر لأكثر من عام. ووقعت انتفاضات كُردية أخرى في دياربكر ونصيبين وهكاري وماردين، في حين فرض سكان موش الكُرد سيطرتهم على تلك المدينة.^{٧٠٦} وتمثل التطور الأهم باندلاع انتفاضة خريف العام ١٩٢١ التي شملت مناطق دياربكر ودرسيم ووان وبتليس. وفضلاً عن المطالبة بإقامة انتداب بريطاني على المنطقة الكُردية أسوة بأقاليم عثمانية أخرى، أبلغ قادة الانتفاضة الموظفين البريطانيين انه في حالة تقديم المساعدة لانتفاضتهم فانهم سيحولون كُردستان الشمالية الى حزام حاجز أمام التهديدات الكمالية والبلشفية على حد سواء. فجانب الحاجة الى مساعدة ضابط أو ضابطين بريطانيين، كالميجر نوئيل، طلب الكُرد من البريطانيين إرسال مدفعين جبليين وعدد من الأسلحة الرشاشة وخمسة آلاف بندقية، وبعض الاعتدة، والاهم من كل هذا، توفير ممر للتجهيزات عبر كُردستان الجنوبية.^{٧٠٧}

أما اليونان فقد وعدت القوميون الكُرد في تلك الأثناء بتقديم دعم عسكري، في حالة سماح بريطانيا لها بإرسال المساعدات عبر ميزوبوتاميا.^{٧٠٨} وبحسب روبرت أولسون، زوّد المفوض السامي اليوناني في اسطنبول أمين عالي بدرخان وعبد الرحمن بمنحة حين زار الاثنان القاهرة، وان الزعيم الأول صاغ بياناً باللغة الكُردية بالتعاون مع اليونانيين. كما يصف أولسون كُرد مصطفى باشا بأنه احد القوميون الكُرد اللذين

⁷⁰⁵ Rumbold to Curzon, Confidential, 18 May 1921, F0371/6346, PRO.

⁷⁰⁶ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 8 August 1921, F0371/6346, PRO.

⁷⁰⁷ Cox to Churchill, 28 October 1921, C0730/6, PRO.

⁷⁰⁸ Cox to Churchill, Very Secret, 28 October 1921, F0371/6347, PRO.

أقاموا صلات مع اليونانيين ومع القوميين الأرمن.^{٧٠٩} وكانت تلك الشخصية القومية قد سعت الى ضمان مساندة بريطانيا لقيام كردستان جنوبية مستقلة حتى يُمكن تعبئة أهاليها الكرُد من أجل التصدي للدسائس الكمالية في الإقليم المذكور. لقد بدأ اهتمام القوميين الكرُد باليونانيين والتوجّه إليهم بسبب إبداء الأخيرين اهتماماً جدياً أكبر في ما يخص تقديم الدعم لنشاطاتهم الرامية الى إضعاف العدو المشترك، أي الكماليين الأتراك. ولربما رأى القوميون الكرُد في ان تقربهم من اليونان قد يُقنع بريطانيا بتقديم المساعدة السياسية اللازمة لهم، حالما تتورط حليفها اليونان في الوضع الكرُدي. ويُمكن ان يكون هذا العامل الذي دفع أمين عالي بدرخان الى إشعار البريطانيين بوجود اتصالات كرُدية- يونانية تهدف الى تنظيم حركة سياسية كرُدية جديدة ضد القوى الكمالية التركية. ففي تقرير له، أشار أندرو ريان، أحد منتسبي المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول، الى ما تضمنه طلب بدرخان المتمثل بسماع البريطانيين له ولرفاقه الآخرين بالتوجه الى الموصل، بغية الإعداد لتنظيم كرُدي جديد في المناطق الكرُدية الخاضعة لسيطرتهم وذلك تمهيداً لإعلان انتفاضة كرُدية جديدة.

ولأن الحكومة البريطانية مازالت تأمل في التوصل الى اتفاقية سلام ثنائية مع تركيا الكمالية، فإنها لم ترفض منح المساعدة العسكرية المباشرة أو حتى السماح لليونانيين بإرسال مساعداتهم الى القوميين الكرُد عبر كردستان الجنوبية فحسب، بل أيضاً طلبت من الكرُد عدم طرح أية مقترحات تتعلق بموضوع تقديم مساعدات بريطانية لهم.^{٧١٠} ومع ذلك، لم يتوقف القوميون الكرُد عن مناشدة بريطانيا في تقديم الدعم لهم حين عقد اتفاقية لوزان في العام ١٩٢٣. وغالباً ما كانت المناشدات الكرُدية تُحذر من وقوع مذابح تركية ضد الشعب الكرُدي إذا ما تُرك الأخير يواجه مصيره لوحده.

في المرحلة التي أعقبت معاهدة سيفر، ركز المسؤولون البريطانيون (سواء في لندن أو في اسطنبول أو في بغداد) انتباههم على التهديدات الكمالية والبلشفية المتزايدة، التي جعلت من الصعب جداً على لندن أن لا تُعيد النظر في سياستها الكرُدية، خاصة في كردستان الجنوبية، وإلا فإنها ستواجه احتمال خسارة كردستان الجنوبية وحتى ميزوبوتاميا العربية برمتها. وجاءت إشارات بضرورة اتخاذ مبادرات

⁷⁰⁹ Olson, *The Emergence of Kurdish Nationalism*, p.64.

⁷¹⁰ Rumbold to Curzon, 31 May 1921, F0371/6346, PRO.

جديدة في كُردستان من جانب وزارة الهند، التي أثارت مسألة تعيين حاكم كُردي لكُردستان الجنوبية ليكون رداً على التحالف المعادي لبريطانيا بين القوتين الكمالية والبلشفية.^{٧١١} وحين أصبح الوضع السياسي أكثر تهديداً للمصالح البريطانية، أثارت وزارة الهند موضوع اتخاذ مبادرة جديدة تقوم على فكرة إنشاء كونفدرالية كُردية برعاية بريطانية في المناطق الواقعة على طول الحدود القاجارية- العثمانية في شرق كُردستان وغربها.^{٧١٢} وحثَّ الوزير مونتاغيو حكومته على الاستجابة لتطلعات السيد طه في إنشاء كونفدرالية كُردية تحت رعاية بريطانية وعلى ضرورة تجاهل بنود معاهدة سيفر، التي لا يُمكن تنفيذها. كما اقترح مونتاغيو الآتي:

كخطوة أولية، ينبغي إرسال تعليمات الى الميجر نوثيل تدعوه الى التوجه فوراً الى ميزوبوتاميا، وأن يضع نفسه تحت تصرف المفوض السامي (البريطاني) بهدف فتح قنوات للاتصالات بالزعماء الكُرد البارزين في الحدود الشمالية للإقليم الخاضع للاحتلال (البريطاني)، وان يُرسل تقريراً فورياً الى ميزوبوتاميا بشأن التوجه العام للمشاعر المحلية في تلك المناطق، خاصة احتمالات نجاح تطبيق السياسة التي دعا إليها السيد طه المتمثلة بقيام كونفدرالية كُردية تحت رعاية بريطانية.^{٧١٣}

ولا يعني كل ذلك ان مونتاغيو كان على استعداد في أن يورط بريطانيا في التزامات عسكرية جدية جديدة، إذ إنه رفض فكرة إرسال ذخائر بريطانية الى السيد طه،^{٧١٤} كما إن فكرته في إرسال الميجر نوثيل قد اشترطت معرفة مستوى حميمية العلاقة بين الكماليين الأتراك والبلشفيين الروس والوضع السياسي في ارمينيا، وهما الأمران اللذان، بحسب رأيه، كانا يؤثران بصورة ملحوظة في موقف بريطانيا الاستراتيجي في كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا العربية.^{٧١٥} وكان الصوت الوحيد المؤيد لمشروع السيد طه قد جاء من طرف الموظفين البريطانيين العاملين في المناطق الكُردية.^{٧١٦}

⁷¹¹ S/S [for India] to High Commission ,Baghdad, 27 October 1920, F0371/5069, PRO.

⁷¹² S/S to High Commission, Baghdad, 26 November 1920, F0371/5069, PRO.

⁷¹³ Shuckburgh, India office, urgent, 15 December 1920, F0371/5069f PRO.

⁷¹⁴ Ibid.

⁷¹⁵ Ibid.

⁷¹⁶ Political Officer, Mosul, to Civil Commissioner, Baghdad, Confidential, 21 September 1920, F0371/5069, PRO.

٢. مساعي بريطانيا لتطبيق نسخة مُعدلة

عن بنود معاهدة سيفر حول كُردستان

لم تكن لندن تؤمن إطلاقاً بإمكانية التوصل الى اتفاق مع تركيا الكمالية بشأن تنفيذ بنود سيفر حول كُردستان بصيغتها الحرفية، كما اقترح هيوبرت يانغ ، لان قيام كُردستان مستقلة أو حتى تمتعها بحكم ذاتي داخلي سيُضعف الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا. وكان مقترح يانغ قد نصَّ على وجود حكم تركي مؤقت في كُردستان الشمالية وكُردستان الجنوبية لمدة عام واحد، في غضون ذلك سيترك للكُرد أمر تقرير مصيرهم، سواء بالإعلان عن كُردستان مستقلة أو عن كُردستان تتمتع بحكم ذاتي داخلي ضمن إطار الدولة التركية.^{٧١٧} ولكن حكومة لندن كانت تسعى، بدلا عن ذلك، الى إضفاء اللمسات الأخيرة على مشروع تقسيم كُردستان التي وضعت هي أسسه في العام ١٩٢٠، اي حين وضعت كُردستان الجنوبية تحت الانتداب البريطاني الخاص بميزوبوتاميا، وكُردستان الغربية تحت الانتداب الفرنسي الخاص بسوريا. ففي كونفرانس لندن (٢١ شباط - ١٢ آذار ١٩٢١)، اشترك الأتراك بوفدين مثلَّ الأول السلطات العثمانية والثاني القوى الكمالية المتمردة عليها، فضلاً عن اشتراك ممثلي بريطانيا وحليفاتها. وفي هذا الاجتماع الدولي، وهو الأول من نوعه بعد عقد معاهدة سيفر على صعيد التعامل مع التسوية السلمية التركية، بادر البريطانيون الى إجراء أول تعديل على بنود معاهدة سيفر المتعلقة بفكرة تقرير المصير الكُرد، حيث وضعوا أمام الكمالين خطة تسوية جديدة نصّت على الآتي:

فيما يخص كُردستان، سييدي الحلفاء استعدادهم لدراسة تعديل المعاهدة

(سيفر) بطريقة تنسجم مع الوقائع القائمة حول الوضع، شريطة تسهيل (قيام)

حكم ذاتي وحماية كافية للمصالح الكُردية والأثرية- الكلدانية.^{٧١٨}

وهذا الموقف كان يعني تخلي الحلفاء عن التزامهم بحق الكُرد في تقرير المصير الذاتي، على النقيض من الأرمن الذين ظلوا يحتفظون بمثل ذلك الحق، بما في ذلك إقامة دولة قومية خاصة بهم.^{٧١٩} حتى فكرة إشراف المنظمة الدولية، عصابة الأمم، ومفوض سامي عن الحلفاء على طريقة تنفيذ الحكم الذاتي الكُرد تم التخلي عنها

⁷¹⁷ Young, Colonial Office Minute No.21102, 29 April 1921, C0730/1f PRO.

⁷¹⁸ Shuckburgh to Churchill, Cairo, 15 March 1921, C0730/1, PRO.

⁷¹⁹ Foreign Office to Rumbold, Constantinople, 11 March 1921, F0371/6467, PRO.

بسبب معارضة الفرنسيين والايطاليين.^{٧٢٠} علاوة على ذلك، ولان المقترحات المتعلقة بالكرد ستطبق في المناطق الكردية الواقعة الى الشمال من كردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية،^{٧٢١} فإنه تم التخلي تماماً عن فكرة كردستان عثمانية موحدة، سواءً أكانت تحت السيطرة البريطانية أو تحت السيطرة التركية. وعكست هذه التنازلات المفاجئة تحولات ملحوظة على الوضع الإقليمي كان مصدرها بالدرجة الأولى زيادة قوة الكمالين وثقتهم بأنفسهم، وثانياً تعمق الخلافات بين الحلفاء بشأن كيفية التعامل مع الكمالين، وثالثاً، الحاجة الماسة الى منع قيام تحالف كمالى- بلشفي معاد للمصالح البريطانية، وأخيراً، فشل مشروع إقامة دولة أرمنية موحدة.

وتعني الخطة التساومية، التي رفضها الوفد الكمالى في نهاية المطاف، خسارة بريطانيا لنفوذها في كردستان الشمالية، وهو الإقليم الذي كان ما يزال يحتفظ ببعض أهميته بالنسبة الى أمن موقفها في كردستان الجنوبية وميزوبوتاميا. وهذا الأمر لربما يُفسر لماذا انتقد مونتاغيو موقف كونفرانس لندن تجاه المسألة القومية، حيث طالب بإصدار إعلان يُفهم الكمالين والقوميات الخاضعة المعنية على حد سواء إصرار الحلفاء على عمل ما في وسعهم من اجل تنفيذ البنود المتعلقة بالأقليات.^{٧٢٢} وبالرغم من قبول وزارة الخارجية في لندن برأي مونتاغيو بشأن الحاجة الى إصدار الحلفاء لإعلان خاص بتنفيذ بنود الخطة الجديدة حول الأقليات القومية، مثل الكرد الشماليين،^{٧٢٣} لم يتحقق أي شئ من هذا القبيل. ولم تبد عصبية الأمم ولا حلفاء بريطانيا السابقون استعداداً يُذكر لتحمل أية مسؤولية سياسية في ذلك الشأن. وكان من تأثيرات فشل كونفرانس لندن ان يتخذ البريطانيون موقفاً أكثر دفاعية وتحفظاً تجاه الوضع الكردي، ولهذا السبب لم ينل القوميون الكرد الشماليون دعماً بريطانيا يُذكر، على النقيض مما يراه أولسون بهذا الخصوص.^{٧٢٤} بهذا الشكل، بدأت المسألة الكردية تخسر أبعادها الدولية منذ العام ١٩٢١، لتكتسب مضموناً داخلياً ضيقاً.

⁷²⁰ Curzon, Paris, 23 March 1922, F0371/7858, PRO.

⁷²¹ S/S for the Colonies to Cox, Cairo & Acting High Commissioner, Baghdad, 17 March 1921, C0730/1, PRO.

⁷²² Memorandum from Montagu to Curzon, 23 April 1921, F0371/6469, PRO.

⁷²³ Adam, Foreign Office Minute on Montagu's Memorandum, 26 April Foreign Office to Montagu, 29 April 1921, F0371/6469, PRO.

⁷²⁴ Olson, *The Emergence of Kurdish Nationalism*, p.65.

**الأطروحة الدفاعية في مواجهة الأطروحة الهجومية
في التعامل مع أوضاع كردستان الشمالية:
بريطانيا واحتواء التهديدات الكمالية**

١. مواقف المفوضية السامية البريطانية في بغداد واسطنبول

في الحقبة التي أعقبت كونفرانس القاهرة، أثارت النشاطات العسكرية السريّة المتواصلة التي كان تقوم بها القوى القومية الكمالية ضد أمن ميزوبوتاميا، من جهة، وحالة عدم الاستقرار السياسي السائدة في كردستان الجنوبية، من جهة ثانية، مخاوف حقيقية واسعة بين الأجهزة المدنية والعسكرية البريطانية في بغداد، التي خشيت من ان يؤدي انسحاب القوات البريطانية تحت ظل تلك الظروف غير المؤاتية الى تشجيع الأتراك على غزو البلاد عبر المناطق الكرديّة. ففي ضوء تلك الهواجس، وبينما كان كوكس يحثُ حكومته على تكثيف جهودها من أجل التوصل الى اتفاقية سلام مع تركيا الكمالية بأسرع وقت ممكن، دعا الى تبني نهج هجومي في التعامل مع الكماليين الأتراك، في حال فشل الجهود البريطانية الدبلوماسية والسلمية، بغية إجبارهم على وقف اعتداءاتهم ومن ثم الموافقة على عقد اتفاقية سلام جديدة تؤكد على إلحاق كردستان الجنوبية بالدولة العراقية الجديدة. واستند نهج كوكس الهجومي أساساً، الذي نال دعم الأجهزة العسكرية والمدنية البريطانية في ميزوبوتاميا، فضلاً عن تأييد الملك فيصل،^{٧٢٥} الى فكرة تقديم دعم بريطاني الى القوميين الكرد الشماليين في صراعهم مع الجانب التركي. وأعاد كوكس الى أذهان وزارة المستعمرات انه في خريف العام ١٩٢٠، تدارست الحكومة البريطانية بدقة فكرة ((تحفيز فعال)) لانتفاضة كردية في كردستان الشمالية،^{٧٢٦} وهي الفكرة التي تم التخلي عنها بسبب عدم وجود شروط حيوية مسبقة لنجاحها، منها قيام البريطانيين باحتلال جزيرة ابن عمر بصورة مؤقتة. فضلاً عن ذلك، أبدت وزارة الهند معارضتها لتلك الفكرة، خوفاً من أن تتورط بريطانيا بصورة أوسع وأعمق في الشؤون الكردية. لكن الأوضاع بدت مختلفة في حزيران من عام ١٩٢١ بحسب تصور كوكس، أي إنه في حالة ما اذا أدى كونفرانس لندن الى ((عداء سافر)) بين بريطانيا وتركيا الكمالية، فان الأولى مازالت في موقف

⁷²⁵ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 21 November 1921, C0730/7, PRO.

⁷²⁶ High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 21 June 1921, F0371/6346, PRO.

يُمكنها من مساندة الكُرد، الذين ينبغي إشعارهم بطبيعة المساعدات البريطانية ومداها.^{٧٢٧} ولكن كوكس لم يُعطِ أية تفاصيل بشأن كيفية تقديم حكومته المساعدة الى القوميين الكُرد.

في شهر آب، بدا كوكس أكثر تصميمًا في إقناع حكومته على أخذ المبادرة، في وقت اشتدّ فيه تحرك كُردى ميّال الى البريطانيين من اجل نيل الاستقلال:

إذا ما تطور الموقف وفق هذه المسارات، سيؤدي بالضرورة، عاجلاً أو آجلاً، الى انفصال مقاطعات كُردية عن بلاد فارس وتركيا بحسب الترتيب. ان تغير موقف الحكومة الفارسية نحو بريطانيا والهزائم التركية في اناضوليا تُبين ان الحسابات، التي كانت تدفعنا في السابق الى عدم تشجيع مثل ذلك التحرك، قد فقدت في الوقت الحاضر كثيراً من اهميتها ... لهذا اقترح، إلا في حالة صدور تعليمات مغايرة، انه إذا رفضنا إقامة اتصالات رسمية مع الزعماء الكُرد المحليين الموجودين خارج حدودنا، علينا ان نستغل فرصة تأكيدهم على نواياهم واتخاذ خطوات سريعة، عندما تستدعي الضرورة، لضمان سلامة حدود العراق.^{٧٢٨}

ولدعم وجهة نظره حول ضرورة وجود دور بريطاني فاعل في شؤون كُردستان الشمالية، أشار كوكس الى انه سواءً تدخلت بريطانيا أو لم تتدخل، فانها ستُتهم بد(التواطؤ)) في أية انتفاضة كُردية تندلع ضد القوى الكمالية.^{٧٢٩} ان التَشَدُّد المتزايد في موقف كوكس هذا قد تناسب مع تصاعد التهديدات الكمالية ضد مصالح بريطانيا الإقليمية. فكلما صَعَدَ الكماليون من تهديداتهم للموقف البريطاني في كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا، فضّلَ كوكس تبني نهج هجومي في التعامل معهم. وينبغي التأكيد ان كوكس قدم فكرته في استخدام الكُرد الشماليين بوصفه بديلاً لفكرة تشرتشل القائمة على استخدام الكُرد الجنوبيين كأداة للتصدي لأي زحف كمالي عبر كُردستان الجنوبية. كما سعى كوكس الى الاستفادة من نفوذ الزعيم سمكو لاحتواء النفوذ الكمالي في كُردستان الشرقية ومن أجل إرجاع المسيحيين الى منطقة

⁷²⁷ Ibid.

⁷²⁸ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 26 August 1921, F0371/6347, PRO.

⁷²⁹ Ibid.

أورمية.^{٧٣٠} وشارك كوكس موقفه هذا عدد من الموظفين البريطانيين العاملين في كردستان الجنوبية. فالموظف السياسي في السليمانية، أج أي غولد سميث، عدّ نفوذ سمو («حاجزاً مؤثراً») بين المناطق الخاضعة للكماليين في كردستان الشمالية والمناطق الخاضعة للبريطانيين في كردستان الجنوبية، ولهذا السبب دعا الى عقد اتفاق أو تحالف مع سمو،^{٧٣١} لكونه يُسيطر على مناطق واسعة تقع على طول الحدود القاجارية- العثمانية القديمة.

في ضوء إعراب اليونان عن استعدادها لتقديم دعم مادي للقوميين الكرد واندلاع انتفاضات كردية في دياربكر ودرسيم ووان وبتليس في خريف العام ١٩٢١، رفع كوكس مقترحاً الى تشرتشل بشأن إرسال متطوعين بريطانيين وفسح المجال لمرور التجهيزات، باستثناء الأسلحة، الى الكرد. لكن، لندن رفضت مقترح كوكس، مؤكدة الحاجة الى تجنب أي تورط بريطاني في شؤون كردستان الجنوبية من شأنه أن يفاقم الوضع المتأزم أصلاً. وفي ضوء هذا التوجه المتحفظ، أبلغ المفوض السامي البريطاني في بغداد القوميين الكرد ان دولته لن تقوم بمساندة انتفاضتهم لكونها تنتشد السلام مع الكماليين الأتراك. وأخبر البريطانيون خليل بدرخان، أحد هؤلاء القادة القوميين، بوجوب مغادرة بغداد، كي لا يخلق وجوده الشك في قلوب الكماليين بشأن تورط بريطانيا في شؤون كردستان الشمالية.^{٧٣٢}

وإزاء استمرار معاندة الكماليين وتمسكهم بموقفهم العدائي والخوف من ردود فعل سلبية لدى الأوساط الكردية، طلب كوكس لمرة أخرى من تشرتشل في شهر كانون الأول مراجعة فكرة تقديم مساندة بريطانية الى الكرد الشماليين، إذ أبدى خشيته من أنه إذا استمرت بريطانيا في تبني موقف محايد تجاه الوضع الكردي، في وقت لم يُعبر فيه الكماليون عن أية رغبة في إيقاف نشاطاتهم المعادية في كردستان الجنوبية، فأنها لن تخسر هيبتها بين الكرد فحسب، بل أيضاً ستُثير غضبهم عليها:

وبينما نحن، بهذا النحو، نُمنع من اتخاذ إجراءات فاعلة لمقارعة التهديد الكمالي بسبب احتمالات مفاوضات السلام، فإن السبب نفسه يخلق تأثيراً معاكساً تماماً في السياسة الكمالية. وسيؤدي ذلك الى النتيجة الآتية وهي انه في

⁷³⁰ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 26 August 1921, F0371/6347, PRO.

⁷³¹ Secret Memorandum from Political Officer, Sulaimaniya, to High Commissioner, 29 July 1921, F0371/6347, PRO.

⁷³² News Summary, Baghdad for Period Ended 25th November 1921, C0730, PRO.

الوقت الذي يمنحهم موقفنا السلبي جميع الفرص لفعل ذلك بنجاح، فإن الكماليين سيضعفون مساعيهم ضدنا. أشعر أنه من واجبي ان ألفت الأنظار الى الخطر، لكي لا تؤدي سياستنا الحالية والقائمة على عدم تشجيع الكُرد، في وقت يحاول الكماليون فيه بقوة كسبهم الى جانبهم، الى معاداة الكُرد لنا ورميهم عملياً في أحضان الكماليين، على النقيض من مساعينا.^{٧٣٣}

وبحسب رأي كوكس، مادام اتفاق السلام ليس في الأفق المنظور بالنسبة الى بريطانيا، فإنه ليس بمقدورها خسارة الكُرد الشماليين لصالح الكماليين، الذين سيستخدمونهم حتماً كوسيلة في تحقيق هدفهم الأساس في السيطرة على كُردستان الجنوبية، ولربما ميزوبوتاميا أيضاً. واستمرت محاولات كوكس لإقناع حكومته بضرورة استغلال المواقف المعادية للكمالية في أوساط القوميين الكُرد الشماليين حتى بداية العام ١٩٢٣، أي لحين بدأ مؤتمر لوزان أعماله.

على النقيض من نظيره في بغداد، ساند المفوض السامي البريطاني في اسطنبول نهج الترضية الذي تمسكت به وزارتا الخارجية والمستعمرات في التعامل مع الكماليين، أملاً في تحقيق السلام وتسوية إقليمية بأقرب فرصة ممكنة. ولهذا عارض المفوض السامي المذكور أي تورط بريطاني في شؤون كُردستان الشمالية من شأنه أن يُصعد حالة التوتر بين البريطانيين والكماليين. وعلى غرار سلفه، دي روبيك، شارك أوج رومبولد استخبارات هيئة الأركان العامة البريطانية في اسطنبول في رأيها إنه لكي يُمكن استخدام القوى الكمالية كأداة لاحتواء النفوذ البلشفي، فإنه يتوجب على بريطانيا التعبير عن استعداد لتبني سياسة ترضية تجاه تركيا الكمالية عن طريق تعديل بنود معاهدة سيفر.^{٧٣٤} وبخلاف ذلك، ووفق رأي رومبولد، فإن أي تغيير في موقف بريطانيا المحايد نحو الصراع الكمالي- الكُرد من شأنه أن لا يعطي فرصة نجاح لأية مفاوضات سلام بريطانية- كمالية.^{٧٣٥} ولهذا لم يشجع رومبولد، الذي أشار في تقرير له الى حالة الهيجان الذي سببه كونفرانس لندن لدى المجموعات القومية

⁷³³ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 20 December 1921, F0371/6347, PRO.

⁷³⁴ Rumbold, Constantinople, 4 January 1921 & Cabinet Meeting, 20 January 1921, F0371/6464, PRO.

⁷³⁵ High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 20 December 1921, F0371/6481, PRO.

الكردية، الزعماء الكُرد على إرسال برقيات الى الكونفرانس لتوضيح موقفهم من المسألة الكُردية.^{٧٣٦} بالرغم من ذلك، لم يكن بمقدور الموظفين البريطانيين في اسطنبول تجاهل الكُرد بوصفهم ورقة سياسية مؤثرة. فإذا استمرت القوى الكمالية في مواقفها العدائية حيال بريطانيا أو أُجبرت الأخيرة على الرد على نشاطات القوميين الأتراك والبلشفيين المعادية لها في كُردستان، فإنها سيظل بمقدورها استخدام القوميين الكُرد كوسيلة لاحتواء تلك النشاطات،^{٧٣٧} وهذا النهج سيُطبق، بحسب استنتاجاته، من دون ان تقدم بريطانيا أية التزامات سياسية أو عسكرية نحو القضية الكُردية.

٢. نهج تشرتشل الدفاعي في التعامل مع شؤون كُردستان الشمالية

على النقيض من وجهة نظر كوكس، دعا تشرتشل الى تبني نهج تصالحي وإرضائي تجاه الكماليين الأتراك بحيث تتخلى بلاده عن اي مخطط يجعلها في موقف تساند فيه مساعي القوميين الكُرد الشماليين لإنهاء الهيمنة التركية في كُردستان الشمالية. كان تشرتشل يخشى على موقف بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط من تبعات تبني إستراتيجية هجومية واتخاذ مواقف معادية للكماليين ومساندة للأقليات القومية غير التركية، ومنهم الكُرد، وحدّر من فكرة دعم الكُرد الشماليين أو اليونانيين ضد الكماليين الأتراك لأنها ستؤدي الى قيام تحالف كمالى- بلشفي معاد للإمبراطورية البريطانية.

ولا ينبغي تحليل موقف تشرتشل نحو شؤون كُردستان الشمالية، الذي يُمكن وصفه بالنهج الدفاعي المغاير لنهج كوكس الهجومي، بمعزل عن تصوراته المتعلقة بمستقبل كُردستان الجنوبية. ففي الإقليم الأخير، نادى وزير المستعمرات الى تشكيل كيان كُردى لحماية الدولة العربية الحديثة التأسيس من تهديدات الكمالية، ولربما أيضا من الخطر البلشفي. وبالمقابل، سعى كوكس من وراء نهجه الهجومي الى نقل معركة التصدي لتهديدات القوميين الأتراك من كُردستان الجنوبية الى كُردستان الشمالية بغية تعرية نقاط ضعف تركيا الكمالية ومن ثم إجبارها على القبول بتسوية سلمية تضمن بقاء الإقليم الأول تحت الانتداب البريطاني وضمن الدولة العراقية.

⁷³⁶ Rumbold, Constantinople, 2 March 1921, F0371/6346, PRO.

⁷³⁷ Rumbold, to Curzon, 29 December 1920 & Ryan, Constantinople, 23 December 1920, F0371/6346, PRO.

ان نهج تشرتشل، في حال تبنيه، سيجعل من تركيا- الكمالية، لا بريطانيا، الدولة المعتدية لأنها ستبدو الطرف الذي انتهك بنود هدنة مودروس (١٩١٨)، التي أنهت الحرب بين الدولتين، والتي وضعت ولاية الموصل تحت السيطرة البريطانية. فضلاً عن ذلك، فان نهج تشرتشل سيجنب بريطانيا خطر التورط عسكرياً خارج المناطق الكردية الخاضعة لانتدابها، وهو الأمر الذي سيجعل من تركيا الكمالية تهديداً دائماً لمصالحها في ميزوبوتاميا.

يرجع نهج تشرتشل التصالحي والارضائي تجاه الحركة القومية الكمالية في جذوره الى الفترة التي كان يشغل فيها منصب وزير للحرب حتى شهر شباط من العام ١٩٢١. ففي شهر تشرين الأول من العام ١٩١٩، أكد تشرتشل ان أي نهج معادٍ لتركيا من شأنه ان يؤدي الى استفحال مشاعر النزعة الإسلامية المعادية لبريطانيا في الهند والى قلاقل جديدة في مصر والى مضاعفة الاضطرابات العربية ومذبحة جديدة تُرتكب ضد المسيحيين الأرمن. بالاضافة الى ذلك، لن يكون بمقدور بريطانيا، بحسب ادعاء تشرتشل، استخدام ((مصطفى كمال وتركيا متصالحة بوصفهما حاجزاً أمام البلشفيين)).^{٧٣٨} وعدت وزارة الحرب في عهد تشرتشل النزعة البلشفية الخطر الأعظم في الشرق الأوسط، ولهذا وجب على بريطانيا سد الطريق أمام أية تطورات قد تقود الى ظهور تحالف بلشفي- كمالى موجّه ضد المصالح البريطانية الإمبريالية في تلك المنطقة. لقد كان الكماليون، بحسب رأي تشرتشل، غير معادين لبريطانيا، وإنما هم معارضون لتقطيع أوصال تركيا بعد انتهاء الحرب، ولذا تساءل عن دواعي مناصبتهم العداء ((لأجل مصلحة أعراق غريبة ومفترسة؟)).^{٧٣٩}

وفي أعقاب تسنمه منصب وزير المستعمرات، وهو الذي جعله مسؤولاً عن إدارة الأقاليم الخاضعة للانتداب البريطاني في الشرق الأوسط، أطلق تشرتشل التصريحات ذاتها، التي شاطره الرأي فيها كل من الوزيرين لورد كورزون وإدوين مونتاغيو. لقد عارض تشرتشل وكورزون دوماً نهج لويد جورج المؤيد لليونانيين على حساب الكماليين الأتراك، إذ كانا يخشيان، على غرار هيئة الأركان العامة،^{٧٤٠} من ان يؤدي

⁷³⁸ Martin Gilbert, *Winston Churchill, Vol. IV, 1917-1922*, (London: Heinemann, 1977), p.501.

⁷³⁹ Churchill, *Memorandum on Military Policy In Asia Minor*, 9 October 1919, CAB24/89, PRO.

⁷⁴⁰ Kent, *Moguls and Mandarins*, p.103.

ذلك النهج الى رمي الكماليين في أحضان روسيا البلشفية. مع ذلك، لم تُغير آراء زملائه في الحكومة ولا بوادر الاعتدال في السياسة الفرنسية تجاه تركيا من موقف لويد جورج المعادي للكمالية والمناصر للموقف اليوناني.

لقد مثَّل شيوع مثل تلك التصورات المتناقضة بعد انعقاد كونفرانس القاهرة حالة من عدم اليقين في أوساط المسؤولين البريطانيين، سواء في الداخل أو في الخارج بشأن النهج الذي سيُمكن بريطانيا من ربط موقفها من الوضع الكردي بسياستها العريضة في منطقة الشرق الأوسط، حيث احتل السلام مع تركيا واحتواء البلشفية مكانة مركزية. ففي وزارة الخارجية، دعا سي جي ادmondز الى اتفاق الخصوم (modus vivendi) بين بلاده وتركيا، في حين نادى زميله فوريس آدم بانتهاج سياسة استخدام القوة ضد الكماليين.^{٧٤١} أما كبار المسؤولين في وزارة المستعمرات فكانوا عموماً مؤيدين لموقف تشرتشل بشأن عدم التدخل في شؤون كردستان الشمالية، حتى ان بعضهم اقترح تعديل الحدود بين كردستان الجنوبية وكردستان الشمالية ((بوصفه السبب)) الذي سيجعل الكماليين يتخلون عن مواقفهم المعادية لبريطانيا،^{٧٤٢} وهي المواقف التي كانت تعرقل عملية تطبيق السياسة البريطانية الجديدة القائمة على السيطرة غير المباشرة في ميزوبوتاميا. كما انتقد شوكبور مقترحاً قدمه كوكس بشأن مساندة بريطانيا لمساعي القوميين الكرد الشماليين، خوفاً من ان تجعل تركيا ((هدواً ابدياً)) لبريطانيا، في وقت كانت متطلبات السياسة البريطانية الجديدة في العراق تقتضي وجود ((تركيا ودودة)). ورأى شوكبور بان الانتفاضة المعادية للكماليين في كردستان الشمالية قد تؤدي الى ((فضيحة))، ومن ثم الى مزيد من التدهور في وضع العراق، بدلاً من تحسينه.^{٧٤٣} فبالنسبة إليه، لم تكن بريطانيا في موقف يسمح لها بتقديم مساندة كافية لانتفاضة الكرد الشماليين عند اندلاعها أو احتواء اللاجئين الكرد في حالة فشلها.

كان الوضع السياسي في كردستان الشمالية ووضع الحركات القومية الكردية في تلك الفترة من الأسباب التي جعلت الحكومة البريطانية غير مستعدة لأن تتورط

⁷⁴¹ Edmonds & Adam, Foreign Office minutes No.4766, 25/26 April 1921, F0371/6346, PRO.

⁷⁴² Second Minute Middle Eastern Committee, Colonial Office, 12 may 1921, F0371/6344, PRO.

⁷⁴³ Shuckburgh, Colonial Office Minute of 10 November 1921, C0730/6, PRO.

بصورة جدية في شؤون ذلك الإقليم، إذ كان أغلب المسؤولين البريطانيين غير مقتنعين بقدرة القوميين الكرد على قيادة انتفاضة ناجحة ضد القوى القومية الكمالية. وتُلخص إحدى ملفات وزارة المستعمرات الموقف الرسمي البريطاني نحو الحركة القومية الكردية في كردستان الشمالية بالنحو الآتي: «إن دروس الأعوام القليلة الأخيرة تقف بشكل كاسح ضد استخدام أصدقاء ضعفاء ضد أعداء أقوياء، حينما لا نكون في موقف يُمكننا من تقديم الدعم الكافي».^{٧٤٤} ولهذا السبب عدّ أي تورط بريطاني في الانتفاضات الكردية مُقاومة خطيرة، لا ينبغي للجوء إليها إلا في حالة الاضطرار بوصفه الخيار الأخير، أي بعد أن تستنزف الخيارات السلمية الأخرى. كما أشار شوكبور الى فكرة استخدام الكرد الشماليين كخيار أخير في معرض تعليقه على رد تشرشل على كوكس بشأن كيفية التعامل مع الكمالية. وأوضح شوكبور ان مؤتمر لوزان بمثابة فرصة أخيرة لبريطانيا لإقناع الكماليين بضرورة التوقيع على اتفاقية سلام جديدة، وإلا فإنه سيحتّم على حكومته التفكير «في الإفادة أولاً من فرصة التعاون مع الكرد (الشماليين)، التي يسنحها مزاجهم الحالي، ضد عدوان تركي محتمل».^{٧٤٥} ولكن، نجاح مؤتمر لوزان في تحقيق اتفاقية سلام تركية جديدة أنهت مسألة رعاية بريطانيا لانتفاضات معادية للكماليين في كردستان الشمالية، حتى وإن ظلّ مستقبل كردستان الجنوبية معلقاً في الهواء بين الطرفين المعنيين: بريطانيا تركيا.

٣. عقد اتفاقية لوزان وتداعياتها بالنسبة الى المسألة الكردية

تميّز تاريخ الموقف البريطاني من المسألة الكردية في أعقاب معاهدة سيفر بسلسلة تراجعات مستمرة عن مبدأ حق تقرير المصير وعن المحتوى الدولي لتلك المسألة. ومثّل كونفرانس لندن خطوة أولى في ذلك الاتجاه وذلك من خلال رفع المسألة الكردية من الواجهة الدولية. وبعد مرور عام تقريباً، تم تجاهل المسألة الكردية لمرة أخرى في أثناء قيام الحلفاء بمفاوضاتهم بشأن التسوية التركية، حيث شكّا البريطانيون من عدم تقديم حلفائهم الدعم لموقفهم تجاه قضايا الأقليات غير التركية.^{٧٤٦} وفي اللقاء الثاني، وافق الحلفاء على ان تقوم عصبة الأمم بتعيين مفوضين لها للقيام بزيارات ميدانية للمناطق التي وصل فيها التأزم الاثني والديني الى ذروته،

⁷⁴⁴ Colonial Office Minute, 11 November 1921, C0730/6, PRO.

⁷⁴⁵ Shuckburgh, 21 February 1922, F0371/7781f PRO.

⁷⁴⁶ Hardinge, Paris, 24 March 1922, F0371/7858, PRO

كإزمير وبونتوس وأنقرة وقليقلا.^{٧٤٧} ولم تكن هناك إشارة واحدة، سواء جاءت بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، الى المناطق الكردية أو الى المسألة الكردية في اللقاءات التسعة التي عقدها الحلفاء، الذين لم يوافقوا على مقترح قدمه كورزون بشأن توسيع صلاحيات مفوضي العصبة بغية الإشراف على وضع المسلمين غير الأتراك، بضمنهم الكرد.^{٧٤٨} وكان خطاب كورزون في مجلس اللوردات البريطاني بمثابة تأكيد على إقصاء الحلفاء للكرد من مناقشاتهم الخاصة بمسألة الأقليات في تركيا الآسيوية.^{٧٤٩} وفي أعقاب ذلك مباشرة، تم إقصاء بعض الأقليات المسيحية الأخرى، كالأثوريين والكلدان من النقطة السادسة في المسودة النهائية المتعلقة بمسألة الأقليات بسبب المعارضة الفرنسية:

أن رغبة (الحلفاء) في توفير الحماية والأمن للأقليات المتنوعة، سواء أكانت مسلمة أم مسيحية أم من الأعراق والعقائد الأخرى، وسواء أكانت في أوروبا أم في آسيا، من تلك التي وجدت نفسها ضمن تجمعات سياسية وأثنية أوسع.^{٧٥٠}

لقد أصبح ما اتفق عليه الحلفاء في لقاءاتهم قاعدة لطريقة التعامل مع مسألة الأقليات القومية في مؤتمر السلام القادم في مدينة لوزان السويسرية.

جاء اختيار مدينة لوزان مكاناً لعقد مؤتمر السلام لكونها تقع في بلد محايد، أي سويسرا. كان هذا المؤتمر، على حد تعبير المؤرخ بوش، المؤتمر الوحيد الذي جلس فيه الحلفاء المنتصرون مع تركيا المهزومة على قاعدة متساوية.^{٧٥١} وتحوّر جدول أعمال المؤتمر حول ثلاث قضايا رئيسية: مستقبل ترس والموصل والإستسلام. وشكلت ثلاث لجان لهذا الغرض، حيث ترأس لورد كورزون فيها اللجنة الإقليمية والعسكرية الحساسة. وفضلاً عن تأثرها بالمواقف التصالحية التي اتخذها حلفاؤها السابقون تجاه تركيا الكمالية، وقعت موقف بريطانيا ونشاطها خلال المؤتمر تحت

⁷⁴⁷ كانت عصبة الأمم قد عينت مفوضاً سامياً قبل ذلك، كما أصدرت قراراً في بداية العام ١٩٢٢ لفتت فيه أنظار قوى الحلفاء الى وجود حاجة ماسة لضمان حماية الاقليات، وأبدت استعدادها للتعاون مع تلك القوى من اجل تحقيق بنود معاهدة سيفر في ذلك.

⁷⁴⁸ Curzon to Foreign Office, Paris, 23 March 1922, F0371/7858, PRO.

⁷⁴⁹ Parliamentary Debate in the House of the Lords, 30 March 1922, F0371/7859, PRO.

⁷⁵⁰ Foreign Office Minute of the 9th Meeting of Allied Foreign Ministers in Paris, 26 March 1922, F0371/7858, PRO.

⁷⁵¹ Busch, Mudros to Lausanne, p.365.

تأثير تطورات سلبية عدّة، ومنها ما شهده شهر أيلول من العام ١٩٢٢، من انهيار للجبهة اليونانية في آسيا الصغرى، الذي تبعه مباشرة زحف القوات الكمالية نحو إزمير والحزام المحايد المحيط بالمضايق. وكان للتطور الأخير أهمية خاصة إذ إنها مكنت الكماليين من تحدي البريطانيين بصورة مباشرة. كما كشفت اندلاع أزمة جانك ضعف موقف بريطانيا الدبلوماسي والعسكري، حينما لم يُبدِ حلفاؤها السابقون حتى في ممتلكاتها الاستعمارية البيضاء أية رغبة في مقاتلة الكماليين.^{٧٥٢} وأدت هذه الأزمة دوراً في سقوط حكومة لويد جورج الائتلافية في ١٩ تشرين الأول (١٩٢٢).

وترك صعود حزب المحافظين الى السلطة بعد يوم واحد تأثيرات مباشرة على المسألة الكردية، لكونه كان مؤيداً لنهج المصالحة والترضية تجاه تركيا الكمالية واتخاذ مواقف غير مبالية نحو قضية الأقليات غير التركية. ويُذكر أن لويد جورج قد اتهم المحافظين بموالة الأتراك باستمرار. وفي الواقع، كانت حكومة المحافظين مصممة على تطبيع العلاقات البريطانية- التركية، أملاً في استخدام الكماليين وبقدر الإمكان ضد روسيا البلشفية. وكان عدم التأكيد على قضية مستقبل الأقليات غير التركية بمثابة وسيلة التجأ اليها المحافظون لتحسين العلاقات الثنائية مع تركيا الكمالية. وكان لاحتفاظ كورزون بمنصبه كوزير للخارجية أهمية خاصة لكونه من أشد مناصري نهج تحسين العلاقات مع الكماليين. وفي غياب لويد جورج، الذي اعتاد على اتخاذ المبادرات من وراء ظهر وزير خارجيته،^{٧٥٣} أصبح كورزون حُرّ اليدين في انتهاج سياسة جديدة لا تتطلب من بريطانيا الاهتمام كثيراً بمصالح اليونانيين، والأهم من ذلك، بمصالح الأقليات غير التركية في تركيا الآسيوية. وأدار كورزون، الذي فضّل خيار إلحاق كردستان الجنوبية بالدولة العربية في ميزوبوتاميا على انفصالها، أهم جلسات المحادثات المتعلقة باتفاقية السلام الجديدة مع تركيا.

في المراحل المبكرة التي شهدتها مؤتمر لوزان في كانون الأول (١٩٢٠)، منح الحلفاء الوفد الكمالي، على حد تعبير كورزون، «تنازلاً عظيماً» فيما يخص المسألة الكردية، التي أصبحت منذ ذلك الوقت شأناً داخلياً غير ذي صلة بالقضايا السياسية والدولية:

⁷⁵² Kent, *Moguls and Mandarins*, p.100.

⁷⁵³ Busch, *Mudros to Lausanne*, p.360.

الابتعاد عن جميع اتفاقيات الأقلية الأوربية... الى درجة بحيث تم استثناء الأقليات المسلمة من جميع بنود فصل الأقلية من الاتفاقية، بما في ذلك البند الذي يضع ضمان التطبيق بيد عصبة الأمم.^{٧٥٤}

وتوقع الحلفاء السابقون من تركيا الكمالية الالتزام بإعلان عام يخص حماية الأقليات غير التركية وحرّياتها، بغض النظر عن الولادة والعرق واللغة والدين. ولم يكن هناك أية إشارة مباشرة الى الأقليات باستثناء الأرمن. ولم تمنح عصبة الأمم أي دور في تنفيذ بنود ((حماية الأقليات))، التي تُركت تماماً لمشئنة الكماليين الأتراك. لا غرابة في أن يوافق الوفد الكمالي - التركي فوراً على كل تلك التنازلات.

ومن المهم الإيضاح أن بنود اتفاقية لوزان المتعلقة بحماية الأقليات القومية قد خصت الأقليات المسيحية فقط،^{٧٥٥} ولم يكن لها تأثير إيجابي حقيقي على وضع سكان كردستان الشمالية. ولم تكن للبنود المتعلقة بالأقليات القومية في اتفاقية السلام التركية أية قيمة حقيقية، نظراً لعزم الكماليين وتصميمهم على فرض تماثل ثقافي وسياسي تركي على الشعوب غير التركية، في مقدمتها الشعب الكردي. إذن، لم تمثل تلك البنود سوى محاولة بائسة من قبل بريطانيا وحلفائها السابقين من أجل حفظ ماء الوجه، بعد أن فشلوا في إجبار الكماليين على القبول بصيغة معدلة عن معاهدة سيفر. وتمثلت واحدة من أهم جوانب مفاوضات لوزان بتوصل بريطانيا وتركيا الكمالية الى اتفاق نص على حسم قضية الحدود بين تركيا ودولة العراق عن طريق ((محاادثات ودية)) في غضون تسعة أشهر. وفي حالة فشل الفريقين في التوصل الى اتفاق حدودي، فإن النزاع سيحول الى مجلس عصبة الأمم لحسمه. وفي غضون ذلك، تعهدت كل من بريطانيا وتركيا الكمالية بعدم اللجوء الى القوة أو الى أية وسائل أخرى لتغيير الوضع القائم في الأقاليم المعنية، أي ولاية الموصل.^{٧٥٦}

ترك مؤتمر لوزان منذ البدء تأثيرات مباشرة على السياسة الكردية لبريطانيا. فمع بدء مفاوضات السلام بين الحلفاء السابقين وتركيا الكمالية، أثار عدد من صنّاع القرار البريطانيين، منهم كورزون، الشكوك حول جدوى دعم النزعة القومية في

⁷⁵⁴ Curzon, Lausanne, 30 December 1922, F0371/9058, PRO.

⁷⁵⁵ Appendix: Section III: Lausanne Treaty of Peace with Turkey and Accompanying Straits Convention and Declaration on the Administration of Justice, Great Britain, Parliamentary Papers, 1923, Treaty Series No.16, Cmd, 1929.

⁷⁵⁶ Section 1, Article 3, ibid.

كردستان الجنوبية بوصفها وسيلة للتصدي للخطر الكمالي. وهذه الأطروحة، التي شابهتها أطروحة أخرى استندت الى دعم القوميين الكرد في كردستان الشمالية من اجل نيل الاستقلال السياسي الناجز، صارت خطرة جداً بسبب إثارته للمخاوف التركية حول نوايا بريطانيا، وهو ما سيُعرقل مسار محادثات السلام:

هل يصح في هذه اللحظة، ونحن نتفاوض مع الأتراك (في لوزان) وموقف ولاية الموصل موضع شك محتمل، أن نتخذ خطوة، كالتي اقترحتها وزارة المستعمرات، في اتجاه تعزيز الحركة القومية الكردية؟ نظراً لوجود هذا الوضع وحقيقة ان الوضع يتغير في لوزان من يوم لآخر، فانه من الصعب جداً على (وزارة الخارجية) أن تضع أية توصيات نهائية بخصوص تلك المسألة.^{٧٥٧}

لقد جعلت الأوضاع السياسية المحيطة بمؤتمر لوزان من محمود وأنصاره القوميين مصدراً لإثارة المشاكل السياسية التي أضعفت الموقف البريطاني في كردستان الجنوبية. واكتشف البريطانيون ان تشجيع النزعة القومية الكردية سيعرقل مساعيهم لإبقاء كردستان الجنوبية خارج سيطرة الأتراك، وذلك لأنها ستجعل الكماليين أكثر تعنتاً وإصراراً على منع ظهور كيان سياسي كردي منفصل يُهدد بشكل جدّي وحدتهم الإقليمية والسياسية. أما خيار إلحاق الإقليم بدولة العراق فأن من شأنه أن يُسهّل كثيراً على البريطانيين دحض الادعاءات الكمالية في أن بقاء الإقليم المذكور خارج سيطرتهم السياسية سيُعرض وحدة تركيا الإقليمية وأمنها الى خطر جدّي. وكذلك، أصبح أسهل بكثير على كورزون ان يُقدم إلحاق كردستان الجنوبية بدولة العراق بوصفه نتيجة منطقية وطبيعية، نظراً لوقوع الإقليم ضمن الرقعة الجغرافية الخاضعة للانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا. وبالفعل، أصر كورزون، خلال سعيه الى تعزيز إدعائه في أن كردستان الجنوبية تُمثل جزءاً طبيعياً من العراق، على حصول البريطانيين على وضع قانوني في العراق استند الى طبيعة الانتداب.^{٧٥٨} بعبارة أخرى، لكون كردستان الجنوبية جزءاً من انتداب ميزوبوتاميا، فان البريطانيين مُلزمون أخلاقياً وقانونياً بإدخالها ضمن الدولة العراقية الجديدة. وبحسب رومبولد، صرح كورزون خلال مؤتمر لوزان انه:

⁷⁵⁷ R.C. Lindsay, Foreign office Minute No.130941, 24 November 1922, F0371/7782, PRO.

⁷⁵⁸ Curzon to Foreign Office, 19 January 1923, F0371/9060, PRO.

ينبغي إدخال ولاية الموصل ككل في الدولة العراقية بشكل صحيح، فمنذ الهدنة (مع الدولة العثمانية)، عدت حكومة صاحب الجلالة حدود الولاية الشمالية حدود الأمر الواقع الإدارية للدولة العراقية.^{٧٥٩}

ففي ظل تلك الأوضاع، كان الهدف من وراء إيقاف بريطانيا لعملية سحب قواتها من كردستان الجنوبية الذي كان مرهوناً بالتوصل الى اتفاقية سلام نهائية مع تركيا، بحسب تعبير دوين، تزويدها «بسلح الأمر الواقع الثمين دبلوماسياً».^{٧٦٠} وهذا الأمر كان أساسياً بالنسبة الى عملية دمج كردستان الجنوبية بالدولة العراقية.

الاعتبارات الدولية والإقليمية وتأثيراتها في المواقف البريطانية تجاه المسألة الكردية، ١٩٢١-١٩٢٣

١. مواقف حلفاء بريطانيا السابقين

منذ بدء العام ١٩٢١، شهد الوضع السياسي في الشرق الأوسط سلسلة تطورات أدت الى ظهور تهديدات مباشرة للوجود البريطاني في ميزوبوتاميا العربية وكردستان الجنوبية. ففي غضون أسبوع واحد، توصلت تركيا الكمالية الى اتفاقيتين مع حلفاء بريطانيا السابقين، إيطاليا وفرنسا، في ١٣ و١٧ آذار (١٩٢١) بحسب الترتيب. كما تخللت الحقبة الفاصلة بين تلك الاتفاقيتين اتفاقية أخرى عقدها الكماليون مع روسيا البلشفية في ١٥ آذار. تكمن حساسية هاتين الاتفاقيتين، من وجهة النظر البريطانية، في إنهما تعدان انتهاكاً فرنسياً وإيطالياً لبنود الاتفاقية الثلاثية السابقة بين حلفاء الأمم (١٠ آب ١٩٢٠)، التي عُدت بهدف تسهيل عملية إعادة تنظيم الإمبراطورية العثمانية المهزومة عن طريق إنهاء المنافسة الإمبريالية بين تلك القوى الأوربية. ونصت الاتفاقية المذكورة على (١) وجود لجان سيطرة دولية و(٢) الحصول على مرافق وتنازلات تجارية وأخرى في ميدان المواصلات و(٣) المساندة الدبلوماسية و(٤) الإشراف على خطوط السكك الحديدية و(٥) تعيين حدود المناطق ذات المصالح بين فرنسا وإيطاليا و(٦) سلطات الانتداب على الأقاليم المنتزعة من تركيا العثمانية و(٧) التصرف بحقل هيراكليا للفحم الحجري و(٨) انسحاب القوات الفرنسية

⁷⁵⁹ Rumbold, Lausanne, 2 May 1923, F0371/9005, PRO.

⁷⁶⁰ Acting High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 14 May, ١٩٢٣ F0371/9005, PRO.

والإيطالية و(٩) حماية الأقليات. إن تطبيق أو عدم تطبيق النقاط الست الأولى، إضافة إلى النقطة التاسعة، كان من شأنه التأثير على وضع بريطانيا في كردستان الجنوبية، ونفوذها في المناطق الكردية المتبقية.

إذا أخذ بنظر الاعتبار تورط فرنسا المباشر في عملية إعادة ترتيب الولايات العثمانية السابقة، فإنه لا بد للاتفاقية الفرنسية-الكمالية أن تؤدي إلى تداعيات بالنسبة إلى وضع البريطانيين في كردستان الجنوبية وميزوبوتاميا. ففي المقام الأول، بفضل إنهاؤها حالة الحرب بين فرنسا وتركيا من جانب واحد (أي دون وجود تنسيق بين فرنسا وحلفائها السابقين) مثلت الاتفاقية اعترافاً صريحاً بحكومة أنقرة الكمالية، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا مازالت في حالة حرب معها، من وجهة النظر الفنية. لهذا شعرت بريطانيا بعزلة ووجدت نفسها في موقف دفاعي في مواجهة تركيا الكمالية، البلد الذي كان مصمماً على فرض سيطرته على أكبر قدر ممكن من الأقاليم العثمانية غير التركية السابقة. ثانياً، بفضل تخليها عن بعض المناطق الكردية لصالح تركيا الكمالية، كالجزيرة ونصيبين، تخلت فرنسا عملياً عن مسؤولياتها تجاه حماية الأقليات غير التركية بحسب بنود معاهدة سيفر لعام ١٩٢٠.^{٧٦١} وأخيراً، تخلت فرنسا عن التزاماتها السابقة بحسب بنود المعاهدة آنفة الذكر بخصوص وجود قوات فرنسية في منطقة المصالح العائدة لها، لحين تنفيذ الأتراك لبنود اتفاقية السلام.^{٧٦٢} لقد شعرت بريطانيا بأنها أصبحت أكثر ضعفاً من الناحيتين الدبلوماسية والعسكرية أمام تركيا الكمالية. وجعل هذا مبدئياً مسألة توصل البريطانيين إلى اتفاقية سلام مرضية جديدة مع تركيا أكثر صعوبة، نظراً للموقف العنيد الذي اتخذته الكماليون، الذين ارتفعت معنوياتهم بسرعة بسبب النجاحات الدبلوماسية التي حققوها خلال شهر آذار (١٩٢١).

ومن جانب آخر، أبدى المسؤولون العسكريون البريطانيون الميدانيون القلق الشديد إزاء الاتفاق الفرنسي-الكمالي المفاجئ، لما سيتركه من تأثيرات سلبية مباشرة على الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا، حتى أنه تولد عندهم الشك بوجود مؤامرة ضد بريطانيا. فالفرنسيون يتآمرون، وبمساعدة الكماليين، من أجل بسط نفوذهم على الكرد من خلال إقامة كونفدرالية كردية كبرى خاضعة لرعايتهم:

⁷⁶¹ Curzon to the Count de Saint-Aulain, 5 November 1921, C0730/7, PRO.

⁷⁶² Ibid.

في البدء، سيتكون أعضاء (الكونفدرالية) من البرّازي، ما بين بُلَيْخْ (ونهر) الفرات، والمَلِّي، ما بين بُلَيْخْ ونهر (Jajzagahg Su)*، وفيما بعد كوچر وهاجان وميران وكُرد ماردين إذ ان الهدف النهائي هو توسيع النفوذ الفرنسي حتى السليمانية. ان هذا التحرك ... موجّه ضد البريطانيين.^{٧٦٣}

وكل هذا يوضح، بحسب التفسير البريطاني المشار إليه، السبب لماذا ((تخلى عمداً)) الفرنسيون عن معظم التزاماتهم تجاه التسوية التركية بحسب بنود معاهدة سيفر. ولكن، هذا التفسير البريطاني كان في غير محله بقدر ما يتعلق الأمر بنوايا الفرنسيين في كُردستان العثمانية. فالفرنسيون أبدوا في كل مناسبة معارضتهم للتطلعات القومية الكُردية، لاعتقادهم الخاطئ بأن لندن تسعى الى إقامة كُردستان ذات توجه بريطاني تتمتع بوضع استقلالي منفصل أو بحكم ذاتي داخلي. وسعى الفرنسيون، عن طريق إقامة علاقة جيدة مع تركيا الكمالية، الى تعزيز نفوذهم الاقتصادي وإضعاف ما عدّوه ورقة بريطانية، أي الأقليات القومية، في توطيد نفوذها. ووفق تلك الحسابات، قامت فرنسا في أثناء كونفرانس لندن (١٩٢١) بمعارضة تدخل عصابة الأمم في قضية الأقليات القومية ورفض الاقتراح القاضي بتعيين مفوض سامي لمراقبة مصالح تلك الأقليات ومنها الكُرد.^{٧٦٤} لقد انتابت الفرنسيين شكوك قوية بتورط البريطانيين في جميع الجهود السياسية والعسكرية المناهضة للكمالية، التي كان يبذلها القوميون الكُرد. ولربما يُفسر ذلك، على سبيل المثال، لماذا رفضت السلطات الفرنسية السماح لأكرم بيك، وهو قائد قومي كُرد شارك في إعداد انتفاضة كُردية معادية للكمالية، بالذهاب الى دياربكر عبر بيروت.^{٧٦٥}

ورأى البريطانيون، ومن منظور استراتيجي، ان لنقل المناطق الكُردية في نصيبين وجزيرة أبن عمر من السيطرة الفرنسية الى السيطرة الكمالية تداعيات مباشرة على مصالحهم. فلهايتين المنطقتين الكُرديتين ((أهمية إستراتيجية عظيمة بالنسبة الى الموصل وميزوبوتاميا)). كما توجد أهمية إستراتيجية مماثلة بالنسبة الى ((إعادة جزء

* الاسم الصحيح هو (جججق). ساعدنا الاستاذ عبد الرقيب يوسف مشكوراً في تصحيح هذا الاسم وأسماء اخرى. [الناشر]

⁷⁶³ General Headquarter, Mes.EX.Force, 26 September 1921, F0371/6369, PRO.

⁷⁶⁴ Curzon, Paris, 23 March 1922, F0371/7858, PRO.

⁷⁶⁵ Rumbold, Constantinople, to High commissioner, Baghdad, November, ١٩٢٠, F0371/6346, PRO.

من خط بغداد للسكك الحديدية الواقع ما بين جويان بّي ونصيبين^{٧٦٦}. ولذلك سارع كورزون الى إبلاغ الفرنسيين انه بسبب التهديد الموجه ضد الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا، فان حكومته لن تبقى مكتوفة اليدين تجاه إعادة جزء من خط بغداد للسكك الحديدية والمناطق الكردية في جزيرة أبن عمر ونصيبين الى تركيا.^{٧٦٧} وبالفعل، أدت تلك التطورات حال وقوعها الى تعزيز الموقف الكمالي العسكري في المناطق القريبة من الحدود ومن ثم جعل من الغزو التركي لكردستان الجنوبية أمراً مُمكناً في أي وقت. ففي ظل مثل تلك الظروف، أصبح إجراءً منطقياً أن تُبقي بريطانيا قواتها الإمبريالية في المواقع النائية من المناطق الكردية الواقعة تحت انتدابها، وان تحتفظ بمسؤولية الدفاع عن ميزوبوتاميا وأمنها لحين التوصل الى اتفاقية سلام مع تركيا الكمالية.

وكان للاتفاق الفرنسي-الكمالي تداعيات سياسية أخرى، من وجهة النظر البريطانية، بالنسبة الى مصير كردستان الجنوبية. فالبريطانيون كانوا يخشون من أن التنازلات الإقليمية التي قدمها الفرنسيون في غرب كردستان سوف تُشجع الكماليين على ممارسة المزيد من الضغط عليهم بهدف الحصول على تنازلات إقليمية مماثلة في كردستان الجنوبية.^{٧٦٨} إضافة الى ذلك، سيُضفي الاعتراف الفرنسي بعائدية مناطق الجزيرة ونصيبين الكردية الى الحكم والسيادة التركية شرعية على ادعاءات الكمالية حول مناطق كردية أخرى كانت خاضعة للانتداب البريطاني. وبالرغم من التطمينات التي قدمتها الحكومة الفرنسية لنظيرتها البريطانية حول عدم تقديم أية تسهيلات للنشاطات الكمالية ضد ميزوبوتاميا أو تزويد تركيا بتجهيزات عسكرية،^{٧٦٩} فإن الاتفاق الفرنسي-الكمالي سبب وبشكل ملموس في تجذير النهج الدفاعي الحذر الذي انتهجته بريطانيا تجاه الوضع الكردي.

وشهدت الفترة التي سبقت انعقاد مؤتمر لوزان والممتدة من شهر أيلول ولغاية شهر تشرين الأول ١٩٢٢، إصراراً كمالياً متزايداً على إلغاء كافة بنود معاهدة سيفر للسلام والمتعلقة بالقوميات غير التركية في كردستان وارمينيا. وتزايدت الإشاعات

⁷⁶⁶ Ibid

⁷⁶⁷ Curzon to M. de Montille, 25 November 1921, C0730/7, PRO.

⁷⁶⁸ Curzon to the Count de Saint-Aulain, 5 November 1921, C0730/7, PRO.

⁷⁶⁹ S/S for the Colonies to High Commissioner, 30 November 1921, C0730/7, PRO.

بشأن حصول تفاهم فرنسي- كمالى يتضمّن تحريضاً فرنسياً للأتراك على مضاعفة الجهود من أجل السيطرة على ولاية الموصل. ويُذكر أن لقاءات لوزان الأولى قد تزامنت مع مفاوضات باريس المتعلقة بمسألة التعويضات الألمانية لفرنسا. وكما يُشير ماريان كَنت، كان للاختلافات الحادة في السياستين الفرنسية والبريطانية حول مسألة التعويضات التي أعقبها الاحتلال الفرنسي- البلجيكي المشترك لمنطقة روهرا الألمانية في شهر كانون الثاني من العام ١٩٢٣، صدىً كبيراً في مؤتمر لوزان، حيث عبّر الفرنسيون، وكذلك الإيطاليون، عن موقف تصالحي وإرضائي نحو وفد تركيا الكمالية.^{٧٧٠} وهذا الأمر قضى بشكل نهائي على إستراتيجية كورزون في المؤتمر المذكور، التي استندت الى مجابهة الوفد الكمالى بموقف موحد يتخذه حلفاء الأمم.^{٧٧١}

ان احتمالات وجود مساندة فرنسية وأمريكية، للموقف الكمالى بخصوص مسألة عائدة ولاية الموصل والحاجة الملحة لتنفيذ سياسة السيطرة غير المباشرة الجديدة، هي التي جعلت كورزون يطرح فكرة تقديم تنازلات إقليمية الى الجانب التركي خلال مفاوضات السلام الجارية في لوزان. فإذا ما أقدمت بريطانيا على تقديم تنازلات إقليمية، بحسب تصور كورزون، فإنه يتحتم عليها الاختيار بين (١) التنازل عن ولاية الموصل ككل أو بجزء منها، أو (٢) أو التنازل عن كردستان الجنوبية أو جزء منها.^{٧٧٢} وينبغي التذكير هنا بأن تعريف كورزون لكردستان الجنوبية في ذلك السياق كان مقصوراً على قسم منها. وطبق حسابات كورزون، لن يؤثر ذلك التنازل الإقليمي سلباً في الموقف البريطاني الاستراتيجي في ميزوبوتاميا لكونه «شريطاً أرضياً طويلاً وضييقاً، يصعب جداً على الأتراك إدارته وذا قيمة قليلة بالنسبة لهم».^{٧٧٣}

واجهت فكرة تقديم تنازلات إقليمية محدودة الى الجانب الكمالى رفضاً وبالإجماع من أعضاء لجنة وزارة المستعمرات ورئيس هيئة الأركان العامة ورئيس قيادة الطيران، لأسباب عسكرية، وذلك لوجود مخاوف من انها ستزيد من التهديد الكمالى بشكل كبير لميزوبوتاميا بسبب إضعاف دفاعاتها الإستراتيجية في كردستان الجنوبية. ومن المنظور السياسي، سيعارض الكُرد والعرب، على حد سواء، فكرة

⁷⁷⁰ Kent, *Moguls and Mandarins*, p113.

⁷⁷¹ Busch, *Mudros to Lausanne*, p.121.

⁷⁷² Annexure i, 7 December 1922 -in- Cabinet Committee On Iraq (I.R.O. 1st) 8 December 1922, F0371/7772, PRO.

⁷⁷³ Ibid.

تقديم تنازل إقليمي، ومن ثم ستجعلهم ينقلبون هم أيضاً على بريطانيا. علاوة على كل ذلك، تتركز المصالح التركية وطموحاتها في مناطق تقع على الحافات الجنوبية للإقليم الكردي، حيث تتواجد عناصر تركمانية، أي في اربيل وكفري وكركوك، ولهذا السبب، لن يُلبي التنازل الإقليمي المحدود، في حالة قيام بريطانيا بذلك، مطامح الكماليين الإقليمية.^{٧٧٤} ويكشف هذا النقاش الداخلي بين البريطانيين اللثام عن تزايد مواطن الضعف في الموقف البريطاني في المدة التي أعقبت معاهدة سيفر، بحيث أن تقديم الفرنسيين لتنازلات إقليمية محدودة في كردستان الى الجانب الكمالي أجبر الدوائر المدنية والعسكرية البريطانية على إعادة النظر في السياسة المنتهجة نحو كردستان الجنوبية وميزوبوتاميا.

٢. تركيا الكمالية وبريطانيا والوضع الكردي

كانت للانتصارات الدبلوماسية التي حققها الكماليون، المُشار إليها آنفاً (أي عقد اتفاقيتين ثنائيتين الأولى مع فرنسا والثانية مع إيطاليا وكذلك الدخول في معاهدة مع روسيا البلشفية) تداعيات عسكرية مباشرة على موقف بريطانيا في كردستان الجنوبية وميزوبوتاميا، بحيث خلقت قناعة متزايدة في أوساط المسؤولين العسكريين، سواء في لندن أو في بغداد، أن قيام الكماليين بغزو عبر الحدود الشمالية أمر واعد جداً. وترسخت هذه القناعة أيضاً بعد إلحاق الكماليين هزيمة عسكرية بالقوات اليونانية. فالموقف أصبح لصالح تركيا بعد انتهاء المواجهة مع اليونانيين وضمن عدم تدخل البلشفيين، وكل ذلك فتح المجال أمام الكماليين لتسخير الجهود العسكرية من أجل تلبية مطامعهم الخارجية، في مقدمتها استرجاع ولاية الموصل. وبحسب مذكرة لوزارة الحرب البريطانية، شجعت ((عملية تخفيض)) القوات البريطانية في العراق، التي جاءت في أعقاب انتهاء الوجود العسكري البريطاني في إيران المجاورة، الكماليين على مواصلة العمل على استرجاع ما عدّوه أقاليمهم المسلوبة.^{٧٧٥} وأدركت بريطانيا ان جميع حلفائها السابقين، ناهيك عن روسيا البلشفية، كانوا يرغبون في هزيمتها أمام تركيا الكمالية في قضية النزاع حول ولاية الموصل، وذلك لأنهم يرون ان استرجاع الأتراك لتلك الولاية، أو لربما ميزوبوتاميا كلها، سيمنحهم فرصة جيدة لاستغلال

⁷⁷⁴ Annexure ii, Curzon, Lausanne, 8 December 1922 -in- Cabinet committee On Iraq (I.R.O. 1st) 8 December 1922, F0371/7772, PRO.

⁷⁷⁵ S/S for War, Memorandum, 21 November 1921, F0371/6347 ,PRO.

الثروة البترولية الكامنة فيها.^{٧٧٦} ولمنع أية مساندة فرنسية وأمريكية للموقف التركي حول قضية الموصل في أثناء مفاوضات لوزان للسلام، قدمت بريطانيا عرضاً سخياً للدولتين بمنح كليهما حصة ٢٥٪ في شركة البترول التركية. كما عرض كورزون حصة مماثلة على الحكومة الكمالية خلال مفاوضات السلام في لوزان. وكان هذا العرض، في رأي بوش، جزء من إستراتيجية كورزون لمقايسة الموصل بالبترول.^{٧٧٧} أما الكماليون فرفضوا العرض البريطاني، وحاولوا ضمن سياق استراتيجيهم في مؤتمر لوزان إقناع بريطانيا بالموافقة على بسط السيادة التركية على الموصل لقاء قطع العلاقات مع روسيا البلشفية.^{٧٧٨} وكان مصطفى كمال قد حاول استخدام علاقاته الوثيقة مع البلشفيين كوسيلة للضغط على الحلفاء، خاصة بريطانيا،^{٧٧٩} كما استغل بشدة حالة عدم التوافق بين القوى الحليفة قبل انعقاد مؤتمر لوزان وفي أثنائه،^{٧٨٠} بهدف تعزيز موقف تركيا الدبلوماسي.

وخضع أسلوب تعامل الكماليين مع الوضع الكردي هو الآخر الى تأثيرات السياسة الكردية لبريطانيا. ان تشكيل جمعيات مناصرة لتركيا عن طريق تنظيم الدعايات المعادية لبريطانيا وإرسال قوات تركية غير منظمة للتعاون وللتنسيق مع المنتفضين الكرد الجنوبيين ضد الوجود البريطاني كانت ضمن التكتيكات الكمالية الرئيسية الرامية الى البرهنة على عجز البريطانيين عن إدارة كردستان الجنوبية بصورة فاعلة أو خلق الاستقرار السياسي فيها. ولهذا السبب، من جانب، ولكون الكرد الجنوبيين غير راغبين بالخضوع الى حكم عربي غريب عنهم، من جانب ثانٍ، أصبح بإمكان الكماليين الادعاء ان للمطالبة بعودة السيادة التركية الى كردستان الجنوبية ما يبررها. وأدعى الكماليون، ضمن هذا السياق، أحقيتهم في كردستان الجنوبية على أساس عدم قانونية السيطرة البريطانية على الموصل. والجدير بالذكر ان القوات البريطانية احتلت مدينة الموصل بعد عدة أيام من التوقيع على اتفاقية هدنة مودروس (٣١ تشرين الأول ١٩١٨)، التي أنهت حالة الحرب بين بريطانيا حليفها، من جهة، والدولة العثمانية، من جهة أخرى. ونصّت الفقرة ١٦ من اتفاقية تلك الهدنة على استسلام الحامية

⁷⁷⁶Cabinet (No. C.P.3566), 13 December 1921, F0371/6347, PRO.

⁷⁷⁷ Busch, *Mudros to Lausanne*, p.244.

⁷⁷⁸ Ibid.

⁷⁷⁹ Kent, *Moguls and Mandarins*, p.103.

⁷⁸⁰ Ibid, pp-114-115.

التركية في ميزوبوتاميا لأقرب قائد من الحلفاء. فبحسب وجهة النظر التركية، لا تنطبق تلك الفقرة على ولاية الموصل، وإنما على ولايتي بغداد والبصرة فقط. وظلت الادعاءات التركية تتكرر علانية حول عائدة الموصل، كلما دخل الكماليون في مفاوضات مع قوى الحلفاء. على سبيل المثال، أكد جميل بيك، العضو البارز في الوفد الكمالي في كونفرانس لندن، لفیصل انه ليس لتركيا مخططات تتعلق بالولايات العربية السابقة التي كانت عائدة للإمبراطورية العثمانية وانها مستعدة لعقد اتفاقية ذات ((بنود سخية جداً)).^{٧٨١}

وجاءت الوعود التي مُنحت للكرد حول إعطائهم حكماً ذاتياً داخلياً ضمن تركيا الجديدة ضمن سلسلة من التكتيكات الرئيسية التي التجأ اليها الكماليون من أجل توطيد نفوذهم السياسي في كردستان، وهو الأمر الذي سيساعدهم أيضاً على تعبئة أهالي كردستان الشمالية والجنوبية على حد سواء ضد الوجود البريطاني. بتعبير آخر، سيكون للكرد، الشماليين منهم والجنوبيين، دافع قوي ومُقنع لمساندة الادعاءات التركية في ولاية الموصل، التي ستعني في حالة تحقيقها إعادة توحيد كردستان العثمانية على شكل كيان يتمتع بحكومة محلية كردية ضمن إطار الدولة التركية الجديدة. وأدركت الحكومة البريطانية أبعاد السياسة الكمالية تجاه الكرد، التي أثارت مخاوفها، ولهذا سعت الى تبني إجراءات في كردستان الجنوبية تستهدف إفشال جميع المحاولات الكمالية لتأليب أهاليها ضد البريطانيين.^{٧٨٢} وبالرغم من الاعتراضات التي قدمها كوكس وفيصل، قررت وزارة المستعمرات السماح لقيام حكومة أهلية كردية جديدة بقيادة الشيخ محمود في بداية خريف العام ١٩٢٢، أملاً في إحباط مساعي الكماليين من أجل تعزيز النفوذ التركي في كردستان الجنوبية.

لقد عبّر رفض الكماليين لتنازلات بريطانية جزئية في كردستان خلال العام ١٩٢١ عن اعتقاد راسخ لديهم بأن البريطانيين غير قادرين على تحمّل ضغطهم المتزايد، خاصة بعد تحقيقهم إنجازات دبلوماسية وسياسية كبيرة على المستويين الداخلي والدولي. وبالفعل، أخبر البريطانيون الجانب الكمالي انهم على استعداد للاعتراف بسيطرتهم على كردستان الشمالية مقابل حماية الأقليات المسيحية. وبالرغم من ان

⁷⁸¹ Cornwallis, 24 February 1921, F0371/6467, PRO.

⁷⁸² Message from Prime Minister to Mr. Churchill, 22 March 1921, F0371/6342, PRO.

هذا العرض البريطاني قد جسد تخلياً سافراً عن بنود معاهدة سيفر، رفضه الكماليون لأنه أوحى بوضوح الى بقاء كُردستان الجنوبية تحت الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا. وظلّ الكماليون ينتظرون بتفاؤل الفرصة المناسبة التي سيترك فيها البريطانيون كُردستان الجنوبية، سواءً بسبب مصاعبهم الماليّة أو بسبب المقاومة الكُردية، التي ساعدوا على تعزيزها عن طريق تزويدها بالسلاح والضباط. كما أستمَد الكماليون ثقتهم من معارضة الكُرد الجنوبيين لمشروع فرض حكم عربي عليهم. ونظراً لعدم قدرة العرب على إلحاق كُردستان الجنوبية بدولتهم الفتية لوحدهم، اعتقد الكماليون بقوة بقدرتهم على ملء الفراغ السياسي، الذي قد ينشأ في أعقاب انسحاب الإدارة البريطانية والحامية العسكرية من المناطق الكُردية.

وبالرغم من وقوع تطورات عسكرية عدّة ساهمت في تشجيع الكماليين على الماضي قُدماً في موقفهم المتصلب، كإلحاقهم الهزيمة بالجانب الأرمني ومن بعده الجانب اليوناني، دخلوا في نهاية المطاف في اتفاقية سلام مع البريطانيين في لوزان، من دون ان ينجحوا في فرض سيادة تركية على كُردستان الجنوبية، التي بقي مصيرها عالقاً حتى تحين فرصة أخرى لحسمها بوسائل سلمية، كتدخل عصبة الأمم. والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا التجأ الكماليون الى وسائل سلمية لتسوية مستقبل كُردستان الجنوبية، بدلاً من الاستمرار في نهجهم التصعيدي المُتمثل بتكثيف الضغوط العسكرية والدعائية والنفسية على البريطانيين؟ هناك تفسيران، يتمثل الأول بمخاوف الكماليين من أن استمرار حالة عدم الاستقرار في كُردستان الجنوبية قد تقود الى تآزم الوضع السياسي في المناطق الكُردية الواقعة عبر الحدود والخاضعة لسيطرتهم. وبالفعل، اظهر وقوع سلسلة من الانتفاضات الكُردية المحلية بين عامي ١٩٢١ و١٩٢٣ ان الكُرد الشماليين شكلوا المانع الداخلي الرئيس أمام محاولات الكماليين في توطيد سلطتهم السياسية. ونظراً لاستمرار حالة المواجهة بينهم وبين البريطانيين وعدم الاستقرار السياسي في كُردستان الجنوبية والشمالية على حد سواء، خشى الكماليون من طرح حل راديكالي آخر للمسألة الكُردية قد يُؤدي الى قيام دولة مستقلة في كُردستان العثمانية. ولربما اعتقد الكماليون انه في إمكان البريطانيين، في أقل تقدير، إعلان قيام كُردستان جنوبية مستقلة، بوصفها وسيلة لممارسة ضغط دائم على الدولة الكمالية الجديدة، وهو الأمر الذي سيشجع بصورة لا مفر منه الكُرد الشماليين على الماضي قُدماً في جهودهم الرامية الى عتقهم من الهيمنة التركية.

ففي ظل تلك الظروف، كان من الطبيعي ان تُثير عودة الشيخ محمود وقيام حكومة كُردية ثانية مخاوف حقيقية لدى الكماليين، الذين فسروهما على إنها رسالة صريحة من البريطانيين، وهي انه إذا لم يضع الكماليون حداً لنشاطاتهم العدائية ضدهم، فإنهم سيلجأون الى خيار إنشاء دولة مستقلة في كُردستان الجنوبية. ومثل تلك المخاوف تضمنتها برقية سرية وقعت بيد البريطانيين، كانت الحكومة التركية قد أرسلتها الى ممثلها، إسماعيل باشا، في مؤتمر لوزان حيث لفتت نظره الى المخططات البريطانية الهادفة الى تقوية موقف الكُرد مالياً وسياسياً من اجل إقامة كُردستان مستقلة تهدد أمن تركيا.^{٧٨٣} ويُذكر ان مصطفى كمال قد أشار في خطابه الطويل في العام ١٩٢٧ الى التفاصيل المتعلقة بتعاون القوميين الكُرد مع البريطانيين من اجل إنشاء كُردستان مستقلة تُهدد حركته السياسية.^{٧٨٤} لقد عبّرت المخاوف التركية المتصاعدة عن نفسها في عزم الكماليين على اللجوء الى الوسائل السلمية بعد قيام حكومة كُردية في السليمانية، وفي رفضهم تقديم أي دعم مادي لانتفاضة الشيخ محمود الثانية ضد البريطانيين. وحين بدأ البريطانيون هجومهم المضاد الناجح في راوندوز، وما رافقه من قصف جوي كثيف ضد المناطق الكُردية المنتفضة، أوقف المحاربون الكُرد نشاطاتهم، كما امتنعوا عن التعاون عسكرياً مع الكماليين. ويُذكر ان هؤلاء الكُرد أدوا دوراً بارزاً في السياسة الكمالية الرامية لزعزعة الأوضاع في كُردستان الجنوبية وإجبار البريطانيين على الانسحاب منها. وبسبب هذا التطور العسكري، فقد الكماليون الوسيلة التي كانت تُمكنهم من استنزاف البريطانيين عسكرياً ومالياً ومن إضعاف مصداقيتهم السياسية لا في كُردستان الجنوبية فحسب، بل أيضاً في العراق العربي. وفي تفسيرهم للدوافع التي تقف وراء الهجوم المضاد الذي شنّه البريطانيون ضد المنتفضين الكُرد في راوندوز، أبدى الكماليون مخاوفهم من أن تكون مقدمة لسياسة بريطانية هجومية جديدة دعماً للتطلعات القومية للكُرد الشماليين. وتُبين التقارير البريطانية في اسطنبول كيف ان الكماليين ((كانوا منشغلين كثيراً)) بالعمليات العسكرية البريطانية في منطقة راوندوز، التي فسروها على إنها مبادرة ((محسوبة تستهدف تأزم مسألة كُردستان برمتها)).^{٧٨٥}

⁷⁸³ Reof, Angora, to Ismet, Lausanne, 3 May 1923, F0371/9005 ,PRO.

⁷⁸⁴ Mustafa Kemal, A Speech Delivered by G. Mustafa Kemal. op. cit.

⁷⁸⁵ Mr. Henderson, Constantinople, 6 May 1923 ,F0371/90051, PRO.

٣. إيران وبريطانيا والمسألة الكردية

تزامن التهديد الكمالي لكردستان الجنوبية مع تحول ملحوظ في الموقف الرسمي ل طهران تجاه النفوذ البريطاني في إيران. فالحكومة القومية الإيرانية الجديدة برئاسة سبهدار، التي تشكلت في أعقاب انقلاب الجنرال رضا غلام (رضا شاه فيما بعد) في ٢١ شباط ١٩٢٦، سعت الى وضع حد للتدخلات السياسية البريطانية في إيران، خاصة في الجنوب، حيث ساند البريطانيون كياناً عربياً شبه مستقل في إقليم خوزستان. وفي المدة التي أعقبت معاهدة سيفر، اضمحل نفوذ البريطانيين بشكل ملحوظ بعد انسحاب قواتهم الإمبريالية من الأراضي الإيرانية تحت ضغط الضائقة المالية ورفض المجلس (البرلمان الإيراني) مشروع الاتفاقية البريطانية- الإيرانية، التي كان من شأنها أن تمنح عملياً حكومة لندن سيطرة سياسية واقتصادية على إيران.^{٧٨٦} كما أصبحت بريطانيا أكثر عرضة للضغوط الإيرانية بعد ان دخلت حكومة طهران في معاهدة صداقة مع روسيا البلشفية في ٢٦ شباط، أي بعد مرور خمسة أيام على وقوع الانقلاب العسكري. ولم تؤد المعاهدة تلك الى تحسين العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بصورة ملحوظة بين الدولتين فحسب، بل أيضاً الى انسحاب القوات الروسية من شمال إيران.^{٧٨٧} كما حسنت حكومة طهران الجديدة وبشكل دراماتيكي من علاقاتها الثنائية مع حكومة أنقرة، عدوها التقليدي والتاريخي. وهذا الأمر صعد من المخاوف البريطانية بشأن إمكانية قيام تحالف إيراني- تركي أو حتى تحالف إيراني- روسي موجه ضد مصالحها سواء في الهند أو في الشرق الأوسط. ففي ظل تلك الظروف المتغيرة، لم يعد بمقدور بريطانيا القيام بأية مخاطرة، كتحويل كردستان الجنوبية الى كيان منفصل يتمتع بإدارة أهلية ذاتية، لما يشكل ذلك من تهديد جدي لاستقرار كردستان الشرقية ضمن وحدة إيران الإقليمية.

والعامل الإيراني هو الذي منع البريطانيين باستمرار من الدخول في علاقات رسمية أو حتى سرية مع سمكو، ابرز زعماء الكرد الشرقيين. فحين تدارس الموظفون البريطانيون في ميزوبوتاميا فكرة الاستفادة من نفوذ سمكو وما قد يشكله من مانع أمام توسع النفوذ الكمالي والبلشفي على حد سواء، أرسلت تشرتشل تعليمات الى

⁷⁸⁶ Rouhollah K. Ramazani, *The Foreign Policy of Iran: A Developing Nation in World Affairs, 1500-1941*, (The University Press of Virginia, 1966), pp.164-165.

⁷⁸⁷ Ibid, pp.186-188.

كوكس يحذره من التوصل الى أية ترتيبات سياسية مع الزعيم الكردي سمكو، باستثناء ما يتعلق بإعادة ترحيل اللاجئين المسيحيين الى مناطقهم الأصلية.^{٧٨٨} وكانت الحكومة الإيرانية قد أبلغت بمضمون تلك التعليمات الرسمية، على اثر احتجاجها على الاتصالات التي كانت تجري بين موظفين بريطانيين ميدانيين وسمكو.^{٧٨٩} والمعارضة الإيرانية تلك هي التي صعّبت على البريطانيين عملية إعادة ترحيل اللاجئين المسيحيين الى أورمية بالاتفاق مع سمكو. لقد عدّ الإيرانيون أي تعامل سياسي بين سمكو والبريطانيين اعترافاً بسلطة الأول في المناطق الجبلية الحدودية من كردستان الشرقية. وتُدلل هذه الأمثلة كيف إن جملة تطورات سياسية في منطقة الشرق الأوسط أعقبت معاهدة سيفر قد جعلت بريطانيا عُرضةً لضغوط سياسية كتلك التي مارستها، إيران بالرغم من كونها دولة ضعيفة غارقة في مشاكلها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

على سعيد آخر، كان البريطانيون على إطلاع بشأن تطلعات الحكومة الإيرانية التوسعية الإقليمية في كردستان الجنوبية، خاصة في مناطق السليمانية وهورامان وراوندوز. فعلى غرار تركيا الكمالية، اعتبرت إيران القرار البريطاني بالانسحاب عسكرياً من ميزوبوتاميا فرصة لا تفوت للحصول على بعض المناطق الكردية المحاذية للحدود. هذا الدافع، إضافة الى مخاوفها من ظهور كردستان جنوبية منفصلة سياسياً وإدارياً، تُفسر لماذا أقدمت الحكومة الإيرانية على منح القوات الكمالية غير النظامية مساندة لوجيستية في العمليات العسكرية التي كانوا يقومون بها في كردستان الجنوبية. وكان كوكس قد بعث بتقارير أكد من خلالها تواطؤ الإيرانيين في المؤامرات الكمالية الرامية الى الاستيلاء على كردستان الجنوبية عن طريق تزويد أوزدمير، القائد الكمالي، بضباط وعتاد.^{٧٩٠} ومن خلال هذا التعاون السري مع الأتراك حاول الإيرانيون الحصول على حصة إقليمية لهم في كردستان الجنوبية. وتواردت أخبار حول وجود تفاهم تركي- إيراني بشأن مكافأة طهران إقليمياً عن طريق تعديل

⁷⁸⁸ S/S for the Colonies to High Commissioner of Iraq, 22 November 1922, F0371/7782, PRO.

أما مسألة التعامل مع السيد طه فكانت مختلفة لكون الأخير من رعايا الدولة التركية، ولهذا لم يكن بإمكان الحكومة الإيرانية الاحتجاج على تعاون البريطانيين معه في منطقة راوندوز.

⁷⁸⁹ Shuckburgh to Foreign office, 11 December 1922, F0371/7782, PRO.

⁷⁹⁰ Foreign Office Minute No.3020, 11 April 1923, F0371/9004, PRO.

الحدود في منطقة هورامان لمصلحتها، مقابل مساندتها لأنقرة.^{٧٩١} وبالرغم من تصريح الحكومة الإيرانية في أن تعاونها مع الأتراك كان مقصوداً على قمع حركة سمكو وانها محايدة إزاء النزاع البريطاني- التركي في راوندوز،^{٧٩٢} لم يخف على البريطانيين التطلعات الإقليمية التوسعية لإيران، التي دفعت بحكومتها الى التدخل بصورة أو بأخرى في شؤون كردستان الجنوبية. ورفضت الحكومة البريطانية السماح لممثلي الحكومة الإيرانية المشاركة في مؤتمر لوزان، لعلمها بأن الإيرانيين يأملون من وراء مشاركتهم تحقيق بعض المكاسب الإقليمية في كردستان الجنوبية.^{٧٩٣}

والغريب ان الكمالين قاموا في البدء بمساندة حركة سمكو ضد الحكومة المركزية في طهران، أملاً في بسط نفوذهم السياسي على كردستان الشرقية. ولم يكن خافياً على الإيرانيين الطموحات الإقليمية للحركة الكمالية المتمثلة بتوحيد أجزاء كردستان المختلفة في كيان واحد يتمتع بحكم ذاتي محدود يخضع لسيطرتها.^{٧٩٤} وكان الموظفون البريطانيون الميدانيون قد أشاروا في تقاريرهم الى مسألة تشجيع الكمالين للكرد الشرقيين على إعلان الاستقلال في المناطق الممتدة من ماكو وحتى كرماشان.^{٧٩٥} لقد سعى الكماليون من وراء ذلك الى الضغط أيضاً على حكومة إيران من اجل التوقف عن التعاون مع بريطانيا وإفشال مخططاتها للاستيلاء على بعض المناطق الكردية في كردستان الشمالية والواقعة على طول الحدود الإيرانية- التركية. وقد حتمّ العاملان الإيراني والكمالي على البريطانيين انتهاج سياسة كردية حذرة في المرحلة التي أعقبت معاهدة سيفر، في ظل ظروف سادتها المؤامرات والمؤامرات المضادة والطموحات الإقليمية المتناقضة للقوميات السائدة.

⁷⁹¹ S/S, 1 February 1923, F0371/9004, PRO.

⁷⁹² High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies ,12 January 1923, F0371/9039, PRO.

⁷⁹³ RCC, Foreign Office Minute No.1, 26 January 1923, F0371/9061, PRO.

⁷⁹⁴ ظن وزير خارجية إيران في حينه ان الكمالين يسعون الى إنشاء كردستان مستقلة عن طريق توحيد جزئيهما الشمالي والشرقي

Norman to Curzon, 1 April 1921, F0371/6442, PRO.

⁷⁹⁵ Britmilat, Tehran, to DMI, Baghdad & India, 24 August 1921 ,F0371/6442, PRO.

خاتمة الفصل

تركت تطورات عدة تأثيراتها على الموقف البريطاني نحو الوضع الكردي في مرحلة ما بعد عقد معاهدة سيفر. من الناحية العسكرية والإستراتيجية، ضيّقت المشاكل المالية على الحكومة البريطانية خياراتها وحددت التزاماتها في مناطق عدّة، من ضمنها ميزوبوتاميا العربية وكردستان الجنوبية. وهذا الضغط في اتجاه التقليل من الالتزامات العسكرية الإمبريالية خلّف وراءه تأثيرات سياسية مباشرة، إذ لم تعد بريطانيا في موقف يُمكنها من إجبار تركيا على الكف عن إدعاءاتها الإقليمية أو وضع حد لتهديداتها الموجهة ضد كردستان الجنوبية أو احترام الحقوق السياسية والثقافية للقوميات غير التركية التي نصت عليها بنود معاهدة سيفر. وأصبحت الدبلوماسية الخيار المفضل لحكومة المحافظين الجديدة للوصول الى اتفاقية سلام مع تركيا الكمالية. حتى في الميدان الدبلوماسي، ضاقت على الساسة البريطانيين كثيراً مديات المناورات السياسية، بسبب النجاحات التي حققتها تركيا دبلوماسياً المتجسدة في عقد سلسلة اتفاقيات مع فرنسا وإيطاليا (حليفتي بريطانيا السابقتين والغاضبتين من عدم حصولهما على استحقاقاتهما من الأقاليم الأجنبية) وروسيا البلشفية (الخطر الجديد الذي يهدد مصالحها في إيران وفي الهند والعازمة على إثارة نُخبها السياسية الجديدة). إن وجود هذا الوضع، من جانب، ورغبة بريطانيا في منع حصول تحالف كمالى- بلشفي، من جانب ثانٍ، قلل كثيراً من أهمية قضايا عدّة لدى حكومة المحافظين الجديدة، في مقدمتها مستقبل القوميات غير التركية. تلك كانت حسابات بريطانيا حين أقدمت على تقديم تنازلات كاملة الى الأتراك بشأن مستقبل كردستان وارمينيا لقاء تحسين العلاقات الثنائية. وجاءت الضغوط على بريطانيا من اتجاهات أخرى، كالتناقض الحاصل بين مصالحها ومصالح حلفائها السابقين، وكذلك توجهات الحكومة الإيرانية الجديدة بشأن إنهاء النفوذ الأجنبي في البلاد وأخيراً وليس آخراً، المتطلبات السياسية والاقتصادية والإستراتيجية لإقامة دولة عربية في ميزوبوتاميا قادرة على الحياة وقابلة للديمومة.

خلال الأعوام ١٩٢١-١٩٢٣، اتسمت السياسة البريطانية بالابتعاد التدريجي عن أطروحة الحكم الذاتي الكردي لصالح أطروحة الإبقاء على الوضع القائم وتوطيده عن طريق تحويل تقسيم الأمر الواقع لكردستان العثمانية الى تقسيم قانوني- دولي

مُعترف به. وفي هذا السياق، كان من الضروري بالنسبة الى البريطانيين ان يمنحهم أي تعديل قد يجري على بنود معاهدة سيفر أو حتى استبدالها باتفاقية سلام جديدة القدرة على الاحتفاظ بكُردستان الجنوبية لقاء الاعتراف بعائدية كُردستان الشمالية الى تركيا الجديدة. وبموازاة ذلك، تراجعت الحكومة البريطانية عن موقفها الأول بشأن المسألة الكُردية، الذي كان يؤكد على بُعدها الدولي، حيث بدأت تُعدها الآن شأنًا داخلياً يخص تركيا الجديدة. والموقف البريطاني الجديد هذا شمل أيضاً الإبقاء على الوضع القائم بالنسبة الى بقية أجزاء كُردستان. ويُمكن رؤية هذا التغيير الدراماتيكي في الموقف البريطاني عند إجراء مقارنة بسيطة بين بنود معاهدة سيفر القديمة وبنود اتفاقية لوزان الجديدة. فمعاهدة السلام الأولى رَفَعَت المسألة الكُردية الى مصاف المسائل الدولية ولأول مرة، في حين تجاهلت اتفاقية السلام الثانية ذكرها عن قصد، بهدف جعلها شأنًا داخلياً يخص البلدان التي تنقسم بينها أرض كُردستان.

شكّل مؤتمر لوزان علامة بارزة في السياسة البريطانية للأسباب آنفة الذكر، التي غيرت الموازين لصالح أطروحة إلحاق كُردستان الجنوبية في الدولة العراقية الجديدة وخضوع كُردستان الشمالية الى حكم تركي جديد. بقدر ما يتعلق الأمر بالتعامل مع الحركات القومية الكُردية وتطلعاتها السياسية، وضعت بنود اتفاقية لوزان بريطانيا في الصف المعادي الذي ضمّ تركيا الكمالية وسوريا الفرنسية وإيران والعراق الخاضعة للانتداب. فمنذ تلك الفترة وصاعداً، شاركت تلك الدول مخاوفها مع بعضها بعضاً بشأن الوضع السياسي غير المستقر في أقاليمها الكُردية. ففي المرحلة التي أعقبت مؤتمر لوزان، سادت قناعة مشتركة بين تلك الدول بأن تُقدّم أي منها على إجراء في إقليمها الكُردية يُعدّ تهديداً للاستقرار السياسي للمنطقة أو للوحدة الإقليمية لبقية الدول. وبعد تسوية المشاكل الحدودية العالقة بين العراق وتركيا في العام ١٩٢٦، تضافرت جهود العراق وبريطانيا وتركيا وإيران من أجل احتواء الحركات القومية الكُردية في أي وقت عبرت عن نفسها في انتفاضات مسلحة أو في نشاطات سياسية سرّية.

ملاحظات ختامية

ان واحدة من أهم النقاط التي حاولت هذه الدراسة التأكيد عليها هي انه نظراً لموقع كُردستان الجيوسياسي المتميز بوصفها بلداً منغلقاً يقع بين مجموعة دول (الإمبراطورية العثمانية وروسيا القيصرية وإيران القاجارية)، اتخذت المسألة الكُردية أهمية دولية استثنائية لأول مرة بالمقارنة مع بعض المسائل الأخرى كالمسألة العربية. ان الظهور التاريخي للنزعة القومية الكُردية ونموها كقوة سياسية تسعى الى تغيير الواقع لم تشترطه تطورات داخلية حاصلة في تركيا العثمانية وإيران القاجارية فحسب، بل أيضاً سياسات القوى الكبرى تجاه تينك الدولتين. وكما أوضحت هذه الدراسة، خضعت ردود أفعال صنّاع القرار البريطاني تجاه الوضع الكُردى المتغير لإستراتيجية امبريالية عامة غطت في أبعادها منطقة شاسعة مترامية الأطراف امتدت من حدود الهند في الشرق حتى مصر والبحر الأبيض المتوسط في الغرب. ان الأمر الجوهرى في نجاح تلك الإستراتيجية من عدمه هو تعزيز الموقف البريطاني في المناطق المُشرفة على الطرق البرية والبحرية المؤدية الى شبه القارة الهندية. فكلما قامت بريطانيا بتعديل إستراتيجيتها العامة، طرأ تغيير في المقابل على موقفها من مستقبل كُردستان. ومن خلال تقسيمها الى عدة أطوار تاريخية متميزة، جعلت هذه الدراسة من المُمكن اقتفاء أثر تنامي اهتمام بريطانيا بالشؤون الكُردية الداخلية ضمن سياق إستراتيجيتها العامة في الشرق الأوسط بين منتصف ثلاثينيات القرن التاسع عشر وبدايات عشرينيات القرن العشرين.

يغطي الطور الأول القرن التاسع عشر. وهذا الطور تميّز بالتناقض بين تطلعات القوميين الكُرد السياسية في إنشاء كُردستان منفصلة ومستقلة ومصالح بريطانيا الإستراتيجية العليا. وشهد هذا الطور تنامي اهتمام البريطانيين بشؤون الكُرد، نظراً لقلقهم حول حماية الوحدة الاقليمية للإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية. فهاتان الدولتان عدّتا السياسة البريطانيين موانع رئيسة بوجه النزعة التوسعية الاقليمية لروسيا القيصرية المُتجهة صوب حوض البحر الابيض المتوسط ومنطقة الخليج. ففي ظل تلك الشروط السياسية القلقة والتناقضات الإستراتيجية، صار من الطبيعي أن تراقب بريطانيا عن كثب بروز النزعة القومية الكُردية وما شكلته من تهديد جدي للأقاليم الداخلية العائدة للإمبراطورية العثمانية وإيران القاجارية. ونظراً

لوجود هذا الخطر المهدد لمصالحها الإستراتيجية، تميّزت ردود فعل البريطانيين بسلبيتها نحو سلسلة انتفاضات كُردية اندلعت في أنحاء متفرقة من كُردستان خلال القرن التاسع عشر، حتى أن البريطانيين بادروا الى مساندة السلطات العثمانية والقاجارية في الدفاع عن أقاليمها من التهديدات الداخلية والخارجية على حدٍ سواء.

وغطى الطور الثاني الفاصل الزمني الممتد من نهاية القرن التاسع عشر الى نشوب الحرب العالمية الأولى في العام ١٩١٤. ففي هذا الطور، اعتبرت بريطانيا تنامي النفوذ السياسي والاقتصادي لالمانيا القيصرية في منطقة الشرق الأوسط، خاصة بعد وقوع ثورة تركيا الفتاة (١٩٠٨)، الخطر الرئيس الذي يُهدد مصالحها الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية في الإمبراطورية العثمانية وإيران القاجارية ومنطقة الخليج. وأتسم هذا الطور، بقدر ما يتعلق الأمر بالمصالح البريطانية في كُردستان، ببذل البريطانيين جهوداً حثيثة لبيسط نفوذهم السياسي والاقتصادي على مناطق كُردستان الجنوبية، فضلاً عن موافقتهم على وضع كُردستان الشرقية المضطربة سياسياً واجتماعياً ضمن منطقة النفوذ السياسي لروسيا القيصرية في العام ١٩٠٧، وذلك بهدف إعادة الاستقرار الى تلك المناطق الحدودية الحساسة، التي تفصل تركيا العثمانية عن إيران القاجارية. بتعبير أدق، أصبح اهتمام بريطانيا بكُردستان أكثر وضوحاً ومباشرة، وإن قرارها في إقامة قنصليات عدة في كُردستان العثمانية وكُردستان القاجارية، على غرار القوى الكبرى الأخرى، عبّر عن مدى تنامي اهتمامها بشؤون المناطق الكُردية. وبالرغم من ان لحكومة تركيا الفتاة ميولاً قوية نحو المانيا، ظلّ الساسة البريطانيون ملتزمين بقوة بمبدأ صيانة الوحدة الإقليمية للإمبراطورية العثمانية، طبقاً لذلك المبدأ عارضوا التطلعات السياسية لأية قوة داخلية تسعى الى تغيير الوضع القائم، كالحركات القومية الكُردية والأرمنية.

وغطى الطور الثالث السنوات الثلاث الأولى من الحرب العالمية الأولى، الذي شهد تحولاً غير مسبوق في الموقف البريطاني تجاه المستقبل السياسي للإمبراطورية العثمانية، خاصة مصير الولايات غير التركية في كُردستان وميزوبوتاميا وسوريا الكبرى. وهذا التحول الكبير عبّر عن نفسه في تحلي بريطانيا عن مبدئها التقليدي القديم المتمثل بصيانة الوحدة الإقليمية للإمبراطورية العثمانية. وقسّمت اتفاقية سايكس- بيكو الثلاثية لعام ١٩١٦، التي أدى البريطانيون دوراً أساسياً في وضع

بنودها، كُردستان العثمانية سياسياً واقتصادياً الى مناطق نفوذ ومناطق خاضعة للسيطرة المباشرة بين قوى الحلفاء الثلاث (فرنسا وروسيا وبريطانيا) الذين دخلوا الحرب ضد القوى المركزية (المانيا القيصرية والنمسا والإمبراطورية العثمانية). وكان من المحتمل جداً ان تُخضع روسيا القيصرية كُردستان الشرقية لسيطرتها السياسية والاقتصادية المباشرة. لقد منح وقوع الحرب بريطانيا فرصة غير مسبوقة لها لتعزيز نفوذها في كُردستان الجنوبية استراتيجياً واقتصادياً وسياسياً، بهدف تعزيز حمايتها لمصالحها في ميزوبوتاميا العربية ورأس الخليج. وكانت لهاتين المنطقتين أهمية قصوى بالنسبة الى أمن التواجد البريطاني في شبه القارة الهندية. مع ذلك، ظلت بريطانيا، كما كانت هي من قبل، تنظر بعدم الرضا الى التطلعات السياسية للقوميين الكُرد.

أتسم الطور الرابع بإدراك صناع قرار السياسة الخارجية في لندن عدم إمكانية تطبيق بنود عدة من اتفاقية سايكس-بيكو بوصفها قاعدة لإنشاء نظام إقليمي جديد في منطقة الشرق الأوسط. وناهيك عن وجود مصاعب مالية حادة خلقها استمرار الحرب لفترة طويلة غير متوقعة، عكس الموقف البريطاني الجديد حدوث تحولات على الأوضاع الدولية ونشوء استقطاب جديد للقوى في أعقاب انسحاب الجيوش الروسية من الحرب بعد استيلاء البلشفيين على السلطة السياسية في شهر تشرين الثاني (١٩١٧) ودخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد القوى المركزية في شهر نيسان (١٩١٧). إن واحدة من أهم تداعيات تلك التطورات غير المتوقعة هي قرار الحكومة البريطانية بالسيطرة على جميع مناطق كُردستان الجنوبية في محاولة منها لمنع الفرنسيين من نيل حصتهم الإقليمية فيها. وكانت حسابات إستراتيجية هي الدافع الرئيس وراء ذلك القرار، الرامي الى تعزيز أمن موقف بريطانيا في ميزوبوتاميا العربية وفي منطقة الخليج الى الجنوب منها، وكذلك الإشراف على الطرق الإستراتيجية المؤدية الى شمال إيران المارة عبر كُردستان الجنوبية وكُردستان الشرقية. أما الحسابات الاقتصادية فأدت دوراً ثانوياً من حيث التأثير في القرار البريطاني الأنف الذكر، بالرغم من ان البريطانيين كانوا على إطلاع بوجود ثروة بترولية كامنة في كُردستان الجنوبية.

وشمل الطور الخامس نهاية الحرب العالمية الأولى في شهر تشرين الثاني (١٩١٨) وعقد معاهدة سيفر في شهر آب (١٩٢٠). ففي هذا الطور اتخذت بريطانيا المبادرة من

أجل تعديل بنود اتفاقية سايكس- بيكو القديمة. وبفضل تلك التعديلات تمكنت بريطانيا من وضع كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا العربية تحت انتدابها، في حين فرضت فرنسا سيطرتها على الجزء الغربي من كُردستان العثمانية. وشملت الدولة الارمنية المقترحة مناطق كُردية واسعة، في وقت كان من المفترض ان تتمتع فيه بقية مناطق كُردستان العثمانية بحكم ذاتي، يُمكن ان يتطور الى حالة الاستقلال السياسي الناجز، إذا ارتأى الحلفاء ذلك. إذن، السمة الغالبة لهذا الطور هو انه بالرغم من اعترافها بوجود تطلعات قومية كُردية، ظلّت بريطانيا ترى مصلحتها في إعادة تقسيم كُردستان بين ميزوبوتاميا البريطانية وسوريا الفرنسية والدولة الارمنية المستقبلية. وكان احتواء الخطر البلشفي المتنامي ومنع فرنسا من بسط نفوذها الاقتصادي والسياسي على كُردستان العثمانية وتعزيز الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا وضمان وحدة إيران القاجارية الإقليمية أهم العوامل التي أثرت في طريقة تعامل بريطانيا مع تسوية المسألة الكُردية في المؤتمرين الدوليين: باريس وسان ريمو.

تزامن الطور السادس والأخير مع عملية إنشاء دولة عربية في العراق تحت سلطة الأمير فيصل بن حسين في الأعوام ١٩٢١-١٩٢٣. اتسم هذا الطور بسعي البريطانيين الحثيث الى تحويل تقسيم كُردستان العثماني الفعلي الى تقسيم قانوني مُعترف به دولياً. ولم تكن بريطانيا قد قررت بعدُ تحويل كُردستان الجنوبية الى كيان منفصل أو دمجها بميزوبوتاميا العربية ضمن دولة واحدة، بالرغم من إنها وضعت المنطقتين تحت انتداب واحد. وينتهي هذا الطور بقرار حكومة المحافظين الجديدة في لندن بإلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق على الضد من إرادة أهاليها وتطلعات زعاماتها المحلية. وعبر القرار البريطاني هذا عن تضافر جُملة مخاوف تتعلق بقدرة الدولة العراقية الجديدة على الديمومة استراتيجياً واقتصادياً وسياسياً. كانت للبريطانيين قناعة راسخة، خاصة بين أولئك الذين كانوا يعملون على الأرض، بأن الدولة العراقية لا تمتلك المقومات اللازمة للبقاء إذا لم تُلحق بها المناطق الكُردية الجنوبية. ومنذ ذلك الحين وصاعداً، اتخذت بريطانيا موقفاً عدائياً صريحاً تجاه الحركات القومية الكُردية، بل وعملت على قمعها بالتنسيق وبالتعاون مع السلطات المركزية في إيران وتركيا والعراق، التي انقسمت بينها أرض كُردستان وشعبها.

يُمكن الخروج بثلاثة استنتاجات أساسية بشأن نشوء الاهتمام الذي أبداه البريطانيون بالوضع الكردي وتطوره وموقف حكومة لندن تجاه المسألة الكردية، خاصة خلال المدة ١٩١٨-١٩٢٣. ويتمثل الاستنتاج الأول بغلبة الحسابات الإستراتيجية على الحسابات الاقتصادية، بوصفها الدافع الرئيس للسياسة البريطانية تجاه مستقبل كردستان السياسي. فُردستان تمتعت بموقع جيوسياسي متميز، وكان هذا العامل الأكثر تأثيراً في طريقة تعامل المسؤولين البريطانيين مع الوضع الكردي. ولهذا ينبغي قراءة ردود الأفعال الحكومة البريطانية تجاه الحركات القومية الكردية النامية ضمن سياق إستراتيجيتها العامة في منطقة الشرق الأوسط. هذه الإستراتيجية التي تمحورت حول دعم الاستقرار السياسي في آسيا الصغرى وميزوبوتاميا وإيران ومنطقة الخليج. وكانت لكردستان من الناحية الاقتصادية أهمية ثانوية بالنسبة إلى صناعات القرار السياسي البريطانيين بالمقارنة مع قيمتها الإستراتيجية. ويُمكن الرجوع بجذور الاهتمام البريطاني ببتترول المنطقة الكردية إلى بداية القرن العشرين حين بدأت أساطيل القوى الكبرى تستخدم البترول كوقود لها بوتيرة متصاعدة. ولهذا أصبح أمراً حيوياً للغاية بالنسبة إلى القوى البحرية الكبيرة، خاصة بريطانيا، الحصول على منفذ مباشر ومضمون إلى البترول والاحتياجات البترولية تحت جميع الظروف، خاصة في زمن الحرب.

لقد تنامت المصالح البريطانية في كردستان أساساً كردود فعل على التحولات الحاصلة في الوضع الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط، التي أفرزها تدهور قوة الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية، اللتين ظلتا عاجزتين عن منع القوى الأجنبية من التدخل المتزايد في شؤونهما السياسية والاقتصادية الداخلية. ومنذ منتصف القرن التاسع عشر وصاعداً، صارت منطقة الشرق الأوسط مسرحاً للمنافسة الشديدة والصراع المُحتد بين القوى الأوربية الرئيسة من أجل فرض سيطرتها السياسية والاقتصادية عليها. وبقدر ما يتعلق الأمر بكردستان، رأت بريطانيا في روسيا القيصرية الخطر الرئيس الذي يجب احتواءه خلال القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين. وفي الحقبة اللاحقة الممتدة من العام ١٩٠٧ إلى العام ١٩١٨، حلت ألمانيا القيصرية مكان روسيا بوصفها المنافس السياسي والاقتصادي الأول لبريطانيا في المناطق الداخلية من الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، برزت روسيا البلشفية الثورية، ناهيك عن فرنسا ذات

التطلعات الامبريالية التقليدية، التهديد الأكثر جدية للموقف البريطاني في الشرق الأوسط. ولهذا تحتم على صنّاع القرار في لندن إعادة النظر في مصالح بريطانيا وأولوياتها لدى رسم مستقبل الإمبراطورية العثمانية والأقاليم التابعة لها بين عامي ١٩٢٠ و١٩٢٣.

وتمثّل الاستنتاج الثاني، الذي خرجت به هذه الدراسة، بأنه في غياب سياسة مُحددة المعالم لدى الحكومة البريطانية وعدم إطلاعها الدقيق على الوضع الكردي بشكل ملحوظ بعد انتهاء الحرب تمكّن بعض الموظفين البريطانيين العاملين ميدانياً من أداء دور في تحديد مستقبل كردستان أكثر بكثير مما كانوا سيؤدونه تحت ظروف اعتيادية أخرى. فبين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠ أدى الكولونيل ولسون، بوصفه المفوض المدني بالوكالة، والميجر نوئيل، بوصفه أكثر الموظفين البريطانيين خبرة وإطلاعاً على الشؤون الكردية، دوراً مهماً في تزويد الحكومة البريطانية بالتفاصيل الضرورية الخاصة بالوضع الكردي لمرحلة ما بعد الحرب. فلم يضع الاثنان بصمتهما على طريقة تعامل الحكومة البريطانية مع المسألة الكردية فحسب، بل أيضاً أثراً بمسار التطورات السياسية في كردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية في المدة ١٩١٨-١٩٢٠. أمّا في المدة التالية ١٩٢١-١٩٢٣، فقد أدى برسي كوكس، بوصفه المفوض السامي الجديد، دوراً مماثلاً، إذا لم يكن دوراً أكثر مصيرية، في رسم مستقبل كردستان الجنوبية، حين عبّد الدرب أمام إلحاقها قسراً بالدولة العربية في العراق.

والاستنتاج الثالث والأخير هو ان المراجعة السريعة الأنفة الذكر حول تطور السياسة البريطانية تجاه كردستان والتعرجات التي شابتها تُبيّن عدم التقاء مصالح بريطانيا الإستراتيجية، حتى ولو بصورة جزئية، مع التطلعات القومية للكرد خلال أي طور من أطوارها التاريخية، على النقيض، مثلاً، من طموحات الحركات السياسية الشريفة أو الارمنية أو الصهيونية المعاصرة لها، إذ هناك باستمرار تضاد واضح بين متطلبات نجاح السياسة البريطانية تجاه الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية والأهداف السياسية للحركات القومية الكردية في جميع أجزاء كردستان. ففي القرن التاسع عشر والى اندلاع الحرب العالمية الأولى، ساندت بريطانيا الوحدة الإقليمية للإمبراطورية العثمانية وإيران القاجارية، ولهذا كانت تخشى، بل وتعادي، النزعة القومية الكردية بوصفها قوة تدعو الى التغيير وزعزعة الاستقرار الداخلي لتينك

الدولتين. ولم تكن بريطانيا على استعداد للتعاطي مع مسألة الاضطهاد الذي كان يتعرض له الكرد على أيادي الأتراك في المؤتمرات الدولية، على النقيض من موقفهم المتعاطف مع الرعية المسيحية الارمنية. وحين اندلعت الحرب، اتخذت بريطانيا دور المبادر في وضع بنود اتفاقية سايكس-بيكو الثلاثية، التي تضمنت تقسيم كردستان بين قوى الحلفاء الرئيسيين، روسيا القيصرية وفرنسا وبريطانيا. وفي الحقبة التي تلت انتهاء الحرب، اتخذت بريطانيا لمرة أخرى دوراً مهماً في ترجمة تجزئة كردستان الى حقيقة ملموسة بحسب بنود معاهدة سيفر (١٩٢٠) وفقرات اتفاقية لوزان (١٩٢٣). وتدخلت مصالح بريطانيا الإستراتيجية والاقتصادية في كردستان الجنوبية، بسبب أهمية هذا الإقليم بالنسبة الى أمن ميزوبوتاميا العربية والثروة البترولية الكامنة فيها. وعلى ضوء الاستنتاج الأخير وكذلك الأوضاع المحيطة بعملية ظهور الشرق الأوسط الحديث، يبدو من المنطقي طرح السؤال الآتي: هل بإمكان المرء ان يُحمّل القوميين الكرد مسؤولية عدم ظهور كردستان مستقلة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أو ينبغي عليه ان يُلقي فشل مشروع قيام دولة كردية على عاتق القوى الكبرى، خاصة بريطانيا العظمى، بوصفها الدولة الأكثر تأثيراً في الوضع الكردي؟ للرد على هذا السؤال البالغ الصعوبة، على المرء ان ينظر ملياً في الأوضاع السياسية الجديدة التي خلقتها الحرب. فانهاء المعارك بين قوى الحلفاء والقوى المركزية كان بمثابة بداية لعصر سياسي جديد في تاريخ الشرق الأوسط، وذلك بسبب انهيار الإمبراطورية العثمانية تحت الضغط الخارجي وتآكل المملكة القاجارية بفعل الضغوط الداخلية. وهاتان القوتان الإقليميتان كانتا قد اتسمتا بتعدديتهما الأثنية والدينية والثقافية. ومن جانب، أنكب الحلفاء المنتصرون، خاصة بريطانيا، على إعادة رسم الخريطة الجيوسياسية للأقاليم العثمانية غير التركية، كشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وميزوبوتاميا العربية وكردستان العثمانية، فضلاً عن إيران القاجارية، ومن جانب ثانٍ، بدأت النخب السياسية لما عُرفت بالقوميات الجديدة، كالكرد والعرب واليهود الصهاينة والأرمن، نشاطاتها السياسية والفكرية بشكل محموم من اجل خلق كيانات قومية وذلك من خلال كسب ود قوى الحلفاء وبالتعاون الوثيق معها.

ففي ظل تلك الشروط الاستثنائية البالغة التعقيد وتنوع العوامل وتضارب المصالح وتغير المواقف والاتجاهات، أدت المصالح الامبريالية لقوى الحلفاء، خاصة

بريطانيا، دوراً مؤثراً للغاية، إن لم يكن هو الدور الحاسم، في رسم مستقبل تلك القوميات الجديدة. وبقدر ما تعلق الأمر بكردستان، لم تُبسط بريطانيا سيطرتها ونفوذها على المناطق الكردية الجنوبية فحسب، بل أيضاً كانت طرفاً معنياً بشكل مباشر وأساسي في جميع الاتفاقيات التي أدت الى تجزئة كردستان بين سوريا الفرنسية وتركيا- الكمالية والعراق العربي الخاضع لانتدابها بين عامي ١٩٢٠ و١٩٢٣. بتعبير آخر، إذا كانت مسألة تعزيز مصالحها الامبريالية يتطلب قيام دولة كردية في المدة ١٩١٨-١٩٢٣، لاتخذت بريطانيا المبادرة في ذلك الاتجاه ومن دون تردد، على الأقل، في إقليم كردستان الجنوبية الخاضع لسيطرتها. وهناك جملة أمثلة شاحصة حول قيام دول جديدة في الشرق الأوسط تطلبت المصالح البريطانية إنشائها كما في ميزوبوتاميا وشبه الجزيرة العربية وشرق الأردن. مع ذلك، لا ينبغي للمرء ان يتجاهل دور الحركات القومية الكردية نفسها في قضية عدم ظهور دولة كردية مستقلة. فتلك الحركات عانت من انقسامات سياسية واضحة بسبب هيمنة العلاقات العشائرية على المجتمع الكردي. كما تميزت كردستان بكونها بلاداً تضم مناطق جبلية كثيرة، كانت تعاني من قلة الطرق والسكك الحديدية ووسائل الاتصالات الأخرى، وهي عوامل دفعت بأهاليها نحو الانعزال والتمسك بالنزعة المحلية. إن الأمر الذي صعّد من سوء الأوضاع قد تتمثل بإجراءات عدد من الموظفين البريطانيين الميدانيين، الذين عملوا على قطع الصلات السياسية بين كردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية وبقية المناطق الكردية، بدلاً من تعزيزها. ففي ظل تلك الشروط الاجتماعية والجغرافية والسياسية، أصبح من الصعب جداً تنظيم حركة قومية كردية واسعة على مستوى كردستان الكبرى تكون خاضعة لقيادة كردية واحدة، تمتلك برنامجاً متجانساً من حيث الغايات وإستراتيجية واضحة المعالم لتحقيق تلك الغايات. ونتيجة لكل ذلك، عجز القوميون الكرد عن أداء دور فاعل ومؤثر في مسار تلك التطورات السياسية التي أثرت على مستقبل كردستان بشكل مباشر وحاسم.

المصادر

(٨) المصادر الأولية غير المنشورة: (Unpublished Documents)

India Office Library (London)

India Office (IO)

Letters, Political and Secret, File 10 (**LP & S 10/345**, 652, 781, 745, 781-782, 815, 818)

Letters, Political and Secret, File 11 (**LP & S 11/3**, 8, 18, 36, 74, 84, 115)

Public Record Office (Kew Garden)

1- Air Ministry (AIR)

Unregistered Papers (**AIR20/512**, 513, 714)

2- Cabinet Office (CAB)

Cabinet Registered Files, 1917-1920 (**CAB21/186**, 119)

War Cabinet Minutes, 1916-1919 (**CAB23/7**, 14, 43, 45)

War Cabinet Memoranda, 1915-1920 (**CAB24/1**, 3, 89, 133, 139, 140)

Cabinet Committees (Eastern Committee Minutes), **CAB27/1**, 14, 24, 206)

Allied & International Conferences on the Terms of Peace and Related Subjects, 1920-1921 (**CAB29/90**, 91, 92)

Miscellaneous Cabinet Papers, 1912-1916 (**CAB37/118**, 119, 120, 121, 122)

3- Colonial Office (CO)

Mesopotamia, Original Correspondence, (**CO730/ 1**, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 13, 19, 20, 21, 22, 23, 40, 41, 42, 43, 44, 133/6, 150/6, 157/6-7-8, 161/1-2, 161/4)

4- Foreign Office (FO)

Embassy & Consular, 1900-1914 (**FO195/2276**)

Confidential Print (**FO424/254**, 255, 256, 257, 258, 259)

Turkey & Persia, Diplomatic 1900-1923 (**FO371/12**, 345, 496, 767, 956, 1010, 1263, 1466, 1713, 1714, 1715, 1773, 1773, 2062, 2130, 2140, 2737, 2767, 2991, 3381, 3384, 3385, 3386, 3404, 3407, 3858, 4122, 4141, 4147, 4149, 4157, 4162, 4192, 4193, 5046, 5067, 5068, 5069, 5070, 5073, 5085, 5232, 6340, 6342, 6343, 6344, 6346, 6347, 6348, 6349, 6353, 6360, 6364, 6367, 6369, 6442, 6467, 6469, 6481, 6526, 6560, 7771, 7772, 7780, 7781, 7782, 7797, 7800, 7801, 7805, 7808, 7824, 7826, 7835, 7844, 7858, 7859, 7948, 7964, 7966, 7967, 7968, 9004, 9005, 9006, 9007, 9009-9010, 9013, 9014, 9016, 9017, 9018, 9021, 9039, 9058, 9060, 9061, 9062, 9063, 9109, 9021, 9149, 10097, 10833, 10835, 10868, 11458-11460, 11464, 11468, 11478, 12255, 12265, 13027, 13032, 13759, 13821, 13827, 14521, 14523, 15310, 15311, 16038, 16917, 17874, 18948, 18949, 40219, 61678,

Others:(**FO248/1246**) (**FO331/1431, 1432**) (**FO406/40, 41**) (**FO925/1714**)

5- Foreign Office: Private Papers (FO800)

Papers of Balfour, Arthur J.

Papers of Sir Oliphant, L.

Papers of Sir Sykes, Mark

Papers of Toynbee, Arnold

War Office: Correspondence & Papers, 1920-1921

Correspondence & Papers, (**WO106/195, 196, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 209, 210**)

WO78 (Maps & Plans)

Private Papers

Balfour, Arthur. J. British Museum

Edmonds, C.J. (Private Paper Collection, Middle East Centre, Oxford University)

Wilson, Arnold. T. (Wilson Papers, Add. Mss. 52455, British Library)

Young, Hubert. (Private Paper Collection, Middle East Centre, Oxford University)

(Published Documents) : المصادر الأولية المنشورة: (٢)

1- Her Majesty's Stationary Office, London (HMSO):

-British Documents on the Origins of the War, (ed.) Gooch, G.P. & Temperley, Harold (1928 & 1936)

-British Documents on British Foreign Policy, 1919-39, 1st series. Vol.s i-v (1947-1956) (ed.) E.L. Woodward & Rohan Butler

-British Documents on British Foreign Policy, 1919-39, 1st series. Vol.s iv (1952), viii, viii (1952 & 1958), xiii (1963) (ed.) J.P.T. Bury & Rohan Butler.

Admiralty:

A Handbook of Mesopotamia, Four Vol.s, (London: 1918 & 1920)

-British & Foreign State Papers, 1917-1918 Vol.cxi (1912) (Compiled by E. Parkes)

Colonial Office:

Report of Iraq Administration, October 1920-March 1922 (Undated)

Foreign Office:

Mesopotamia (Peace Handbook No.63, 1920)

Great Britain, Parliamentary & Command Papers (Cd & Cmd):

-Parliamentary Papers: Corresponding respecting the Kurdish Invasion of Persia, Vol.100, No.5, Year 1881

- Cd 5635: Baghdad Railway, No.i (1911)
- Cd 7628: Events Leading to the Rapture of Relations With Turkey, No.13 (1914)
- Cd 8074: Despatches Regarding Operations in the Persian Gulf and Mesopotamia
- Cd 53: Armistice of Mudros (1919)
- Cmd.300: Agreement: Great Britain and Persia, August 9th 1919
- Cmd.675: Memorandum Signed at San Remo on April 24th 1920, between M. Philippe.. and Sir John Cadman, (San Remo Agreement 1920)
- Cmd.964: Treaty of Peace with Turkey (signed at Sevres on August 10th 1920)
- Cmd.1061: Review of the Civil Administration of Mesopotamia From 1914 to the Summer of 1920, (by G.L. Bell 1920)
- Cmd.1070: Memorandum of the State Secretary for War Relating to the Army Supplementary Estimate for 1920-1921, (1920)
- Cmd.1176: Draft Mandate for Mesopotamia and Palestine as Submitted to the Approval of the League of Nations, (1921)
- Cmd.1500: Final Draft of Mandates for Mesopotamia and Palestine, (1921)
- Cmd.1757: Treaty with H.M. King Feisal, October 10th 1922, (1922)
- Cmd.1929: (Lausanne) Treaty of Peace with Turkey and Accompanying Straits Convention and Declaration on the Administration of Justice, (July 24th 1923)
- Cmd.2120: Protocol of April 30th 1923 and Agreements Subsidiary to the Treaty with King Feisal, (1924)
- Cmd.5957: Correspondence between Sir Henry McMahon, His Majesty's High Commissioner at Cairo, and the Sharif Hussein of Mecca, July 1915-March 1916, (1939)
- Parliamentary Debates, House of Commons: 1918-1923, 5th Series, Vol.s 109- 281
- Parliamentary Debates, House of Lords: 5th Series, Vol.s 33-88

2-Others Published Documents

- Diplomacy in the Near and Middle East, Vol.II, (ed.) J.C.Hurewitz, Princeton: D. Van Nostrand, 1956.
- Foreign Relations of the United States: the Paris Peace Conference, 1919 , Vol. IV-VIII &IX XII
- Official History of the Great War: The Campaign in Mesopotamia, 1914-1918, Vol.I-IV, (ed.) F.H. Moberly, London: HMSO, 1923-1927)
- The Papers of Woodrow Wilson
- Papers Relating to The Foreign Relations of the United States: Paris Peace Conference, 1919, Vol. I-XIII, Washington D.C.: US Government Printing Office, 1942-1947.

-Soviet Documents on Foreign Policy, 1917-1924, Vol.II (ed.) Jane Degras, London: Oxford University Press, 1951.

Memoirs, Private Letters & Personal) المذكرات والأوراق الخاصة: (Accounts (الانكليزية)

Adivar, H.E., Conflict of East and West in Turkey, Lahore: Ashraf, 1935.

Amery, Leopold, My Political Life: War and Peace, 1914-1929, Vol.I & II, London: Hutchinson, 1953.

Aralov, S.I., -'In the Turkey of Attaturk' (Reminiscences of an Ambassador), International Affairs, No.8, August 1960 & No.10, October 1960 & No.11 November 1960.

-'on Lenin's Instructions', International Affairs, No.4 April 1960.

Bell, Gertrude Lowthian, Amurath to Amurath, London: William Heinemann, 1911.

Bell, Lady, The Letters of Gertrude Bell., Vol.I & II, London: Ernest Benn, 1927.

Bentwich, Norman and Helen, Mandate Memories, 1918-1948, New York: 1965.

Bowman, Humphrey, Middle East Window, London, New York & Toronto: Lonhman, Green, 1942.

Burgoyne, Elizabeth, Gertrude Bell: From Her Personal Papers, 1914-1926, London: Ernest Benn, 1958.

Churchill, Winston S., The World Crisis, Vol.I-VI, London: Library of Imperial History, 1925-1929.

Djemal Pasha, Memories of a Turkish Statesman, 1913-1919, Translated by C. Sykes, New York: Hutchinson & Co. Paternoster Row, 1922.

Edmonds, C.J., Kurds, Turks and Arabs: Politics, Travel and Research in North-Eastern Iraq, 1919-1925, Oxford University Press, 1957.

Hay, W.R., Two Years in Kurdistan, London: Sidgwick & Jackson Ltd., 1921.

Kemal, G. Mustafa, A Speech Delivered by G. Mustafa Kemal (President of the Turkish Republic, October 1927, Leipzig: K.F. Koehler Publisher, 1929.

- Lloyd George, David,-War Memoirs of David Lloyd George, Vol.I-VI,
Boston: Little, Brown, 1933-1937.
-The Truth About the Peace Treaties, Vol.I-
II, London: Victor Gollanz, 1938.
-Memoirs of the Peace Conference, Vol.I-II,
New Haven: 1938-1939.
- Meinertzhagen, R., Middle East Diary, 1917-1956, London: 1959.
- Miller, D.H., My Diary at the Conference of Paris, 1918-1919, Vol.III, New
York: 1928.
- Phillips, Percival, Mesopotamia, the Daily Mail Inquiry at Baghdad,
London: Associated Newspapers, 1922.
- Rawlinson, A., Adventure in the Near East, 1918-1922 , London: Jonathan
Cape, 1934.
- Rhodes James, Robert,Winston S. Churchill: His Complete Speeches, 1897-
1963, Vol.III, 1914-1922 & Vol.III, 1922 1928, Chelsea House
Publishers, London & New York 1974.
- Riddell, Lord, Lord Riddell's Intimate Diary of the Peace Conference and
After, 1918-1923, London: Gollancz, 1933.
- Sazonov, S., Fateful Years, 1909-1916, London: 1928.
- Sinderson, H.C., Ten Thousand and One Nights: Memories of Iraq's
Sharifian Dynasty, London: 1959.
- Soane, E.B., To Mesopotamia & Kurdistan in Disguise, London: John
Murry, 1926.
- Sykes, Mark, Dar-Ul Islam, A Record of a Journey through Ten of the
Asiatic Provinces of Turkey, London: Pickers & Son, 1904.
- Temperley, H.W.V., A History of Peace Conference of Paris, Vol.I-III
(1920) Vol.IV-V (1921) Vol.VI (1924), London: Oxford University
Press.
- Townshend, C.V., My Campaign in Mesopotamia., London 1920.
- Wilson, A.Tabot,-Loyalties: Mesopotamia 1914-1917, London: Oxford
University Press, 1930.
-Mesopotamia, 1917-1920: A Clash of Loyalties,
London: Oxford University Press, 1931.
-South West Persia, London: Oxford University
Press,1941.

Wilson, Woodrow, The Papers of Woodrow Wilson, Vol. XXXV, Princeton, N.J: Princeton University Press, 1984.

Wratislaw, A.C., A Consul in the East, London & Edinburgh: 1924.

Young, Hubert, The Independent Arab, London: John Murray, 1933.

(الكردية)

- حلمي، رفيق، ياداشت، ج ١ و ٢، بغداد، ١٩٨٨.
- خواجه، احمد، چيم دي، بغداد، ب ١، ١٩٦٨.
- تقي، احمد، ياداشته كاني احمد تقي، جمع جلال تقي، بغداد، ١٩٧٠.
- زيور، مهلا عهبدوللا، گهنجينه‌ی مهردان و يادداشتی رۆژانی ده‌به‌ده‌ری، جمع محمد الملا كريم، بغداد، ١٩٨٥.

(العربية)

- الايوبي، علي جودت، ذكرياتي، بيروت، ١٩٦٧.
- الحصري، ساطع، مذكراتي في العراق، ج ١ و ٢، بيروت، ١٩٦٧-١٩٦٨.
- الهاشمي، طه، مذكرات طه الهاشمي، ١٩١٩-١٩٤٣، بيروت، ١٩٦٧.
- السويدي، توفيق، مذكراتي، بيروت، ١٩٦٩.
- نوري باشا، احسان، انتفاضة اغري داغ: مذكرات جنرال نوري باشا، بيروت، ١٩٩٠.
- سلوبي، زنار (قدري جميل باشا)، في سبيل كردستان، بيروت- دار الكتاب، ١٩٨٨.

(الفارسية)

- ضيائي، شيخ روؤف، ياداشته‌های از كردستان، اشراف: عمر فاروقي، اورميه، ١٩٩١.
- نيكيئين، ب.، ايراني كه من شناختم، طهران، ١٩٥١.
- صافي، ابراهيم، پنجاه خاطرات از پنجاه سال، طهران، ١٩٨٩.

(Secondary Sources): المصادر الثانوية:

١- الكتب: (الانكليزية)

Allen, W.E.D. and Muratoff, Paul, Caucasian Battlefields: a History of the Wars on the Turco-Caucasian Border, 1828-1921, Cambridge: Cambridge University Press, 1953.

Anderson, M.S., The Eastern Question, 1774-1923, London: 1966.

- Bruinessen, Martin Van, Agha, Shaikh and State, the Social and Political Structures of Kurdistan, London & New Jersey: Zed Books, 1992.
- Busch, Biton Cooper, -Britain, India and the Arabs, 1914-1921, Berkeley: 1967.
- Mudros to Lausanne: Britain's Frontier in West Asia, 1918-1923, New York: State University of New York Press, 1976.
- Browne, Brigadier J. Gilbert, The Iraq Levies, 1915-1932, London: The Royal United Service Institution, 1932.
- Bulloch, J. & Morris, H., No Friends But the Mountains (The Tragic History of the Kurds), London: Viking, 1992.
- Carr, Edward H., The Bolshevik Revolution, Vol.III, London: Penguin Books, 1971.
- Chaliand, Gerard (ed.) A People Without a Country, Translated by Michael Pallis, London: Zed Press, 1980.
- Cumming, Harry H., Franco-British Rivalry in the Postwar Near East, London: Oxford University Press, 1938.
- De Novo, John A., American Interests and Politics in the Middle East, 1900-1939, Minneapolis: The University of Minnesota Press, 1963.
- Entessari, Nader, Kurdish Ethnonationalism, London: Lynne Rienner Publishers, 1992.
- Evans, Laurence, United State Policy and the Partition of Turkey, 1914-1924, Baltimore: The Johns Hopkins Press, 1965.
- Fatemi, Nasrollah Saifpour, Diplomatic History of Persia, 1917-1923: Anglo Russia Politics in Iraq, New York: Russell F. Moore, 1952.
- Fischer, Louis, The Soviets in World Affairs. A History of the Relations between the Soviet Union and the Rest of the World, 1917-1929, Vol. I & II, New Jersey & Princeton: Princeton University Press, 1951.
- Ghassemlou, Abdul Rahman, Kurdistan and the Kurds, Translated by Miriam Jell nkova, Prague: Publishing House of the Czechoslovakia Academy of Science, 1965.
- Gokay, Bulent, A Clash of Empires: Turkey Between Russian Bolshevism & British Imperialism, 1918-1923, London & New York: Tauris Academic Studies, 1997.

- Hough, R., First Sea Lord. An Authorised Biography of Admiral Lord Fisher, London: 1969.
- Hovannisian, Richard G.,-The Republic of Armenia, Vol.i: The First Year, 1918 1919 &
-The Republic of Armenia, Vol. ii: From Versailles to London, 1919-1920 &
-The Republic of Armenia, Vol. iii: From London to Sevres, February-August 1920
London, Bekeley, Los Angeles: University of California Press, 1996)
- Howard, H.N., The Partition of Turkey: Diplomatic History, 1913-1923, New York: 1931.
- Ireland, P.W., Iraq: A Study in Political Development, London: Jonathan Cape, 1937.
- Kazemzadeh, F., Russia, and Britain in Persia, 1864-1914: A Study in Imperialism, New Haven: 1968.
- Kedourie, Elie, England and the Middle East: The Destruction of the Ottoman Empire, 1914-1921, London: Bowes and Bowes, 1956.
- Kent, Marian -The Great Powers and the End of the Ottoman Empire, 1900 1923 (ed.), London: George Allen & Unwin, 1984.
-Oil and Empire: British Policy and Mesopotamian Oil, 1900 1921, New York: Barnes and Noble, 1976.
-Moguls and Mandarins: Oil, Imperialism and the Middle East in British Foreign Policy, 1900 1940, London: Frank Cass, 1993.
- Kinane, Derk, The Kurds and Kurdistan, London: Oxford, 1964.
- Kinross, Lord, Attaturk: A Biography of Mustafa Kemal, Father of Modern Turkey, New York: William Morrow, 1978.
- Klieman, Aaron S., Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921, Baltimore & London: 1970.
- Kreyenbroek, Philip G. & Allison Christine [ed.], Kurdish Culture and Identity, London: Zed Books, 1996.
- Kruger, Karl, Kemalist Turkey and the Middle East, London: George Allen & Unwin, 1932.
- Lee, Dwight Ervin, Great Britain and the Cyprus Convention of 1878, Harvard University Press, Cambridge Mass. 1934)

- Leslie, S., Mark Sykes; His Life and Letters, London: 1923.
- Longrigg, S.H., Iraq, 1900-1950, London: Oxford University Press, 1953.
- Lukitz, Liora, Iraq, the Search for National Identity, London: Frank Cass, 1995.
- Madhar Ahmad, Kamal, Kurdistan During the First World War, Translated By Ali Maher Ibrahim, London: Saqi Books, 1994.
- Main, Ernest, Iraq from Mandate to Independence, London: George Allen & Unwin, 1935.
- Marks, Sally, The Illusion of Peace: International Relations in Europe, 1918-1933, London: MacMillan, 1976.
- Marlowe, J., Late Victorian: A Biography of Sir Arnold Wilson, London: 1967.
- Marriott, J.A.R. The Eastern Question, an Historical Study in European Diplomacy, London: Oxford University Press, 1958.
- McCarthy, Justin, Muslims and Minorities: The Population of Ottoman Anatolia and the End of the Empire, New York: New York University Press, 1983.
- McDowall, David, -A Modern History of the Kurds, London & New York: I.B. Tauris, 1996.
- The Kurds, London: Minority Rights Group, Report No.23, 1982.
- McLean, David, Britain and Her Buffer State (The Collapse of the Persian Empire, 1890-1914), London: Royal Historical Society, 1979.
- Mejcher, Helmut, Imperial Quest for Oil: Iraq, 1910-1928, London: Ithaca Press, 1976.
- Monroe, Elizabeth, Britain's Moment in the Middle East, 1914-1956, Baltimore Md.: John Hopkins Press, 1963.
- Monteith, William, Kars and Erzeroum, with the Campaign of Prince Paskiewitch in 1828 and 1829, [1856]
- Nevakivi, Jukka, Britain, France and the Arab Middle East, 1914-1920, London: The Althone Press, 1969.

- Nicholson, Harold G., Curzon: The Last Phase, 1919-1925, New York: Harcourt, Brace & Co., 1939.
- Omissi, David C., Air Power and Colonial Control: the Royal Air Force, 1919-1939, Manchester: 1990.
- Olson, Robert, The Emergence of Kurdish Nationalism and the Sheikh Said Rebellion, 1880-1925, University of Texas Press, Austin 1989)
- Parkinson, C., The Colonial Office From Within, 1909 -1945, London: 1950.
- Ramazani, Rouhollah K., The Foreign Policy of Iran: A Developing Nation in World Affairs, 1500-1941, Charlottesville: University of Virginia Press, 1966.
- Ramsaur, Ernest Edmondson., Jr., The Young Turks:Prelude to the Revolution of 1908, Princeton: Princeton University Press, 1959
- Robbins, Keith, Politicians, Diplomacy and War in Modern British History, London: the Hambledon Press, 1994.
- Sachar, Howard M., The Emergence of the Middle East, 1914-1924, New York: Alfred A Knopf, 1969.
- Safrastian, Arshak, Kurds and Kurdistan, London: Arwell Press, 1948.
- Seaman, L.C.B., Post-Victorian Britain, 1902-1951, London: University Paperbacks, 1967.
- Shikara, Ahmad Abdul Razaq, Iraqi Politics, 1921-41: The Interaction Between Domestic Politics and Foreign Policy, Laam Ltd, 1986.
- Sluglett, Peter, Britain in Iraq, 1914-1932, London: Ithaca Press, 1976.
- Sonyel, Salahi R., Turkish Diplomacy, 1918-1923: Mustafa Kemal and the Turkish Nationalist Movement, London & Beverly Hills : Sage Publication Ltd, 1975.
- Spector, Ivar, The Soviet Union and the Muslim World, 1917-1958, Seattle: University of Washington Press, 1959.
- Sykes, C., Wassmuss, the German Lawrence , London, New York & Toronto: Longmans, Green, 1936.
- Temperley, H.W.V., A History of the Peace Conference of Paris Vol.I-VI, London: 1920-1924.

Toynbee, A. J., -Survey of International Affairs, 1925, Vol.1: The Islamic World since the Peace Settlement, London: Oxford University Press, 1927.

-The World after the Peace Conference, London: Oxford University Press, 1926.

Vere-Hodge, Turkish Foreign Policy, 1918-1948, Ambilly--Annemasse, 1950.

Webster, C., The Foreign Policy of Palmerston, Vol.II, London:G. Bell & Sons Ltd., 1951.

Wilson, Keith M., Empire and Continent: Studies in British Foreign Policy from the 1880's to the First World War, London & New York: Mansell Publishing, 1982.

(الكردية)

• جلیلی، جلیل، كوردەكانی ئیمپراتۆریه‌تی عوسمانی، وه‌رگیڕانی له پروسیییه‌وه كاوس قفطان، بغداد: ۱۹۸۷.

• خالفین، آی. آن، خهبات له پری کوردستانا، وه‌رگیڕانی له پروسیییه‌وه جه‌لال ته‌قی، ۱۹۸۲.

• كوچیرا، کریس، میژووی کورد له سه‌ده‌ی نۆژده‌و بیست‌دا، وه‌رگیڕانی محهمه‌دی په‌یانی، تاران، (بدون تاریخ).

• أحمد، کمال مظهر،

(۱) چهند لاپه‌په‌یه‌ك له میژووی گه‌لی کورد، به‌رگی یه‌که‌م، بغداد، ۱۹۸۵

(۲) کوردستان له سائه‌کانی جه‌نگی جیهانی یه‌که‌مدا، بغداد، ۱۹۷۵.

• أمین، صالح محمد، کورد وعه‌جه‌م، ۱۹۹۲.

• هاوار، محمد رسول،

(۱) شیخ مه‌حمودی قاره‌مان و ده‌وله‌ته‌که‌ی خوارووی کوردستان، ج ۱ و ج ۲، لندن:

جاف برس، ۱۹۹۰.

(۲) سمکو (ئیسماعیل ئاغای شکاک) و بزوتنه‌وه‌ی نه‌ته‌وایه‌تی کورد، السويد، ۱۹۹۶.

• شمزینی، عزیز، جولانه‌وه‌ی رزگاری نیشتمانی کوردستان، وه‌رگیڕانی فه‌رید نه‌سه‌سه‌رد، ۱۹۸۷.

• زکی، محمد أمین، خولاصه‌یه‌کی تاریخی کورد و کوردستان، لندن، ۱۹۸۲.

(العربية)

- الحاج، عزيز، القضية الكردية في العشرينيات، بيروت، ١٩٨٤.
- حمدي، وليد، كُرد وكُردستان في الوثائق البريطانية (دراسة تاريخية ووثائقية)، لندن: ١٩٩٢.
- بطاطو، حنا، الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية في العراق، ج١، بيروت: ١٩٩٢.
- الحسني، عبد الرزاق، - تاريخ الوزارات العراقية ج١ وج٢، بغداد، دار الشؤون الثقافية، طبعة ١٩٨٨، ٧.
- تاريخ العراق السياسي، بغداد، ١٩٨٣.
- العراق في ظل المعاهدات، بيروت، ١٩٥٨.
- حسرتيان، م. أ.، كُردستان ما بين الحربين، بيروت، دار الكتاب، ١٩٨٧.
- حسين، فاضل، مشكلة الموصل (دراسة في الدبلوماسية العراقية والانكليزية والتركية)، بغداد، (بدون تاريخ).
- جليل، جليلي، نهضة الاكراد الثقافية والقومية (نهاية القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين، ترجمة بابي نازي وآخرون، بيروت، ١٩٨٦.
- خصباك، شاكر، الكُرد والمسألة الكُردية، بغداد، ١٩٥٩.
- أحمد، كمال مظهر، دراسة في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥.
- نعيمة، كاظم، ملك فيصل، الاستقلال والانكليز، دار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٨.
- شريف، عزيز، المسألة الكُردية في العراق، بغداد، ١٩٤٦.
- شيركو، بلج (جلادت بدرخان)، القضية الكُردية (ماضي الكُرد وحاضرهم)، القاهرة: السعادة، (بدون تاريخ).
- طالباني، جلال، كُردستان والحركة التحررية الكُردية، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١.

(الفارسية)

- اسكندر نيا، ابراهيم، ايلات و عشائر اذربيجاني غربي (تاريخ ايلات و عشيرت)، طهران، (بدون تاريخ).
- كاويان پور، س أ، تاريخ رضائيه، طهران، (بدون تاريخ).
- خسروي، أ، تاريخ هژده سالي اذربيجان، طهران، ١٩٦٨.
- خاجه نوري، ابراهيم، بازيگران عصري طلائي، طهران، ١٩٧٨.
- مكي، حسين، تاريخ بيست ساله ايران، طهران، ١٩٧٩.
- نيكيئين، ب، كُرد وكُردستان، ترجمة م. قاضي، طهران، ١٩٨٨.

- شریفی، احمد، اسماعیل آغا شیکاک، طهران، ۱۹۶۹.
- شیفتا، نصرالله، ۳ مرد عجیب: لورنس و سیمکو و سیر فرهاد، طهران، ۱۹۸۵.

ب. دوریات، مقالات، کراریس: (الانکلیزیه)

- Amery, L.S., 'On Iraq, the Near East and India', Outlook, December 1926.
- Andrew, Christopher M., 'France, Britain and the Peace Settlement: A Reconsideration', -in- The Great Powers in the Middle east, 1919-1939, (ed.) Uriel Dann, London & New York: Holmes & Meir, 1988.
- Anon,-Three Difficult Months in Iraq' (1923)
 - 'Iraq since the beginning of the Year' (1924)
 - 'Reflections on the Mosul Problem' (1926) Journal of the Central Asian Society.
- Beaman, A.H., 'Lausanne and its Lessons', The Nineteenth Century and After, No.DIIII, March 1923.
- Beck, Peter J., 'A Tedious and Perilous Controversy: Britain and the Settlement of the Mosul Dispute, 1918-1926', Middle East Studies, 17, April 1981.
- Bourdillon, B.H., 'The Political Situation in Iraq', Journal of British Institution of International Affairs, November 1924.
- Bryson, Thomas A., 'An American Mandate for Armenia: A Link in British Near Eastern Policy', Armenian Review, 21, Summer 1968.
- Buell, R.L., 'Oil Interests in the Figh for Mosul', Current History, XVIII, 1923.
- Buxton, Noel, 'The Russians in Armenia', The Nineteenth Century And After, Vol.LXXIV, July-December 1913, pp.1357 1366.
- Cadman, J., 'The Oil Resources of the Empire', Journal of Royal Society of Arts, July 1920.
- Carter, J., 'The Bitter Conflict Over Turkish Oilfields', Current History, XXXIII, 1926.
- Churchill, Winston S., 'Mesopotamia and the New Government', Impire Review 38, No.270, July 1923.
- Cox, Jafna L., 'A Splendid Training Ground: The Importance of the Royal Air Force of its Role in Iraq, 1919-1932', Journal of Imperial and Commonwealth History 13, 1985.

- Cox, P.Z., 'Iraq', United Empire, 1929.
- Davidson, Roderic H., 'Iraq, the New State', Journal of the Royal Central Asian Society, 1932.
- 'Turkish Diplomacy From Mudros to Lausanne', - in- The Diplomats, 1919-1938 (ed.) Gordon A. & Felix Gilbert.
 - 'Middle East Nationalism: Lausanne Thirty Years After', Middle East Journal, No.3, Summer 1953.
- Dobbs, H., 'Relations between Great Britain and Iraq', The Empire Review, 1929.
- Dyer, G., 'The Turkish Armistice of 1918:- The Turkish Decision for a Separate Peace in Autumn, 1918
- Lost Opportunity: the Negotiations of Mudros', Middle Eastern Studies, No.8, 1972.
- Emerson, R., 'Iraq: The End of a Mandate', Foreign Affairs, January 1933.
- Fisher, H.A.L., 'Mr. Lloyd George's Foreign Policy, 1918-1922', Foreign Affairs, No.1, 15 March 1923.
- Garbett, C.C., 'Turkish Rule and British Administration in Mesopotamia', The Quarterly Review, 1919.
- Gauvain, August, 'Five Years of French Policy in the Near East', Foreign Affairs 3, No.2, December 15 1924.
- Gowan, C.H., 'Northern Iraq', Journal of the Royal Central Asian Society, 1938.
- Heathcote, D., 'Mosul and the Turks', Fortnightly Review, November 1925.
- Howell, E.B., 'The Qanun al-Aradhi of Iraq'
- 'River Control in Mesopotamia' Journal of the Royal Central Asian Society, 1922.
- Kedourie, Elie, 'Britain, France and the Last Phase of the Eastern Question', in: Soviet American Rivalry in the Middle East, (ed.) J.C. Hurewitz, Proceedings of the Academy of Political Science 29, No.3, 1969.
- Kent, Marian, 'British Policy, International Diplomacy and the Turkish Revolution', International Journal of Turkish Studies 3, Winter 1985-1986.
- 'Great Britain and the End of the Ottoman Empire, 1900-1923', -in- The Great Powers and the End of the Ottoman Empire, 1900-1923 (ed.) Kent Marian, op. cit.

- Lees, G.M., 'Two Years in Southern Kurdistan', *Journal of the Royal Central Asian Society*, 1928.
- Machray, R., 'Iraq and Other Arab Problems', *Fortnightly Review*, December 1922.
- McCarthy, Justin, 'Population in Eastern Turkey during World War I', *Newsspot*, 22 February 1985.
- Mejcher, Helmut, 'Iraq's External Relations, 1921-1926', *Middle Eastern Studies* 13, October 1977.
- Minorsky, V.E., 'The Mosul Question', *Bulletins 9 & 10 of the Reference Service on International Affairs of the American Library in Paris*, April 1926.
- Ormsby, Gore, W., 'Great Britain, Mesopotamia and the Arabs', *Nineteenth Century and After*, August 1920.
- Our Special Correspondent: 'The Mesopotamian Oilfields', *Oil Engineering and Finance*, February 1923.
- Rubin, Barry, 'America as Junior Partner: Anglo-American Relations in the Middle East, 1919-1939',-in- *The Great Powers in the Middle east, 1919-1939*, (ed.) Uriel Dann, (London & New York: Holmes & Meir, 1988.
- Sassoon, P., 'Air Power in the Middle East', *Journal of the Royal Central Asian Society*, 1933.
- Shiel, Lieu. Col. J., 'Notes on a Journey from Tabriz through Kurdistan via Van, Bitlis and Erbil to Sulaimaniya in July and August 1836' *Journal of the Royal Geographical Society*, 1838.
- Shuttleworth, D.I., 'Turkey from the Armistice to the Peace, 1919-1926', *Journal of Central Asian Society*, No.11, 1924.
- Stivers, William,-'International Politics and Iraqi Oil, 1918-1928', *Business History Review* 55, Winter 1981.
-Supremacy and Oil: Iraq, Turkey and the Anglo-American World Order, 1918-1930, London: Cornell University Press, 1982.
- Toynbee, A. J., 'Great Britain and France in the East', *Contemporary Review* 121, January 1922.
- Van Rooy, Silvio, 'The Struggle for Kurdistan', *Survey* No.43, August 1962.

'Visits of Messrs Wright and Breath to Bader Khan Bey' in American Missionary Herald, 42, November 1846.

White, S., -'Communism and the East: The Baku Congress, 1920', Slavic Review, No.33, September 1974)

-'Colonial Revolution and the Communist International, 1919-1924', Science and Society, No.40, Summer 1976.

-'Anti-Bolshevik Control Officers and British Foreign Policy, 1918-1920', Coexistence, no.13, October 1976.

Williams, W.H., 'The State of Iraq: A Mandate Attains Independence', Foreign Policy Report, VIII, October 1932.

Wright, Q., -'The Government of Iraq', American Political Science Review, Washington 1926.

- 'The Mosul Dispute', American Journal of International Law, July 1926.

(الكردية)

• علي، كمال، كورتهيهك له خهباتي عهبدولپرزهزاق بهدرخان، جوار چرا (مجلة)، ٢٤، السويد، ١٩٨٦.

• حسامي، كريم، يادي قارهمانكي نهتهوهي كورد.. سمكوي شيكاك، بهريانگ (مجلة)، ع٧٠ و٧٣، السويد، ١٩٩٠.

• جليل، جليلي، بهرياربووني پيشوي له ههريمي ههكاري (فهلئيك له كتيبهكهي "راپهريني كوردهكان له سالي ١٨٨٠د"، لاپه ره ٥١-٧٢، مؤسكو، ١٩٦٦)، ترجمه من الروسية دكتور كاوس قهفتان، كوي زانباري عيراق - دهستهي كورد- (مجلة)، بهرگي جواردهههم، ١٩٨٦، ص١٢٢-١٥٩.

• لازريف، ميخائيل، دؤخي جيهانيي كوردستان له سههتاي سهدهي بيستههوه، بهشي دووهم، وهرگيراني له پروسيهوه د. كاوس قهفتان، كاروان (مجلة)، ع٥٥، ئاياري ١٩٨٧، ل ٨-٢١.

• مهحويان ش.. بزوتنهوهي كوردهكاني كوردستاني (خواروو) وسياسهتي ئيمپرياليزمي ئينگليز، ترجمه من الروسية سيوان على رهزا، پهيف (مجلة)، ع٧، س ٢، آيار ١٩٨٨، لندن، ص ٧٤٤-٧٧٢.

(العربية)

• الاكرد ... حقوق الانسان والهوية الثقافية، كونفرانس دولي عقد في باريس ١٤-١٥ تشرين الاول ١٩٨٩، نظمها المعهد الكردي بالتعاون مع المركز الفرنسي، جورنال ستوديا كورديكا، المركز الكردي في باريس، ع٤، ١٩٩٣.

السيرة الذاتية

التفاصيل الشخصية

- الاسم: سعد بشير إسكندر
- تاريخ ومكان الولادة: ١٩٦٢، بغداد
- الحالة الاجتماعية: متزوج

المؤهلات الدراسية

- دكتوراه فلسفة في التاريخ الدولي، (جامعة لندن -LSE-)، (١٩٩٧-١٩٩٩).
- ماجستير في تاريخ السياسة الدولية للقرن العشرين (جامعة لندن -LSE-)، (١٩٩٥-١٩٩٦).
- بكالوريوس في التاريخ السياسي للعالم (جامعة شمال لندن -NL-)، (١٩٩٢-١٩٩٤).

الخبرة والعمل

- العمل الحالي: مدير عام دار الكتب والوثائق في بغداد منذ العام ٢٠٠٣.
- باحث أكاديمي في المنبر الثقافي العراقي.
- استاذ زائر، كردستان العراق، ٢٠٠٢.
- مترجم في السفارة الليبية.
- محرر وإعلامي في أوقات مختلفة.
- مترجم خاص في أوقات مختلفة.

المؤلفات

- قيام النظام الإماراتي وسقوطه في كردستان، بين منتصف القرن العاشر ومنتصف القرن التاسع عشر (بغداد، ٢٠٠٥) (تُرجم إلى الكوردية).
- الديمقراطية وحق تقرير المصير القومي (السليمانية، ٢٠٠٥) (يُترجم إلى الكوردية).
- مراجعة سياسية للفدرالية والحل الفدرالي للمسألة الكردية في تاريخ العراق الحديث ١٩٩٢-١٩٩٢ ((طبعين: السليمانية، ٢٠٠٤ وأربيل: ٢٠٠٧)).
- الكُرد الفيليون وحزب البعث، ١٩٦٢-٢٠٠٢ (السليمانية، ٢٠٠٤).
- عن الدولة الحديثة والأمة والنزعة القومية في العراق العربي وكردستان (السليمانية، ٢٠٠٥).

- خروتشجوف وعملية الاصلاح السياسي في روسيا ما بعد ستالين، ١٩٥٣-١٩٦٤، مؤسسة المدى، عدد ٣٢ (خريف العام ٢٠٠٢).
- العديد من المقالات الأكاديمية في الدوريات العربية.

المؤلفات والأبحاث باللغة الانكليزية

- Britain's Policy in Southern Kurdistan: The Formation and the Termination of the First Kurdish Government, British Journal of Middle Eastern Studies, Vol. 27 ,No.2 ,November 2000 .
- Southern Kurdistan under Britain 's Mesopotamian Mandate: from Separation to Incorporation, 1921-1923, Middle Eastern Studies, Vol.37, No.2, April 2001.

النشاطات والفعاليات الأخرى

- عضو في المنبر الثقافي العراقي.
- عضو في الجمعية العراقية لدعم الثقافة.
- عضو في الجمعية الكردية الفيلية.
- عضو في المجلس الدولي للأرشيف.
- المشاركة في العديد من المؤتمرات واللقاءات الدولية الثقافية والأكاديمية داخل العراق وخارجه.

المهارات الأخرى

- معرفة جيدة جداً باللغات الانكليزية، العربية، الكردية والفارسية.